المعنى في علم المصطلحات

لجنة اللسانيات والمعاجم:

بسّام بركة (منسّقاً)
حسن حمزة
سعد مصلوح
الطيّب البكّوش
علي أزرياح
سامي عطرجي

المنظمة العربية للترجمة

إشـــراف

هنري بيجوان وفيليب توارون

المعنى في علم المصطلحات

ترجمة

ريتا خاطر

مراجعة

سليم نكد

بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

الفهرسة أثناء النشر - إعداد المنظمة العربية للترجمة
المعنى في علم المصطلحات/ إشراف هنري بيجوان وفيليب توارون؛ ترجمة ريتا خاطر؛ مراجعة سليم نكد.
415 ص. - (لسانيات ومعاجم)
يشتمل على فهرس.
ISBN 978-9953-0-1650-4
1. اللغة، علم. 2. المصطلحات. أ. العنوان. ب. خاطر، ريتا (مترجم). ج. نكد، سليم (مراجع). د. السلسلة.
401.4

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات تتبناها المنظمة العربية للترجمة»

Sous la direction de Henri Béjoint et Philippe Thoiron
Le sens en terminologie

المنظمة العربية للترجمة
بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص. ب: 5996 - 113
الحمراء - بيروت 2090 1103 - لبنان
هاتف: 753031 - 753024 (9611) / فاكس: 753032 (9611)
e-mail: info@aot.org.lb - http://www.aot.org.lb

توزيع: **مركز دراسات الوحدة العربية**
بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص. ب: 6001 - 113
الحمراء - بيروت 2407 2034 - لبنان
تلفون: 750084 - 750085 - 750086 (9611)
برقياً: «مرعربي» - بيروت / فاكس: 750088 (9611)
e-mail: info@caus.org.lb - Web Site: http://www.caus.org.lb

الطبعة الأولى: بيروت، كانون الأول (ديسمبر) 2009

المحتويات

مقدمة المترجمة

يتناول هذا الكتاب قضيةً جديدةً نسبياً بالنسبة إلى القارئ العربي، ألا وهي: علم المصطلحات بمختلف فروعه (النظرية والتطبيقية والمعلوماتية). ويتألف هذا الكتاب من مجموعة مقالات تتمحور كلها حول علم المصطلحات. ولقد قام المؤلفان هنري بيجوان (Henri Béjoint) وفيليب تواورون (Philippe Thoiron) بجمعها في هذا المؤلف الذي بين أيديكم، وعمدا إلى تقديمها في الفصل الأول الذي يحمل اسم «معنى المصطلحات» (le sens des termes)، حيثُ استعرضا محتوى كل منها. ولهذا السبب لن أستفيض في شرح محتواها لأن ذلك سيكون من باب تكرار ما ورد في الفصل الأول وسأكتفي فقط بالتعريج على ذكر بعض الخطوط الرئيسية.

لم ينشأ علم المصطلحات بهدف إرضاء رغبة غير مجدية في التميُّز، بل إن ما ساعد على تطوره كنظام مُستقل هو التطور التكنولوجي المتنامي من جهة والحاجات المتزايدة إلى التواصل بين شعوب تنطقُ بلغات متباينة من جهة أخرى. وأول عقبة يصطدم بها علم المصطلحات هي أنه يتحدر من أنظمة تقدمته ولاسيما علم الدلالة وعلم دراسة الألفاظ والمعجمية، بحيث لا يرى فيه البعض سوى امتداد لهذه الأنظمة الأقدم منه، ومن شأنه

أن يلقي بعض الضوء عليها وحسب. ولكن ما يميز علم المصطلحات عن هذه الأنظمة المتقاربة نوعاً ما، هو أنه وُجد ليؤدي وظائف تعبيرية تواصلية.

تُطالعنا في هذا المؤلَّف إشكالية التضاد بين المصطلحات والكلمات، متزاوجةً بطرق شتى. ولا ينطلق مؤلفو هذه المقالات، كما يؤكد بيجوان وتوارون، من مسلمة أن المصطلح والكلمة هما مختلفان اختلافاً جذرياً، ولكنهم يسعون إلى تحديد الاختلافات بينهما حيث توجد، بمعزل عن أي رأي مُبْتسر وعن أي قَبْلية سابقة للتجربة، وهم يقيمون الدليل على أن هذا الاختلاف لا يشكل في العمق بيت القصيد. كما إنهم يطرحون أسئلةً حول صيغة دلالة المصطلح، وحول ما تمثله مفاهيم السِمة التصورية والمدلول والتصور والمعنى والتعريف. . . إلخ، عندما نُطبقها على المصطلحات، وحول العلاقات التي تنشأ بين المصطلحات والعالم الذي تسمح إلى حد ما باعتقاله ووصفه والتلاعب به، وحول أفضل الطرق لعرض هذه العلاقات. ولكنهم يتطرقون بصورة خاصة إلى مسألة معرفة السبب، فيطرحون الأسئِلة الآتية: لمَ ينبغي أن نرى في المصطلح والكلمة وحدتَين متضادتَين؟ وما هي الجدوى من هذا التمييز؟ وما الذي يُسهِم به هذا التمييز في عملية فهم الميدان المصطلحي عموماً والميادين الخاصة؟ وفي فعلهم هذا، إنهم يتطرقون إلى أسئلة أخرى جوهرية أكثر تتناول دور علم المصطلحات النظري في مجتمعاتنا، فضلاً عن الوسائل التي ينبغي تطبيقها لمساعدته على تأدية هذا الدور. . . إلخ. كما إنهم يحددون أُطراً لسبل تطورية هدفها وضع قوائم مصطلحات جديدة. كما يتصدى هذا المؤلف للاختلاف القائم بين علم المصطلحات والمعجم، ولمسألة الميدان التي تفرضُ نفسها في علم المُصطلحات النظري، فضلاً عن

إشكالية التصور الأدنى والتصور الأقصى، بالإضافة إلى عملية «التمييع» («processus de «dilution) التي تغدو بواسطتها بعض المصطلحات مجرد كلمات من اللغة العامة، والتي تستتبعُ على الدوام «خسارة» بعض السِمات، ناهيك بعملية تمدد المعنى (étirement du sens).

علماً بأن مفهوم المصطلحية قد تطور مع مرور الزمن، إذ إنه في البداية كان يدل على مجموعة المصطلحات الخاصة بنشاط علمي معين أو باختصاص ما، كأن نقول مثلاً «المصطلحية الكيميائية» أو «المصطلحية القانونية» أو «المصطلحية البلاغية»، . . .إلخ. ولكن مفهومه ما لبث أن توسع ليدل على النهج الذي يتيح ترتيب مجموعة من المصطلحات الخاصة بتقنية معينة أو علم معين وتنظيمها. ويُعزى اليوم تطور علم المصطلحات إلى التغيرات التي أدت إلى بروز احتياجات جديدة في مجال الألسنية، وأبرزها:

أ ـ تشهد العلوم تطوراً غير مسبوق ما يؤدي إلى خلق عدد كبير من المفاهيم الجديدة وحتى الميادين التصورية الجديدة، ناهيك بالتسميات ذات الصلة.

ب ـ تنمو التكنولوجيا بسرعة فائقة وتطول كل شرائِح المجتمع، ما يُفضي إلى بروز ميادين أنشطة اقتصادية، على غرار ميادين «صناعة اللغة» («les industries de la langue»). وإن هذا التطور التكنولوجي له ارتداداته على ميادين المعلوماتية والتواصل محابياً بذلك خلق طرق تواصل مبتكرة.

ج ـ تكاثرت العلاقات الدولية السياسية منها والثقافية والاقتصادية بشكل مدهش؛ فمن الأسواق الإقليمية والوطنية، انتقلنا إلى الأسواق العالمية.

د ـ إن نقل المعارف والمنتجات الذي يُعد من أبرز مظاهر المجتمع الحالي، يستوجِب خلق أسواق جديدة للتبادل العلمي والتقني والثقافي والتجاري. زِد على أنه يُحتم علينا التطرق إلى مسألة التعددية اللغوية في معرض التبادل؛ كما إنه يقتضي أيضاً معيَرة العناصر التي يتم عبرها هذا الانتقال.

هـ ـ لا ينفك الإعلام يكتسب أهميةً أساسيةً ويتضاعف بشكل لا مثيل له. وتحتاج هذه الكمية من المعلومات إلى ركائزَ متينة وفعالة. وهكذا، تم ابتكار قواعِد البيانات بمختلف أنواعها والتي تستلزِم أن يُصار باستمرار إلى استيفائها حتى اليوم الجاري، والتي ينبغي أن يكون الوصول إليها سهلاً وأن يُصار إلى استخدامها بشكل متعدد الأبعاد. وهكذا، كان لابد من معيرة الأنظمة والعناصر الخاصة بتخزين المعلومة وضبطها، فضلاً عن أنظمة التبادُل الآلية ومحتوى بنوك المصطلحات الكبرى.

و ـ إن تطور وسائل التواصل بالجُملة يسمح ببث علم المصطلحات وانتشاره على نطاق واسع وعمومي يطال فئات المجتمع كلها، فيُساهم هكذا في حصول التفاعل بين معجم المفردات العام والمتخصص. وبفضل وسائل التواصل، تُصبح المصطلحات خاليةً من السِمات المتخصصة وعاميةً.

وباعتبار أن هذا الكتاب يُعالِج مسائل ألسنيةً ومصطلحيةً حديثة العهد نسبياً، كنت أعي حجم الصعوبة التي كانت ستعترضني في طور عملية الترجمة إنْ لجهة المفاهيم المبتكرة على غرار التقنيات المعلوماتية الجديدة لمعالجة النصوص على سبيل الذكر لا الحصر، أو لجهة المصطلحات الجديدة التي تفتقر في أغلب الأحيان إلى المصطلحات العربية المعادلة أو على العكس التي تكثُر المصطلحات المقابلة لها بسبب التشتت المصطلحي. ولقد اعتمدتُ على المعاجم

الألسنية المتاحة والدراسات والأطروحات لتكريس المصطلحات الجيدة فيها، ولكنني شعرت في كثير من الأحيان بالحاجة إلى الابتكار والتوليد والاستحداث لسد الشغور. وقد رُمت قدر الإمكان إبقاء النص المترجم قريباً من النص الأصلي. وحاولت تذليل كم لا يُستهان به من الصعوبات التي يُمكن إيجازها كالآتي:

1 ـ **الترادف**: يزخَر هذا المؤلف بالمرادفات. والترادُف هو توارد لفظتَين أو أكثر للدلالة على معنى واحد. ونعلم أنه يمكن للترادف أن يكون: إما ترادفاً مطلقاً حين تكون المفردات متعاوضةً في السياقات كلها، مع أنه عملياً لا وجود للمرادفات الحقيقية المُطلقة، ما عدا بين لغتَين وظيفيتَين (على سبيل المثال، تُقدم اللغات المتخصصة ولاسيما في حقل الطب أمثلةً كثيرةً عن الترادف المُطلَق بين مجموعة المصطلحات العلمية التقنية ومجموعة المصطلحات الشعبية العامية)؛ أو ترادفاً تعيينياً بين كلمات متباينة تُستخدَم في سياقات مختلفة، إلا أنها تُشير في مقام معين (situation) إلى المرجع نفسه، فتُصنف بذلك في خانة المرادفات. وقد عمدتُ في ترجمتي قدر المُستطاع إلى احترام ترادف بعض المفردات الفرنسية فنقلتها إلى اللغة العربية بمفردات مترادفة أيضاً، وذلك حرصاً عل إظهار الاختلاف الذي أراد المؤلفون الإشارة إليه بين بعض الكلمات المترادفة، وضناً مني بالأمانة للنص الأصلي. وهذه بعض الأمثلة: propriétés وcaractères وtraits، فترجمتها كالآتي: مميزات وخصائِص وسِمات؛ وdénominations وdésignations، فترجمتهما بما يأتي: تسميات وتعيينات؛ وajustement وharmonisation وcoïncidence وmise en correspondance، فنقلتها إلى اللغة العربية كالآتي: ضَبط وتوحيد القياس وتطابق ومُطابقة؛ وusage وemploi، وقد ترجمتها كالآتي: استعمال واستخدام.

2 ـ المصطلحات المعلوماتية والتقنيات الجديدة: صادفتُ في أثناء ترجمتي عدة مفاهيم تتناول تقنيات معالجة النصوص بواسطة الحواسيب، ولاسيما في الفصل السادس من هذا الكتاب. وقد عمَدتُ إلى توضيح الأسماء الأجنبية المختصرة لهذه التقنيات، حيث أوردت العبارة التي ترمزُ إليها كاملةً في الهامش وترجمتها إلى العربية مع إلحاقها بتفسير مقتضب يسمح للقارئ بأن يفهم بشكل عام كنه التقنية المعنية، وهذه بعض الأمثلة: تقنية للتعريف بنمط المُستند (DTD) ولغة الترميز المُمَقْيَسة العامة (SGML) ولغة الترميز المَدودة (XML) وهيبرميديا (hypermédia) والنص الفوقي (hypertexte)... إلخ.

3 ـ معلومات ثقافية: اعترضتني في طور عملية الترجمة إشكالية المعلومات الثقافية التي لا يجد القارئ الفرنسي صعوبةً في فهمها على الفور لأنها تتعلق بالأدب الفرنسي الكلاسيكي أو بالميثولوجيا الإغريقية التي نشأ عليها ودرسها في المدرسة، في حين يتعين شرحها للقارئ العربي. وكنتُ أعمَدُ، حين أقعُ على معلومة ثقافية مماثلة، إلى شرحها في الهامش الوارِد في ذيل الصفحة، وذلك ليس من باب انتهاك مبدأ عدم غباء القارئ (dogme de la non imbécilité du lecteur) الذي نادت به دانيكا سيليسكوفيتش (Danica Seleskovitch)، بل حرصاً مني على السعي إلى وضع القارئ الأصلي والقارئ الجديد على قدم المساواة، أي أن أجعل كل ما يتمتع به القارئ الأصلي في متناول القارئ الجديد من دون أن أقلل من قيمة ذكائه. وإليكم بعضَ الأمثلة: شخصية السيد جوردان (Monsieur Jourdain) التي ابتكرها الكاتب المسرحي موليير (Molière) في القرن السابع عشر والتي ينتقد على لسانها معجم المفردات الباطني الشاق والمُنفر الخاص بالمنطق الرياضي

وبالأشخاص الذين لا يفقهون شيئاً منه؛ ورواية **علبة الرغبات القاتِلة** (*La peau de chagrin*) التي أصدرها أونوري دو بلزاك (Honoré de Balzac) عام 1831 والتي تُجسد الصراع بين الرغبة والبقاء؛ وأسطورة علبة بندورا (boîte de Pandore) التي تُسمى أيضاً «علبة الشرور» بحسب الميثولوجيا؛ ويوتيربي (Eurterpe) إلهة الإلهام الموسيقي؛ وأفعى العُدار (hydre de Lerne)؛ وحيوانات الخَيْمَر الخرافية (chimères) وطيور الليل المُفترِسة (stryges) والسنتور (centaure)؛ ناهيك باللغة الدلفية (langue delphique) حيثُ تُستعمَل أصلاً الصِفة «دلفية» للإشارة إلى كل ما هو منسوب إلى مدينة دلفي اليونانية القديمة أو إلى مَوْحى أبولو فيها أي مَهْبَط الوحي، وتُستعمَل هذه الصِفة بالمعنى المجازي للإشارة إلى الأمر الذي يكون مُبهماً ومُلتبِسَ المعنى؛ والفولغاتا (vulgate) التي تُمثل الترجمة اللاتينية **للكتاب المُقدس** التي أجراها سان جيروم (Saint Jérôme) في أول القرن الخامس الميلادي بتكليف من البابا داماس الأول (Damase I^er^) والتي أصبحت النص الرسمي المقبول والمُعتمَد في الكنيسة الكاثوليكية، وتُستخدَم هذه العبارة بمعنى القراءة أو النص المقبول عند الجمهور... إلخ.

4 ـ **كلمات جديدة**: يتساءَل البعض إنْ كان المترجِم في موقع يسمحُ له باستنباط كلمات جديدة؟ ففي الواقع، يُضطر المترجِم أحياناً إلى استنباط بعض المفردات إنْ عجزِت المعاجم والمراجع أن تزوده بما يحتاجه من مفردات مناسبة. وقد صادفتُ في أثناء ترجمتي عدداً من المصطلحات الفرنسية الألسنية اللغوية التي تفتقر إلى ما يُعادلها في اللغة العربية، مما اضطرني إلى استنباط مصطلحات مقابلة لها في اللغة العربية. ولما كان المصطلح الجيد هو المصطلح ذو الأصل في اللغة العربية، لذلك سعيتُ جاهدةً أن أستنبِط عن طريق

الاشتقاق أو القياس أو من وحي معنى هذه الكلمات في اللغة الفرنسية، فاقترحتُ أحياناً ترجمات بدت ممكنةً وقدمتُ أحياناً أخرى تعريفات لعدد من المفاهيم استقيتها من موارد عديدة. وإليكم بعض الأمثلة: لقد ابتكرَ بوتييه (Pottier) مصطلح lexe ليُشير به إلى ظل التصور الذي يبدو أن طيفه يلوحُ فوق اللغات قبل أن يتجسد فيها، على وزن كلمة lexie، أي لفظة، حاذِفاً منها حرف «i» الفرنسي، أما أنا فقد نقلتُ هذا المصطلح إلى اللغة العربية من خلال إضافة حرف الياء إلى كلمة لفظة (lexie) فحصلتُ على كلمة «لفيظة»؛ والأسمائية (onomantique)، أي كيفية تسمية التصورات، التي ترجمتُها بالقياس إلى مُصطلح أعلامية (onomastique)، أي كيفية تسمية الأعلام؛ والتركيب المونيمي (synthème) والتركيب النحوي (grammème) وألفاظ أوائِلية (acronymes) والمُختصرات بالأحرف الاستهلالية (sigles) وعلامات المراعاة (marques de pondération) ومَكنَز (thésaurus)... إلخ، والتي ترجمتها كلها من وحي معناها في اللغة الفرنسية.

5 ـ معلومات متخصصة: يضم هذا الكتاب مخزوناً ضخماً من المعلومات المتخصصة التي تتطلب بذلَ جهود حثيثة لسبر أغوار معانيها ونقلها إلى اللغة العربية من جانب الشخص غير المتخصص، وقد عمَدت إلى إدخال هوامش لشرح هذه المعلومات كلما رأيتُ ذلك مناسباً لتسديد خطى القارئ العربي. ونذكر على سبيل المثال، المعلومات الرياضية التي نقعَ عليها بنوع خاص في الفصل العاشر من هذا الكتاب، وأبرزها: «جسر الحمير (pont aux ânes) ومختلف تعريفات مصطلح إهليلَج (ellipse) (انظر الفقرة 5.1 في الفصل العاشر) والنسبة التقريبية بي (π) وأساس النِظام اللوغاريتمي الطبيعي (هـ) (e)؛ ناهيك بالمعلومات الفيزيائية، على غرار: المِقدار المادي

(grandeur physique) والفِتنة (charme) والغرابة (étrangeté) والكتلة الحَرِجَة (masse critique)؛ والمعلومات الكيميائية، ومنها مثلاً: بيرول (pyrrolidine) وغازات الكربون الكلورينية الفلورينية (CFC) والنوبِليوم (Nobelium)؛ والمعلومات المتعلقة بعلم النبات، على غرار: فِلْقَة (cotylédone) وأحادي الفِلْقَة (monocotylédone) واليرونيات (spermaphytes)؛ والمعلومات الطبية، من مثل: دواء الإجهاض في مراحِل الحَمْل الأولى (RU 486) ودواء التاموكسيفين لعلاج سرطان الثدي (tamoxifène) واعتلال المخ الإسفنجي الشكل البقري (= مرض جنون البقر) (spongiforme bovine (= maladie de la vache folle))؛ والمعلومات المتعلقة بعلوم الحياة، وأبرزها: الانقسام الفتيلي (mitose)؛ فضلاً عن المعلومات البحرية، على غرار: الشاخِص الإذاعي (balise) وزورق التجسير (ponton) ومَيمنة المركب (tribord armure) ومَيْسَرَة المركب (bâbord armure)... إلخ.

6 ـ الأمثلة الفرنسية والإنجليزية: تكثُر الأمثلة الفرنسية والإنجليزية في هذا الكتاب، ومن البديهي أن ترجمة الأمثلة الأجنبية إلى اللغة العربية لا تسمح في أغلب الحالات بإبراز الظواهر التي أراد المؤلف عرضها وتوضيحها لما بين هاتَين اللغتَين واللغة العربية من اختلافات ولاستحالة تطابق اللغات تطابقاً تاماً. ولذلك، لقد فضلت أن أترجِم هذه الأمثلة متى عز نظيرها، بحسب علمي، في اللغة العربية ترجمةً حرفيةً. وفي الحالات التي كانت تؤدي فيها الترجمة الأمينة للمَثل الأجنبي الخروج عن مقاصد المؤلف، اضطررتُ إلى اعتماد الترجمة الحرفية جنباً إلى جنب مع النص الأصلي، علماً بأن ترجمة التعليق تبقى مرتبطةً بالمثال الفرنسي أو الإنجليزي. وإليكم بعض الأمثلة: الدراسة حول مختلف معاني

كلمتَي علبة (boîte) ومفتاح (clé) الوارِدة في الفصل السابع من هذا المؤلف والتي وجدتُ صعوبةً لنقلها إلى اللغة العربية، فضلاً عن الأمثلة الإنجليزية التي تتناول الصِفات: افتراضي (virtual) ومستقل (stand-alone) وسِعة (bandwidth) وتدوير (recycle) الوارِد ذكرها في الفصل التاسع من هذا الكتاب والتي كابدتُ مشقةً في نقلها، فكنتُ تارةً أشرحها في الهامش وأترجمها طوراً ترجمةً حرفيةً.

7 ـ **التعريفات المعجمية**: اعترضتني في الفصل الثاني بنوع خاص إشكالية التعريفات المعجمية المأخوذة من معاجم اللغة العامة أو من المعاجم المتخصصة والتي وجدت صعوبةً في ترجمتها إلى اللغة العربية على نحو يُحافِظ على تماسكها لأن المساحة الدلالية للكلمات تختلف من لغة إلى أخرى، فقد ورَدت مثلاً كملة «bois» في تعريف كلمة «corne» على أساس أن كلمة «bois» تعني مجازياً في اللغة الفرنسية «قرن»، وهي صورةٌ غير موجودة في اللغة العربية، ولكنني اضطررتُ إلى ترجمتها حرفياً بكلمة **أخشاب** مع علمي بأن القارئ العربي سيجدها غريبةً. وتحفلُ التعريفات الأخرى بأمثلة مماثلة (انظر على سبيل المثال تعريفات كلمات دورة (cycle) وقرن (corne) ومقصورة (cabine) الوارِدة في الفصل الثاني وتعريف كلمة موزة (banane) الوارِد في الفصل السادس).

وخلاصة القول، يُشكل علم المصطلحات جزءاً لا يتجزأ من حياتنا، نعيشه على الصعيد اليومي حتى وإن كنا أحياناً لا ندرك ذلك فِعلاً. فنحن نمارسه يومياً عبر التواصل إذ إننا في بحث مستمر عن الكلمات والمصطلحات التي نحتاج إليها سواء في الكلام الذي نُلقيه أو نتلقاه، فقبل أن يكون علم المصطلحات موضوع دراسة، فهو يندرج أولاً في خانة الممارسة. كما إنه يُشكل الجزء النابض بالحيوية في معجم مفردات كل لغة، ذلك لأنه يجمع التعلم والإبداع معاً

بحيثُ إننا نتحدث عن التعلم حين يترتب علينا أن نستوعِب التاريخ المصطلحي لعلم ما، بينما نتحدث عن الإبداع حين يتوجب علينا أن نستنبط المصطلحات الجديدة وأن نولدها تماشياً مع المفاهيم الجديدة المُستحدَثة في هذا العلم. وتتولى الترجمة التقنية مهمة ضخ دم جديد، أي كلمات جديدة، في شرايين اللغة. وهنا يُمكننا طرح جملة من التساؤلات: ما الذي هوى بالمصطلحية العربية التقنية والعلمية إلى هذه الدركات؟ وما هي الاقتراحات والحلول التي يجب اعتمادها لمعالجة هذه الأزمة؟ هل اللغة العربية قابلة لاستيعاب المصطلحات التقنية والعلمية وابتكارها؟ وكيف السبيل إلى استحداث المصطلحات التقنية العربية؟ هل التنوع في ترجمة المصطلح الواحد إلى اللغة العربية أمر جيد أم سيئ؟ وهل يُشوش فكر القارئ والمترجم الذي يُعد قارئاً أيضاً إنما من نوع آخر؟ وإنْ كان غير حميد كيف السبيل إلى معالجته؟

علينا العمل أولاً على استعادة ثقة العرب بلغتهم، فلقد آن الأوان، كما يقول المعجمي أحمد شفيق الخطيب، أن تصبح اللغة العربية جزءاً من حياتنا اليومية في البيت والمدرسة والعمل، فنهيئ الأرضية الصالحة والخصبة لبزوغ براعم العِلم في اللغة العربية ليس فقط بصفتها لغة تعليم، إنما أيضاً بصفتها لغة بحث علمي وتأليف عِلمي وإبداع عِلمي. والأشخاص الذين يحتجون لإعاقة حركة تعريب التعليم بانتظار أن تتوفر لها المصطلحات وتتكامل، إنما يضعون العربة أمام الحِصان، لاسيما أنه بات من الضروري، مع غزوة المصطلحات وسيطرة وسائِل الإعلام المسموعة والمرئية، أن نبحثَ عن طرق لوضع المصطلحات، وبات التركيز على وضع هذه المصطلحات في متناول الجميع مطلباً مُلحاً. وتمر اللغة العربية في فترة مخاض عسيرة، على مستوى الأزمة المصطلحية، تُعزى إلى جملة من الأسباب، أبرزها:

1 ـ غياب اختصاص المصطلحية في الجامعات العربية: حيثُ يضطر المترجمون إلى تأدية دور علماء المصطلحات لغياب هذا التخصص، ويُمكننا تسميتهم حينئِذ بعلماء المصطلحات الظرفيين (terminologues occasionnels). وضرورة العمل على أن يصبح علم المصطلحات مهنةً قائمةً بذاتها لأن الجامعات العربية عامة لا تزال تدرس الترجمة لطلابها كمادة هي أقرب إلى أن تكون مدخلاً إلى تعلم البحث المصطلحي بدلاً من أن تكون اختصاصاً مستقلاً يهدف إلى مساعدة المترجمين على تخطي عقبة النقص في المصطلحات التقنية العربية المنتشرة أكثر فأكثر مع التقدم التقني والتكنولوجي العالمي. أما في الدول المتطورة فليس علم المصطلحات اختصاصاً مستقلاً وحسب، بل يجري العمل على إنشاء نقابات لعلماء المصطلحات. فعلى سبيل الذكر، اعترفت «كندا» بعلم المصطلحات باعتباره مهنة قائمة بذاتها منذ سنة 1992، علماً بأن علماء المصطلحات الكِبكيين (نسبة إلى كيبيك (Québec) في كندا) هم أعضاء في نقابة المترجمين منذ عام 1978.

2 ـ عمل المترجِم في عدة ميادين والضرورات الاقتصادية التي تفرضها المعيشة: إذ يجد المُترجِم نفسه مُجبراً على الترجمة في مختلفِ الميادين (الألسنية والقانونية والتجارية والأدبية والفلسفية وغيرها) بغية تأمين لقمة عيشه، ولا يتمكن من تكريس جهوده للعمل في ميدان واحد لكي يتمكن من التعمق به والغوص في أعماقه وإنشاء معجم خاص به يستعمله كقاعدة بيانات شخصية تتجلى قيمتها في ناحيتَين، ألا وهما: توفر عليه الوقت في أثناء الترجمات، كما تُساعِد من الحد من فوضى المصطلحات. ومن مساوئ هذا الأمر أيضاً أنه لا يكون لديه متسعٌ من الوقت للتفكر والتأمل بالمصطلحات التي تنطوي عليها النصوص التي يُطلب منه ترجمتها ويُلهجُ في عمله بسبب المُهل الزمنية الضيقة التي يترتب عليه في نهايتها تسليم

العمل، ناهيك بأنه يتجشم عناءً كبيراً لتخطي الصعوبات الترجمية الكؤود التي تعترضه والتي لا تكون المعاجِم مهيأةً بحلول شافية لها لأنها تفتقِر إلى المصطلحات التقنية المتخصصة.

3 ـ **الحاجة إلى دراسات باللغة العربية**: وبروز مستخدمين هم بأمس الحاجة إلى مثل هذه الدراسات المصطلحية العربية على غرار المترجمين ودارسي اللغات المُقارَنة ودارسي اللغات الأجنبية وغيرهم، ومرد ذلك إلى غياب المصادر والمراجع العربية المتخصصة (من كتب ومعاجم وموسوعات علمية متخصصة) التي تساعد على الفهم وإعادة التعبير أو الصياغة. وقد برزت هذه الحاجة بسبب ضرورة مواكبة تطور التقنيات والتواصل الاجتماعي ولأن احتياجات المجتمع تُسيِّر العلوم أياً تكن أولوياتها. ويكون نجاح هذه العلوم منوطاً بمدى تلبيتها للمتطلبات التي يفرضها المجتمع.

4 ـ **غياب سياسات التنظيم اللغوي والمَعْيَرة**: نظراً إلى كون أخطار التخلف والتقهقر والاندثار تُحدق أكثر فأكثر باللغة العربية، بات لا مناص من تدخل الحكومات لاستدراك هذا الوضع، وذلك من خلال اعتماد سياسات لغوية وإنشاء مراكز مصطلحية وأكاديميات تُعنى بالشؤون اللغوية العربية. ومن شأن التنظيم اللغوي (aménagement linguistique) هذا، بحسب بيار أوجي (Pierre Auger)، أن يُلبي ست مهام أساسية، ألا وهي: البحث والمَعْيَرَة والنشر والتأثيل والضَبط واستيفاء المصطلحات حتى اليوم الجاري. وإن التضخم المُصطلحي ليس سمةً ينفرِدُ بها عصرنا وليست كذلك حصيلة قلة استعداد لغتنا لتقبل مفاهيم ومصطلحات جديدة، بل إنه إشكاليةٌ أساسيةٌ طَرَحَت نفسها على مر العصور ولا تزال. وإزاء هذا الوضع، يرى بعض التقنيين الذين يهتمون قبل أي شيء آخرَ بجدوى التواصل، أن المَعْيَرة هي في أساس وظيفة علم المصطلحات، أي

إن هذا الأخير يهدف إلى توجيه استعمال بعض المصطلحات، وإلى فرض مصطلحات أخرى، وحتى إلى منع استعمال هذا المصطلح أو ذاك.

5 ـ الحاجة إلى التوثيق وخلق بنوك المصطلحات: يُعتبر التوثيق المادة الأولية التي يرتكز عليها علم المصطلحات، ومن هنا نستنتج أهميته التي تشكل عصب النشاطات المصطلحية. ولا نغالي إذا أشرنا إلى أنه لا وجود للدراسات المصطلحية في غياب التوثيق الذي يتمحور دوره حول النقاط الرئيسية الآتية: إعداد الوثائق والمراجع وتشكيلها وتقييمها وتصنيفها والاستفادة منها. وعليه، فإن إنشاء مراكز التوثيق (centres de documentation) وبنوك المصطلحات (banques de mots) يُعد ضرورة من ضرورات العمل في ميدان المصطلحية، فعالم المصطلحات يحتاج إليها باعتبارها مراكز لجمع المراجع ومنطلقاً لدراساته وأبحاثه، والطلاب والمتخصصون يعولون عليها لاستقاء المعلومات والاطلاع على المصطلحات والأبحاث. وبغية تلبية هذه الحاجات، من الضروري أن يحتوي كل مركز من هذه المراكز على وثائق تعلم بشكل عام قواعد اللغات التي يعالجها المركز وأصولها، ومعاجم وموسوعات ومجلات ومقالات وتقارير ومحاضرات وأبحاث وجداول وقوائِم بالمصطلحات الحديثة وكتب تقنية متخصصة في المجالات التي يُعنى المركز بدراستها، فضلاً عن البطاقات المصطلحية. وتكمن أهمية «بنك المصطلحات» في كونه قابلاً دائماً لاستيفاء المصطلحات حتى اليوم الجاري وتحديث بطاقاته المصطلحية وتعديلها وخلق بطاقات جديدة للكلمات المستحدثة، بعكس المعاجم التي تبقى ناقصةً مهما تطورت لأنها ما إن يتم طبعها يُصبح من الصعب إضافة مصطلحات جديدة عليها أو حتى تعديلها، فشتان ما بين علم المصطلحات والمعجمية، ذلك لأن المعاجِم

تتحجر، أما البطاقات المصطلحية **المُمَعلَمة**، فهي تُتيح لنا مجال تطويرها باستمرار لاستيفاء اليوم الجاري. وهكذا، نجد أن علم المصطلحات هو عنصرٌ لا غنى عنه لتحديث اللغة وعصرنتها. ومن هنا نلمُس أيضاً أهمية دور المعلوماتية التي كان أوجين فوستر (Eugen Wüster)، وهو مؤسس علم المصطلحات، يعتبرها مقوماً أساسياً من مقومات علم المصطلحات.

وبما أن غلبة اللغة من غلبة أهلها ومنزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم، كما يقول ابن خلدون، فحري بنا أن نضعَ نُصبَ أعيننا الأهداف الآتية:

أ ـ تعريب المناهِج الدراسية في المدارِس والجامعات لأن التغيير يبدأ من الأجيال الناشئة.

ب ـ تشجيع كل مترجم على وضع قاعدة بيانات بالترجمات الموفقة التي وجدها. ويعود سبب ذلك **أولاً**، إلى تسهيل المهمة الترجمية عليه إذ إنه يكابد مرةً واحدةً عناء إيجاد ترجمة للمصطلح التقني؛ و**ثانياً**، إلى الحد من الفوضى المصطلحية أو التشتت المصطلحي.

ج ـ مَعيَرة المصطلحات وتوحيد الاستعمالات وسن مقاييس استنباط تراعي أصول الذوق والسهولة.

د ـ توحيد المعاجم المتخصصة.

هـ ـ إنشاء مؤسسات عربية تُعنى بالترجمة وتتولى إصدار مؤلفات علمية باللغة العربية.

و ـ تدريس علم المصطلح في الجامعات بوصفه علماً مستقلاً عن الترجمة، وضرورة إطلاع المترجمين على علم المصطلحات

والمعجمية للإلمام قدر الإمكان بقواعد توليد المصطلحات وتوحيدها ومعرفة خصائص المعاجم العامة والمتخصصة.

ز ـ تفعيل المجامع اللغوية العربية وعقد مؤتمرات عربية لمناقشة قضية التشتت المصطلحي والسعي إلى إيجاد حلول لها.

ح ـ تبادل الكتب العلمية والمنهجية بين البلدان العربية، ولاسيما على المستوى الأكاديمي.

طـ ـ تدخل الحكومة لأنها تملك القدرة على فرض استراتيجيات سياسات لغوية للالتزام بالمصطلحات التي أقرتها المجامع العلمية العربية... إلخ.

خِتاماً، ليس المشهد العربي ميؤوس منه على الصعيد المصطلحي، لأن الساحة العربية لا تخلو من بعض المنظمات والجمعيات وحتى البلدان التي ترفع عالياً راية اللغة العربية وتسعى إلى تطوير هذه اللغة التي كانت في العهود الغابرة خير شاهد على التطور العلمي الذي عبرت عنه بأبهى الحلل في مختلف ميادين المعرفة، الأمر الذي أدى إلى ازدهار العرب أيام عصر النهضة. عسى أن يعيدَ العرب الأمجاد الماضية عبر تكامُل دور القطاعَين الخاص والعام. وآمل أن يُساهِم تعريب هذا الكتاب في لفت الانتباه إلى مدى أهمية علم المصطلحات وإلى الخدمات الجليلة التي يُقدمها هذا الأخير في سبيل تطوير اللغة.

ريتا خاطر

معنى المصطلحات

هنري بيجوان وفيليب تواورن[1]

علم المصطلحات النظري وثبت المصطلحات

إذا سلَّمنا بأن علم المصطلحات النظريّ بصفته فرعاً علمياً لم يُبصر النور إلاّ منذ عهد قريب، خلال النصف الثاني من القرن العشرين، نلاحظ جليّاً أن المنشورات الوحيدة التي تُعالج معنى المصطلحات، بدءاً من هذه الأصول القريبة العهد وحتى يومنا هذا، تصدرُ عن علماء مصطلحات نظريِّين توَّاقين قبل كلّ شيء إلى فصل علم المصطلحات النظريّ عن سائر العلوم الوثيقة الصِّلة به، وبالأخصّ عن الألسنيّة (Cabré 1998: 62 sq.). وممّا لا شك فيه أنه كان من الممكن تفسير المواقف التي اتَّخذها فوستر (Wüster) بشأن طبيعة الرمز في علم المصطلحات النظريّ على المنوال الآتي: كان

[إن جميع الهوامش المشار إليها بأرقام تسلسلية هي من أصل الكتاب، أما تلك المشار إليها بـ (*) فهي من وضع المترجمة].

(1) مركز البحث في علم المصطلحات والترجمة، جامعة لوميير ـ ليون 2 (Université Lumière - Lyon 2).

التمييز بين المصطلح والكلمة مُقاماً من حيث المبدأ ومُثبتاً على صعيد الدلالة، بحيث تتوقَّف دلالة الكلمة إلى حد كبير على المحيط اللُّغوي، في حين أن دلالة المصطلح تكون مرتبطة قبل كلّ شيء بالمحيط التداوليّ التواصليّ. إن إرادة التمييز هذه تفسّر السبب الذي لا يزال يدفع بعدد كبير من المؤلّفات المدرسية والمُقرَّرات التعليميّة التي تتناول علم المصطلحات النظريّ والتي تُدرَّس في المدارس والجامعات إلى تكريس جزء من جهودها لتقصي البحث في ما يُفرِّق المصطلح عن الكلمة.

إن الأعمال التي تندرج في هذا التيّار التقليدي لعلم المصطلحات، سواء أعمال فوستر التي تناولها في ما بعد أعضاء ما سُمّي بمدرسة فيينا (Ecole de Vienne)، أو أعمال مؤلفين أكثر حداثة ألّفوا وفق الاستيحاء ذاته، كثيراً ما كان يتجاهلها، بتعالٍ، الألسنيون، علماء الدلالة وعلماء المفردات، كما لو كانت دراسة معنى المصطلحات، أو الطريقة التي يتناولها علماء المصطلحات لا تؤديّ أيّ فائدة في فهم اللغات ووصفها. يشير ساجيه (Sager) في متن هذا الكتاب إلى الهوة التي تفصل، على حدّ قوله، بين تصورين بشأن اللغة يختلفان اختلافاً جذرياً هما: اللغة التي تصاغ كأداة لتشكيل العالم، واللغة التي تشكّل العالم من غير علم منّا.

ساهَمَ الشعور بالعزلة الذي ولَّده هذا الوضع لدى بعض علماء المصطلحات النظريين، بلا ريب، بإيصالهم منذ بضع سنوات إلى حدِّ التشكيك بفوستر، بل حتى إنكاره وعدم تصديق هذه النماذج التي تعلن وجود اختلاف جذريّ بين هذين العلمين، الواردة في هذا الكتاب، وموضوع دراستهما. يُبرهن عدد كبير من مؤلِّفي المقالات الواردة في هذا الكتاب، أن علم المصطلحات النظريّ لم يُبنَ على

أساس دراسة ظواهر واقعية، بقدر ما بُني على وصف مُثُل عليا أول الأمر، على غرار: مُثُل أحادية المعنى، وصحّة التعريفات، والمصطلح باعتباره «مُلصقاً» مُعلَّقاً على الشيء الذي يشير إليه، أي باختصار: مثال اللّغة المصنوعة من أجزاء متعددة والتي تراقبها جماعة الألسنيّين بغية تشكيل العالم. إن التبدُّلات التي طرأت على ظروف عمل علماء المصطلحات النظريِّين قد حدت بهم مؤخَّراً إلى وضع هذه المُثُل العليا على بساط البحث مجدَّداً وإلى مواجهة موقف يتَّسم بطابع وصفيّ أكثر.

في هذا السياق، اتجه البعض نحو علوم دلالة «ألسنيّة لغويّة» لاستعمالها في أبحاثهم، بل لتوظيفها أحياناً في تطبيقات حسيّة للغاية. بدأنا نشهد مذ ذاك بروز اسم بوتييه (Pottier) أو راستييه (Rastier) في كتابات من نوع جديد لعلماء المصطلحات النظريين هؤلاء، حتى وإن كانت بعض النظريات الحديثة، على غرار نظرية النموذج البَدْئيّ، تبدو صعبة التطبيق على علم المصطلحات النظريّ. فهل يعني ذلك أن علماء المصطلحات النظريِّين قد عزفوا عن المطالبة بخصوصيّة علمهم وموضوعهم الأساسيّ؟ لسنا على يقين من ذلك.

ستطالعنا في هذا المؤلَّف إشكاليّة التضاد بين المصطلحات والكلمات، متزاوجةً بطرق شتَّى، ولكنَّنا من خلال أخذ المبادرة بنشره أردنا أن نبرهن أن الوضع قد تبدَّل إلى حدّ ما بحيث إنّ علماء المصطلحات النظريِّين الذين نُقدِّمهم هنا لا ينطلقون من مسلَّمة أن المصطلح والكلمة مختلفان اختلافاً جذريّاً، ولكنهم يسعون إلى تحديد الاختلافات بينهما حيث توجَد، بمعزل عن أيّ رأي مسبق وعن أيّ موقف قبلي، وهم يقيمون الدليل على أن هذا الاختلاف لا

يشكّل في العُمق القضية. كما إنهم يطرحون أسئلةً حول صيغة دلالة المُصطلح، وحول ما تُمثِّله مفاهيم السِمة التصوُّريّة (conceptuel) والمدلول والتصوُّر والمعنى والتعريف... إلخ، عندما نطبِّقها على المصطلحات، وحول العلاقات التي تقيمها المصطلحات بالعالم والتي تسمح إلى حدّ ما بإدراكه ووصفه والتصرّف به، وبأفضل طريقة لعرض هذه العلاقات. ولكنهم يتطرَّقون بنوع خاص إلى مسألة معرفة السبب، فيطرحون الأسئلة الآتية: لمَ ينبغي هكذا أن نرى في المصطلح والكلمة وحدتين متضادّتين؟ وما الجدوى من هذا التمييز؟ وبماذا يسهم في عمليّة فهم المجال المصطلحي عموماً والمجالات الخاصّة؟ وفي فعلهم هذا، إنهم يتناولون قضايا أخرى أكثر جوهريّة، كدور علم المصطلحات النظريّ في مجتمعاتنا، فضلاً عن الوسائل التي ينبغي تطبيقها لمساعدته على تأدية هذا الدور... إلخ. كما إنهم يرسمون سبلاً تطوُّريّةً في سبيل علوم مصطلحات جديدة.

السِمات الدلاليّة والسِمات التصوُّريّة

من الصعب الإحاطة بمسألة «السمة» في الألسنيّة وفي علم الدلالة الكلاسيكيّ، وهي صعوبة أكبر في علم المصطلحات النظريّ حيث تسمَّى «خاصِيَّةً» (caractère). ولا تتعلَّق المسألة بمحاولة سبر أغوار طبيعة «قِطَع المعنى» هذه، فهذه مسألة سنتركها لعلماء المذهب المعرفي، ولكننا نسلّم بأنه يتعذَّر على السمة، في علم المصطلحات النظري كما في اللُّغة العامّة، أن تكون التمثيل المباشر لأحد مظاهر المرجع لأنها تكون موجودةً بكميّات لامتناهية وأنها لا يمكن أن تكون سوى ثمرة مفهَمة، أي «تركيب ذهنيّ» لنكرِّر عبارةً رائجة الاستعمال، تتبدَّل تبعاً للُّغة والفرد والظروف.

ليس من المؤكد أن تكون السمات هي التي تخوِّلنا حصريّاً

إدارة مخزوننا المعجميّ. ولكن لا شكّ في أنها تحتل مكانةً بالغة الأهميّة في عمليّات وصف المعنى التي نقوم بها، سواء في علم الدلالة أو في علم المصطلحات النظريّ، ويُستحسن على الأرجح أن نحشد أدوات أخرى من مثل الصور الذهنيّة والتصورات العقلية والأُطر والسيناريوات والمخطوطات... إلخ.، كما يُذكِّرنا بذلك في المكان المناسب بواسون (Boisson 1996: 555)، وكما يسعى إلى القيام به بعض علماء الدلالة منذ بضع سنوات. بيد أن السمة تملك طابعاً كَشْفيّاً، فهي تُشكِّل وسيلةً ملائمةً لوصف معنى المصطلح أو الكلمة. والسمة هي التي تسمح لنا بوضع التعريف كما نمارسه وأهميته الخاصّة في علم المصطلحات النظريّ تكون جليّةً إذا ما اعتبرنا أنه هو الذي يرسي أسس المصطلح والذي يُشكِّل نوعاً من براءة اختراع مسجَّلة تضمن طبيعة الشيء الذي يشير إليه.

يعتبر البعض أن السمة تكون «تصوُّريّةً» أو «جوهريّةً» في علم المصطلحات النظريّ، في حين أنها تكون «دلاليّةً» في حقل الألسنيّة. والحال أن من أكبّ على دراسة دلالة نوعي الوحدتين هذين، ونعني بهما المصطلح والكلمة، يرى أن الاختلاف القائم بينهما ليس، من وجهة النظر هذه على الأقل، اختلافاً في الطبيعة إنما هو اختلاف في الدرجة. نميل بالطبع في علم المصطلحات النظريّ إلى القول إن السمات لا تكون ثمرة تحليل تبايُنيّ من النمط المُعلَن لدى سوسور (Saussure) والذي لجأ بوتييه إلى استخدامه في تحليله الشهير لمجمل أسماء المقاعد. بيد أن ذلك لا يعني البتَّة خلوَّ معنى المصطلحات من العنصر «الدلاليّ»، كما يظهر ذلك ببراعة ديبيكر (Depecker) وكذلك بواسون بطريقة ما، كما إنه لا يعني كذلك أن باستطاعتنا التسليم بأن معنى الكلمات يفتقر إلى العنصر «التصوُّريّ» (انظر فان كامبنهود (Van Campenhoudt) في هذا المؤلَّف). بالإضافة

إلى ذلك، إن المصطلحات التي لا تخضع جزئيّاً على الأقل للوصف بواسطة السمات ـ على غرار كلمة «نسيب» (cousin) التي يضربها علماء الدلالة على سبيل المثال ـ لا تغيب عن علم المصطلحات النظري خلافاً لما توحي به معظم التحاليل، وتخطر في بالنا على سبيل المثال كلمات من مثل: مادة مساعدة (adjuvant) و«وظيفة» (fonction) و«محفّز» (catalyseur). . . إلخ.

تضطلع السمة أيضاً بدور أساسي في عمليّة إبراز المصطلحات المعادِلة بين اللُّغات، وتُعدُّ هذه العمليّة بمثابة النشاط المركزي في علم المصطلحات النظري. ومردّ ذلك إلى أن السمة ترغمنا على طرح التساؤلات حول ماهيّة ما يمكن أن يُشكِّل تصوّراً، كما إنها تحملنا على التساؤل إلى أي مدى تكون السِمات التي تؤلِّف هذا التصوُّر مُقيَّدةً باللُّغة موضوع البحث (انظر فان كامبنهود). وهذا ما بات يشكِّل من الآن فصاعداً، في إطار المقاربة الوصفيّة الجديدة لعلم المصطلحات النظريّ، وهي النشاط التطبيقيّ الذي يقوم به عالم المصطلحات التطبيقي ـ والذي لا يختلف اختلافاً جوهريّاً عن ذلك الذي يقوم به المعجمي ـ، والقاضي بتحديد «فضاءات المعاني» بغية إنشاء المصطلحات المُعادِلة بين اللُّغات. ولا تمتزج هذه الفضاءات بالضرورة مع التصوُّرات والمدلولات، بل إنها بالأحرى عبارة عن وحدات، أو مفاهيم، خاصة باللغات الاصطناعية لابد أنها تذكّرنا بمفهوم «التصور الذهني المثالي» (archi - concept) الذي تم استخدامه في الأعمال التي صدرت مؤخراً عن مركز البحث في علم المصطلحات والترجمة (CRTT) (Thoiron 1996, Thoiron, Arnaud, Béjoint et Boisson 1996, Béjoint et Thoiron 1997, Boisson et Thoiron 1997, Béjoint 1998, Thoiron 1998, Béjoint et Thoiron à paraître).

التصوُّر والمدلول

يتعذر فصل هذه التساؤلات حول الدور الذي تضطلع به السمة، سواء أكانت مفهوميّةً أم دلاليةً، عن تلك التي تتمحور حول التصوّر بشكل أكثر عموميةً، أي حول ما يمكن تحديده بأنه «ما يحتشد في عقلنا حين نستخدم شكلاً لغوياً في حالة الإصدار أو التلقِّي» (انظر التعريف الذي يعطيه سوسور والذي يذكرنا به ديبيكر في هذا المؤلَّف).

لابدّ لنا أولاً من أن نشير بهذا الشأن إلى أن عدداً من غير علماء المصطلحات النظريِّين ـ علاوةً على بعض علماء المصطلحات النظريِّين وعلى رأسهم جنتييوم (Gentilhomme) في ما يأتي ـ يميِّزون بين «التصوُّر» (concept) و«المفهوم» (notion)، في حين أن المنظمة الدوليّة للمَعْيَرة «إيزو» (ISO) قد تخلت مؤخَّراً عن مصطلح «مفهوم» لتقيم مقامه المصطلح «تصوُّر». إن كلّ نقاش حول طبيعة التصوّر يكون مُثقَلاً بالاستعمالات المتعددة التي عرفتها الكلمة المَعنِيَّة (Eco 1999: 407 sq.). ولم يسهم استخدام الألسنيين- وعلى رأسهم سوسور ـ لمصطلحي «مدلول» و«تصوُّر» في توضيح الموقف. فما هو التصوُّر؟ إن وضعنا جانباً كون التصوُّر يقعُ، في حال «وُجِدَ»، في مكان ما بين الواقع واللغة المستخدمة لذكر هذا الواقع، يصعب علينا وصفه. وممَّ يتألَّف؟ وكيف يتمّ تشكيله؟ وما هو الدور الذي يضطلع به؟ يتصدَّى إيكو (Eco 1999)، بعد كثيرين غيره، لهذه الأسئلة في ما يخصّ التصورات التي تنطوي عليها كلمة **حصان** (cheval) بالنسبة إلى موكتيزوما (Moctezuma) الذي وصف له جنوده ما شاهدوه على الشاطئ عندما نزل الإسبان إلى الشاطئ، وكلمة **خُلد الماء** (ornithorynque) في أوروبا الغربية حين قام بعض المسافرين الوافدين من أستراليا بوصفه، حيث نرى بوضوح من خلال هذَين

المثلَين أنَّ النتيجة تتوقَّف على مجمل التصورات الموجودة مسبقاً بقدر ما تتوقف على ما ينبثق من الواقع. هل ينبغي إذاً أن نميِّز التصوُّرات المشكَّلة انطلاقاً من تجارب الحواس عن التصوُّرات المُشكَّلة انطلاقاً من مصادر أخرى؟ إن الأسئلة لا تعدّ ولا تحصى، ولا يبدو أن علماء المصطلحات النظريِّين يطرحونها على أنفسهم دائماً. فهم ميّالون بالأحرى إلى اعتبار التصوُّر فطريّاً وبديهيّاً وأنه ينتُجُ بشكل عفوي نوعاً ما عن الشيء المسمَّى. كما إنهم ينزعون باستمرار إلى إحالة البحث نحو حالة الأسماء التي تدلُّ على أشياء محدَّدة وملموسة وتنتمي بوضوح إلى فئات محدّدة بشكل جيِّد ومعترف بها بالإجماع. يذكِّرنا عدد كبير من المؤلِّفين تذكيراً مفيداً في ما سيرِد لاحقاً بأن الأمور ليست بهذه البساطة.

هل يقع الاختلاف بين علم المصطلحات النظري وثبت المصطلحات على مستوى التصوُّر هذا؟ وهل تختلف التصوُّرات التي تتطابق مع المصطلحات عن تلك التي تتطابق مع الكلمات؟ يُقال إنَّ تثبيت التصوُّر المُصطلحي يعود نوعاً ما إلى سلطة معيَّنة (كخبير أو شخص أو هيئة)، وليس إلى الاستعمال. كما إننا نميل إلى القول إن معنى المصطلح يختلط مع مَفهَمَة ما يُشير إليه، في حين أن معنى الكلمة (أي مدلولها السوسوري) يرتكز على الاستعمال الذي يكون لهذه الكلمة ويشتمل على مركّبات أخرى، كالتضمين وكل ما يتم نقله بواسطة الشكل اللُّغوي الخاص الذي تستخدمه الجماعة للتعبير عن معنى معيَّن (انظر فريجه (Frege)). يبرهن ديبيكر الذي يمضي بالمناقشة أبعد ممّا درجت عليه العادة في علم المصطلحات النظريّ، أننا لا نستطيع أن نكتفي بتعارض على هذا القدر من البساطة. ويتعيَّن علينا أن نقرأ بهذا المعنى أيضاً الملاحظات التي أبداها بواسون بشأن مفاعيل المعاني التي يولّدها الاستعمال لصيغ معجمية «عادية»،

وتعابير أقل معجمةً بشكل واضح استعمالاً تبايُنيّاً، على غرار عبارة «انحراف جنسي» (perversion) مقارنةً مع عبارة سلوك شاذّ[*] (comportement déviant). بالإضافة إلى ذلك، تفرض مسألة الميدان نفسها في علم المصطلحات النظري، في حين أن الألسنيِّين كثيراً ما يتجاهلونها. وعليه، إن السؤال الذي يطرح نفسه هو الآتي: هل يجدر بنا أن نعتبر أن ميدان الاختصاص يشكِّل في حالة المصطلح جزءاً لا يتجزَّأ من التصوُّر، بحيث يسمح الانتماء إلى ميدان معيَّن بالتمييز بين مصطلح وآخر وبين المصطلح والكلمة، كما يؤكِّده دو بيسيه (de Bessé) في هذا المؤلَّف؟ أمّا جنتييوم، فيُبرز جيداً، في سياق مشاركته، خصوصيّة بعض المصطلحات التي تنتمي إلى ميدان الرياضيّات في هذا الصدد، والتي تعريفها، ومن ثم معناها، ليس إلاّ «لعبة» لغة لا يمكن التحقق منها إلاّ باللغة.

باستطاعتنا أن نضيف إلى هذه الأسئلة سؤالاً يتمحور حول معرفة ما إذا كان علينا أن نقبل بوجود تصوُّر إضافة إلى المدلول، أو إذا كان هذان الأخيران ممتزجَين معاً أو إذا كان أحدهما متضمناً في الآخر. أيجدر بنا أن نقول إن الكلمة تنطوي على معنى يتألَّف من تصوُّر مدوَّن في مدلول وإن المصطلح له معنى يتألَّف من تصوُّر فقط؟ أيجدر بنا بالعكس أن نطلق اسم تصوُّر على المجموعة التي يقع فيها المدلول، ماحين بذلك الاختلافات القائمة بين نمطَي الوحدتين هذين؟ يدافع عن الموقف الأول عدد كبير من علماء المصطلحات، إلاّ أن فيه شيئاً يشعرنا بعدم الرضا لأنه يُقيِّد المصطلح

(*) لقد حُذِفَت هذه المقالة التي كتبها كلود بواسون والتي تحمل عنوان **تعريفات معجمية للممارسات الجنسيّة المُنحرِفة** (*Définitions lexicographiques des pratiques sexuelles déviantes*)، ولم تترجم في النسخة العربيّة من هذا الكتاب.

في إطار علم دلالة مرجعيّ نشعرُ أنه عاجز عن الإحاطة بكلّ الأمور. أمّا بواسون (Boisson 1996: 557)، فيطرح السؤال بالشكل الآتي: هل ينبغي أن نؤثِر علم دلالة «يتألَّف من ثلاثة عناصر»، هي الشَّكل والمدلول والمرجع، أم يجدر بنا أن نفضل عليه علم دلالة «يتألف من أربعة عناصر»، هي الشكل والمدلول والمرجع مُضافاً إليها التصوُّر أو المفهوم؟ وتزداد الأمور تعقيداً على تعقيد إذا ما وقع اختيارنا على حلّ يشتمل من جهة على مدلول فيه جزء تصوُّري، وعلى تصور من جهة أخرى. وإن هذا السؤال هو على جانب كبير من الأهميّة بطبيعة الحال، وقد يساهم تمحيص معنى المصطلحات في إيجاد حلّ له.

أخيراً، فلنتناول إشكاليّة التصوّر الأدنى والتصوّر الأقصى، وهو تمييز يقوم به الكثير من الباحثين في حقل المعجميّة، لاسيّما أ. فيرزبيكا (A. Wierzbicka) (1985 وفي عدّة منشورات لاحقة) ـ حيث نلاحظ أن هذا التمييز يفترض أن مسألة طبيعة التصوُّر هي مسألة محسومة ـ وتُعيد تناوله هنا ماير (Meyer) وماكينتوش (Mackintosh) إنما بشكل مختلف اختلافاً طفيفاً. وفي علم المصطلحات النظري، نميل، خطأً أو صواباً، إلى ربط محتوى المصطلح بتصوُّر لا يمكن أن يكون إلا تصوّراً أقصى، هذا ما يؤكّده ساجيه هنا مع بعض الاختلافات اليسيرة. ولكن ممّ يتألَّف «التصوُّر الأدنى» في علم المصطلحات النظري؟ وهل نستطيع أن نعتبر الوحدة المعجميّة بمثابة المصطلح حين ينتمي التصوُّر الذي تحيل إليه إلى مجال اللُّغة العامّة، وحين يكون الجميع من دون استثناء في كنف الجماعة اللُّغويّة متمكّنين منه؟ متى يبطل مصطلح ما أن يكون مصطلحاً؟ فهل بمقدورنا أن نعتبر كلمة «أسبرين» (Aspirine) على سبيل المثال بمثابة المصطلح حين يستخدمها في اللُّغة العامّة

متكلِّمون يجهلون كلّ شيء أو تقريباً كلّ شيء عن كل ما يشكِّل التصوُّر المتخصِّص، كنمط الجُزَيْئة ووجه عمله والإرشادات الطبيّة والتأثيرات الجانبيّة. . . إلخ؟.

إنَّ عمليّة «التمييع» (processus de «dilution») التي تصفها ماير وماكينتوش في هذا الصدد والتي تغدو بواسطتها بعض المصطلحات مجرّد كلمات من اللُّغة العامّة، تستتبعُ على الدوام «فقدان» بعض السمات. وعليه، تكمن المسألة في معرفة ما هي السمات التي يمكن للمصطلح أن يفقدها ليُصبح كلمةً وكم هو عددها. وبالعكس، في عملية التحويل إلى مصطلح التي يشير إليها ساجيه في هذا الكتاب، والتي يمكننا رصدها على سبيل المثال في استعمال كلمة فأرة (souris) في ميدان المعلوماتية، يمكننا أن نتساءل عن أي سمات ينبغي أن تكتسبها الوحدة المعجميّة لتصبح مصطلحاً. ونلاحظ على أيّ حال أن ما يبقى بعد عمليّة إزالة الطابع المصطلحي عن المصطلح، أي نواة المعنى الصلبة لما كان مصطلحاً وبات كلمةً، هو أمر شائع جداً. وإن مناقشة الأمثلة الآتية: افتراضيّ (Virtual) ومستقل (Stand-alone) وسعة (Bandwidth) وتدوير (Recycle) التي وردت في هذا المؤلَّف، واضحة حول هذه النقطة.

التعريف المصطلحيّ

قد تكمن خصوصيّة علم المصطلحات النظريّ كذلك في التعريف ـ هذا على الأقل ما يتمّ ترداده غالباً. ومن البيِّن أنَّه يتعذَّر وصف معنى الكلمة أو المصطلح بواسطة لائحة سِمات تكون كلّها متساويةً من حيث الأهميّة وتضاف إحداها إلى الأخرى ببساطة، وإن السمات تكون أساسيّةً إلى حدّ ما ومركزيّةً. وإنّ التعريف يفترض إقامة علاقات بين السِمات تبعاً لحسابات خوارزميّة دقيقة إلى حدّ ما

في صورة عامّة هي صورة تحفيز معناها (Wierzbicka 1996: 19). ولكننا نميل إلى رؤية بعض الاختلافات خلف هذه الملاحظة العامّة، إذ في مقابل التعريف المعجميّ كما يُستخدَم في القواميس والذي يمكننا اعتباره ضرورياً وكافياً لتعيين نوع المرجع أو التصوُّر والتعريف الموسوعيّ كما يتمّ استعماله في الموسوعات والذي لا يُعنى إلاّ بوصف الأشياء، نضع غالباً تعريفاً من النمط المُصطلحيّ يمتاز بواقع أنَّه مؤلِّف للمعنى نوعاً ما ومحافظ على سلامته ـ كما أنَّه يوصف أحياناً بالـ «مؤسِّس». والبرهان على ذلك أنَّه يترتَّب على المؤلِّفين الذين يبتدعون مصطلحاً ما في نصّ معيَّن أن يُعرِّفوا به، ناهيك بأنَّه يترتَّب أيضاً على كلّ مؤلِّف يعيد استعمال مصطلح موجود أصلاً معطياً إيّاه معنى جديداً، أن يعيد التعريف به بشكل بيِّن. وسنلاحظ أنَّنا هنا أيضاً نكون في ميدان المَثَل الأعلى جزئيّاً، لأنه من العسير عمليّاً أن نميِّز أنماط التعريفات الثلاثة هذه في مصنَّف ما وفي معاجم اللُّغة الكبرى على سبيل المثال، حيث تتجاور هذه التعريفات وتتمازج. وهذا ما تظهره بمنتهى الوضوح الدراسة التي قام بها بواسون حول بعض المصطلحات المتخصِّصة والتي يصعب فصل تعريفها عن حكم أخلاقيّ.

فئات المصطلحات

إن الصعوبات التي نكابدها للتعريف بالمصطلح ناجمة في جزء منها ـ بلا ريب ـ من واقع أننا نمزج بلفظة «مصطلح» بين وحدات مختلفة اختلافاً ظاهراً، ألا وهي: المصطلحات التقنيّة والمصطلحات العلميّة و«المصطلحات المُلصقات» ومصطلحات الخطاب... إلخ.

يتباين المصطلح التقنيّ عن المصطلح العلميّ على مستوى السلطة التي تحكم معنى كلّ منهما، بحيث يبتكر المصطلح العلميّ

ويقترحه مؤلِّف يمكن تعيين هويَّته ويكون متمكناً من مظاهره كافَّةً، لجهة الشَّكل والمعنى، وهو يمتلك حقّ الحياة والموت على ما ابتدعه، في حين أنَّ المصطلح التقنيّ الذي غالباً ما يكون أكثر قِدَماً وتكون أصوله ضاربةً في غياهِب التاريخ، يحكمه استعمال الجماعة التي تستخدمه، ولا يملك أيّ من أعضائها سلطاناً على وجوده أكثر من الآخرين.

ثمّة اختلاف جوهريّ آخر نادراً ما يشار إليه، ألا وهو: الاختلاف القائم بين «المصطلح المُلصَق» ومصطلح الخطاب. فعندما نتحدَّث عن «المصطلح المُلصَق»، نعني به المصطلح الذي يُستعمَل حصريّاً لأغراض التعريف والتصنيف (وبهذه الصفة، تندرج الأرقام المرجعيّة التي تُحيل إلى الأصناف التي يحتوي عليها كاتالوج La Redoute®) في عداد المصطلحات). أمّا مصطلح الخطاب، فهو بالعكس المصطلح الذي يستخدَم في خطاب المتخصِّصين في المجال، ومن الممكن بلا ريب أن نميِّز فئات فرعيّة منه تبعاً لنمط الخطاب وللتواتر وربَّما لعدَّة خصائص أخرى. ويُبرهِن جنتييوم أنَّ معنى المصطلح يكون ـ في ميدان الرياضيّات على الأقلّ ـ مرتبطاً بلا انفكاك بالسياق الذي يرِدُ فيه وليس بالسياق اللُّغويّ فقط. يَحسن بنا أن نُبقي هذا التمييز الأخير في ذهننا لكي نفهم بعض النزعات الحديثة في علم المصطلحات النظريّ.

المصطلح والخطاب، المدوَّنة والوصف

يمكننا تبرير نفور علماء الدلالة من التصدِّي لمسائل علم المصطلحات النظريّ، كما سبق ورأينا، من منظار الأهداف المنطقَويّة التي كان يرمي إليها أقران فوستر الذين كانوا يقولون بوجود تطابق ثابت وأحاديّ بين الرمز ومعناه، فتركوا بالتالي الحيِّز الأصغر

للعنصر الألسنيّ. وقد كان علماء المصطلحات النظريّون يسلِّمون تماماً بأن المصطلح هو رمز ولكن يتعيَّن على الفور تمييزه عن الكلمة. ومن خلال الإكباب على دراسة المدوَّنات بوجه خاصّ، ينزعُ الألسنيّون وعلماء المصطلحات النظريّون إلى التلاقي من الآن فصاعداً. وتُروِّج سلودزيان (Slodzian) في ما يأتي فكرة أن تعدد الوسائل للتوصل إلى إدراك النصوص المتخصِّصة قد أدَّت نوعاً ما إلى «إبطال صفة التخصُّصيّة» عنها وأبرزت ظاهرتين تصعب ملاءمتهما مع النظرة الكلاسيكيّة إلى المصطلح، ألا وهما: قابلية التغيّر المصطلحيّة في النصوص من جهة، وازدهار تعدُّديّة المعاني كلَّما امتزجت المجالات من جهة أخرى، كما نلاحظه في الأعمال المتعدِّدة الاختصاصات. ومن وجهة نظر مناصري علم المصطلحات النظريّ «النصيّ» المُستجدّ هذا، نعثر في النصوص التي تُحرِّرها جماعة علميّة أو تقنيّة على المعارف الملائمة لميدان معيَّن بالقدر نفسه، إن لم يكن أكثر، ممّا نعثر عليها لدى مؤلِّف المصطلح والتعريفات التي يضعها. وتُبرهن سلودزيان في هذا المعرض أن المقاربة النصيّة تسمح بوصف الطريقة الفعليّة لعمل الوحدات في النصّ ودراستها. فهي تفضي إلى خلق تصوُّر «المصطلح المرشَّح» وتُثبت أنَّ قوام دور الخبير يكمن بالنتيجة في الاصطفاء النهائيّ بين المصطلحات التي ينبغي الإبقاء عليها انطلاقاً من القوائم التي يُعدِّها علماء المصطلحات على قاعدة نصوص «واقعية». وفي هذا السياق الجديد، يغدو الخطّ الفاصل بين الكلمة والمصطلح قابلاً للاختراق.

تُبْرِزُ دراسة مدوَّنات لغات الاختصاص، ولا سيّما حين تكون متعدِّدة اللُّغات، واقع أن عمليّة نشر المعارف المتزايدة على نطاق واسع عبر التعليم ووسائل الإعلام، قد أخرجت علم المصطلحات النظريّ من الدائرة المقتصرة على الاختصاصيِّين، كما تُنوِّه به ماير

وماكينتوش. ولم يعُد بالإمكان تشبيه التواصل التقنيّ العلميّ، ما خلا في بعض القطاعات النادرة، بأنَه عبارة عن مجرَّد تبادلات دوليّة موحّدة. ولا يبدو أن مفهَمَة الوقائع العلميّة تبقى هي هي أيّاً تكن الأوساط والميادين واللُّغات والجماعات اللُّغويّة، ومن العسير علينا من ثم أن نتأمَّل بعد في عولمة تسميات المفاهيم التي كان فوستر يسميها كما يحلو له. هذا ويقضي الاعتقاد السائد في أحد فروع علم المصطلحات النظريّ الذي سنسمِّيه من الآن فصاعداً «علم المصطلحات الاجتماعيّ» والذي يوضِّحه غودان (Gaudin) في هذا الصدد، بأنه من المهمّ أن نعكف على دراسة الشعور اللُّغويّ والميتالغويّ لدى المتكلِّمين، ولاسيما حين يكون من السهل نسبيّاً تصنيف هؤلاء، عندما تتعلَّق المسألة بلغات الاختصاص، في مجموعات متجانسة.

في هذا الإطار الجديد، يصبح (عمل عالم المصطلحات) ذا طابع وصفيّ، في حين درَجَ التقليد على تقديمه باعتباره معياريّاً بشكل أساسي، مع وجود بعض التنوعات بالتأكيد تبعاً للمدارس (كندا وروسيا على سبيل المثال). كما إنه يغدو متعلِّقاً بدراسة معاني الكلمات، في حين كان يوصَف بأنَّه يُعنى فقط بدراسة كيفيّة تسمية المفاهيم أو الأشياء. فضلاً عن أنَّه يُمسي أخيراً ذا طابع لغويّ، بينما كان يُعتبر تصوُّريّاً بشكل أساسيّ. وترتكز من الآن فصاعداً المنهجيّة التي يعتمدها عالم المصطلحات النظريّ، وهي مهنة أبصرت النور مؤخَّراً في أوروبا، على جمع الوحدات من السياقات اللُّغويّة والتواصليّة الحقيقيّة التي تتنقَّل فيها المصطلحات بسهولة أكبر بين المعرفة العامّة والمعرفة المتخصِّصة (انظر كابريه وغودان في ما يأتي). ولا تتعلَّق المسألة بإنكار أهميّة عمليّتَي مَعْيَرة المعارف ونمذجتها أو الحاجة إليهما، بل باقتراح نهج مختلف يرتكز على

الوقائع الماديّة السهلة البلوغ والقابلة للتحليل التي تُشكِّلها النصوص المتخصِّصة.

الخاتمة

ثمّة أمرٌ لم يتبدَّل في عالم كلّ الأشخاص المهتمِّين بالمعنى، ألا وهو: استمرار علماء الدلالة في تجاهُل علم المصطلحات النظريّ الذي قلّما يرد ذكره في المؤلفات أو المباحث التي تتناول الألسنيّة. فإمّا أن يكون المرء عالمَ مصطلحات نظرياً أو أن يكون عالمَ دلالة. ولكنَّنا سنلاحظ في المقابل لدى قراءة مختلف مقالات هذا الكتاب ـ الذي أردناه تمثيليّاً لتعذُّر إمكانيّة جعله شموليّاً ـ أنَّ عدداً لا ينفكُّ في ازدياد من علماء المصطلحات النظريِّين بات يولي أهميَّةً للألسنيّة. ولا يختلط طبعاً الباحثون الجامعيّون مع الفاعلين على الأرض **بالمعنى الحصريّ** لكي نستوفي عالم علم المصطلحات النظريّ، فمهامهم وانشغالاتهم مختلفة اختلافاً مشروعاً. بيد أنَّنا سنلاحظ أيضاً ـ والنصوص التي ستتبع تقدّم عدداً من الإثباتات على ذلك ـ أنَّ جسوراً يزداد عددها باستمرار تمتدُّ بين هاتَين الجماعتَين، إمّا بشكل فرديّ حين يتصدَّى الباحثون لمهامّ تطبيقيّة، أو على نحو مؤسَّساتيّ حين تجتمِعُ هيئات ذات ميول مختلفة داخل اتِّحادات بغية إنجاز مشاريع حيث البحث والتنمية مرتبطان ارتباطاً وثيقاً.

يُبدي مؤلِّفو هذا الكتاب إجماعاً نسبيّاً حول بعض النقاط، فَهُم يُجمعون مثلاً على دحض فكرة أنَّ المصطلح هو مجرَّد مُلصق يوضَع بشكل ثابت على الشيء الذي يُشير إليه، كما إنَّهم يتفقون أيضاً على اعتبار المصطلح وحدةً مُعَدّة للعمل في محيط لغويّ، نعني به اللُّغة أو بالأحرى خطاب التخصُّص، وفي محيط اجتماعيّ. ولكن تبقى أكثر المسائل إثارةً للجدل بلا منازع، كما توقَّعنا سابقاً، مسألة التمييز

بين المصطلح المتخصِّص والكلمة التي تنتمي إلى اللُّغة العامّة، مع أنَّه ثمّة توافق على ما يبدو للقول: إنَّ المصطلح لا يختلف اختلافاً جذريّاً عن الكلمة، حتّى وإن كنَّا نصرُّ بشكل عام على وجود بعض الاختلافات التي لا تكون أساسيّةً بالضرورة، بل من الممكن أن تكون تداوليّةً تواصليّةً أو حتّى منهجيّةً بكلّ بساطة. وبإمكاننا من الآن فصاعداً أن ندافع، كما تقوم به كابريه في ما يأتي، عن الفكرة القاضية بأنَّ الكلمة والمصطلح هما في العُمق وحدة تجريديّة واحدة قابلة لأن تتجلَّى في الخطاب عبر وحدات سطحيّة ذات طابع مغاير، ممّا يفتح الباب أمام بروز علم مصطلحات نظريّ ألسنيّ صراحةً. وباختصار، لا يضع علماء المصطلحات النظريّون الجدد نُصبَ أعينهم هدف إنكار وجود الاختلافات بين نمطَي الوحدات هذَين، بل إنَّهم يجدون بينهما قدراً كافياً من التماثلات ممّا يخوِّلهم القول بإمكانيّة عرضهما معاً من دون أن يكون من الضروريّ البحث عن نماذجَ منفصلة انفصالاً تاماً.

في نهاية المطاف، يتأكد لدى عدد من مؤلِّفي هذا الكتاب، كما سنرى، الدور الحاسم الذي يضطلع به النصّ، أي عمليّة صياغة قائمة المصطلحات في خطاب، باعتبار أن النص هو المكان الذي من دونه يكون المصطلح مجرَّد عنصر ميت يمكننا وضعه جانباً ودراسته على مهل، ولكننا عندئذ سنسيء فهمه لا محال لأننا لن نراه يتفاعل في محيطه الطبيعي. هذا هو على الأرجح الجانب الواعد أكثر من غيره الذي تقدِّمه الأبحاث الحديثة المُنجزة في هذا القطاع. ومن خلال الاعتراف بالقيمة النصيّة وكذلك من خلال الدراسات المقارنة التي تتناول تسميات وتعريفات في عدّة لغات فضلاً عن مصطلحات مُعادلة، نجد أن الاطِّراد التصوُّريّ الذي كان منشوداً حتى عهد قريب قد بات في دائرة الشكّ، لمصلحة وجهات نظر أكثر ملاءمةً للتنوُّع.

ويبقى بالطبع ـ ومَن لا يُدرك ذلك؟ ـ أن يصار إلى إتاحة المجال أمام تواصل فعَّال من دون السعي إلى فرض مخططات بتنا نعرف الآن على أثر النتائج المُحبطة التي أفرزتها عدَّة أبحاث لإدخال مصطلحات جديدة (Depecker et Mamavi 1997)، أنَّ الجماعات التي تُوَجَّه إليها مثل هذه المخططات تتجاهلها عمداً.

يتشظَّى حاليّاً علم المصطلحات النظريّ إلى نزعات ونزعات فرعيّة دليلاً على ما يُكابده من معاناة ربَّما، ولكنَّه أيضاً دليل على غناه. وليس المقصود، في نظر بعض المؤلفين كالذين نقدّمهم هنا، أن نضربَ صفحاً عن الماضي، بل أن نُعيدَ النظر بالأُسس وأن ننطلقَ مجدَّداً في اتِّجاهات جديدة تأخذ في الاعتبار التبدُّلات التي طرأت على مجتمعنا، أي باختصار أن نعملَ على إنشاء علم مصطلحات نظريّ أكثر غنى وأفضل تكيُّفاً مع عصره.

الشكر

نخصُّ بالشكر الجزيل كريستيل رايمون (Christelle Raymond) التي ساهمت بفضل همَّتها ومهارتها بإنهاء هذا المؤلَّف ضمن الشروط والمُهَل المحدَّدة سابقاً.

المراجع

Books

Boisson, Claude et Philippe Thoiron. *Autour de la dénomination*. Lyon: Presses universitaires de Lyon, 1997.

Cabré, Teresa. *La Terminologie: Théorie, méthode et applications*. Ottawa : Presses de l'université d'Ottawa, 1998.

Depecker, Loïc et G. Mamavi. *La Mesure des mots: Cinq études d'implantation terminologique*. Rouen: Publications de l'université de Rouen, 1997.

Eco, Umberto. *Kant et l'ornithorynque*. Paris: Grasset, 1999.

Mejri, Salah [et al.]. *Le Figement lexical*. Tunis: Publications de la faculté des lettres de la Manouba, [n. d.].

Pottier, Bernard. *Sémantique générale*. Paris: Presses universitaires de France, 1992.

Rastier, François. *Sémantique interprétative*. Paris: Presses universitaires de France, 1987.

Saussure, Ferdinand de. *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot, 1955.

Wierzbicka, Anna. *Lexicography and Conceptual Analysis*. Ann Arbor: Karoma Publishers, 1985.

————. *Semantics, Primes and Universals*. Oxford: Oxford University Press, 1996.

Periodicals

Béjoint, Henri. «Definitions and denominations.» *Linguistica e Filologia*: vol. 8, 1998.

Boisson, Claude. «Les Dénominations de la règle à calcul.» *Meta*: vol. 41, no. 4, 1996.

Thoiron, Philippe. «La Dénomination.» *Meta*: vol. 41, no. 4, 1996.

———— [et al.]. «Notion d'«archi-concept» et dénomination.» *Meta*: vol. 41, no. 4, 1996.

Conferences

Essai de définition de la terminologie. Actes du colloque international de terminologie. Québec, 5-8 octobre 1975.

حول تمثيل التصورات تمثيلاً ذهنياً: أُسس لمسعى إلى النمذجة[1]

ماريا تيريزا كابريه[2]

إنَّ الانتماء إلى الألسنيّة التطبيقيّة هو تحديداً ما يُميِّز إلى حدّ كبير الدراسة العلميّة العامَّة التي تتناول علم المصطلحات، وهذا يجعل كونه فرعاً من الألسنية التطبيقية أمراً مضمراً. هاك في الواقع الوصف الذي أُعطِيَ لهذا العلم، وهو مُقتبسٌ عن غونتر كاندلر (Gunther Kandler)، ومفاده «أنَّه يتجاوز حدود الألسنيّة ليضمَّ معارفَ ألسنيّةً في مختلف ميادين الحياة وليجعلها مفيدةً في كل مجالات الحياة» (Wüster 1974).

أحد المظاهر التي تناولها علم المصطلحات التقليديّ حتى الآن

(1) مقالة مدرجة في إطار المشروع المموَّل DGES PB-96-0293 والذي يحمل اسم: علم المصطلحات النظريّ العلميّ والتقنيّ: التعرُّف على المعلومة الشكليّة والدلاليّة وتحليلها واستخراجها (La terminología cientifico-técnica: reconocimiento, análisis y extracción de información formal y semántica).

(2) معهد الألسنيّة التطبيقيّة الجامعيّ، في جامعة بامبو فابرا (Pompeu Fabra) (برشلونة).

هو التمييز بين علم المصطلحات والألسنيّة، وضمن هذه الأخيرة، علم الألفاظ. تعتمد الحجة في إرادة التمييز هذه على الضرورة التي فرضها علم المصطلحات على نفسه والقاضية بتبرير وجوده كميدان قائم بذاته ومستقلّ عن سائر فروع العلم التي تسهم في تشكيل هذا الميدان. وفي الواقع، حين يودُّ فرع علمي ما أن يُثبِتَ استقلاليَّته، يترتَّب عليه أن يمتلكَ وحدةً تحليليّةً خاصَّةً ومختصَّةً به من جهة، مع الإشارة إلى وجوب عدم تطابق هذه الوحدة مع الوحدة التي يملكها فرع علمي آخر؛ فيكون من الضروريّ، من ثم، أن يُصار إلى تبرير هذه الوحدة لإثبات طابعها العلميّ الخاصّ. ومن جهة ثانية، بالإضافة إلى قدرة علم المصطلحات على إقامة الدليل على أنَّ وحدته التحليليّة هي خاصَّةٌ بما فيه الكفاية، ثمّة طريقةٌ أخرى متاحةٌ أمامه لتعزيز استقلاليَّته، ألا وهي: تبرير منهجيّة خاصَّة به لمعالجة المعطيات ووضع أهداف متمايزة بما فيه الكفاية عن الأهداف التي تملكها سائر فروع العلم المتَّصلة به.

ترمي هذه المقالة إلى تقديم مقاربة مختلفة عن تلك التي لجأ إليها علم المصطلحات النظريّ حتى يومنا هذا. وتتعلَّق المسألة بتحليل التشابه القائِم بين الوحدات الأساس في علم الألفاظ، أي الكلمات، والوحدات الأساس في علم المصطلحات، أي المصطلحات، بغية إقامة الدليل على أنَّنا نستطيع معالجتها في ضوء النموذج الألسنيّ اللُّغويّ نفسه من دون الحاجة إلى تأكيد أنَّها تُشكِّل وحدات متمايزةً. وفي حال كانت النتائج التي سنحصل عليها مقنعة بما فيه الكفاية، باعتبار أنَّه ما من إثباتات بديهية تسوِّغ التمييز بين الكلمات والمصطلحات، وفي حال توصَّلنا إلى برهنة أنَّه من الممكن تبرير هذه الخصوصيّات بين نمطَي الوحدات انطلاقاً من الوحدة الأساس نفسها، يمكننا حينئذ أن نؤكِّد أن المسألة تتعلَّق بالوحدة

المجرَّدة نفسها التي يمكن أن تتجلى في الخطاب عبر وحدات سطحيّة ذات طابع مختلف. وبغية التوصل إلى هذه الخلاصة، يترتب علينا أن نوضح الظروف التي يمكننا فيها اعتبار أن الوحدة الأساس نفسها تعمل تارةً كمصطلح وطوراً ككلمة.

1 ـ بحثاً عن التباعُد

لم يُشِر علم المصطلحات بمنتهى الوضوح إلى الفارق القائِم بين الكلمة والمصطلح فحسب، بل عمدَ أيضاً إلى إبراز بعض الاختلافات بشأن مظاهر أخرى تتعلَّق بالأُسس والمنهجيّة والتطبيقات من أجل تسليط الضوء على الفوارق القائمة بين ثبت المصطلحات وعلم المصطلحات النظريّ بشكل أوضح، وإقامة الدليل على أن المسألة تتعلَّق بفرعَي معرفة منفصلَين تمام الانفصال. ويمكن تصنيف أكثر المسائل بروزاً، بالنظر إلى درجة أهميّتها، وللتواتر الذي عولِجَت به، وفق المحاور الثلاثة الآتية:

1.1 ـ أُسس علم المصطلحات بشكل عامّ

لقد تمّ التشديد على أنَّ علم المصطلحات يُدرِك اللُّغات بشكل مختلف عن الألسنيّة. وبهذا المعنى، تُعدُّ اللُّغات من وجهة نظر الألسنيّة بمثابة وقائع طبيعية مبنيّة على قدرات فِطريّة لا يكتسبها المرء إراديّاً أو بوعي بل تخضعُ لاحتكاك الأفراد المباشر بلغة معيَّنة وبواقع سياقيّ خاص. باستطاعتنا تبرير هذا المبدأ بأنه لا يوجد شخص من دون لغة، ما خلا بعض الحالات الاستثنائيّة، بغضّ النظر عن مكان ولادته أو الفريق الاجتماعي الذي ينتمي إليه أو مستوى تحصيله العلميّ. أمّا بالنسبة إلى علم المصطلحات، فإن لغات الاختصاص ـ التي نعتبر علم المصطلحات من ضمنها ـ ليست جزءاً من مسار

التعلُّم الطبيعيّ الذي يتبعه الأفراد، إنَّما هي تُشكِّل بالعكس غرض تعلُّم إرادي وواعٍ يتحضر من خلاله الأفراد لمزاولة مهنتهم. وفي ما يتعلَّق بالاكتساب، فإن أحد أوجه الاختلاف القائمة بين علم المصطلحات النظريّ والألسنيّة يرتكز على هذا الفصل بين طبيعي ولاشعوريّ من جهة، وإرادي وواعٍ من جهة أخرى.

يُعنى علم المصطلحات، كعنصر أساسي من عناصره، بالتدخل الواعي في تطوير اللغات، وهو مبدأ يُطلق عليه فوستر اسم «التكوين الواعي للغة». وفي المقابل، لا تتقبَّل الألسنيّة أيّ تدخُّل لحلِّ ظواهر اللغة. وهكذا، يُعنى علم المصطلحات بإنشاء «ما ينبغي أن يكون» ويعمل بوعي بفضل التدخُّل في الوقائع الطبيعيّة بهدف تغيير مجراها. أمّا الألسنيّة، فتولي ـ بالعكس ـ اهتماماً بـِ «ما هو كائن»، إذ إنَّها تصِف الظواهر التي تقَعُ وتعمدُ أحياناً إلى تفسير علَّة وجودها. وبناءً عليه، يتَّسم علم المصطلحات بطابعه التوجيهيّ إرادياً، في حين تتصف الألسنيّة بطابعها الوصفيّ حكماً.

في سياق التدخل هذا، يولي علم المصطلحات الذي يُدرك المصطلحات من منظور عالمي أهميّةً أعظم شأناً لطرق تشكيل المصطلحات، التي تعمدُ على مستوى لغات الاختصاص إلى التقريب بين اللُّغات المشهورة. وتُفضي به هذه الظاهرة إلى اعتماد المعايير الدوليّة لتشكيل المصطلحات، فضلاً عن دليلِ عمل صالح لعدة لغات. ولهذا السبب، توصي المعايير الصادِرة عن المنظَّمة الدوليّة إيزو (ISO) بتشكيل المصطلحات بواسطة مكوِّنات يونانية ـ لاتينية. غير أنَّنا لا نستطيع أن نكتفي فقط بوجود المعايير الدولية التي تُنظِّم الوحدات.

في إطار نزعة التدويل هذه، يتدخَّل علم المصطلحات النظريّ في الشكل المكتوب للكلمات (سواء بصيغتها الموسَّعة أو بالبدائل

المُختصرة، على غرار: الأشكال المُختصرة بواسطة الحروف الاستهلالية والألفاظ الأوائليّة)، ولكنَّه لا يتدخَّل في النطق الذي هو أصلاً الموضوع الذي تعطيه الألسنيّة الأَوْلويّة، إذ يُعدُّ الكلام الشَّفهيّ الملفوظ موضوع الألسنيّة، علماً بأنَّ هذا العلم غير معنيّ بقواعد إملاء الوحدات. تعالَج هذه الظاهرة في قواعد اللغة المعيارية.

2.1 ـ الوحدة المصطلحيّة

غالباً ما يتمّ اعتبار **الكلمة** بمثابة الوحدة الأساس في علم الألفاظ (في الألسنيّة) والمصطلح بمثابة الوحدة الأساس في علم المصطلحات. وبالنسبة إلى علماء المصطلحات التقليديِّين، ثمّة اختلافاتٌ كافيةٌ بين المصطلح والكلمة تخوِّلنا تقديمهما كوحدتَين مستقلَّتَين، وهي:

● أنَّ المصطلحات هي، كما يؤكِّدون، وحداتٌ مؤلَّفةٌ من شكل (أي تسمية) ومحتوى (أي تصوُّر ذهنيّ)، وهي تتطابق مع الكلمات تطابقاً ظاهريّاً فقط. وبغية تسليط الضوء على هذه الاختلافات، لم يتمّ استعمال بعض التسميات المختلفة وحسب (حيثُ إنَّنا نتحدَّث في علم الألفاظ عن «الكلمة» و«الدالّ» و«المدلول»؛ وفي علم المصطلحات، عن «المصطلح» و«التسمية» و«المفهوم»)، بل تمَّ أيضاً التشديد على الكثير من عناصر عدم التشابه ذوات الصلة بمظاهرَ أساسيّة مرتبطة بعمليّة تصوُّر أكثر العناصر اتِّساماً بالطابع الجوهريّ.

● وجود مدلول المصطلح، كما يشيرون، أو بالأحرى تصوره الذهني، قبل التسمية. هذا الأمر يستتبع أن علم المصطلحات هو علم يبحث عن التسميات غير الموجودة ضمنيّاً

انطلاقاً من المفاهيم الموجودة بالفعل. ومن تبعات هذا المبدأ أن يوضع المفهوم، وليس الوحدة المصطلحيّة، في مركز هذا العلم، وأن يبرر غاياته بالشكل الآتي: نقترح انطلاقاً من المفهوم المقرَّر سلفاً وغير المسمَّى، أكثر التسميات ملاءمةً لكلِّ لغة، والتي ستغدو في نهاية هذه العملية، الأشكال الموحَّدة التي ينبغي استعمالها في إطار التواصل المهنيّ.

● من المؤكد أيضاً أن شكل المصطلحات يخضع للمراقبة، بينما لا ينطبق ذلك على شكل الكلمات. وترتكز عمليّة مراقبة التسميات على شرعيّة التدخل التي توصَف بأنها عملية ضبط. وتتجلّى العُقْبى التي تنتج عن هذا المبدأ في أننا نستطيع وضع مقاييسَ دوليّة تكون صالحةً لأيِّ لغة من أيِّ نمط كانت ولأيّ وضع اجتماعي وثقافي واقتصادي.

● بالإضافة إلى ذلك، تلجأ قواعد تشكيل المصطلحات إلى استعمال بُنى تختلفُ عن تلك التي تُستخدَم لتشكيل الكلمات في ما يتعلَّق بتواتر الاستعمال على الأقل. ولهذا السبب، أصدرت منظَّمة إيزو مقاييس بشأن التسمية توصي بكيفيّة تأليف التسميات الموحّدة.

● غالباً ما تتم الإشارة إلى أن المصطلحات تكون مثيرةً للاهتمام بحدِّ ذاتها بمعزل عن السياق اللُّغويّ الذي ترِدُ فيه. يُعطِّل هذا المبدأ في حقل علم المصطلحات أيَّ دراسة تتناول السياقات النحويّة المرفقة بالوحدات المصطلحية.

● وأخيراً، لا تكون المظاهر التطوُّريّة للمصطلحات جديرةً بالملاحظة بالنسبة إلى علم المصطلحات الذي يهتمّ فقط بتحقيق الوحدات على الصعيد التزامنيّ.

3.1 ـ التطبيقات

لحَظَت أعمال فوستر أنَّ علم الألفاظ وعلم المصطلحات، في جانبهما التطبيقيّ (أي المعجميّة وعلم المصطلحات التطبيقيّ)، ينتجان طرقاً مختلفةً لتقديم قوائِم الكلمات أو المصطلحات (من قواميس وأثبات مصطلحات ومعاجم مفردات). والحقُّ يُقال إنَّ الشَّكل الخارجي الظاهري لنمطَي التطبيقات هذين يكون شديد الاختلاف، كما إنّه يكون أكثر تباعداً إذا ما أخذنا بالاعتبار توصياتِ الأَوْلويّة التي تنوِّه بها التوجيهات الخاصة بالمصطلحات. نرصد هذه الاختلافات عبر المظاهر الآتية:

- تكون المفردات المصطلحية التي ترِد في الثبت التعريفيّ أبسط بكثير من المفردات المعجميّة، حيث إنها تنطوي على عدد أقل من المعلومات لكلِّ وحدة، وتكون المعلومة التي تشتمل عليها محدودةً أكثر في ما يتعلَّق بالخصائص؛ وتكون أكثر تنسيقاً في عرضها.

- غالباً ما تُسنِدُ مفردات الثبت التعريفي المصطلحي معنى واحداً لكلِّ مدخل، بخلاف المفردات المتعدِّدة المعاني التي تطالعنا في المداخل المعجميّة.

- تكون قوائم المصطلحات مقتضبةً أكثر بكثير مقارنةً بالمعاجم العامّة.

- تتَّسِم المعلومة التي توضِّحها المصطلحات بطابع تنسيقيّ للغاية، وكذلك بطريقة عرضها وأسلوب تعبيرها.

- تتَّصف التعريفات المصطلحيّة بطابع وصفيّ أكثر بكثير من التعريفات المعجميّة.

● لا تنطوي المفردات المصطلحيّة لا على معلومة نحويّة ولا على أمثلة نسقية تُبيِّن كيفيّة استعمال المصطلح.

● لا تنطوي على علامات تداوليّة تواصلية حصريّة (تحديدية) أو تقويميّة، ما خلا بعض العلامات الخاصّة جدّاً (على غرار الدمغات الجغرافية بالنِّسبة إلى اللُّغات المستعملة في بلدان مختلفة أو علامات المراعاة) والتي تُطالعنا في بعض أنماط المؤلَّفات فقط.

● في جداول المصطلحات، تظهر رموزٌ في مقدِّمة الوحدات التي تطبِّق غالباً التوجيهات الدوليّة. يُنصَح في قواعد البيانات، حيث توجَد المعلومات، باتِّباع مقاييس تقديم محدَّدة لعرض المعطيات في ترتيب يكون مُلائِماً للتبادُل الدوليّ.

● غالباً ما تُقدَّم المعطيات تبعاً لتنظيم منهجيّ أو تبعاً لتنظيم ألفبائيّ، مع أنَّ المقاييس الدوليّة تنصحُ باستعمال التنظيم المنهجيّ. وفي حال كان التنظيم منهجيّاً، تُضاف إليه فهارِس ألفبائيّة. أمَّا إذا كان ألفبائيّاً، فنُدخِل إليه في أغلب الأحيان ترسيمةً مفهوميّةً من شأنها أن تُنظِّم مفاهيم الميدان الذي يُعالجه الثبت التعريفيّ.

4.1 ـ عملية دراسة المنهج

وأخيراً، في حال كانت العناصر المفرِّقة المذكورة آنفاً غير مقنعة بما فيه الكفاية، فقد تمّ التشديد وبكثير من الإصرار على فكرة أنَّ علم المصطلحات النظريّ ينتهجُ طريقةَ عَمَلِ لدراسة كيفية تسمية المفاهيم أو الأشياء، بخلاف طريقة العمل التي يتَّبِعها علم الألفاظ والتي ترتكز على دراسة معاني الكلمات. ينسجم هذا التشديد مع أهداف العمل المُطبَّق في حقل علم المصطلحات الذي يكمن هدفه في وضع تسميات موحَّدة انطلاقاً من المفهوم المحدَّد سابقاً. فينطلقُ مسار العمل فيه إذاً من مقدِّمة منطقيّة ـ ونعني بها التوافق حول مفهوم

مُدرَك بشكل موحَّد ـ للسعي على الفور إلى وضع تسمية مرجعيّة خاصَّة بكلِّ لغة، وتوضَع ـ إذا أمكن ـ تسمية واحدة فقط.

من المسلَّم به أنَّ هذه المبادئ كانت موضوع جدال، ولاسيما مؤخراً، ليس فقط لدى المنظِّرين الذين حلَّلوا علم المصطلحات من وجهة نظر أحد العناصر المؤلِّفة لحقل دراسته (الألسنيّة أو علم اللغة الاجتماعي أو الفلسفة أو السيكولوجية المَعرفيّة)، بل أيضاً لدى مطبّقي علم المصطلحات النظريّ الذين أشاروا، باستثناء الأشخاص الذين شاركوا في موقف كان هدفه توحيد المفاهيم والمصطلحات، إلى بعض حالات عدم التماسك والتفاوت القائِمة بين ما يُشكِّل نظريّاً بعضَ المبادئ وبين المعطيات التي تُطالعنا في الواقع. وبشكلٍ موازٍ، أدركَ الأشخاص الذين عملوا في حقل علم المصطلحات النظريّ مستخدمين التقنيات المعلوماتية الجديدة، أنَّ توجُّهَ مسارات العمل قد انقلب. وبالتالي، فإنَّ الاعتقاد حاليّاً أنَّ الطريقة التي يتَّبعها علم المصطلحات هي فقط طريقة دراسة كيفيّة تسمية المفاهيم أو الأشياء، يستتبعُ ضمناً عدم الإقرار بأنَّ العديد من التغيُّرات قد طرأ. وأولئك الأشخاص، الذين كانت وجهة نظرهم أكثر انفتاحاً وشموليّةً إزاء علم المصطلحات، أدركوا أيضاً قصر النظر وضيق الآفاق الاجتماعيّة والإثنولوجية والثقافيّة التي عالج بها المذهب التقليدي علم المصطلحات، علماً بأنَّها ملائمةٌ لعملية التوحيد ولكنَّها غير كافية بالنسبة إلى أهداف أخرى ذات طابع اجتماعيّ وثقافيّ وسيكولوجيّ.

2 ـ بحثاً عن مركز التقاء

برَغم الإصرار على البحث عن بعض عناصر التفريق بين الكلمات والمصطلحات، نشعرُ من خلال المراقبة أنَّ هذه الاختلافات تصبُّ في مصلحة تبرير استقلاليّة النظام أكثر ممّا تخدم

انشغال تفسير الوقائِع تفسيراً يتلاءم على الصعيد السيكولوجيّ مع الحدس. في الواقع، يتشاطر نمطا الوحدات هذان عناصرَ تماثل، أو بشكل حسيّ أكثر: عناصرَ تطابق لابدّ لنا من معاينتها:

● إنَّها وحداتٌ تتحقَّق طبيعيّاً في الخطاب.

● إنَّها وحداتٌ ذات طابع معجميّ تشكِّل جزءاً من المعجم الذهنيّ لكلِّ قواعد لغة، وهي تعمَل على دمج الخطاب بواسطة بُنى عُليا.

● تنتمي إلى أصناف وظيفيّة تتطابق مع تلك التي تصفها الكلمات. وإنْ حصرنا فئة المصطلح بالوحدات المرجعيّة وحدها، وإن استثنينا سائر الأصناف الوظيفيّة ذات الدلالة المتخصِّصة (كالصفات والأفعال والظروف)، يُمكننا أن نؤكِّد أنَّ المصطلحات والكلمات تتطابق في صنف الاسم.

● بالنظر إلى وضعها كوحدات ذات طابع معجميّ، يُمكننا أن نصفها من حيث شكلها ومحتواها وطريقة عملها في الخطاب.

● تتَّصف بطابع منهجيّ تقريباً بالنسبة إلى نظام اللُّغة العامّ الذي يتقبلها، وكذلك بالنسبة إلى الميدان الخاصّ الذي يتمّ وضعها فيه على الصعيد المفهوميّ. وتستلزِم هذه المَنهجَة خضوع هذه الوحدات للقواعد الصرفيّة والمعجميّة والنحويّة الخاصة بالنظام اللغويّ الذي تنتمي إليه. كما يُمكننا أن نصِفَ محتواها انطلاقاً من الفئات نفسها التي تُستخدَم لوصف معنى الكلمات.

● إذا ما نظرنا إليها في سياق الخطاب الواقعي، نجد أنَّها تُمثِّل تبدُّلاً اسميَّ الاشتقاقِ. ويُمكن أن يكون هذا التبدُّل ذا طبيعة مختلفة.

● في إطار استعمالاتها الخطابيّة، تكتسب هذه الوحدات قِيَماً أسلوبيّةً ودلالات ضمنيّة في الوقت نفسه الذي تجسِّد فيه دلالتها.

انطلاقاً من كل ما عرضناه أعلاه، لا مفرّ لنا من طرح السؤالَين الآتيين على أنفسنا، ألا وهما:

- هل ثمّة عناصر مُفرِّقة بين الكلمات والمصطلحات؟

- وفي حال كانت هذه العناصر المُفرِّقة موجودةً، هل هي كافيةٌ لتسويغ وجوب وصف هذه الوحدات وفق نموذجَين مختلفَين؟

يبدو لنا الجواب عن السؤال الأوَّل واضحاً بما فيه الكفاية، إذ توجد في الواقع عناصر تُفرِّق بين نمطَي الوحدات هذَين، إلاّ أنَّه يجب عدم النظر إلى هذه الوحدات باعتبارها تُشكِّل نمطَين متباينَين من الوحدات، بل باعتبارها تحقيقات مختلفةً في الخطاب لنمط الوحدات نفسه. في الواقع برهنَتْ عمليّة مراقبة معطياتِ ميدان متخصِّص انطلاقاً من النصوص، ما يأتي:

- من وجهة نظر أنماط الوحدات التي تُنظِّم النصّ المتخصِّص، نجد ما يأتي: تنطوي هذه النصوص على عدد كبير من الوحدات التي تُعبِّر عن المعرفة المتخصِّصة (من أسماء وصفات وأفعال ومتعلِّقات حروف الجرّ وأشباه الجمل الاسميّة والنعتية والفعليّة والظرفيّة)؛ ويتمتَّع قسمٌ منها بطابع مرجعيّ (كالأسماء والتراكيب التعبيريّة الاسميّة)، ونعثرُ ضمن هذا الأخير على مجموعةٍ (يزداد عددها كلَّما أصبح الخطاب متخصِّصاً أكثر) من شأنها أن تُنظِّم العناصر المرجعيّة الخاصَّة بالموضوع المتخصِّص الذي يعالجه النصّ (على غرار مجمل الوحدات المصطلحيّة المزوَّدة بخاصيّة وظيفيّة اسميّة، تكون إمَّا معجميّةً أو تعبيريّةً تركيبيّةً على الصعيد اللُّغويّ، والتي تمثِّلها المعرفة المتخصِّصة بميدان موضوعاتيّ خاصّ).

- من وجهة نظر الاستعمال في ما يختصُّ بالميدان الموضوعاتيّ، يبدو أنَّ عدداً لا بأس به من هذه الوحدات لا يكون

حكراً على ميدانِ معرفة واحد، بحيثُ إنَّنا نقع عليه في ميادين أخرى.

● من وجهة نظر المدلول، نجد غالباً تقارباً شديداً بين مختلف استعمالات الشَّكل نفسه في عدَّة ميادين.

انطلاقاً من وجهة النظر هذه، من المهمّ أن نقوِّم الوضع من خلال تحليل مختلف المظاهِر التي تُشكِّل ما نُطلق عليه اسم وحدة مصطلحيّة، كما يأتي:

● على مستوى الشَّكل، إنَّها تتطابق مع بُنى بسيطة أو مركَّبة خاصَّة بثَبت مصطلحات اللُّغة التي تنتمي إليها. ولا نعثر في علم المصطلحات على عدد كاف من القواعد أو الترسيمات حول تشكيل المصطلحات تكون خاصَّةً بوحدات الخطاب المتخصِّص أو حِكراً عليها. وبهذا المعنى، نؤكِّد أنَّها تخضع لترسيماتِ صرف اللُّغة التي تنتمي إليها.

● على المستوى الوظيفيّ، إنَّها تظهر في ظلّ الظروف نفسها التي ترعى ظهور مختلف طبقات الكلمات وفئاتها. وهكذا، لا تُبدي من وجهة النظر الصَّرفيّة النحويّة أيَّ اختلاف مع كلمات ثبت مصطلحات اللُّغة العامّ.

● على المستوى الدلاليّ، إنَّها تمثِّل محتوى يسمحُ لنا، من خلال الصلة التي تربطه بالكلمات ذات الطابع العامّ، بإنشاء خاصيَّتَين محدَّدتَين على الأقلّ، ألا وهما: **(أ)** تكون المعرفة التي تُمثِّلها هذه الوحدات عندما تظهر في الخطاب محصورةً بالإجمال في مقطَع موضوعاتيّ محدَّد. **(ب)** يتمُّ تحديد القيمة الدلاليّة التي تتمتَّع بها كلّ وحدة بالنظر إلى المَوْضع الذي تحتلُّه على مَقْطع المعرفة، حيث تشغَلُ حيِّزاً محدَّداً سلفاً ومعيَّناً مُسبقاً.

الدلالة إذاً هي أول مظهر مفرِّق بين نمطَي الوحدات هذَين. ولا يرجع سبب ذلك إلى تعذُّر وصف مدلول الكلمات والمصطلحات بواسطة النماذج أو فئات السِّمات نفسها، بل مردُّه إلى أنَّ تأويلها يتمّ بواسطة ترسيمات تأويليّة محدَّدة سلفاً. ويمكننا القول بشكل حسيّ أكثر إنَّ ما يُفرِّق الكلمات عن المصطلحات ليس المدلول بل بالأحرى سيرورة الدلالة.

تُعدُّ التواصلية العاملَ الثاني المفرِّق بين الكلمات والمصطلحات، المذكور على نطاق واسع في المؤلَّفات التي تناولت هذا الموضوع. فمن المنظور التواصليّ، تختلف المصطلحات عن الكلمات باختلاف مستخدميها والمقامات التي تُستخدَم فيها والموضوع الذي تقدِّمه ونمط الخطاب الذي اعتادت البروز فيه. ولكن لا بدّ من إعادة النظر بالوصف الذي درجنا حتّى يومنا هذا على إلصاقه بها، وذلك بسبب التبدُّل الذي طرأ على المعرفة المتخصِّصة في غضون السنوات الأخيرة.

لقد تمّ في الواقع الدفاع عن فكرة أنَّ المميِّزات التواصلية المُفرِّقَة بين المصطلحات والكلمات كانت تتألَّف من: المخاطَبين، وموضوع الخطاب، ومقامات الاستعمال. ولكن برأينا، يقع الاختلاف القائِم بين نمطَي الوحدات، أو على الأصحّ بين استعمالَي الوحدة نفسها، على المستويات الآتية:

● مُرسِل الخطاب (الذي يكون دائِماً شخصاً متخصصاً في حالة الخطاب الأصيل وشخصاً يتظاهر بأنَّه متخصص في حالة الخطاب الذي تبثّه أجهزة الإعلام).

● مراقبة المرسَل إليه، أو على الأقلّ، تبويبٌ دقيقٌ يُحدِّد أنماطاً مختلفةً من الخطاب تبعاً للمرسَل إليهم الذين يضعون نُصبَ

أعينهم على الدوام هدف اكتساب معارِفَ جديدة. وإذا ما أخذنا المُرسَل إليهم كثابتة، نستطيع أن نُنشئ أنماطاً مختلفةً من الخطابات المتخصِّصة. وهكذا، يُمكننا أن نُميِّز:

■ من وجهة نظر نمط التخصُّص، بين: الخطاب المتخصِّص بحصر المعنى، والخطاب التعليميّ، وخطاب التعميم.

■ من وجهة نظر درجة التخصُّص، بين: الخطاب البالغ الاختصاص، والمتوسط الاختصاص، والقليل الاختصاص.

● المنظور الذي نتأمَّل بموجبه في مضمونيّة معيَّنة، وهكذا: يكون لدينا مصطلح حين يكون معناه مُمَفهَماً بواسطة ترسيمة يكون فيها مدلول الوحدات مُصنَّفاً سلفاً ومُثبتاً بإحكام. وتكون لدينا كلمة، إذا ما نظرنا إليها على ضوء معرفة تُبَثّ بالخطاب العامّ.

● الحضور الدائم للمرجع بشكل يتفوَّق على سائر الوظائف اللُّغويّة.

بالاعتماد على هذه البراهين، وبهدف البحث عن نقطة التقاء ما بين هذه الوحدات المنفصلة حتى الآن، ولكنها لا تتمايز إلاّ بشكل الدلالة والظروف التواصلية التي تُحيط بها، نعتقد أنَّنا نملك أسباباً كافيةً لمحاولة تفسير المصطلحات والكلمات على ضوء الطَّرح نفسه. فنحن نُدرك هذه الوحدات باعتبارها تحقيقات في الخطاب لنمط الوحدات عينه. وفي قواعد اللُّغة، لا تكون المصطلحات عبارةً عن وحدات مستقلَّة تُشكِّل ثبت مصطلحاتٍ متميّزاً، بل إنَّها تكون بالأحرى وحدات مؤلَّفة من سِمات مُشارِكة ترتبطُ، بفضل وحدات وسِمات فرديّة أخرى، بوحدات معجميّة. ولا تكون هذه الوحدات المعجميّة مسبقاً بمثابة كلمات أو مصطلحات، ولكنَّها تستطيع ضمنياً أن تصبحَ مصطلحات أو لامصطلحات، وأن تُستعمَلَ في ميادين

مختلفة. أما طابع «المصطلحات» فيمكن تفعيله تبعاً للاستعمال في إطار سياق ومقام مناسبَين. ولهذا السبب، يُمكننا أن نُحدِّد المصطلح باعتباره وحدةً معجميّةً مُفعَّلةً تفعيلاً خاصاً بواسطة ظروف استعمالها في نمطِ مقام خاصّ.

3 ـ تعدُّديّة معاني الكلمات ومُجانسة المصطلحات

تتجلّى إحدى المسائل التي كثيراً ما يُشار إليها باعتبارها العنصر المُمَيِّز بين علم الألفاظ وعلم المصطلحات في أنَّ كلمات مفردات ثبت المصطلحات تكون، كما يُقال، متعدِّدة المعاني بصورة دائِمة أو شبه دائِمة، في حين أنَّ المصطلحات تكون أحاديّة المعنى. وهكذا، يكتسب شكلٌ ما عدَّة معانٍ في ثبت المصطلحات ـ مثلما يتمّ عرضه في القواميس ـ، ولكن في المقابل لا يكون للمصطلح إلاّ معنى واحدٌ فقط لا غير. وبناءً عليه، يُمكننا التشديد على أنَّنا لا نقع في علم المصطلحات النظريّ على ظاهرة تعدُّديّة المعاني. ويكون هذا التأكيد صحيحاً بشكل شبه تامّ إذا ما اكتفينا بنظرة سطحيّة إلى مظهر المعاجم. الموادّ المعجميّة ظاهريّاً أطول وأكثر تعقيداً بكثير على المستوى الدلاليّ من المفردات المصطلحيّة، باعتبار أنَّنا ننسبُ إلى المَدخَل الواحد عدَّة معان. وإليكم مثلاً على ذلك مقتبساً عن معجم (*Le Robert*, 528) ألا وهو:

> **Cycle - I**: دورة اسم مذكّر(*) ـ 1534؛ في اللاتينيّة cyclus، وفي اليونانيّة Kuklos. **1**. سلسلة ظواهر تتجدد في نظام ثابت من دون تقطع. دورة الفصول، الساعات. ⇦ **جولة**. الدورة الطقسيّة. الدورة الاقتصاديّة: تقلُّبات

(*) إنَّ كلمة cycle تُعدُّ اسماً مُذكَّراً في اللُّغة الفرنسيّة، ولكنَّها تُصبح اسماً مؤنَّثاً (دورة) حين نترجمها إلى اللغة العربية.

واسعة المدى لقوى اقتصادية عظمى. أطوار الدورة. **2** .علميّ. متتالية تحوُّلاتِ ظاهرة ما تُرجعها دوريّاً إلى الوضع الأساسيّ. ⇦ **حلقة.** فيزياء كيمياء. الدَّور في الدقيقة، أو يُقال في استعمال متعسّف الدَّور: وحدة قديمة لقياس التردُّد ⇦ **هِرتز.** دورة ثرمودينامية أو دورة كارنو (Carnot): دورة قابلة للانعكاس مثاليّة للتحوُّلات في الآلة الحراريّة. دورة محرِّك انفجاريّ. دورة ثنائيّة ورباعيّة الأزمان. دورة الكربون والهيدروجين في الطبيعة. دورة بيث (Bethe): سلسلة مُفاعلات نوويّة في النجوم⇦ **التحام النَّوى الذريّة.** كيمياء حياتيّة. دورة حَمْض لَيْمونيك. دورات تحوُّلات استقلابيّة. علم الأحياء. الدورة الخَلَويّة: دورة تطوُّر الخليّة والتي تُعلِّمها عمليّة السَّبْر بالمِرجاس أو الانقسام الفتيلي(*). فيزيولوجيا. دورة هرمونيّة. دورة شهريّة أو مَبيضيّة. دورة النوم. **3**. المدّة التي تستغرقها ظاهرةٌ تحدثُ دوريّاً. فلك. دَوْرة شمسيّة وقمريّة. دورة جرم سماوي، أي مدّة طوافه المداريّ. ⇦ **زمن دوران جرم سماوي في مدار. 4**. (1839) أدب. سلسلة قصائد ملحميّة أو روائيّة خيالية تتمحور حول موضوع واحد وتُطالعنا فيها الشخصيّات نفسها تقريباً ⇦ 2 ـ **قصيدة ملحميّة** : دورة ملحميّة طَرْواديّة. الأطوار الثلاثة الكبرى في القرون الوسطى، ألا وهي: القديم والكارولينجيّ والبريتانيّ **.5**. (1902) مرحلة دراسيّة. المرحلة الأولى (من

(*) إنَّ الانقسام الفتيليّ الذي يُقال له أيضاً «تفتُّل» أو «انقسام مغزليّ» أو «انقسام خيطيّ»، هو العمليّة الحيويّة التي يتمّ بها تضاعف المعلومات الوراثيّة الجينيّة ضمن الجينة لتشكيل خليتَين متطابقتَين ندعوهما الخليَّتَين الابنتَين. وعكسها الانقسام المُنصِّف.

الصفّ السادس الابتدائيّ إلى الصفّ الثالث المتوسِّط) الدورة الثانية (وتمتدّ من الصفّ الأوَّل الثانويّ إلى البكالوريا) في نطاق التعليم الثانويّ. المرحلة الأولى (⇦ **دبلوم دراسات جامعيّة عامّة**)، والمرحلة الثانية (⇦ **إجازة وجدارة**) والمرحلة أو الحلقة الثالثة (⇦ **دراسات عليا وماجستير ودكتوراه**) في إطار التعليم العالي. أطروحة حلقة ثالثة. ومُجانِسها اللّفظيّ الفرنسيّ هو (Sicle) = أي، شاقِل(*).

II ـ **دورة** اسم مؤنَّث ـ 1887؛ في اللُّغة الإنجليزية ← cycle .1: كلّ مَركبة لها عجلتان (أو ثلاث عجلات) مدفوعة بضغطِ القدمَين (⇦ **سُراعة ودريسيَّة**) ولاسيما على دوّاسات (⇦ **درَّاجة ودرَّاجة ترادفيّة** ودرَّاجة ثلاثيّة ودرّاجة VX) أو بواسطة محرِّك صغير (⇦ **درَّاجة بمحرِّك ودرّاجة ناريّة خفيفة**؛ انظر أيضاً عجلتَين*). ويُقال في اللُّغة الفرنسيّة «محلّ الدَّوْرات الذي أجَّرني إيّاها [أي الدرَّاجة]» (نقلاً عن أيمي (Aymé)). ـ وبالمعنى التوسعي. فنّ ركوب الدرَّاجات.

I. Cycle n. m.- 1534; lat. cyclus, du gr. Kuklos 1. Suite de phénomènes se renouvelant dans un ordre immuable sans discontinuité. Le Cycle des saisons, des heures. ⇨ **Ronde**. Le Cycle liturgique. Cycle économique: Fluctuations de grande amplitude de grandeurs économiques. Phases d'un cycle. **2.** sc. Séquence de transformations d'un phénomène qui le ramène périodiquement à l'état initial. ⇨**Boucle**. Phys. Chim. Cycle par seconde, ou

(*) عملة فِضيَّة أو ذهبيّة قديمة عند العبرانيِّين وزنها 6 غرامات.

ABUSIVT cycle: Ancienne unité de mesure de fréquence. ⇨ **Hertz**. - Cycle thermodynamique ou cycle de Carnot: Cycle réversible idéal des transformations dans une machine thermique. - Cycle d'un moteur à explosion. Cycle à deux, à quatre temps*. Cycle du carbone, de l'hydrogène dans la nature. Cycle de Bethe: Série de réactions nucléaires dans les étoiles. ⇨ **Fusion**. BIOCHIM. Cycle de l'acide citrique. Cycles de transformations métaboliques. BIOL. Cycle cellulaire: Cycle de développement ponctué par la mélose ou la mitose pour la cellule. PHYSIOL. Cycle hormonal. Cycle menstruel ou ovarien*. Cycle du sommeil. **3.** Durée d'un phénomène périodique. ASTRON. Cycle solaire, lunaire. Cycle d'une comète, durée de sa trajectoire orbitale. ⇨ **Révolution**. **4.** (1839) LITTER. Série de poèmes épiques ou romanesques se déroulant autour d'un même sujet et où l'on retrouve plus ou moins les mêmes personnages. ⇨ 2. **Geste**. Le Cycle épique troyen. Les trois grands cycles du Moyen Age: Antique carolingien, breton. **5.** (1902) Cycle d'études. Premier cycle (de la 6e à la 3e), second cycle (de la seconde au baccalauréat), dans l'enseignement secondaire. Premier cycle (⇨ **D. E. U. G**), deuxième cycle (⇨ **licence**, **maîtrise**), troisième cycle (⇨ **D. E. A., doctorat; magistère**), dans l'enseignement supérieur. Thèse de troisième cycle. HOM. Sicle.

II. **Cycle** n. m. - 1887; angl. Cycle 1. cyle: Tout véhicule à deux (ou trois) roues mû par la pression des pieds (⇨ **célérifère, draisienne**) notamment sur des pédales (⇨ **bicyclette, tandem, tricycle, VX vélocipède**) ou par un petit moteur (⇨ **cyclomoteur, vélomoteur**; cf. Deux

roues*). «Le Magasin de cycles qui me l'avait donnée en location [une bicyclette]» (Aymé). - PAR EXT. Industrie du cyclisme.

في المقابل، تكون مفردات الثبت التعريفيّ المصطلحيّ على جانب كبير من البساطة، كما إنَّها تقدِّم عادةً تعريفاً واحداً. وإليكم هذه الأمثلة المأخوذة من (*Vocabulaire des termes d'architecture et du bâtiment* 1988: 37)، ألا وهي:

مقصورة

بناء أو غرفة ذات قياسات صغيرة.

◊ أقسام من العمارة ـ عموميّات (1.2)

Cabine

Construction ou pièce de dimensions réduites.

◊ Parties de bâtiment - généralités (2.1)

مقصورة المصعد

جزءٌ من المصعد مخصَّصٌ لنقل الأشخاص.

◊ أقسام من العِمارة ـ تنقُّل (2.2)

Cabine d'ascenseur

Organe d'un ascenseur destiné à recevoir les personnes.

◊ Parties de bâtiment - circulation (2.2)

مقصورة (قيادة) الرّواق المسقوف المعمَّد

مخبأ العامل الميكانيكيّ على الرّواق المسقوف المُعمَّد.

◊ محطّات توليد القوَّة الكهرمائيّة (1.4.4)

Cabine (de commande) du portique

Abri de l'opérateur sur un portique.

◊ Centrales hydroélectriques (4.4.1)

مقصورة التنظيف بالتحليل الميكانيكيّ

هي عبارةٌ عن حُجيرة معدَّة خصّيصاً للتنظيف بالسَّفع الرمليّ أو الخُرْدق.

⇦ انظر أيضاً مقصورة الترميل.

◊ بناء وصيانة (4.2)

Cabine de décapage mécanique

Compartiment spécialement aménagé pour le décapage au jet de sable ou de grenaille.

⇨ Voir aussi cabine de sablage.

◊ Construction et entretien (4.2)

مقصورة الدُّوش

إنَّها عبارةٌ عن حُجَيرة مُغلقة مُجهَّزة بدوش.

◊ علم النظافة والصحّة (4.2)

Cabine de douche

Compartiment fermé où est installé une douche.

◊ Hygiène et santé (2.4)

مقصورة الدَّهن

هي كنايةٌ عن غرفة أو حُجَيرة مهيَّأة بنوع خاصّ لرشّ الدِّهان بواسطة فرد الدَّهْن.

◊ بناء وصيانة (2.4)

Cabine de peinturage

Pièce ou compartiment spécialement aménagé pour l'application de peinture au pistolet.

◊ Construction et entretien (4.2)

مقصورة الإسقاط

هي عبارةٌ عن حُجَيرة صغيرة مُلاصقة لغرفة تحتوي على أجهزة إسقاط سينمائيّة وسمعيّة وبصريّة. .. إلخ.

◊ إدارة (1.4)

Cabine de projection

Petite pièce contiguë à une salle et abritant des appareils de projection cinématographique, audiovisuelle, etc.

◊ Administration (4.1)

مقصورة الترميل

إنَّها حُجَيرةٌ مهيَّأةٌ بنوع خاصّ وحصريّ للتنظيف بالسَّفع الرمليّ.

⇦ انظر أيضاً مقصورة التنظيف بالتحليل الميكانيكيّ.

◊ بناء وصيانة (2.4)

Cabine de sablage

Compartiment spécialement et exclusivement aménagé pour le décapage au jet de sable.

⇨ Voir aussi cabine de décapage mécanique.

◊ Construction et entretien (4.2)

مقصورة اللِّحام

هي كنايةٌ عن حُجَيرة مهيَّأة بنوع خاصّ للتلحيم وتكون محدَّدةً بحواجزَ وفواصلَ خاصّة.

◊ بناء وصيانة (2.4)

Cabine de soudage

Compartiment spécialement aménagé pour le soudage et délimité par des cloisons spéciales.

◊ Construction et entretien (4.2)

غير أنَّ هذا التباعُد القائم بين المفردات المُعجميّة والمفردات

المصطلحيّة هو تباعدٌ ظاهريٌّ فقط، لأنه يُخفي في الواقع خطأً وراءه. فنحن نخال أن ما يندرج تحت خانة تعدُّديّة المعنى في المعجميّة، يندرجُ تحت باب المُجانسة في علم المصطلحات، لأنّنا اعتدنا، في ما يختصُّ بهذا الأخير، أن نُجزِّئ ميدان المعارف وأن نعرِضَ هذه المجموعات الفرعيّة في معاجِمَ خاصَّة.

يمكننا أن نردِفَ قائلين إنَّنا لو درسنا وحدةً شكليّةً تعكِسُ، بحسب علم المصطلحات النظريّ، مفاهيمَ مختلفةً وتكون بالتالي مذكورةً في عدَّة معاجِمَ متخصِّصة، حيث تكون مُرفقةً بتعريفات مختلفة، فسنُدرك وجود أوجه تشابه عديدة بين هذه التعريفات على الرُّغم من تباعدها الماديّ والدلاليّ. إليك المثل الآتي المأخوذ من معجم (*Petit Robert*, 475)، ألا وهو:

Corne قَرْن: اسم مؤنث(*) ـ 1120 في اللاتينية العاميّة corna وفي اللاتينية الكلاسيكيّة cornua، جمع cornu ـ 1. صُور **1.** زائِدة فطريّة عَظميّة دائمة، مُغطّاة بغلاف بَشَريّ (من البَشَرة) تنشأ على رأس بعض الثدييات. القرون الجَبْهيّة لدى البَقَريّات والظَّباء والزرافات. القرون الخيشوميّة لدى حيوانات وحيد القرن. القرون الساقِطة لدى الأيليّات. ⇦ **قرون كالأخشاب.** مَن لديه قرون. ⇦ **أقْرَن وقَرَنْبى**(**). **شكَّ بقرونه** ⇦ **نَطَحَ.** ثورٌ ذو قرون مسنّنة ومكوّرة ـ بنوع خاصّ الحيوانات ذوات القرون: ثيران وأبقار وماعز. ـ قرن وحيد وسط جبهة حيوان اليونيكورن* . ـ قرون الشيطان أو إبليس وتُقال في أمر صعب عظيم الأهميّة. **تعابير** أَخَذَ الثور من قرنَيه: واجه الصعوبات.

(*) إنَّ كلمة corne تُعدُّ اسماً مؤنَّثاً في اللغة الفرنسيّة، ولكنَّها تُصبح اسماً مذكَّراً (قرن) حين نترجمها إلى اللُّغة العربيّة.

(**) إنها حشرة تتميّز بجسمها الكبير القدّ المحدّب الظهر.

معنى قديم. وَضَعَ أو أبرزَ قرنَين لفلان، أي سخِرَ منه وحقَّره (بتوجيه إصبعَين مُنفرجتيَن نحوه للإشارة إلى القرنَين) (انظر أيضاً عبارة هَزِئ من فلان*). آ، القرون! ـ معنى شائِع. فلان له أو لديه قرنان: أي إنَّه مخدوعٌ (في معرض الحديث عن الزوج، ونادراً ما تُستخدَم للتحدُّث عن الزوجة). ⇦ **زوجٌ مخدوعٌ أو زوجٌ مَقرونٌ**. معنى مجازيّ. قرن الأيّل: إنَّها نبتة آذان الجدي. ـ قرون الغزال: وهو عبارةٌ عن قالبِ حلوى شرقيّ مصنوع بالعسل، ويكون على شكل قرن. **2.** (نحو 1340) مادّة كثيفة مؤلَّفة من خلايا ميتة مُشبَّعة بمادّة القَرَتين* (تتألَّف منها الأظافر والقرون والحوافر والبراثن ومناقير العصافير وشاربا الحوت وذَيْل السلحفاة). مشى على شيء كالقرن. صلبٌ كالقرن: أي بمنتهى الصلابة. جعل شيئاً بصلابة القرن. ⇦ **قرّنَ**. ـ مادّةٌ صُلبةٌ مُقاومة مطّاطيّةٌ قليلاً تُستخرَج من القرن الطبيعيّ. مشطٌ مصنوعٌ من القرن. أزرارٌ مصنوعةٌ من القرن. «نِصاب السكاكين المصنوعة كلُّها من القرون المشغولة» (نقلاً عن بلزاك (Balzac)). قرن الأحذية: لبّاسة أحذية (كانت تُصنَع في الأصل من القرن الطبيعيّ). **3.** غرض مصنوع من القرن (1) مجوَّف. قَرن الخصب*. قرن يُستعمل ككأس. ⇦ كأس يونانيّة قديمة. أداة جَهْوَريّة. قرن المناداة أو الراعي أو الصيد. ⇦ 3. **فَم بوق**. 1. **صُور وبوق وبُوَيق**. ـ وقياساً على ذلك (معنى قديم)، مُنبِّه* السيّارة المؤلَّف من زرّ على شكل إجاصة ومن بُوَيق معدنيّ. ضرَبَ ضربةً على البوق. ⇦ **كَلَكْسون**. معنى قديم **صُور**؛ 1. **بوّقَ**. بحريّ. ضبابة على شكل قرن تغشى الأرض. **4.** زائِدة تُشبَّه بالقرن (1) قرون الحلزونة والبزّاقة، أي الذُّنيبات التي تحمل العيون. أفعى قرناء ذات قرنَين. ⇦ **مُقرَّنة**. قَرنا الحُنظُب. **5.**

زاوية بارزة أو نتوء. زوايا قبَّعة . ⇦ **القبَّعة ذات القرنَين التي يستعملها بخاصّة أعضاء المجمع العلميّ الفرنسيّ والقبَّعة المثلَّثة القرون.** عمودٌ يقع عند قرن الحقل . ⇦ **زاوية؛ رُكن.** قرنا القمر أي طرفا القمر حين يكون هلالاً. ـ بحريّ. دَوْقَلٌ مائلٌ. قرن مؤخِّرة المركب. معنى مُعزَّز ـ كتابٌ ذو قرون. ـ تقنيّ. رأس سندان. ـ علم تشريح. قرون الحنجرة والعظم اللاّمي. قرن الظهر : منطقة النخاع الشوكيّ. ثنيةٌ على زاوية ورقة أو ورقة كرتون (⇦ 1. **طَوى؛ قرَّن**). ثنى بطاقة زيارة أو زاوية صفحة من كتاب .

Corne n.f. - v. 1120 lat. pop. corna; lat. class. cornua. plur. de cornu - 1. cor **1.** Excroissance osseuse permanente recouverte d'un étui épidermique, sur la tête de certains mammifères. Cornes frontales des bovidés, des antilopes et des girafes. Cornes nasales des rhinocéros. Cornes caduques des cervidés. ⇨ Bois. Qui a des cornes. ⇨ encorné, longicorne. Transpercer à coups de corne. ⇨ Encorner. Taureau à cornes sciées, boulées. - SPECIALT BETES A CORNES: Boeufs, vaches, chèvres. - Corne unique de la licorne*. - Les Cornes du diable, de Satan. LOC. Prendre le taureau par les cornes: Prendre de front les difficultés. VIEILLI Faire, montrer les cornes à qqn, se moquer de lui (en dirigeant vers lui deux doigts écartés évoquant une paire de cornes) (cf. Faire la nique*). Ho, les cornes! - FAM. Avoir, porter des cornes: Etre trompé (en parlant d'un mari, plus rarement d'une femme). ⇨ Cocu, cornard. FIG. CORNE DE CERF: Le Plantain. - CORNES DE GAZELLE: Gâteau oriental au miel, en forme de corne. **2.** (v. 1340) Substance compacte composée de cellules mortes imprégnées de kératine* (ongles, cornes,

sabots, griffes, bec des oiseaux, fanons de baleine, écailles de tortue). Avoir de la corne sous les pieds. Dur comme de la corne: Très dur. Rendre dur comme la corne. ⇨ racornir. - Substance résistante, légèrement élastique, tirée de la corne naturelle. Peigne de corne. Boutons en corne. «Les Manches des couteaux, tous en corne travaillée» (Balz.) CORNE A CHAUSSURES: Chausse-pied (fait de corne, à l'origine). **3.** Objet fait d'une corne (1°) creuse. Corne d'abondance*. Corne servant de coupe. ⇨ rhyton. Instrument sonore. Corne d'appel, de berger, de chasse. ⇨ 3. Bouquin. 1. Cor, cornet, trompe. - PAR ANAL. (VIEILLI) Avertisseur* d'automobile formé d'une poire et d'un cornet de métal. Donner un coup de corne. ⇨ Klaxon. VIEILLI trompe; 1. corner. MAR. Corne de brume. **4.** Appendice assimilé à une corne (1°). Cornes d'un escargot, d'une limace, les pédicules qui supportent les yeux. - Vipère à cornes. ⇨ céraste. Cornes de cerf-volant. **5.** Angle saillant ou proéminence. Cornes d'un chapeau. ⇨ bicorne, tricorne. Poteau à la corne d'un champ. ⇨ coin; cornier. Les Cornes de la lune. - MAR. Vergue oblique. La Corne d'artimon. FORTIF. Ouvrage à cornes. - TECHN. Cornes d'une enclume. - ANAT. Cornes du larynx, de l'os hyoïde. Corne dorsale: Aire de la moelle épinière. Pli fait au coin d'un papier, d'un carton (⇨ 1. corner; écorné). Faire une corne à une carte de visite, à la page d'un livre.

بحسب تصوُّرنا للمصطلح، فإنَّ التشديد على أنَّ المصطلحات ليست متعددة المعاني، في حين أنَّ الكلمات ذات معانٍ متعددة، لا يستند إلى أساس، إذ إنَّنا نعتبر أولاً أنَّ الوحدات المعجميّة تكون كلُّها متعدِّدة المعاني، باعتبار أنَّ تعدُّديّة المعاني تستتبع برأينا واقع الارتباط بمجموعاتِ سِمات دلاليّة تتفعَّل تبعاً للمقامات المختلفة. مع

أنّنا لا ننكر إمكانيّة العثور على بعض الوحدات المقترنة مؤقتاً بمعنى واحد والمستعملة في ميدان تخصص معيَّن (المصدر نفسه)، كما هو حال المثلَين الآتيين:

نوبِليوم اسم مذكر ـ 1957؛ مشتقّ من اسم الكيميائيّ السويديّ الجنسيّة نوبل. كيمياء. إنَّه عبارةٌ عن عنصر كيماويّ ذي عدد ذريّ يفوق عدد اليورانيوم الذرّي (نو؛ رقم ذرّي 102).

Nobelium n. m. - 1957; de Nobel; chimiste suéd. CHIM. Elément chimique transuranien (No; n° at. 102)

Cotylédon فِلْقَة اسم مذكر(*) ـ 1543؛ في اللاتينية cotillidones 1314؛ في اليونانيّة Kotulêdon أي «تجويف، جَوْف» **جُفْرَة**. **1.** علم الأجنَّة. كلّ قسم من الأقسام المتعدِّدة الزوايا التي تُحدِّدها الحُجُب والموجودة على السطح الرَّحميّ للسُّخد البشريّ أو الحيوانيّ. **2.** (القرن الثامن عشر) علم نبات. ورقة رئيسيّة لجنين البرونيّات أي النباتات البزريّة. ويتراوح عدد الفِلقات من واحد (⇦ **أحاديّ الفِلْقة**) إلى اثنين (⇦ **ذوات الفِلْقتَين**) لدى كاسيات البزْر، ومن عشرة إلى اثنتَي عشرة فِلقة لدى عارِيات البزْر.

Cotylédon n. m. - 1534; cotillidones 1314; gr. Kotulêdon «creux, cavité» cotyle. **1.** EMBRYOL. Chacun des segments polygonaux, délimités par des cloisons, à la surface utérine du placenta humain ou animal. **2.** (XVIIIe) BOT. Feuille primordiale de l'embryon des spermaphytes. Le Nombre des cotylédons varie de un (⇨ monocotylédone) à deux (⇨ dicotylédone) chez les angiospermes, de dix à douze chez les gymnospermes.

(*) إنَّ كلمة cotylédon تُعدُّ اسماً مُذكَّراً في اللغة الفرنسيّة، ولكنَّها تُصبح اسماً مؤنَّثاً «فِلْقة» حين نترجمها إلى اللُّغة العربيّة.

مهما يكن من أمر، لا تُبطِل الأمثلة التي عرضناها منذ قليل المبدأ العامّ، لأنَّه ما من براهين تمنع هذه الوحدات من احتواء معنى جديد حين يُصار إلى استخدامها في ميدان موضوعاتيّ مختلف، الأمر الذي حصل لوحدات مثل فيروس (virus) ومحور استبداليّ (paradigme). . . إلخ.

4 ـ اقتراح نمذَجَة

في ضوء العناصر التي حلَّلناها، توصَّلنا إلى قناعة مفادها أنَّنا نستطيع أن نُقدِّم مقاربةَ نمذَجَة تُصنِّف الكلمات والمصطلحات في خانة الوحدة نفسها، ألا وهي: الوحدة المعجميّة.

ترتكز هذه المقاربة على المبادئ التي دافعنا عنها حتى الآن والتي يُمكن تلخيصها على الشَّكل الآتي:

● ننظر إلى قائِمة المصطلحات باعتبارها تُمثِّل مجمل الوحدات المستعملة فِعلاً في نطاق التواصل المتخصِّص.

● لا تكون المصطلحات وحدات مستقلَّةً تؤلِّف ثبت مصطلحات متخصِّصاً منفصلاً عن ثبت المصطلحات العامّ، بل إنَّها عبارةٌ عن مجموعاتِ سِمات مدلوليّة مرتبطة بالوحدات المعجميّة. ولا تُشكِّل هذه الوحدات بحدِّ ذاتها مصطلحات أو كلمات، بل إنَّها تُفعِّل طابعها ككلمة أو كمصطلح تبعاً للمميِّزات التواصلية التي يتَّصف بها المقام الذي تُستعمَل فيه.

● يتمّ تفعيل طابع الوحدة المعجميّة باعتبارها مصطلحاً أو كلمةً من خلال اصطفاء مجموعات من السِّمات. ويكون بعضها مشترَكاً بين مختلف المعاني التي تنطوي عليها الوحدة المعجميّة، فينتفي بالنتيجة وجود أيّ تمييز من حيث الميادين الموضوعاتيّة؛ في حين يكون بعضها الآخر مقتصراً على مقامات معيَّنة في إطار ميدان موضوعاتيّ محدَّد.

● تكون المصطلحات الحقيقيّة متعدِّدة المعاني ضمنيّاً باعتبار أنَّه من الممكن توسيع مدلولها ومضاعفته في ميادين تخصص مختلفة. كما إنَّ باستطاعة التسميات المُستعملة في عدَّة ميادين، والتي تكون مُطابقةً من حيث الشَّكل، أن تتطابَق أيضاً على المستوى الدلاليّ تطابقاً تامّاً أو جزئيّاً. وفي كلتا الحالتَين، تتعلَّق المسألة بوحدة متعدِّدة المعاني. وتستطيع المصطلحات أن تعرض تعدُّديّة معانيها في اتِّجاه مزدوج، كالآتي: **(أ)** الوحدة التي تُستعمَل بنوع خاصّ في ميدان معيَّن يمكن استعمالها مجدَّداً في ميدان آخر مع الإبقاء على المعنى نفسه الذي تنطوي عليه؛ و**(ب)** يُمكننا انطلاقاً من الوحدة الأساس نفسها أن نستخرجَ معاني مختلفة تتطابق بشكل أساسيّ. علماً بأنَّ المصطلحات تكتسبُ تعريفاً واحداً فقط في سياقِ معجم مفردات محدَّد ودقيق.

● يتمّ تحديد قيمة المصطلح بالنسبة إلى ظهوره في ميدان اختصاص معيّن. وهكذا، ينتمي المصطلح إلى ميدان معيَّن، إذا استُعمِل في هذا الميدان.

● تُنشئ المفاهيم المُستعملة في ميدان متخصِّص معيَّن علاقات متنوِّعةً في ما بينها، وتُشكِّل مجمل هذه العلاقات أحد التمثيلات التصوُّريّة المحتملة بشأن محتوى الميدان[3].

---

(3) نحن مدركون تمام الإدراك أنَّنا ندع جانباً عدداً من الخصائص التي تتمتَّع بها المصطلحات والتي لها بعض التبعات على عمليّة نمذَجَة تمثيلها الذهنيّ (على غرار ظرفها المتعدِّد الوجوه أو طابعها المتعدِّد الأبعاد أو أيضاً التبدُّل التصوُّريّ الذي يُمكن أن تقدِّمه الوحدة نفسها تبعاً للمتغيِّرات الثقافيّة أو الأيديولوجيّة أو العلميّة). غير أنَّنا نودّ الإشارة في هذه المقالة إلى إمكانيّة إخضاع الكلمات والمصطلحات لمعالجة موحَّدة، كما إنَّنا نرغب في التصدِّي فقط إلى العناصر التصوُّريّة التي تبدو لنا أساسيّةً في هذه الحالة.

يتَّخِذ مخطَّط النَّمذَجَة التمهيديّ الذي سنقترحه شكلاً مُعجميّاً يتّبع نماذج النظريّة الألسنيّة المعجميّة[4]، كما سيتمّ تجسيده في عمليّة تمثيل مفردات المعجم التي يتمّ تنظيمها انطلاقاً من مدخَل يتطابق مع وحدة معجميّة بحسب التصوُّر المفصَّل أدناه. وسيتمّ ربط كلّ وحدة بأنماط مختلفة من وحدات المعلومات[5] الآتية:

أ) الوحْدة الصواتيّة

ب) الوحْدة الصرفيّة

ج) الوحْدة النحويّة

د) الوحْدة الدلاليّة

هـ) الوحْدة التواصلية

و) الوحْدة الموسوعيّة

تحتوي الوحدة الدلاليّة على رزمة من المعلومات الدلاليّة الأساسيّة المتمثِّلة على شكل مجموعة سِمات، والتي تعمَد السِّمات الثابتة في الوحدة المعجميّة إلى دمجها بصرف النظر عن المميِّزات التي تطبعُ كلّ استعمال. كما إنَّها تحتوي على عدد غير محدَّد من رزم المعلومات الدلاليّة العامّة أو المتخصِّصة غير المغلقة والقابلة أن تستوعب مختلف المعاني التي قد تكتسبها الوحدة في إطار أنماط استعمال تداوليّ مختلفة. ومن بين المقوِّمات المختلفة، يُمكننا أن

---

(4) انظر: Rochelle Lieber, *On the Organization of the Lexicon* (Bloomington: IULC, 1981); Scalise Sergio, *Le Strutture del linguaggio, morfologia* (Bologna: Il Mulino, 1994), and Andrew Spencer, *Morphological Theory: An Introduction to Word Structure in Generative Grammar* (Oxford; Cambridge: Basil Blackwell, 1991).

(5) لا يستثني هذا الاقتراح إمكانيّة نمذَجة المعرفة المتخصِّصة في نماذج غير مُضَمِّنة إنّما ذات ركيزة اتِّصاليّة.

نضع بعض المقوِّمات ـ الجسور التي تكون مشتركةً بين عدّة رزم معلومات بوجه خاصّ.

5 ـ الخلاصات

طالما تمّ تأكيدُ على أنَّ علم المصطلحات النظريّ يضطلعُ بوظيفتَين هما: تمثيل المعرفة ونقلها، ومن المعلوم أنّه قد أبصرَ النور انطلاقاً من حاجة المتخصصين العمليّة إلى إنشاء تواصل مع أقصى ضماناتِ المحافظة على أحادية المعنى، وقد أفرزَ هذا التطلب الذي تتحكَّم به مميِّزات الموضوع وتعدُّد وظائف التواصل رغبةً موحَّدةً على عدَّة مستويات يُمكن تمثيلها على محور ينطلق من التوحيد الكامل الشامل المتمثِّل بقوائم المصطلحات الدوليّة وصولاً إلى الأسماء العامة، مروراً بالمصطلحات المتخصِّصة الجامدة بدرجات متفاوتة تبعاً للمصطلحات وللخطاب الذي تُستعمل فيه.

إلاّ أنَّ نشر الفكر العلميّ عبر التعليم ووسائل الإعلام قد أخرَجَ علم المصطلحات من نطاق دائرة المتخصصين المحصورة ودفعَ التواصل إلى أبعد من مجرد التبادلات الدوليّة الموحّدة. لقد أبرز هذا الواقع اطِّراد الفكر واقتصار الاستعمالات المتخصِّصة على سجلاّت خاصّة للغاية.

يتَّصف الفكر العلميّ بكونه مطَّرداً في بعض الأغراض، إنَّما ليس في مجمل المفاهيم التي تُشكِّل حقل دراسته. وتغدو المذاهب العلميّة نموذجاً بيِّناً على ذلك. ففي حال لم تكن مَفْهَمَةُ الوقائع العلميّة متجانسةً، يكون من العسير، في نطاق معيَّن على الأقلّ، تصوُّر إمكانيّة تحقيق عمليّة توحيد تسميات المفاهيم.

في إطار علم المصطلحات الجديد هذا، حيث يغدو العمل

المصطلحيّ وصفيّاً، وحيثُ يعتزِمُ جَمْع الوحدات ضمن سياقها اللُّغويّ والتواصليّ الحقيقيَّين اللَّذَين تتنقَّل فيهما المصطلحات بسهولة أكبر بين المعرفة العامّة والمعرفة المتخصّصة، يكون الخطّ الفاصل البيِّن الذي يفصل بين الكلمات والمصطلحات، والذي يحمل علم المصطلحات التقليديّ راية الدفاع عن وجوده، غير مستجيبٍ لحدس الألسنيّ اللُّغوي المُدرِك أنَّه على الرغم من وجود الاختلافات بين نمطَي الوحدات هذَين، فإننا نعثر على عددٍ كافٍ من أوجه الشَّبه بينهما يخوِّلنا عرضهما معاً من دون أيّ حاجة إلى إيجاد نماذجَ منفصلة تمام الانفصال لتقديمهما.

إذا كان باستطاعة النموذج المعجميّ الذي نقترحه في هذا الصدد، والمبنيّ على نظريّة اللغة أن يُعالجَ الوحدات المعجميّة قاطبةً وأن يشتقَّ منها تلك التي تتمتَّع بطابع مصطلحيّ وتلك التي لا تتمتع به أيضاً، يُمكننا أن نفترِضَ أنَّ المسألة تتعلَّق بالوحدة نفسها التي تُفعِّلُ معنى متخصِّصاً أو عامّاً تبعاً لظروف استعمالها التواصلية في سياق الخطاب.

الشكر

تولَّت جوديت فيليو (Judit Feliu) ترجمة هذا المُستند من اللُّغة الكتالونيّة إلى اللغة الفرنسيّة، وهي طالبةٌ حائِزةٌ على منحة دراسيّة للبحث في معهد الألسنيّة التطبيقيّة الجامعيّ (Institut Universitari de Lingüistica Aplicada) (Universitat Pompeu Fabra).

المراجع

Books

Nouveau Petit Robert. Paris: Dictionnaires Le Robert, 1993.

Rey, Alain. *La Terminologie: Noms et notions*. Paris: Presses universitaires de France, 1979. (Que sais-je?)

Sager, Juan C. *A Practical Course in Terminology Processing*. Amsterdam: John Benjamins, 1990.

Vocabulaire des termes d'architecture et du bâtiment. Québec: Hydro-Québec, 1988.

Periodicals

Cabré, Maria Teresa. «Elementos para una teoría de la terminología: hacia un paradigma alternativo.» *El Lenguaraz*: vol. 1, no. 1, 1998.

Condamines, Anne. «Terminologie et représentation des connaissances.» *Intelligence artificielle*: vols. 1-3, 1995.

Temmerman, Rita. «Questioning the Univocity Ideal. The Difference Between Sociocognitive Terminology and Traditional Terminology.» *Hermes-Journal of Linguistics*: vol. 18, 1997.

Thoiron, Philippe [et al.]. «Notion d'«archi-concept» et dénomination.» *Meta*: vol. 41, no. 4, 1996.

Conferences

Cabré, Maria Teresa. *Hacia una teoría comunicativa de la terminología: aspectos metodológicos*. *Revista Argentina de Lingüística*.

————. *Una nueva teoría de la terminología: de la denominación a la comunicación*. *VI Simposio de RITERM*. *Cuba*.

Lara, Luis Fernando. *Término y cultura: hacia una teoría del vocablo especializado*. *Actas del Simposio: Terminología y modelos culturales*. Barcelona: Institut Universitari de Lingüística Aplicada, 1999.



من أجل مقاربة وظيفيّة لعلم المصطلحات

جوان ساجيه[1]

الوضع اللغويّ للمصطلح غير محدّد تحديداً جيّداً. إذ قلّما تُكرِّس معاجم الألسنيّة مدخَلاً لكلمة **مصطلح** (terme). وهكذا مثلاً، لا يعمَد المعجم المتميّز الذي وضعه ر. ل. تراسك (Trask 1993) والذي يحمل اسم **معجم مصطلحات النحو** (*Dictionary of Grammatical Terms*) إلى تحديد «المصطلح»، مع أنَّ عنوانه يتضمن كلمة «مصطلح»، إلاّ باعتباره ضرباً من ضروب العلاقة الصرفية في سياق الحديث عن قواعد اللُّغة الترابطيّة. أمّا مالمكاير (Malmkjaer)، فيُحدِّد من جهته في معجمه **موسوعة الألسنيّة** (*Linguistics Encyclopedia*) كلمة «مصطلح» باعتباره، إسناداً ضمنيّاً في ميدان قواعد اللُّغة الوظيفيّة التي تحدَّث عنها ديك[2] (Dick). وعليه، يمكننا أن نؤكِّد أنَّ الألسنيِّين يُغفِلون على نطاق واسع علم

---

(1) معهد العلوم والتكنولوجيا، في جامعة مانشستر (Institute of Science and Technology, University of Manchester).

(2) تُشير كلمة مصطلح (terme) في حقل الفلسفة إلى أسماء العلم والكلمات والتعابير التي تُرجع إلى فرد أو فئة أو أحد عناصر القضية (proposition).

المصطلحات بصفته فرعاً علميّاً قائماً بذاته، فيما لا يميز المعجميون هم أنفسهم تمييزاً بيّناً ومنهجيّاً بين «المصطلح» و«الكلمة»، كما يُنوِّه راي (Rey) بذلك تنويهاً سديداً:

> باعتبار أنَّ مجموعات المصطلحات هي انعكاس لعمليّات مَفهَمَة تبدو خارجةً عن إطار اللُّغات أو صادرةً عن تصنيفات مضبوطة بإحكام، فهي تبدو كأنَّها تتجاوز الحركيّة الكلاميّة، وتبقى بمنأى عن النزاعات وتتغلَّب على حالات الإبهام. ويعتقد مستخدمو هذه المصطلحات أنَّها واضحة شفَّافة وينسون أنَّها أيضاً أشكال لغوية، أي إنَّها إشارات لها جانبها الماديّ (Rey 1987: 231).

في المقابل، تُثير دراسة قوائم المصطلحات التي يُهملها الألسنيّون اهتمام كلّ من علماء المصطلحات التطبيقيِّين والمتخصصين في هذا الميدان، وأصحاب السلطات اللغوية والسلطات الكلاميّة المختصَّة والمنظَّمات التي تُعنى بضبط اللغة (تقعيدها)، الذين يميلون أحياناً إلى إغفال إشكاليّة المصطلح[3]. إذ من الممكن دراسة المصطلحات إمّا بمعزل عن أيّ سياق ألسني باعتبارها أدوات تصنيف مُخصَّصةً لتنظيم المعارف أو تبعاً للدور الذي تضطلع به في التواصل بصفتها عناصر خطاب. في الحالة الأولى، ننطلق غالباً من الفرضيّة

(3) إنَّ ما يتمّ تقديمه إجمالاً على أنَّه أُسس علم المصطلحات يقتصر غالباً على نظريّة مُبسَّطة وبعض المبادئ التوجيهيّة إلى حد بعيد والتي تعرض ما «ينبغي» أن يكون وليس ما هو قائِم. وترتكز هذه النظريات على رؤية مثالية للمصطلحات والتصوُّرات. وتبعاً لوجهة النظر المغلوطة هذه، تتَّصف المصطلحات بطابع أحاديّ المعنى والتصوُّرات بطابع أحاديّ المرجع، والبُنى التصوُّريّة بطابع متصلِّب، كما لو كان من الممكن تجميد علم المصطلحات في نظام سكونيّ. إلاّ أنَّ ذلك ليس واقع الحال، حتّى في إطار العلوم الطبيعيّة التي ترتكز على الملاحظة كما في علم النبات وعلم الحيوان والجيولوجيا. ولا ترتكز الأُسس النظريّة التي تُغذِّي هذه المبادئ على الاستعمال اللُّغويّ بل هي وجهة نظر فكرية.

القاضية بأنَّ تصوُّرات ميدان معيَّن تُشكِّل مجموعةً سكونيّة تقابلها مجموعة من المصطلحات والمُصطلحات المُعادِلة. (وهي فرضيّة خاسرة) ـ أمّا في مقام التواصل، فتتَّخذ المصطلحات بُعداً آخر مختلفاً تماماً. فإذا ما استندنا إلى الوقائع اللُّغويّة والمَعرفيّة التي يُمكن مراقبتها، يتَّضح لنا أنَّ المصطلحات تُشكِّل مجموعات ديناميكيّةً وأنَّها تكون على ارتباط بكلمات الخطاب. فضلاً عن ذلك، بما أنَّ الدور الذي تضطلع به المصطلحات في الخطاب يتغلَّب على ذلك الذي تؤدِّيه في سياق تنظيم المعارف، يترتَّب علينا انطلاقاً من هذا الدور أن نُنشئَ نظريّةً حول طريقة عمل المصطلحات.

قبل الإكباب على دراسة المصطلحات، يتعيَّن علينا البدء بتبرير أن التمييز بين الكلمات والمصطلحات وأسماء العلم، عند الاقتضاء، التي تؤلِّف نمطاً ثالثاً من الأسماء من وجهة النظر الدلاليّة، هو تمييز ملائم للموضوع. ولفعل ذلك، يقتضي أن نُبرهِنَ في مرحلة أولى أن الكلمات والمصطلحات لا تشير إلى التصوُّرات بالطريقة نفسها، ومن ثمَّ سنعمَد في مرحلة لاحقة إلى برهنة أن طريقة عمل المصطلحات في الخطاب تختلف عن طريقة عمل الكلمات وأسماء العلم[4]. وسنشدِّد في هذه المقالة بشكل أساسيّ على هذه النقطة الأخيرة.

1 ـ أُسس نظريّة في علم المصطلحات

ينتج الاختلاف بين علم المصطلحات ومعجم المفردات العامّة في لغة معيَّنة من التعارض الجوهريّ القائم بين مذهَبَين كبيرين في تاريخ الأفكار وموقف كلّ منهما من اللُّغة. يرتكز الأوَّل على فكرة

(4) يكون هذا التمييز أساسيّاً أيضاً لتبرير استقلاليّة علم المصطلحات باعتباره علماً قائماً بذاته.

أنَّه من الممكن ابتداع اللُّغة عَمداً وأن باستطاعتها ممارسة تأثير في البُنى المعرفيّة الخاصّة بمجتمع معيَّن. مناصرو هذا الموقف هم فلاسفة يختلف أحدهم عن الآخر مثل اختلاف أفلاطون (Platon) وديكارت (Descartes) ولوك (Locke) ولايبنتز (Liebniz) وراسل (Russell) وفريجه (Frege). فمن وجهة نظرهم، تُعدُّ اللُّغة أداةً تُستخدم لتنظيم المعارف والمجتمعات. ومن ثمّ، يكون باستطاعتنا أن نضبط اللُّغة لنجعلها تتَّصفُ في الوقت نفسه بالدقَّة والاقتصاد اللُّغويّ والقدرة على التكيُّف مع مختلف مقامات التواصل. في حين يرتكز المذهب الثاني المتمثِّل بفلاسفة من مثل بيركلي (Berkeley) وأوستن (Austin) وفتغنشتاين (Wittgenstein) ورايل (Ryle) وغيرهم، على مراقبة اللُّغة الطبيعيّة، أو على الأصحّ اللُّغات الخاصّة، والسعي إلى فهم تعقيدها. يعتبر هؤلاء الفلاسفة أنَّ بعض الظواهر على غرار تعدُّديّة المعاني والترادف والمُجانسة ضروريّة لنموّ الفكر وللتعبير عن الإبهام والشكّ اللَّذَين يُشكِّلان جزءاً من الحياة اليوميّة. في إطار هذه المقالة، يُمكننا أن نُرجِعَ هذا التعارض إلى الاختلاف القائم بين ما يُطلق عليه سوسور اسم «اعتباطيّة الرمز» والابتكار المنظَّم لوحدات معجميّة تُسمَّى مصطلحات، وهي ظاهرة تجدُ تجليِّها الأكثر وضوحاً في القائمة المنظمة للعلوم الطبيعية التي ضبطها لينّيه (Linné) وغيتون دو مورفو (Guyton de Morveau).

بما أنَّ اللُّغة تقوم بعدد كبير من الوظائف في المجتمع، يعي المتكلِّمون أجمعون، سواء أكانوا يستخدمون الكلام للتواصل أم للتفكير، في محيط خاصّ أو مهنيّ، هذا التعارُض ويستغلِّونه ويشاركون فيه في أغلب الأحيان. وإذا ما نظرنا إلى هذا التعارض باعتباره تفرُّعاً ثنائيّاً، فمن شأنه أن يُفسِّر الاختلافات القائمة بين اللُّغات الطبيعيّة واللُّغات الاصطناعيّة. فبغية إعداد التصوُّرات الذهنيّة

والتجارب والتعبير عنها، وبغية «التفكير بصوت عال» كما يُقال في اللُّغة الشائعة، وضمان تماسك جماعة لغويّة معيَّنة، ينبغي ألاّ يكون المرجع متصلِّباً وأن تكون بُنى اللُّغة مرنةً وأن تُتيح مجالاً للإبداع. فضلاً عن ذلك، لكي تصبح التمثيلات المُبهمَة معارِفَ مشتركةً، ولكي تتحوَّل الانطباعات العامّة إلى معارف منظَّمة سهلة النقل إلى الأشخاص الآخرين، نحتاج إلى اللُّغة الطبيعيّة كما نحتاج إلى لغات نُخضعها للمراقبة. وأخيراً، بغية تنظيم المعارف المُكتسبة وتصنيفها لتشكيل العلوم والتقنيّات، وبغية تسهيل تطوُّر معارف جديدة وبغية إقامة تواصل يتَّصف بالاقتصاد اللُّغويّ وبالدقَّة بين المتخصصين، نحتاج إلى دقَّة المرجع وصلابة التعريفات وشكليّة(*) اللُّغات المراقبَة. وبالنسبة إلى المرحلة الأولى، الكلمات تفي بالمطلوب، أمّا للمرحلة الثانية، فنحن بحاجة إلى المصطلحات أيضاً، في حين أنّنا نحتاج إلى المصطلحات فقط في ما يتعلَّق بالمرحلة الثالثة. بيد أنَّ التفريق بين الكلمات والمصطلحات ليس مُطلقاً إذ يتمّ غالباً تقديم المصطلحات والكلمات بواسطة الشَّكل نفسه ولا تتباين إحداها عن الأخرى إلاّ من حيث الوظيفة التي تؤدِّيها. زد على ذلك أنَّ باستطاعة الكلمات أن تستحيل مصطلحات والعكس بالعكس. وفي الواقع، يُمكن للكلمة إذا ما كانت دقيقةً ومتخصِّصةً بما فيه الكفاية أن تكتسبَ وضع المصطلح، كما هو شأن كلمة فأرة (souris) التي غدت اليوم مصطلحاً في ميدان المعلوماتية. ومن وجهة النظر الوظيفيّة التي اعتمدناها، ننظر إلى هذا المَثَل باعتباره يُجسِّد إحدى حالات «تحويل الكلمة إلى مصطلح» التي تُثبت الطابع الديناميكيّ الذي يتَّصف به علم المصطلحات.

(*) التمسُّك الشديد بالأشكال الخارجيّة.

تزوِّدنا هذه الملاحظات الأولية بالعناصر الضروريّة لإجراء وصف يتناول الاختلافات الوظيفيّة القائمة بين المصطلحات والكلمات وأسماء العلم. وتتَّصف هذه العناصر في الوقت نفسه بطابع ألسني، لأنَّ المصطلحات هي عبارة عن رموز لغويّة، وبطابع معرفيّ باعتبار أن المصطلحات تُحيل إلى تصوُّرات أو إلى عناصر من عناصر المعرفة أو التجربة. سنحتاج أيضاً إلى التمييز بين التصوُّرات الفرديّة والتصوُّرات العامّة والتصوُّرات النوعيّة التي تُحيلنا على التوالي إلى مراجع فرديّة وعامّة ونوعيّة بواسطة رموز لغويّة. ولا بدّ لنا في نهاية المطاف من إيلاء اهتمام بالتعارض النَّظريّ القائم بين اللُّغات «الطبيعيّة» التي تتطوَّر عَفويّاً واللُّغات «الخاضعة للمراقبة» التي تحدّد مسبقاً العلاقة التي تربط المدلول بالدالّ. وأخيراً، نعتبرُ أنَّ باستطاعة المعارف أن تتوزَّعَ في ميادينَ مختلفة تتطابق معها لغاتُ اختصاص فرعيّة تضمُّ مجموعةً من العناصر المراقبة المتعددة إلى حدّ ما.

2 ـ اختلافات وظيفيّة بين الكلمات وأسماء العلم والمصطلحات

يُمكننا التعبير في إطار اللُّغة عن عالم معارفنا وتجاربنا وخيالنا بواسطة ثلاث وحدات معجميّة تقوم بوظائف مختلفة.

2 . 1 ـ التصوُّرات العامّة والكلمات

يُشار إلى التصوُّرات العامّة التي تتطابق مع أفكار أو تجارب عامّة بواسطة وحدات معجميّة نُطلق عليها اسم «كلمات».

من الممكن أن تنطوي الكلمات على عدد كبير من الدلالات والتضمينات التي تتوقَّف بالكامل على الموضع الذي تشغله داخل مجموعة من العلاقات الدلاليّة في قلب نظام لغويّ معيَّن، كما أظهر ذلك بشكل واضح علماء دلالة مثل: ج. ليونز (Lyons 1990)

وليتش[5] (Leech 1981). وفي المقابل، يتَّصف المحتوى المرجعيّ للكلمات التي يُمكنها أن تنطوي على عدّة دلالات بطابع مُبهَم، الأمر الذي يسمح بتنمية تعدُّديّة المعاني. كما يتَّصف هذا المحتوى بطابع متأرجح نتيجة التحويلات أو التوسيعات أو التقليصات المُحتملة في المعنى في حالة الكلمات التي يمكن، فضلاً عن ذلك، استخدامها بالمعنى المجازيّ. وبغية فهم معنى الكلمة، ينبغي غالباً إعادة وضعها في السياق الذي تردُ فيه، حتى وإن كانت بعض دلالاتها مُفسَّرةً في المعاجم.

تتَّصف كذلك فئة الوحدات المعجميّة هذه بطابعها المَرن من وجهة النظر التركيبيّة التعبيريّة باعتبار أنَّ الكلمات تستطيع في بعض الحالات أن تعملَ كأسماء، ولكن أيضاً كصفات أو ظروف أو أفعال.

2.2 ـ الأفراد وأسماء العلم

تصلح أسماء العلم للدلالة على وحدات ننظر إليها أوَّلاً باعتبارها تُشير إلى أفراد ومن ثمّ بصفتها تُشكِّل عناصرَ فئة محدَّدة. والجدير بالذكر أنَّنا نستطيع وصف الأفراد لا تحديدهم، ويعني ذلك أنَّ أسماء العلم تُرجِعُ مباشرةً إلى المرجع الدلاليّ من دون المرور بالتصوُّر. وتتمّ تسمية الأفراد بشكل اعتباطيّ. ولا يكون اسم العلم اختصاراً ولا وصفاً مُعقّداً، إنَّما مُعيّناً بسيطاً وفعّالاً. ولكن توجَد بعض التقاليد في طريقة تسمية فئات الأفراد. إذ يتمّ تحديد هويّة الأشخاص عبر اسمهم وشهرتهم في حين تُدعى أنواع النبيذ بمنطقة إنتاجه أو الكروم التي يُستخرَج منها. كما يُمكن للأفراد أن يحملوا

(5) انظر أنماط المعنى السبعة التي يوضِّحها ليتش في كتابه: Geoffrey N Leech, *Semantics: The Study of Meaning* (Harmondsworth: Penguin, 1981).

أكثر من اسم واحد، فمثلاً: إنَّ «نابوليون» (Napoléon) هو نفسه «بونابرت» (Bonaparte)، و«نجمة الراعي» (l'étoile du Berger) هي أيضاً كوكب «الزُهرة» (Vénus)، من دون أن يُصعِّب ذلك عمليّة التعرُّف إليها. هذا وقد ترتبطُ بعض التضمينات، إيجابيّةً كانت أم سلبيّةً، بأسماء الأفراد.

3.2 ـ التصوُّرات النوعيّة والمصطلحات

تتمايز المصطلحات عن نمطَي الوحدات المعجميّة الآخَرين اللَّذَين نصادفهما في اللُّغات الطبيعيّة، ونعني بهما الكلمات وأسماء العلم، في عدَّة نواح. أوَّلاً، تندرج المصطلحات وأسماء العلم دائماً في خانة الأسماء. ثم في حين أن الكلمات يمكن أن تكتسبَ عدداً كبيراً من الدلالات والعلاقات الدلاليّة، ترتبط أسماء العلم بمرجع دلاليّ ولكنَّها تفتقر إلى أيّ معنى. أمّا بالنسبة إلى المصطلحات، فهي تحيلُ إلى مرجع دلاليّ وتملكُ دلالةً ولكنَّها لا تنطوي عادةً إلاّ على عدد محدود من المعاني. وتتجلَّى نقطة الاختلاف الوظيفيّ لدى المصطلحات في أنَّها تُستخدم لتسمية التصوُّرات التي يعتبرُ المتكلِّم أنَّ مخاطبيه يعرفونها. ونعتبر أنَّ للمصطلحات دلالة خاصَّة تتجلَّى في عمليّة فهمها. ويكون مدى دلالتها عادةً أضيق مقارنةً بمدى دلالة الكلمات. فهو غالباً ما يكون مقتصراً على ميدان معرفة معيَّن، أي بالتالي على استعمال معيَّن. فعندما نستخدم المصطلحات، إنَّما نستخدمها تبعاً لمرجعها ولتعيينها. إن المعاني الضمنية وسائر دلالاتها الثانويّة التي تنشأ عن الخطاب هي ذات أهميّة محدودة لكي لا نقول معدومة. ولذلك، غالباً ما يتمّ تجاهلها.

يلوحُ كذلك بين أنماط الوحدات المعجميّة الثلاثة هذه اختلاف يمكننا التعبير عنه بواسطة مصطلح استعمله كريبكه (Kripke 1995) للمرَّة الأولى في مضمار الفلسفة. وهو التعبير «مُعيِّن صارم»

(désignateur rigide) الذي يستخدمه كريبكه في معرض التحدُّث عن أسماء العلم لأنَّها تشير إلى فرد واحد في العوالم الممكنة قاطبةً. علماً بأنَّ المصطلحات التي تُشير إلى الأشياء الواقعية الموجودة في الطبيعة (على غرار «الذهَب» (or) مثلاً) تكون شبيهةً بأسماء العلم لأنَّنا نربطها جميعاً بالمرجع نفسه حتى وإنْ كان باستطاعتنا أن نُحدِّدها بطرق مختلفة، على غرار مصطلحات «ذهب» (or) أو «حصان» (cheval) أو «هواء» (air) التي يمكنها أن تكتسِب عدَّة تعريفات.

بعد فراغنا من إبداء هذه الملاحظات، نستطيع الآن أن ندعَ اسم العلم جانباً وأن نركِّز انتباهنا على الاختلاف القائم بين المصطلحات والكلمات.

3 ـ وظيفة المصطلحات في اللُّغة

من وجهة نظر سابير (Sapir 1970)، فإنّ اللُّغة هي مرجعيّة خاضعة لنظام، وهي ابتكار إرادي ومُنتَج اجتماعي. تُترجَم هذه المميِّزات في ثبت المصطلحات من خلال التفريق بين المصطلحات والكلمات. وبحسب الخطاب المُستعمَل تبعاً لمقام التواصل، تزداد أهميّة بعض هذه المميِّزات الجوهريّة في حين تقلُّ أهميّة بعضها الآخر. وهكذا، يفترض استعمال المصطلحات تسليط الضوء على بعض الاحتمالات المرجعيّة للُّغة وبعض خاصيّاتها المنهجيّة. أمّا استعمال الكلمات، فيفترِض بالعكس التشديد على طابعها الاجتماعيّ، لا سيّما حين يقصد المتكلِّم التعبير عن الانفعالات أو خلقها أو حتّى المحافظة على الرابط الاجتماعيّ[6].

---

(6) بغية الاطِّلاع على وصف أكثر تفصيلاً حول طبيعة اللغة ووظائفها، انظر: Juan C. Sager, David Dungworth and Peter F. McDonald, *English Special Languages: Principles and Practice in Science and Technology* (Wiesbaden: Brandstetter, 1980), pp. 14-25.

حين يستعمل المتكلِّم المصطلحات لتمييز التجارب وعناصر المعرفة وتنظيمها، يكون النظام الذي يفرضه على الواقع رهن الأهداف التي يضعها نصب عينَيه، ولكن أيضاً رهن البُنية الموجودة سلفاً الخاصّة باللُّغة الفرعيّة التي سبق أن أعدَّتها الجماعة اللُّغويّة بهدف ترتيب الواقع المعنيّ. وحين يتمّ التعبير عن هذا الواقع بواسطة شكل لغويّ، تفرضُ اللُّغة المستعملة قواعد نظامها الخاصّ.

حين يستعمل المتكلِّم مصطلحاً في مقام تواصل ما، فهو يعتبر بمثابة الأمر المكتسب أن مخاطبه يمتلك المعارف المطلوبة التي تخوِّله التعرُّف على الوحدة المعجميّة ومراجعها الخاصّة في ميدان أو نظام أو موضوع معيَّن وفهمها. يُكيِّف المتكلِّم خطابه من خلال استخدام كلمات ومصطلحات تتناسب ومستوى المعرفة الذي يفترض أن مخاطبه يتمتَّع به. فإذا كان يعتقد أن هذا الأخير يجهل مصطلحاً ما أو في حال كان يودُّ أن يُدخِل مصطلحات جديدة في خطابه، فلا بدّ أنَّ يلجأ أول الأمر إلى الكلمات لتفسير المصطلح الذي يحتاجُ إليه بأسلوب شخصيّ وشرحه قبل أن يُبادر إلى استخدامه، وهو يستعين بالتعريف أحياناً للقيام بذلك. وبكلام آخر، يستطيع المتكلِّم أن يستخدم لغة تحويليّة (métalangue) لتفسير المصطلحات غير المعروفة في ميدان معيَّن.

الاختلاف القائم بين المصطلح وتفسيره هو: بمستوى الاختلاف القائم بين التسمية والوصف. فعندما نصف معنى أو واقعاً، نُشير إلى وضع حدث في زمان ومكان محدَّدَين. وعندما نُعطي اسماً للمعنى المجرد أو لحدث ما، فنحن نُعمِّم ما يكون مُسمَّى أو نربطه بفئة معيَّنة. وعليه، يُعدُّ ما سُمِّي في مكان وزمان محدَّدَين بمثابة المَثَل على النمط الذي يُرجعنا إليه الاسم. وتسميتنا أو تعييننا لشيء ما، هو عمل انعكاس لغويّ (métalinguistique) يسمح بإقامة رابط

بين التجربة والحاجة إلى التواصل اللُّغويّ. إن توصيف الجمل وتأكيدها وصياغتها، هي كذلك من أفعال الكلام الفرديّ.

بما أنَّ المصطلحات لا تعدو كونها مجرَّد فئة وظيفيّة للوحدات المعجميّة، ولها غالباً شكل الكلمات نفسه، فقد يحسب الشَّخص غير المتخصص بمثابة المُصطلح ما يعتبره المتخصص بمثابة الكلمة التي تنتمي إلى اللُّغة العامّة. وقد يحدث كذلك أن يستخدمَ المتخصص مُصطلحاً يحسبه الجمهور غير المتخصِّص كلمةً من اللُّغة العامّة. وتُفسِّر هذه الأسباب حالات سوء التفاهم واللُّبس التي تحصل في الخطاب حين لا تكون لدى المتكلمين المعرفة نفسها في المجال المطروح ولا في مفرداته الخاصة. وكثيرةٌ هي الوحدات المعجميّة التي يُمكنها أن تعمل ككلمات وكمصطلحات في آن تبعاً لاختيار كلّ من المتكلِّم ومخاطبه وتأويلهما لها. خطر الإبهام هذا يطرح مشكلة عويصةً على المترجِم.

اللُّغة الطبيعيّة هي نظام التواصل الوحيد الذي يستطيع أن يقوم لذاته بوظيفة لغة تقعيديّة (métalangue)، وذلك لأنَّها تستطيع أن تستبدلَ المصطلحات بتفسيرات مؤلَّفة من كلمات أو من مزيج من كلمات ومصطلحات. وبفضل توفُّر نمطَي الوحدات المعجميّة هذَين، يُمكن للحوار أن ينعقد بين المتخصصين والجمهور العريض وبين المعلمين والمتعلمين، كما يُمكن أن يتمّ تجاوُز التفاوت في مستوى المعرفة بين المتكلِّمين.

تقدِّم لغات التخصص التي تستعملُ المصطلحات والكلمات معاً، إمكانيّات للتعبير المتخصِّص على عدَّة مستويات حتى أنَّها تسمح باستعمال كلمات اللُّغة العامّة للتعليم. ولكن قد لا تتساوى جماعات لغويّة مختلفة في معرفة ميدان معيَّن. وفي هذه الحالة، من الممكن أن يتعذَّر على المترجمين إيجاد المصطلحات المُطابقة للمستوى المُلائم في اللُّغة الهدف.

تضطلع المصطلحات بدور أكثر أهميّةً لجهة الوظيفة التواصليّة والتصنيفيّة للغُّة من دورها في وظيفتها الاجتماعيّة والانفعاليّة. وفي المقابل، يكون التواصل المتخصِّص أكثر فعاليّةً حين يتمكَّن المتكلِّمون من استخدام المصطلحات باعتبارها تسميات تمَّ تحديدها مسبقاً.

إذا ما ركَّزنا اهتمامنا على البُعد التصنيفيّ للُّغة، يتَّضح لنا أن عمليّة تعيين التصوُّر بواسطة مصطلح ما تسمح بتثبيت المحتوى المعرفيّ الذي ينطوي عليه هذا التصوُّر والتعبير عنه بواسطة رمز مكتوب. وعليه، يُستخدَم المُصطلح، المعزول عن سياقه، كمنطلق مرجعيّ لمختلف استعمالاته الممكنة في الخطاب الخطيّ أو الشَّفهيّ. وفي حالات عدم كفاية مصادر اللُّغة الطبيعيّة أو عدم ملاءمتها، نستطيع اللُّجوء إلى استعمال رموز غير لغوية أو حتى لغة اصطناعيّة بالكامل بغية تعيين تصوُّرات محدَّدة بدقَّة من حيث دلالتها واستعمالها في آن.

تُعدُّ المصطلحات، من منظور وظيفتها التواصليّة، بمثابة وسائل تعبير اقتصاديّة لغويّة لأنَّها تسمح بتعيين عناصر معارف بواسطة وحدات معجميّة بسيطة عوضاً عن اللُّجوء إلى أساليب الشرح المسهب. بالإضافة إلى ذلك، تتَّصف المصطلحات بكونها أكثر دقَّةً من الكلمات، باعتبار أن دلالتها تكون أقلّ عرضة للتأويل. ويتمّ أحياناً استحداث مجموعة من المصطلحات لتمييز خصوصية فريق من المستخدمين المحترفين. وتتعلَّق المسألة حينئذ بلغات حِرفيّة خاصَّة تُشكِّل موضوع دراسة لعلم المصطلحات الاجتماعيّ.

إن الوحدات المعجميّة وحدها أو سائر الرموز التي تُشير إلى وقائع أو عناصر معرفة مُثبتة مُسبقاً تُعدُّ بمثابة المصطلحات في جميع فروع المعرفة العلميّة أو التقنيّة. أحد الأمثلة على المصطلحات التي

تُشير إلى وحدات محدَّدة بوضوح هو الذي تمدُّنا به مجموعة مصطلحات الكيمياء حيث تكون دلالة المصطلحات مُثبتةً بواسطة تعريفات وتبعاً لجداول تقويميّة. والمثل الآخر هو مثل المصطلحات التي تُشير إلى القِطَع التي تتألَّف منها آلة معيَّنة والتي توصف أو تُرسم في لائحة (كاتالوج: Catalogue). ويُشكِّل هذا النمط من المصطلحات جزءاً من معجم مفردات لغة خاضعة للمراقبة. ويقوم معجم المفردات هذا بتثبيت المعرفة وإتاحة المجال لابتداع مصطلحات جديدة تواكب أوّلاً بأوَّل تَقَدُّم المعرفة وتوطِّدها.

4 ـ تطوُّر علم المصطلحات

إذا ما ألقينا نظرةً على تاريخ اللُّغة، نجد أن علم المصطلحات يُمثِّل مُكمِّلاً للُّغة الطبيعيّة قصد الإنسان إنشاءَهُ. ولقد أُوجد ليكون مُصلحاً معدّاً للتعويض عن الطابع الفضفاض والمُلتبِس الذي تتَّصف به كلمات اللُّغة العامّة. فما إن شرع الإنسان في المجتمعات البدائيّة يتأمَّل في تجربته ويدوِّن معارفه خطيّاً، حتى أَثار أصل الكلمات اهتمامه. وإن التناقض في وجهات نظر الفلاسفة اليونانيِّين الذين عكفوا على دراسة هذه المسألة ـ بحيثُ كان بعضهم يؤكِّد أن اللُّغة هي من صنع اللَّه وأنَّه من غير المجدي السعي إلى شرحها، في حين كان بعضهم الآخر يعتبرها وسيلة تواصل عقلانيّة وضعها الإنسان من عناصر متعددة ـ هذا التناقض يعكِسُ أصلاً الحاجة إلى التخفيف من مساوئ عدم دقَّة وظائف اللُّغة الطبيعيّة وتعدُّديَّتها. ويُمكننا أن ننظر إلى ابتكار فئات الوحدات المعجميّة الثلاث، أي أسماء العلم والكلمات والمصطلحات، للدلالة على تصورات تُعَد ككيانات مجردة (entité)، باعتبارها المحاولة الأولى لضبط القوَّة الكامنة اللاّمحدودة للغة. وبعد مضيّ بضعة قرون، أفضت هذه الجهود إلى إنشاء عدد كبير من اللُّغات الاصطناعيّة التي كان من المُفترَض أن

تسهِّل التواصل (كالإسبرنتو بنوع خاصّ) أو أن تُثبِّت المعارف (على غرار اللُّغة اللاتينيّة المستعملة في علم النبات والعبارات الرياضيّة... إلخ). أو أن تحمي المعلومات السريّة الخاصّة ببلد معيَّن. يفسِّر هذا التطوُّر على حدّ سواء الصياغة الخاصّة للنصوص القانونيّة التي تسعى جاهدةً إلى تلافي الإبهام الملازم لتركيب الجُمل في اللُّغة الشائعة ولكيفية الإرجاع فيها، وذلك من خلال الحدّ من استعمال علامات الوقف والضمائر، ممّا يمكن أن يؤدي إلى خلق حالات إبهام، وإعطاء تحديدات نوعيّة دقيقة للمصطلحات في مستهلّ بعض المستندات.

إن اللُّغات المضبوطة بالكامل، كلغات القوانين مثلاً، تتصف عموماً بطابع سكونيّ، كما إنّها تفتقر إلى المرونة الضروريّة للتكيُّف مع تطوُّر التصوُّرات وإخضاع المعرفة للتفكير. وفي المقابل، يتَّصف علم المصطلحات بطابعه التطوُّريّ والديناميكيّ لأنَّه جزء من اللُّغة الطبيعيّة. وهذه الديناميكيّة ضروريّةً لسببَين هما، **أوَّلاً**: إنَّ المعارف البشريّة التي يعكسها علم المصطلحات هي في تطوُّر مستمرّ. **وثانياً**: إنَّ عدد العناصر المعجميّة المتوفِّرة يكون محدوداً، الأمر الذي يُرغمنا على إعادة استعمالها من خلال تأليفها بشتَّى أنواع الطرق.

5 ـ عمليّات التسمية والمَعجمة وتحويل الكلمة إلى مصطلح

يكتسبُ التصوُّر «مصطلح» أهميّةً أيضاً لجهة تفسير أصل مختلف أنماط المراجع التي تطالعنا في اللُّغة.

نرصدُ في تاريخ اللُّغة الذي يُظهر توازياً ـ بلا ريب ـ مع عمليّة اكتساب اللغة لدى الطفل، حركةً تنطلق من التعيينات الفرديّة وصولاً إلى التعيينات العامّة مروراً بالتعيينات النوعيّة. وفي المرحلة الماقبل ـ علمية من مراحل تطوُّر اللُّغة الطبيعيّة، أي حين يتمّ اكتشاف الوحدة

المعنوية، يُصار إلى إدراكها أول الأمر باعتبارها ظاهرة فرديّة، فيتمّ تعيينها حينئذ بواسطة رمز اعتباطيّ، أي بواسطة اسم علم على سبيل المثال، إلى أن يتمّ اعتبارها كجزء من نمط أو من فئة لأنَّها تُقدِّم الخصائص نفسها التي تقدِّمها وحدات أخرى تمّت مراقبتها أيضاً، فتكون عندئذٍ قادرة على أن تُشكِّل وإيّاها فئة. هكذا تتمّ مَفْهَمَة الوحدة المكتشفة، وهكذا تأخذ الفكرة المجرّدة مقام الوحدة المعزولة.

حينئذ، يُصبح اسم الوحدة المُمَفهَم مُمَعجماً، أي إنَّنا نربطه بمرجع وبدلالة، ومن ثمّ يتمّ إدخاله إلى معجم مفردات اللُّغة، أي إلى مجمل الوحدات المعجميّة الخاصَّة بجماعة معيَّنة. وفي أثناء هذا المسار، من الممكن أن تتبدل تسمية الوحدة قياساً مع تصوُّرات أخرى سبقَ أن تمَّ تعيينها أو بناءً على تشابيه أُقيمت خلال عمليّة التجريد. فإذا تمّ انتقاء التعيين عن طريق القياس مع وحدات معجميّة موجودة سابقاً، يُصبح من الممكن تعليله بموجب علم الاشتقاق، مع التشديد على وجوب توخِّي الحذر مع ذلك لأن التعيين قد يكون اعتباطيّاً تماماً. فنحن لا نعلم مثلاً إنْ كانت كلمة «فرشاة» (brosse) اعتباطيّةً تماماً أم أنَّها اختيرت لتُذكِّرنا بطريقة استعمال الغرَض. ويُمكننا كذلك أن نتساءل ما إذا كان الفعل «نظِّف بالفرشاة» (brosser) اعتباطيّاً وسابقاً للاسم، فيكون الاسم بالتالي مشتقّاً من النشاط الذي يُعيِّنه الفعل.

ومن جهة أخرى، تكون بعض الوحدات المعنوية الخاصّة بإدراكنا وبتجربتنا فريدةً من نوعها. وقد حدا واقع التعرُّف إلى هذه الظاهرة ببعض الجماعات اللُّغويّة إلى تخيُّل أنظمة من أسماء العَلَم للإشارة إلى أفراد ووقائع جغرافيّة، إلى ما هنالك. وتكون هذه الأنظمة خاضعةً لقواعد خاصّة بها.

نعمَدُ في مرحلة لاحقة، أي في مقامات التواصل إجمالاً أو حين نبحثُ عن طريقة لتبويب الإدراكات والتجارب التي تتَّصف بطابع نوعيّ أكثر، إلى تشكيل تعيينات أكثر دقَّةً وتحديداً من خلال الاستعانة بأسلوبَي التركيب والاشتقاق. وهكذا، يُمكننا أن نُعدَّ لائحتين انطلاقاً من كلمة «فرشاة»، بحيثُ ترتكز الأولى على طريقة استعمال الغرض (وتضمُّ «فرشاة الشعر» (brosse à cheveux) و«فرشاة الأسنان» (brosse à dents) و«فرشاة تنظيف الثياب» (brosse à habits) و«فرشاة الأحذية» (brosse à chaussures)، في حين ترتكز الثانية على طريقة عمل الفرشاة (وفيها «فرشاة الكَشْط» (brosse abrasive) و«فرشاة دهن اللِّصاق» (brosse adhésive). ويكون النموذج المنتقى رهن النماذج السابقة المُنجزَة في المَيْدان أو رهن هدف التبويب.

انطلاقاً من هنا، ثمّة تطوُّران مُحتملا الوقوع، وهما:

أ) تدلُّ الوحدة المُمعجَمة (أي الوحدة المعجميّة المُستنبطة حديثاً) بشكل عامّ على مجموعة وحدات متشابهة في عدد كبير من مقامات التواصل. فتُصبح عندئذ اسماً عامّاً.

ب) لا تُطبَّق الوحدة المُمعجَمة إلاّ على مرجع وعلى استعمال معيَّنَين، أي إنها تغدو مصطلحاً، وهي تُحيلنا إلى مرجع خاصّ يكون محدَّداً بدقَّة في لحظة معيَّنة. ويُمكنها بدورها أيضاً أن تولِّد بدائل تكون ضروريّةً لاستعمالها في الخطاب (على غرار الصِيَغ المُختصرة والأشكال المختزلة ووحدة التبويب وقائمة المصطلحات المحلِّية... إلخ).

هذا باختصار عن التطوُّر التاريخيّ الذي شهدته أنماط التعيينات الثلاثة. ومنذ ظهورها، ولَّدَ كل نمط منها قواعده الخاصَّة لتشكيل المصطلحات واستعمالها. وهكذا، نشير إلى السيّارات وغيرها من

المنتجات الصناعيّة بواسطة أسماء العلم، مع أننا نقع منها على عدّة آلاف من النسخ المماثلة. ولمقتضيات البحث والتواصل المتخصِّص، نستنبط مصطلحات جديدةً للإشارة إلى العناصر التي تبرزُ حديثاً في بُنية معرفة معيَّنة. بيد أنَّ ما يُعتبر اليوم بمثابة الابتكار التكنولوجيّ سيؤول بلا ريب ليصبح مُنتجاً جماهيريّاً. وهكذا، تستطيع المصطلحات المتخصِّصة أن تستحيلَ كلمات من اللُّغة العامّة.

ثمّة حركة مدّ وجزر دائمة بين عمليّتي مَعجَمة المصطلح وإضفاء الصبغة المُصطلحيّة على الكلمة. فمن الممكن لوحدة معجميّة سبق أن تمّ تحويلها إلى مصطلح أن تستعيد وضعها كوحدة مُمَعجَمة إذا تمّ استعمالها بمثابة مصطلح عام، فتفقدُ بذلك خصوصيّتها في الميدان (على غرار كلمات «حاسوب» (ordinateur) و«شريحة إلكترونية» (puce) و«مِكبَح» (frein). كما يُمكن أن تتحوَّل الوحدة المعجميّة إلى مصطلح إذا حُصِرَ استعمالها في ظروف خاصّة ولم تعُد تصلح للتعبير عمّا هو عامّ (على غرار كلمة «عربة» (char) التي غدت اليوم مُصطلحاً عسكريّاً بحيثُ لم تعُد تُستخدَم إلاّ بمعنى المركبة المسلَّحة والمُصفَّحة).

غير أنَّه من الممكن تثبيت الرابط القائم بين التصوُّر والمصطلح في ما يختصُّ بميدان معيَّن. وجلّ ما نحتاج إليه إجمالاً للقيام بذلك هو إنشاء فعل تحديد صالح لسياق أو مستند معيَّن، علماً بأنَّ هذا الفعل قد يصل في بعض الحالات القصوى إلى حدّ ضبط المصطلح والتصوُّر المُطابق له بواسطة تحديد شكليّ. ومن وجهة النظر الشكليّة، تكون عمليّتا تحديد التصوُّر وتسميته على حدَّي نقيض حيث إن التحديد ينطلقُ من المصطلح لإنشاء دلالته من خلال ربطه بمصطلحات أخرى معروفة. وبالعكس، تبدأ عمليّة التسمية من التصور الذهنيّ لوحدة الدلالة التي نودّ تعريفها كما هي بواسطة اسم ما.

6 ـ المصطلح

يحسن بنا، استكمالاً للبحث، أن نتساءَل عن الطريقة التي ينبغي أن نعرض بموجبها المصطلح من وجهة النظر الوظيفيّة المعتمدة لمقتضيات هذه الدراسة. وفي الواقع، يُمكن تحديد «المُصطلح»، تبعاً لوجهة النظر المعتمدة، باعتباره ينتمي إلى عدّة أنظمة تصوُّريّة مختلفة، على الشكل الآتي:

ـ إذا ما أُخذ المصطلح على أنه تعبير عن وحدة معرفيّة، فهو يُمثِّل تصوُّراً في بُنية معرفيّة معيَّنة.

ـ من وجهة نظر الفلاسفة، يعدُّ المصطلح مجرَّد كلمة أو تركيب تعبيريّ يدل على كائن فرديّ أو على فئة أو هو عنصر من عناصر قضية(*) (proposition).

ـ إذا ما أُخذ المصطلح باعتباره وحدةً معجميّة مُمَعيَرة عيَّنتها مجموعة محدَّدة من المتكلِّمين من أجل التواصل داخل المجموعة، فهو يُشير إلى وحدة أو نشاط أو خاصة معيّنة. أو علاقة قامَ هذا الفريق بضبطها. ومن هذا المنظور، يكون المصطلح جزءاً من اللُّغة المضبوطة التي أوجدتها المجموعة وتكون هي في أصل ضبطها.

ـ يُمكن النظر إلى المصطلح على أنه عنصر من عناصر اللُّغة المضبوطة ويخضع بالكامل لسيطرة الإنسان لأنَّه لا يُعيِّن سوى تصوُّر محدَّد بطريقة خاصَّة.

ـ من وجهة النظر الشكليّة، يكون المصطلح إمّا رمزاً لغويّاً (ويظهر إذاً بمظهر الاسم)، أو رمزاً من خارج اللغة ينتمي إلى لغة

(*) مصطلح فلسفي ـ منطقي يعني أنّ كل قول يتضمّن حكماً يحتمل التصديق والتكذيب، الصواب والخطأ.

مضبوطة أو إلى جدول رموز code. وإذا كان المصطلح من خارج اللغة، يُمكن أن يتَّخذ شكل الأرقام أو الحروف أو الرموز أو أيضاً توليفةً من هذه العناصر. ويُنظَر إلى هذه الرموز في الخطاب الخطِّي باعتبارها أسماءً، ولكنَّها تتَّخذ في الخطاب الشَّفهيّ بُعداً صوتياً.

ـ في حال أُخذ المصطلح كرمز لغويّ ووحدة تركيبيّة تعبيريّة، فهو تنوع وظيفيّ للاسم العام.

تختلف المصطلحات عن الكلمات من حيث الدلالة وطريقة التعيين والوظيفة.

❖ من وجهة نظر دلالتها، تُعدّ المصطلحات جزءاً من معجم المفردات الخاصّ بميدان معيَّن، بل إنَّها جزء من قائمة مصطلحاته، وتحتلُّ بهذه الصفة مكاناً خاصّاً في هذا الميدان هدفه تحاشي تقاطع المعاني التي قد تُقلِّل من قيمة المصطلح في إطار التواصل. وعليه، يحدُّ النظام المَعرفيّ الذي تنتمي إليه المصطلحات من دلالتها.

وفي المقابل، لا تكون دلالة الكلمات محدودة إلاّ بدلالة سائر الكلمات التي تتَّحد معها في الخطاب. ولا يوجد بالتالي إطار مرجعيّ خارجيّ لمساعدة المتكلّمين على التمييز بين مختلف دلالات الكلمات. وبالإضافة إلى ذلك، تستطيع الكلمات أن تنقل دقائق في المعاني، كما إن دلالتها في مقام معيَّن تتعلق إلى حد كبير بالسياق.

❖ في ما يتعلَّق بالتعيين، يتمّ استنباط المصطلحات عَمداً وتخصيصاً. ويقتصر هذا الاستنباط أحياناً على عمليّة تخصيص دلالة محدودة أكثر لإحدى كلمات اللُّغة العامّة، وذلك عن طريق عمليّة إضفاء الصبغة المصطلحيّة على الكلمة.

يتمّ استنباط الكلمات استنباطاً اعتباطيّاً. كما إنَّها تتَّصف بطابع مَرن ويكون فهمها قابلاً للتطوُّر. وهكذا مثلاً، كان فهم كلمة

«مصباح» (lampe) يشتمل في ما مضى على مصدر الطاقة المُستخدَمة، على غرار «مصباح الزيت» (lampe à huile) ولكنَّها اتَّسعت اليوم لتشملَ كلّ الأغراض التي تزوِّد بالإنارة، ولو لم يكن مصدر إنارتها داخليّاً.

❖ أمّا بالنسبة إلى وظيفتها، فيتعيَّن على المصطلحات أن تُحيلنا بوضوح إلى المرجع الذي تُشير إليه وأن تسمح بنقل المعارف نقلاً فعّالاً.

الكلمات مُعدَّة للتعبير عمّا يتَّصِف بعدم الدقَّة على المستوى التقنيّ وعمّا لا يحتاج بالضرورة في فهمه أو التعبير عنه إلى درجة عالية من الدقَّة. كما إنّها تصلُح على حدّ سواء لاستكشاف أبعاد جديدة للمعرفة لا يكون فيها المرجع محدَّداً بدقَّة بعد.

تتألَّف طبيعة المصطلح من هذه المظاهر الثلاثة المترابطة ترابطاً وثيقاً. إلاّ أن حركةً دائمةً تنشأ بين المصطلحات والكلمات، ولا يكون من السَّهل دائماً تحديد وضعها. وكما أشرنا آنفاً، غالباً ما تُستَعمَل الكلمات كمصطلحات نوعيّة، كما تستطيع المصطلحات أن تفقد مرجعها الخاصّ أحياناً.

7 ـ استحداث المصطلحات

يُمكننا أن نُميِّز المراحل الآتية في عمليّة تأليف ميدان تخصصيّ. يتولّى المتخصصون في الميدان أو المهنة أو العلم أو النظام أو النشاط الترفيهيّ أو النظريّة أو النشاط الإنتاجيّ، إلى ما هنالك، نسبة المصطلحات إلى التصوُّرات حين ظهور ابتكار، وعند شعورهم بالحاجة إلى استحداث التصوُّر المقابل له وتسميته. ويحدثُ ذلك عموماً حين تكون الفكرة، أو التمثيل الذهنيّ للابتكار، واضحةً بما فيه الكفاية في ذهن الشخص حتّى يتمكّن من تحديدها. ويُصار في

البداية إلى تعيين المصطلحات بشكل مؤقَّت فقط، ويقتصِر وجودها على اللُّغة الفرديّة الخاصّة بالشخص الذي ابتكرها. فهي تُشكِّل جزءاً من لغته الشّخصيّة. وإذا أرادَ المُبتكِر أن ينقلَ اكتشافه أو أفكاره إلى أشخاص آخرين، يتعيَّن عليه أن يجدَ تسميةً من الممكن أن يُسلِّم بها متخصصو الميدان وحتّى الجمهور العريض. ويُمكننا تشبيه عمليّة تسمية التصوُّر بالمعموديّة. ففي الواقع، نقوم بتحديد التصوُّر قبل أن نقرنه بمصطلح من شأنه أن يُعيِّنَه في المستقبل، تماماً كما نُجري رتبة العِماد للولد قبل أن نعطيه اسماً.

هذه هي الطريقة التي يعتمدها المتكلِّمون لابتكار المصطلحات النوعيّة في ميدان تخصصهم. وتُفضي هذه العمليّة ختاماً إلى إنشاء مجموعات من المصطلحات المنظَّمة التي تختلف عن كلمات اللُّغة العامّة من حيث بُنيتها المنظَّمة[7] هذه تحديداً.

تنشأ الدوافع التي تنظِّم اختيار المصطلحات عن الرغبة في

---

(7) ثمّة فئات عديدة من المصطلحات، ألا وهي:

أ) المصطلحات العامّة الخاصَّة بميدان معيَّن، وهي التي يتمّ استعمالها في حالات الوصف العامّة وإرشادات الاستعمال والكتيِّبات ووصف براءات الاختراع، بالإضافة إلى جميع المصطلحات التي لا تكون حكراً على فرع نشاط معيَّن. وعموماً، تكون مدَّة حياة هذه المصطلحات طويلةً نسبيّاً، إلاّ إذا أُخضعت لمراجعة منهجيّة. وقد تشهَد أكثر المصطلحات شموليّةً تطوُّراً في معناها عن طريق توسيع المعنى أو تقليصه. وهكذا، يشتمل المصطلح «مصباح» (lampe) على مصابيح الزيت التي كانت تُستخدَم في اليونان القديمة (Grèce antique) ومصابيح الغاز والمصابيح الكهربائيّة... إلخ.

ب) المصطلحات الخاصّة بمهنة أو بفرع نشاط أو حتّى بمؤسَّسة، والتي تتَّسم بطابع أكثر تخصّصاً. إن عدداً كبيراً من هذه المصطلحات يكون جناسات للمصطلحات العامّة التي يتمّ تحديدها بشكل مختلف تبعاً لميدان استعمالها.

ج) المصطلحات الخاصّة بمُنتج حيث إنَّ المسألة تتعلَّق غالباً بتعيين وحدات ماديّة تكون مدّة حياتها محدودةً. وفي الواقع، تكون هذه المصطلحات وثيقة الارتباط بغرض مُصنَّع يُمكن استبداله بغرض مُماثل إنَّما مُعيَّن بشكل مختلف من أجل تفريقه عنه.

تحديد أغراض المعرفة بواسطة الكلمات وبأكبر قدر ممكن من الدقَّة والاقتصاد اللُّغويّ. وهكذا، تُعدُّ المصطلحات بمثابة الوحدات المعجميّة التي تظهر بمظهر الاسم والتي تكون مرتبطةً بدلالة وبمرجع أكثر دقَّةً من دلالة الكلمات ومرجعها، وذلك لأنَّها تضطلع بمهمَّة تسمية تصوُّرات تكون مُعيَّنةً بوضوح داخل ميدان محدَّد. وما يُميِّز المصطلحات عن الكلمات هو أنَّه يتمّ انتقاؤها وتشكيلها عمداً لكي تدلَّ على تصوُّرات قصد المتكلِّمون أن يميّزوها لأنَّهم يريدون أن يكون المرجع أكثر اقتضاباً من ذلك الذي نحصل عليه من الكلمات.

يأخذ تشكيل المصطلحات في الاعتبار عدّة عناصر، وهي:

أ) الطابع المنهجيّ الذي تتَّصف به بعض مظاهر تشكيل الكلمات والذي ينشأ عن الطبيعة التصنيفيّة التي تتحلَّى بها اللُّغة.

ب) النماذج التي تنطبق على عمليّة تشكيل المصطلحات في ميدان معيَّن.

ج) البُنية التصوُّريّة التي ينوي متكلِّمو لغات التخصص فرضها على الميدان الذي يبتكرون له التعيينات.

من الممكن أن تكون الوحدات المعجميّة مُقترضةً من النظام اللُّغويّ أو مُشكَّلة من مزيج من أحرف وأرقام. مع أنَّ غالبيّة المصطلحات يُعبَّر عنها بشكل لغويّ وتحترم تقاليد اللُّغة التي ابتكرتْ فيها وتكتسب السمات الصّرفيّة (الاشتقاق والتركيب) الخاصَّة بهذه اللُّغة.

يُمكننا أن نطرحَ كفرضيّة أن غالبيّة الميادين تتطوَّر باستمرار وأنَّها انطلاقاً من هنا تكون متطلبة لتسميات جديدة يخضع ابتكارها للضوابط نفسها التي تخضَعُ لها المصطلحات الموجودة أصلاً. هذه الحاجة إلى التسميات الجديدة التي تجعل المصطلحات الأكثر منها

قِدَماً مُماتة، تمنح علم المصطلحات النظريّ قوَّةً ديناميكيّةً تتناقض مع معجم مفردات اللُّغة العامّة الذي يكون أكثر ثباتاً بطبيعته.

بغية تلخيص هذه الملاحظات حول طبيعة المصطلحات، يُمكننا أن نقول إن المصطلحات تُمثِّل وحدات تصوُّريةً تنتمي إلى ميادينَ خاصَّة، وهي لا تُشكِّل جزءاً ممّا يُعتبر بمثابة ثبت مصطلحات اللُّغة العامّ. ويُصار إلى تحديدها قَبل إجراء أيّ فعل كلام. كما ينبغي أن يعترف بها كمصطلحات، القائمون بفعل التواصل. وبالتالي، لا يكفي لكي نفهمها أن نلجأ إلى «الفهم السلبيّ» الذي يسمح لنا باستنتاج دلالة الوحدات المعجميّة من خلال السياق ولكنَّه لا يسمح لنا باستعمال هذه الوحدات استعمالاً فعَّالاً.

الشكر

نشكر برونو دو بيسيه (Bruno de Bessé) على ترجمة هذه المقالة إلى اللغة الفرنسيّة.

مُلحَق
دراسة القوائم المصطلحيّة

نظراً إلى الطابع المتعمَّد الذي تتَّصف به مختلف القوائم المصطلحيّة، فإنَّ تنظيمها يُشكِّل موضوع دراسة. وتتمَوضع هذه الدراسة على مستويَين، كالآتي:

1 ـ ينبغي أولاً أن نفرِّق الإمكانيّات التوليفيّة بين الوحدات المعجميّة التي هي وقف على الابتكار المصطلحيّ عن تلك التي تُميِّز اللُّغة العامّة، وذلك بغية تعيين حدود هذه التواليف في حالة علم المصطلحات.

2 ـ يجدر بنا كذلك أن نُحدِّد ماهيّة طبقات التصوُّرات والعلاقات التصوُّريّة التي يعتبرها المتخصصون ملائمةً للميدان الذي يُثير اهتمامهم، وأن ندرسَ بعد ذلك تمثيلها اللُّغويّ.

قد يُفضي التوفيق بين هاتَين المقاربتَين إلى إنتاج دليل حول إعداد المصطلحات هدفه مساعدة المتخصصين الراغبين في استحداث مصطلحات جديدة. إن متخصصيّ الميدان يعرفون مجموعة المصطلحات المناسبة التي تتَّصف بالنسبة إليهم بالطبيعة التي تتصف

بها سائر مفردات ثبت المصطلحات، ولكنَّهم غالباً ما يُغفلون الطابع المنهجيّ الذي تتَّصِف به مجموعة المصطلحات الخاصَّة بهم. مع أنَّهم حين يستحدثون المصطلحات، إنَّما يفعلون ذلك بشكل منهجيّ في أغلب الأحيان لأنَّ بُنى قوائم المصطلحات تكون بديهيّةً بالنسبة إليهم.

إن دليلاً من هذا القبيل يكون مُفيداً في حالة التردُّد حول تسمية معيَّنة. على الأقل يمكن أن يُساعِد الأشخاص غير المتخصصين على فهم مصطلحات ميدان جديد بالنسبة إليهم. فمن خلال اكتساب المعارف الخاصّة بتشكيل المصطلحات في هذا الميدان، يتآلَف المتعلّمون تدريجيّاً مع مجموعة مصطلحاته.

يعمَد المتخصصون في ميدان معيَّن من الذين يرومون التمرُّس باللُّغة التي تستعملها جماعة أخرى للتحدُّث عن هذا الميدان نفسه إلى استثمار معرفتهم بمجموعة المصطلحات الخاصَّة بهذا الميدان. وبالإضافة إلى ذلك، إن ما يُسهِّل تعلُّمهم إنَّما هي قدرتهم على التعرُّف على البُنى اللُّغويّة والتصوُّريّة في لغتهم والتي يُمكنهم مقابلتها عندئذ بتلك التي تستخدمها الجماعة الأخرى.

يُمكننا التسليم بأنَّ غالبيّة ميادين نشاط العالم الصناعيّ الحاليّ تمتلك بُنى تصوُّريةً متشابهةً إلى حدّ بعيد. ولكن الأنظمة اللُّغويّة المُختلفة تقوم بدور في الطريقة التي تعكِسُ، أو قد تعكِسُ، بموجبها قائِمةُ المصطلحات البُنيةَ التصوُّريّة. وبغية دراسة هذه الاختلافات من دون أن تطرح البُنى التصوُّريّة أيّ إشكاليّة، يحسُن بنا أن نختار ميادين قد بلغت المستوى التطوُّريّ نفسه لدى الجماعتَين اللُّغويّتَين المعنيَّتَين.

تُثير هذه الدراسات اهتمام المترجمين والمحرِّرين التقنيِّين وسائر محترفي اللُّغة من ناحيتين، فمن خلال تعلُّم مجموعةِ مصطلحاتِ ميدان معيَّن في لغة أجنبيّة بفضل نظام يكون محدَّدَ البُنية ومُعلَّلاً، يُمكننا اكتساب فَهم الميدان في اللُّغتَين معاً، ناهيك بالوسائل التي تسمح لنا بأن نقوِّمَ بعين ناقدة المصطلحات التي تكون مُقترحةً في المؤلَّفات التي تُعدُّ بمثابة المراجع.

المراجع

Books

Honderich, Ted. *The Oxford Companion to Philosophy*. Oxford: Oxford University Press, 1995.

Kripke, Saul. *La Logique des noms propres*. Traduction de P. Jacob et F. Recanati. Paris: Les Editions de Minuit, 1995.

Leech, Geoffrey N. *Semantics: The Study of Meaning*. Harmondsworth: Penguin, 1981.

Lyons, John. *Sémantique linguistique*. Traduction de J. Durand et D. Boulonnais. Paris: Larousse, 1990. (Langue et langage)

Malmkjaer, Kirsten (ed.). *The Linguistics Encyclopedia*. London: Routledge, 1991.

Rey, Alain. *Etudes de lexicologie, lexicographie et stylistique offertes en homage à Georges Matoré*. Paris: Société pour l'information grammaticale, 1987.

Sager, Juan C., David Dungworth and Peter F. McDonald. *English Special Languages: Principles and Practice in Science and Technology*. Wiesbaden: Brandstetter, 1980.

Sapir, Edward. *Le Langage: Introduction à l'étude de la parole*. Traduction de S. M. Guillemin. Paris: Payot, 1970.

Trask, Robert Lawrence. *A Dictionary of Grammatical Terms*. Londres: Routledge, 1993.



بروز علم مصطلحات نصّي وعودة المعنى

مونيك سلودزيان[1]

1 ـ مقدِّمة

إنّ الإسهام الذي قدَّمته المعلوماتيّة لعلم المصطلحات منذ مطلع السبعينيّات يكاد ينحصر في أنظمة قواعد البيانات العلائِقيّة الهادفة إلى تخزين المصطلحات ومعالجتها ونشرها. تمَّ هذا التعاون في حالة من الصفاء التام، ولم تعترضه أيُّ إشكاليّة. وغالباً ما تتمّ الإشارة إلى البنوك المصطلحيّة الكبرى، على غرار بنك المجموعة الأوروبيّة (أوروديكوتوم) (EURODICAUTOM)، وقاعدة بيانات شركة سيمنز أ. ج. (تيم) (Siemens AG TEAM). وبنك نورماتيرم المصطلحيّ (NORMATERM) التابع للجمعيّة الفرنسيّة للمَقْيَسَة (أفنور AFNOR) والمعجم الإلكتروني تيرمِيوم (TERMIUM) التابع للحكومات الكنديّة، فضلاً عن بنك المصطلحات في كيبيك (Banque de terminologie du Québec)، من أجل إبراز المغامرة في

(1) مركز الأبحاث في الهندسة التطبيقيّة المتعدِّدة اللُّغات (CRIM)، في المعهد الوطني للُّغات والحضارات الشرقيّة إينالكو (INALCO)، باريس.

رحلة علم المصطلحات المعلوماتيّ. ومن وحي قصّة النجاح (success story) هذه، يتمنَّى أفضل الاختصاصيّين في علم المصطلحات أن يُصار إلى استعمال التقنيّات المعلوماتيّة على النطاق الأوسع لمعالجة المصطلحات وتخزينها (Sager 1990). وبفعلهم هذا، هم يتَّبِعون تعاليم فوستر الذي كان ينظر إلى المعلوماتيّة بوصفها أحد الميادين المؤلِّفة لعلم المصطلحات.

بيد أنَّه إثر رؤية النتائِج المُخيبة للآمال التي تمّ التوصُّل إليها في المعجميّة المتخصِّصة والهندسة التطبيقيّة الوثائِقيّة والذكاء الاصطناعيّ (ذ. إ) على حدّ سواء، أخذ المتخصصون في هذه الميادين يعتمدون أكثر فأكثر على تقنياتِ ألسنيّة المدوَّنة بغية استخراج المصطلحات والسياقات بشكل شبه آليّ. وقد خلقَ هذا التحوُّل المنهجيّ صدمة زعزَعَت أُسس العقيدة الفوستريّة. فبين المبادئ السيميائيّة التي تُطبَّق في بنوك البيانات المصطلحيّة وتلك التي تضمّ ألسنيّة المدوَّنة، اتَّضَحَ جليّاً وجود شرخ معرفيّ يجعل هذه العقيدة في وضع حرج.

سنسعى أولاً إلى تحديد الأسباب التي من أجلها أنتج التقاء علم المصطلحات بأنظمةِ قواعد البيانات العلائِقيّة، في ما يتعدى الظروف التاريخيّة، ارتباطاً نموذجيّاً إلى هذا الحد. ننوي أن نستخرِجَ من هذا التحليل عناصرَ قاعدة معرفية مشتركة بين علم المصطلحات والمعلوماتيّة اللَّذَين يُعنَيان مباشرةً بإشكاليّة الدلالة.

مفهوم الدلالة هذا، البالغ المنطقية (logiciste)، والذي يُعتَبر حجر الزاوية في المذهب المصطلحيّ ادّعى أنه يسيطر بقوة نهْجه الذي ينطلق من التصور المجرد إلى وضع المصطلح، على ممارسات في أوج ازدهارها: استخراج وحدات معجمية مستقاة من نصوص مبرمجة (Textes experts) عائدة إلى مجالات من المعارف الشديدة

التنوع. ولكنَّ عدداً كبيراً من علماء الألسنية والمصطلحات حاولوا التخفيف من قبضة المسلّمات البالغة المنطقية منذ ما يقارب العشرين عاماً. سنتفحص اقتراحاتهم التي تكشف عن ارتباك متصاعد إزاء حالة التغيّر الدلاليّ في السياق، وسنرى أن إعادة الصياغات النظريّة السطحيّة هذه لا تسمح بكسر الجدار الزجاجيّ للدلالة المُصمَّمة باعتبارها منفصلةً أو قابلةً للانفصال مانحةً الموضوعيّة ودائمةً. وفي الواقع، يجد علم المصطلحات الكلاسيكيّ نفسه حبيساً تماماً في ثالوث المصطلح/ التصوُّر/ المرجع (Rastier 1990) الذي يجعله عاجزاً عن ترك أُفق خارج النصّ.

سنرى أخيراً كيف أنَّ بروز ألسنيّة المدوَّنة يحوِّل العلاقة القائمة بين الدلالة/ المعنى إلى علاقة إشكاليّة من وجهة نظر علم الدلالة النصيّ، وكيف أنَّها بفعلها هذا، تنتهِكُ مبادئ العقيدة. وسنُعيد أيضاً البحث في العلاقات القائمة بين العنصر الوصفيّ والعنصر التوجيهيّ، وبين المحور التركيبيّ الترابطيّ والمحور الاستبداليّ في إطار هذا التبديل في وجهة النظر المبنيّ على «الطابع الاصطناعي (facticité) للّغة البشرية الذي يتعذّر اختزاله»، بحسب تعبير أورو (S. Auroux).

2 ـ سيطرة الدلالة

2 . 1 ـ من علم المصطلحات المعلوماتيّ إلى الذكاء الاصطناعيّ، سيميائيّة واحدة للرمز

بات من النافل أن نُبرهِنَ أنَّ المعلوماتيّة وعلم المصطلحات النظريّ يتشاطران سيميائيّة الرمز نفسها التي تكون مرجعيّةً بشكل أساسيّ (بحيثُ تكون الكلمة بمثابة مُلصَق التصوُّر) وصنافيّةً (تتمثَّل بأسبقيّة

العلاقة عامّ/ نوعيّ). وسنصفها كسيميائيّةٍ رمز موروثة عن الفلسفة الوضعيّة(*) الجديدة، التي هي مزيجٌ من المنطق والأنطولوجيا(**)، والتي تُعطي امتيازاً للتصوُّر على الكلمة (Cavazza 1996).

نلاحِظ على الفور أنَّه يتمّ تحديد الإطار الأنطولوجيّ للعقيدة الفوستريّة بواسطة الفئات التصوّرية الأربع الكبرى التي تُطالعنا في التطبيقات المعلوماتيّة، ألا وهي:

- الأغراض والكيانات المجَّردة (entités)
- المسارات والعمليّات والأفعال
- الخصائص والحالات والصفات
- العلاقات

قامت المدرسة السوفياتيّة لعلم المصطلحات بنوع خاص[2] (Danilenko 1977) بتوسيع هذه الافتراضات الأنطولوجيّة. يُتَرجَم الاهتمام المعطى إلى الأنطولوجيا عبر عدَّة محاولات لإنشاء شبكات مصطلحيّة تخرجُ أحياناً عن إطار كلّ ما يكون اسميّاً ولكنَّها تصدر عن النزعة الأصولية المحافظة(***) (intégrisme) نفسها المناهضة للألسنية.

(*) فلسفة أوغست كونت التي تُعنى بالظواهر والوقائِع اليقينيّة فحسب مُهمِلةً كلّ تفكير تجريديّ في الأسباب المُطلقة.

(**) قسم من الفلسفة مرادف لعلم مابعد الطبيعة يبحث في طبيعة الوجود الأولية، علم الوجود، علم الكائن. وعلم الدلالة يعني البحث في العلاقة بين الرمز اللغويّ والمعنى والدلالة والمرجع.

(2) انظر أيضاً: T. L. Kandelaki, *Issledovanija po russkoj terminologii* (Léningrad: Nauka, 1971).

(***) مذهب يحاول الاحتفاظ بأصول عقيدة أو نظام محافظة تامة على غرار العقيدة الدينيّة.

ما هو ذو دلالة بالنسبة إلى موضوعنا، أنَّ هذين النظامين يشتركان في فرْض أحادية المعنى وثباتها في الاستعمال. وهكذا، تستلزِم حالة التطابق المُثلى بين المصطلح والتصوُّر والغرض ثباتَ كلّ من التصوُّر (الشامل (universel)) والمرجع الذي يضمَن الثبات في معنى الكلمة. وفي الواقع، إنَّ شرط ضَبْط المَفْهَمة المُسبَق والمُثبَت في المثلَّث السيميائيّ الذي أعدَّه أوغدن (Ogden) وريتشاردز (Richards) (والذي أعادَ فوستر تنظيمه) يرمي بطريقة أو بأخرى إلى ابتكار برنامج لغة اصطناعيّة، سواء كانت كتابةً رمزيّةً من منظور فريجه أو لغةً شكليّةً أو نظاماً مصطلحيّاً، نستطيع أن نعتبرها تاريخيّاً بمثابة صيغة محدودة للغة الشكليّة (Slodzian 1995).

أسوةً بلغات البرمجة المُصمَّمة للتخلُّص من تعدُّديّة المعاني في اللغات الطبيعيّة، تمّ تصميم علم المصطلحات ليكون بمثابة المِتراس الذي يحمي من تعدُّديّة المعاني بقصد جعل اللُّغة الطبيعيّة كاملةً و«مُطمئنةً». ويرمي هذان الفرعان العلميان إلى إبطال «حيِّز لعب الدلالة»، وهكذا: بغية التعبير عن المحتوى نفسه يتعيَّن علينا دائماً اختيار الرمز نفسه. إنَّ تنبيه إرنست كاسيرر (Ernst Cassirer) الذي سعى في العشرينيّات إلى إرساء أُسس نظريّة حول تشكيل تصوُّر من وجهة نظر ظاهراتيّة ونزعة منطقية في آن، يُترجِم بأفضل صورة الرهان المعرفي، ومفاده: «على الكلمة، مع قابليتها للتغير والتبدل وتعدد معانيها البرَّاقة أن تخلي المكان الآن للرمز الخالص والدقيق والذي يحمل دلالةً ثابتةً» ((Cassirer 1930) وقد تمَّت الترجمة الفرنسيّة عام 1973).

إنَّ هذا التنبيه صالحٌ لكلا النظامين المدعوَّين إلى تنفيذ البرنامج التوجيهيّ الذي تفرضه النزعة المنطقية من الخارج. يُطبِّق علم المصطلحات النظريّ قواعدَ التسمية والدلالة الخاصّة به من خلال التعريف المنطقيّ الذي يتمحور بدوره حول الترسيمة التسلسليّة أو

شجرة الميدان. ومن شأن التعريف المنطقيّ الذي هو عبارةٌ عن «قول يصفُ مفهوماً ويسمح، في إطار نظام مفهوميّ معيَّن، بتفريقه عن سائر المفاهيم» أن يضمن التطابق الثابت والمُشارِك بين الرمز والدلالة (انظر معيار إيزو رقم 1087، عام 1990).

تعكس البطاقة المصطلحيّة المعالجة معلوماتياً (informatisée) الاشتراك في إطار نِظام ترميز الموادّ الذي يُحدِّد الميدان الذي ينتمي إليه كلّ مدخَل، والذي يُفترَض به أن يُزيل أيَّ تعدُّديّة في المعاني. ويُعدّ الميدان، مثلما تتمّ معالجته في قواعد البيانات، بمثابة نظام مقفل نوكل إليه مهمَّة «جعل المصطلح أحاديَّ المعنى»، والذي يكون منفصلاً صراحةً عن السياق.

تكون المعالجة المصطلحيّة بشكل عامّ، وبغضّ النظر عما إذا كانت المسألة تتعلَّق بعمليّة جعل المَدخل وحدةً معجميّةً صغرى أو جعل الميادين بنيةً مفهوميّةً، أو بإعداد نظام ترميز المواد أو بشكل التعريف، مكيَّفةً تماماً مع الإدخال المعلوماتيّ.

بالإضافة إلى ذلك، من شأن الحقول التي تلحظها بُنية قواعد البيانات أن تعكِس العلاقات الدلاليّة نفسها، ألا وهي: التصوُّر العامّ/ والنوعيّ، والتصوُّر المتَّصِل، والمُجانسة بمثابة الحلّ لمعالجة تعدُّديّة المعاني. وبفضل إسهام التقنيّة، أُزيلت إشكاليّة الدلالة هذه نهائيّاً.

من خلال حالة علم المصطلحات المعلوماتيّ، يتَّضح لنا كيف أنَّ اختيار الأداة يفترِضُ تصوُّراً واحداً للُّغة من شأنه أن يُفضي إلى خلق حيِّز دلاليّ مُغلق ومرمَّز بالكامل، وكيف أنَّ هذا الاختيار يقطع الطريق على كلّ التساؤلات. وتُضفي تقنيّات الهيبرميديا(*)

(*) مصطلح يُعبِّر عن ظاهرةِ تقنيّة جديدة تسمح للمتعلِّم بالتحكُّم والاقتراب من عدد كبير من الوسائِل بواسطة الحاسوب. ويتمّ تزويد المتعلِّم ببيئة تعليميّة متشعِّبة تستخدِم الوسائِل =

والذكاء الاصطناعيّ على هذه الظاهرة اتّساعاً لا مثيل له.

كما أظهر ذلك راستييه (Rastier 1995) بمنتهى البراعة، لقد عزَّزَ الذكاء الاصطناعيّ وتقنيّاته في تمثيل المعارف هذا الالتقاء في نقطة واحدة من خلال جعل المسلَّمات الجوهريّة التي يقول بها المذهب الفوستريّ أكثر تصلُّباً. ويصف راستييه، في معرض شرح كيفيّة تحوُّل الكلمة إلى مصطلح، أربع عمليّات متلازِمة تُرسي أُسس هذا الترفيع، ألا وهي: **الأسمانيّة**، أي عمليّة تحويل الكلمة إلى اسم، وعمليّة جعلها وحدةً معجميّةً صغرى وعمليّة تجريدها من السياق، فضلاً عن تنميطها. فلنتوقَّف عند هذه النقطة الأخيرة، لأنَّها تتلاءم بوجه خاصّ مع حديثنا، حيث إنَّه:

> يتعذَّر تحديد الكلمة ـ المتواترة إلاّ في نطاق سياق معيَّن أو عبره، وهي تكتسِبُ تحديدات النصّ. وأنْ نضعَ الكلمة ـ المتواترة تحت سلطة نمط معيَّن، يعني أن نُجرِّدها من السياق ومن النصّ [...]. وينتج الاختلاف القائِم بين المعنى والدلالة عن عمليّة التمييز بين النمط والتواتر، بحيثُ إنَّ المعنى يكون خاصّاً بالتواترات، في حين تكون الدلالة خاصة بالنمط. ومن شأن عمليّة إدراج التواتر تحت خانة النمط أن تجعل المعنى تابعاً للدلالة والظاهرة تابعةً للقاعدة.

من شأن هذا التساتل (convergence) حول أنطولوجيا الرمز أن

= التعليميّة التي تُساعِد على توحيد أشكال المعلومات من مصادر متنوِّعة في نظام واحدِ يُمكن التحكُّم فيه بواسطة الحاسوب. ويتضمَّن هذا النظام الكثير من الوسائل، مثل الصور المتحرِّكة ومقاطع من أشرطة الفيديو والتسجيلات الصوتيّة والبيانات الرقميّة والأفلام والصور الفوتوغرافيّة والموسيقى، بالإضافة إلى النصّ، وذلك بغية مساعدة المتعلِّم على إنجاز الأهداف المتوقَّعة منه عندما يتوصل إلى المعلومات التي يحتاج إليها من خلال التدرُّب الذاتيّ.

يُبرِّر تماماً اللجوء إلى الاستعانة بالذكاء الاصطناعيّ لإعادة إنشاء العقيدة وإعادة تفعيلها في «الهندسة التطبيقيّة المصطلحيّة للمعرفة» (Galinski 1990). وبهذه الطريقة، تجد أسبقيّة العنصرَين الأنطولوجيّ والمنطقيّ على العنصر اللُّغويّ التي يفرضها فوستر اكتمالَها في الذكاء الاصطناعيّ.

2.2 ـ تناقص العنصر اللغويّ(*)

نرى مع الذكاء الاصطناعيّ أنَّ الشبكات الدلاليّة المُفترَض بها أن تُمثِّل محتويات لغوية تضطلع بمهمَّة وسْم التصوُّرات بالمُلصقات بواسطة مصطلحات، إذ تتحول إلى رموز تبطل أن تكون تعابير لغوية، فكما يقول فوستر (Wüster 1976): «لا يرتبط المصطلح بالسياق، بل بالميدان الذي يشكّل حقله التصوري»، وهذا أمر متّفق عليه. مع ذلك تقوم الألسنية لدى فوستر بدور مرافق لعلم المصطلحات.

(*) في الفرنسية: La Peau de chagrin du linguistique. وقد أصدَرَ أونوريه دو بلزاك (Honoré de Balzac) عام 1831 روايةً بعنوان (*La Peau de chagrin*) (**علبة الرغبات القاتِلة**). وتتحدَّث هذه الرواية عن شاب أرستقراطيّ يُدعى رفائيل دو فالنتان (Raphaël de Valentin) ساورته فكرة الانتحار إثر فقدانه كامل ثروته لتسديد ديون والده. إلاّ أنَّه دخل ذات يوم بمحض مُصادفة إلى محلّ يبيع قطعاً أثريّة قديمة، حيث التقى برجل عجوز قدَّم له «علبة الرغبات القاتِلة»، وهي عبارةٌ عن علبة عجيبة مؤلَّفة من خيط يرمز إلى الحياة، وهي مزوَّدةٌ بقدرة سحريّة تخوِّل مالكها تحقيق رغباته كلّها أيّاً تكن بمجرَّد سحب قسم من الحبل إلى الخارج ولكن على حساب تقصير حبل عمره. وافق الشابّ على أخذ هذه العلبة السحريّة رغم تحذير البائِع له، ولم يتنبَّه إلى مدى خطورتها، فراح يستخدمها أول الأمر من دون حساب، فجلبت له إرث عمِّه وجعلته يفوز بحبّ بولين جارته. ولكن بعد مضيّ بعض الوقت تنبَّه الشابّ إلى أعراض الشيخوخة المُبكرة التي استحكمَت به وهو لايزال في ريعان شبابه، وبالمرض العُضال الذي أدركَ جسمه الفتيّ، والذي عجِز الأطبّاء عن إيجاد علاج له. فندِم أشدّ الندم، وتمنَّى لو أنَّه لم يحصل يوماً على هذه العلبة، لأنَّ نعمة الحياة هي أثمن من مالَ العالم بأسره. ومنذ ذاك الوقت أصبحَ عنوان هذه الرواية عبارةً جامدةً تُستعمَل في اللُّغة الفرنسيّة للإشارة إلى الصِّراع بين الرغبة وحبّ البقاء.

يُفتَرَض بالمصطلح، بصفته رمزاً (signe)، أن يقدّم وجهاً مزدوجاً:

وجه التعبير أي التسمية، **ووجه المحتوى** أيّ التصوُّر الذي ترجعنا إليه التسمية. وعليه، بمقتضى المقاربة الصارمة التي تعتمد وجهة نظر تسمية الأشياء والمفاهيم، يقتصر العنصر اللغويّ فيه على كونه مجرَّد فعل تسمية. بيد أنَّ الأمور ليست واضحةً بما فيه الكفاية، ففي الواقع، تُستعمل كلمة «مُصطلح» للإشارة إلى الوحدة المصطلحيّة الناجزة (أي التسمية زائد التصوُّر)، وهي تعمل في الوقت نفسه كمرادف لكلمة «تسمية».

في حال كان العنصر اللُّغويّ موجوداً، فهو يحتلُّ حيِّزاً صغيراً للغاية، إذ يتعلَّق علم المصطلحات بالألسنيّة في نطاق أنَّه يمتلك المصادر نفسها والآليّات عينها التي يمتلكها المعجم العامّ لصوغ كلمة جديدة. وما إنْ تقتصر وظيفة المصطلح على تسمية التصوُّرات، لا يُبقي علم المصطلحات النظريّ من اللُّغة إلاّ على المُعجَم. حتى أنّ هذا الأمر يتمّ على نطاق ضيِّق جدّاً أيضاً لأنَّ فوستر يوضح (Wüster 1979) أنَّ علم المصطلحات لا يُعنى بشؤون الصرف ولا النحو. ومن هنا جعل الكلمة وحدةً معجميّةً يكسبها شكلاً أصوليّاً. وبغية تمييز المصطلحات عن الكلمات (أي ثبت المصطلحات العامّ) تمييزاً أفضل، يُثير فوستر مسألة التماثُل بين أسماء العلم وأسماء الجنس (noms communs). وخير دليل على مركزيّة المرجع هو أنَّه يتمّ تصوُّر الاسم باعتباره أداته المُفضَّلة. فبالنسبة إلى فوستر، يُشكِّل اسم العلم المثل الأعلى للمصطلح باعتبار أنّه يكون مرجعيّاً صرفاً. فهل تتعلّق المسألة بالإحالة إلى التصوُّرات أم بإحالة مباشرة إلى الأشياء، يبقى السؤال مفتوحاً للمناقشة. الأمر الذي ولَّد في الاتِّحاد السوفياتيّ

سابقاً نقاشاً طويل الأمد حول علم المصطلحات ووضع القوائم(*) (Slodzian 1996).

يستنتِجُ ساجيه (Sager 1990) من كلّ ذلك أنَّ «المفردات التي تتمتَّع بمرجع خاصّ في نظام معيَّن تكون مصطلحات، في حين أنَّ المفردات ذات المرجع العامّ تندرِجُ في خانة الكلمات»، وتكون الخصائص المرجعيّة التي تتمتَّع بها الكلمات ذات طابع مُبهَم وعامّ. ولم يكن السيّد جوردان(**) (Monsieur Jourdain) ليُعبِّر عن هذا الأمر أفضل من ذلك.

وممّا له دلالة، أنَّ هاجِس علم المصطلحات الكلاسيكيّ كان العمل على إرساء أُسس الاختلاف القائِم بين المصطلحات والكلمات، ويكمن رهان هذا الاختلاف في الدلالة. كضامن لاستقامة المذهب الفوستري، لم يفوت فيلبر (Felber) فرصة للتذكير بذلك:

> [...] تُعطى دلالة الكلمة من خلال السياق؛ وتكون متعلقة به [...] في حين تتوقَّف دلالة المصطلح التي تُشكِّل التصور الذهني على الموضع الذي يحتلّه التصوُّر في النظام التصوُّريّ المُطابق له (Felber 1984).

إنَّ قواعد تنظيم القوائم المصطلحيّة العلميّة والتقنيّة التي تنصُّ عليها أكاديميّة العلوم في الاتِّحاد السوفياتيّ سابقاً واضحةٌ بهذا الصدد، ومفادها: تكون الحدود الشَّكليّة للمصطلح منوطةً مباشرةً

(*) في القائمة ـ أو المدوّنة (nomenclature)، للشيء الواحد اسم واحد، والاسم الواحد لا يدلّ إلاّ على شيء واحد.

(**) إنَّه إحدى شخصيّات مسرحيّة **البُرجوازي النبيل** (*Le Bourgeois gentilhomme*) التي كتبها موليير في القرن السابع عشر، والتي ينتقِد فيها على لسان السيد جوردان (في المشهد الرابع من الفصل الثاني) معجم المفردات الباطنيّ الشاقّ والمُنفِّر الخاصّ بالمنطق الرياضيّ وبالأشخاص الذين لا يفقهون شيئاً منه.

بحدود التصوُّر. وبذلك تُنزَعُ صفة الملاءمة عن الأسئلة التي تمسُّ الدلالة وتقطيع المصطلح، لأنَّنا لا نأخذ في الحسبان تساوق المصطلح (أي التركيب التعبيريّ الاسميّ في النصّ)، **ولا من باب أولي تأويله** النصيّ، بل السمات الشَّكليّة للتصوُّر في تقسيمه المنطقيّ. ويبدو في هذا الصدد التحوُّل المنهجيّ(*) المصطلحيّ بشكله التركيبيّ وكأنَّه مبنيٌّ على مسلَّمة منطقويّة يتعيَّن علينا بموجبها:

> أن نُبيِّنَ المعنى الذي ينطوي عليه كلّ تصوُّر أيّاً يكن فرع العلوم الذي ينتمي إليه من خلال تحويله خطوةً خطوة إلى سائر التصوُّرات، وصولاً إلى التصوُّرات الأدنى درجةً والتي ترجِع إلى المُعطى نفسه (Soulez 1985).

نصل في هذا الصدد إلى النقطة الأكثر منطقويّةً في هذا المذهب، والتي تشكِّك بالمصطلحات نفسها وتنظر إلى علم المصطلحات النظريّ باعتباره خادِماً لسيِّد واحد هو العنصر التصوُّريّ. وسنرى مع ريغز (Riggs 1991) (انظر أدناه الفصل 3) كيف تتمّ اليوم عودة الأصولية.

سنعكف على تفحص الاستراتيجيّات الأكثر تميزاً والتي تمّ إعدادها في محاولة للخروج من الحلقة المُفرَغة. وبشكل عامّ، تتصدَّى محاولات الإصلاح هذه للصعوبات التي نتعثَّر بها على أرض الواقع، وهدفها مجابهة تعقُّد الإشكاليّات التي تطرحها زيادة وتيرة الإنتاج النصّي ذي الطابع المتخصِّص. ويُعابُ هذا المذهب على مستويين، وهما: **مستوى الرمز** كما رأيناه على نطاق واسع، **ومستوى النصّ** الذي يُدحَض لمصلحة مرجع قابل للانفصال عند الرغبة، ونعني به لغة التخصُّص التي شكَّلت موضوع مناقشات عديدة.

(*) أي التحوُّل المنهجيّ من حقل معرفيّ إلى آخر أخصّ وأكثر أصالةً.

3 ـ محاولات إعادة نظر في هذا المذهب

لم يَسْلَم التفسير البالغ النزعة المنطقية من الانتقادات التي كانت تنبثقُ أحياناً من داخل المنطق نفسه. هذا هو مثلاً حال كوبران (Kobrin 1976) الذي يشير إلى الإشكاليّة الآتية: لمَ يتمّ وصف التصوُّر العلميّ والتقنيّ إلزاميّاً بواسطة مصطلح بسيط أو مركَّب وليس بواسطة جزء من النصّ؟ فإذا ما انطلقنا من تعريف التصوُّر المتحدِّر من المسلَّمة المنطقويّة (Felber 1984)، ما من شيء يسمح لنا باستبعاد هذا الاحتمال. مع أنَّه موقفٌ لا يخلو من المفارقة، بما أنَّ النصّ يُثار هنا باسم التصوُّر.

بين الشكوك التي تبرز في صفوف المؤلِّفين الروس، لا شكَّ في أنَّ هذا الموقف لا يُشكِّل موقفاً أكثريّاً. ونُلاحِظ أنَّ التساؤل يتمحور في أغلب الأحيان حول حدود تثبيت المصطلحات عبر اشتراط تعريف، بل حول إمكانيّة تنظيم المجموعات المصطلحيّة ومَقْيَسَتِها. وتعمد الانتقادات الأعنف إلى التشكيك في إمكانيّة أن يُصار إلى جَمْع مصطلحاتِ النصّ قَبْليّاً، كما إنّها تُثير مفهوم «درجة مصطلحيّة» النصوص (Lejčik 1986). وتتعلّق المسألة بالطبع بفَرض احترام «الجنسيّة المزدوجة» للمصطلحات من خلال التذكير ببُعدِها اللُّغويّ أكثر ممّا تتعلّق بالتشكيك بأنطولوجيا المصطلح وتبعاته على وضع الدلالة. يبقى أنَّه مع مفهوم «درجة مُصطلحيّة النصوص» هذه، ذهَبَ الكتّاب الروس بعيداً باتّجاه إعادة إدخال البُعد النصيّ.

حاول منظّرون آخرون في علم المصطلحات وقد تمسكوا بتأويل وَسَطيّ للمذهب (يقع في منتصف الطريق بين العنصر التصوُّريّ والعنصر اللُّغويّ)، أن يُرجعوا هذا الأخير إلى إطار الألسنيّة السوسوريّة. فمن وجهة نظر روندو مثلاً، وهو ممثِّل المدرسة الكنديّة، يُعَدُّ المصطلح رمزاً لغويّاً يملك دالاً ومدلولاً (Rondeau

(1984. وتضطلع التسمية بدور الدّال، ويؤدِّي المفهوم دور المدلول. ولا يبدو أنَّ روندو يُلاحِظ أنَّ سيميائيّة الثالوث السيميائيّ الذي يُستخدَم كقاعدة لعلم المصطلحات تحكمُ على محاولته بالفشل، إذ يتعذَّر على المفهوم أن يكتسِب في الوقت نفسه وضع التصوُّر الشامل والمدلول اللُّغويّ. كما إنه لا يتنبَّه أيضاً إلى أن «التصوُّر هو مدلول الكلمة التي نقرِّر إهمال بُعدها اللُّغويّ» (Rastier 1995: 55).

يتَّضِح جليّاً أنَّه ابتداءً من الثمانينيّات، اتَّخَذَ عدد كبير من المؤلِّفين موقفاً دفاعيّاً يتناول مواضيعَ متميزة، من مثل: التعارض القائِم بين المصطلح/ الكلمة، وعمليّة تقطيع المصطلح في النصّ، والعلاقات القائمة بين تعدُّديّة المعاني/ والمجانَسة من جهة، والترادف/ والبديلة الوظيفيّة من جهة أخرى. ومن المُفترض أن تُخفِّف هذه القراءات الثانية من حدَّة التناقضات القائِمة بين الرؤية المثالية للمذهب وواقع العمل الذي تزداد صعوبته في إعداد القوائِم المصطلحيّة. وكما أشرنا سابقاً (في الفصل 2)، فإنَّ الخلاف حول التناقض القائم بين الكلمة/ المصطلح (أي بين التوارد/ والنمط، لنكرِّر برهنة راستييه)، ليس في الواقع سوى خِلاف حول وضع الدلالة، وإنَّ اشتراط منح الدلالة بواسطة تعريف منطقيّ من شأنه أن يسدّ الطريق بدوره على تعدُّديّة المعاني. الخروج من هذا المذهب من دون هدمه، هذا هو الرهان الواعي أو غير الواعي لهذه المجهودات المتكررة، فالخاصيّة المُشتركة بين هذه الاقتراحات تكمن في أنَّها تنضوي كلّها تحت راية التداوليّة التواصليّة باسم ضرورات التواصل. ويُشكِّل ذلك بالتأكيد الدليل على أنَّ الاهتمامات العملية تتقدم على المواقف المذهبية المسبقة. ويبرز موقفان إزاء هذا الأمر، **أوَّلهما** مُعارض لكلّ تخلّ عن النزعة المنطقية، **وثانيهما** محبّذٌ لإعادة تقويم العنصر الألسنيّ في المذهب.

1.3 ـ إعادة التركيز على العنصر التصوُّريّ

لنتفحّص أولاً التيّار الأوَّل الذي لا ينفكّ يتقهقر، وهو يتطابق مع موقف مناصري العقيدة الفوستريّة الذين لا يُقهرون، والذين يعتقدون أنه من الممكن بعد تنظيم «اللُّغة العلميّة والتقنيّة»، على الرغم من المُشاهدات التجريبيّة التي تُشدِّد بانتظام على المدى المحدود الذي تبلغه عمليّة التقعيد، وعلى تواتر التغيّر المصطلحيّ في النصوص، فضلاً عن الازدياد الذي لا مفرّ منه لتعددية المعاني نتيجة تعقُّد الميادين التكنولوجيّة بشكل خاصّ.

تقضي ردّة فعل الأصوليين (Riggs 1986) باتِّهام المتخصصين في الميادين التي تنتشر فيها بقوة تعددية المعاني، بأن إبداعيَّتهم في توليد مصطلحات جديدة غير كافية، وأن هذا الاستدعاء للنظام الوعظي غالباً لا يتمّ من دون تقديم تنازلات. وهكذا، يبدو هؤلاء أكثر تساهُلاً بشأن تعدُّديّة معاني المصطلحات التقنيّة العامّة (على غرار «تـنـمـيـة» (développement) و«عـمـلـيّـة» (opération) و«ضَـبـط» (contrôle)... إلخ) بغية اقتفاء أثر المصطلحات «المُلتبسة» داخل ميادين الاختصاص بشكل أفضل.

يُنادي ريغز بالابتكار الاستنباطيّ في هذه الميادين باسم التفريق الأقصى بين اللُّغة المتخصِّصة واللُّغة المشتركة. وهو يُندِّد بطبيعة الحال بـِ «اللُّغة الدلفيّة»(*) التي تُميِّز بنظره كتابة نصّ متخصِّص لا يلجأ بالقدر الكافي إلى المصطلحات، وبالتالي إلى الألفاظ المستحدثة.

(*) تُستعمَل الصِفة «دلفيّة» للإشارة إلى كلّ ما هو منسوب إلى مدينة دلفي اليونانيّة القديمة، أو إلى مَوْحى أبّولو فيها، أي مَهْبَط الوحي، وهو عبارة عن هيكل يهبط فيه الجواب الإلهيّ عبر وسيط الوحي، وهو يكون كاهناً (أو كاهنة) يُقال إن الإله يُجيب عبره عن أسئِلة البشر التي تتناول أمور الغَيب. وتُستعمَل هذه الصفة بالمعنى المجازيّ للإشارة إلى الأمر الذي يكون مُبهماً ومُلتبِسَ المعنى.

ما هو الحلّ الذي يتصوره لكي يجعل نظام الضَّبْط الذي يقول به أقرب ما يكون إلى الكمال والفعاليّة؟ يكمن الحلّ في المقاربة التَّسْمِياتيّة (onomastique) وهي فرعٌ من علم تسمية الأشياء والمفاهيم التي تدرس كيف تمَّت تسمية التصوُّرات العامّة، وكيف يُمكن أن تتمّ. وقد نشأت التَّسْمِياتيّة في وجه الفرع الآخر من علم تسمية الأشياء والمفاهيم (onomasiologie)، ألا وهو: الأعلاميّة (onomastique) التي تدرس كيفيّة تسمية الأشخاص والأماكن والأغراض الفرديّة. وتُستخدَم المقاربة التَّسْمِياتيّة لإعداد قوائم بالمُصطلحات، وهي عبارةٌ عن لوائِح مصطلحات غير مُبهمة من شأنها أن تُساعِد المستخدمين في «تحديد التصوُّرات المرصودة في المؤلَّفات التي كُتِبَت حول موضوع معيَّن». ويزوِّدنا مصنَّف المصطلحات بالمصطلح المُشارِك والذي يتمّ وسمه فيه باعتباره مُلتبِساً أم غير ـ مُلتبِس. وإنَّ الميادين المُستهدَفة هي ميادين العلوم الاجتماعيّة، التي من الملحِّ، بحسب الكاتب، أن نوحِّد مَفهمَها (monosémiser) (Riggs 1991). فلنحثَّ إذاً خطواتنا باتِّجاه فكر موحَّد! وتجدر الإشارة إلى أنَّ البنك المصطلحيّ إنفوتيرم (infoterm) يطبِّق حاليّاً نظامَ استفادة حاسوبيّة للمقاربة التَسْمِياتيّة التي تحدَّث عنها ريغز.

سنلاحِظُ بشكل عامّ أنَّ البراهين المُقدَّمة لمصلحة ابتكار ألفاظ جديدة هي متناقضة. من جهة، تتعلَّق المسألة، كما رأينا لتوِّنا مع ريغز، بالإسهام في التوصُّل إلى أحاديّة مَفهَم تتَّصِف بالطابع الشموليّ (monosémie universaliste)، وتفترض وجود مسافة قصوى بين اللُّغة المُشتركة ولغة الاختصاص، بغية إزالة الاختلافات الوطنيّة والفرديّة. ويتعيَّن من جهة أخرى العمل على إعلاء شأن اللُّغات الوطنيّة من خلال تزويدها بأثبات مصطلحات متخصِّصة قادرة أن تسمو بها إلى مصاف «اللُّغات العصريّة». كأنّ تأليف كميّات كبيرة من المصطلحات

يكفي لإنتاج نصوص متخصِّصة! ونتجاهل في كلتا الحالتَين قضيّة النصّ، ومن باب أَوْلى النوع الأدبيّ، كما لو أنَّ الممارسات النصيّة والأنواع الأدبيّة التي تُنشِئها لا تندرجُ في تاريخ ثقافة معيَّنة. إنَّ الموقف التزامنيّ المسبَق الذي تعتمده العقيدة الفوستريّة هو الذي يُشرِّع الهروب إلى الأمام في استحداث ألفاظ جديدة.

2.3 ـ إعادة التركيز على العنصر الألسنيّ

ما هي الترتيبات النظريّة التي يقترحها الفريق الآخر وهو أكثريّ بلا أدنى ريب؟

1.2.3 ـ عدّة أنماط من المصطلحات

تتجلَّى إحدى وسائل حلّ الضغط الذي فرضته الفولغاتا(*) المصطلحيّة على التناقض الأنطولوجيّ القائم بين الكلمات والمصطلحات في إدخال «مُفرَدة ثالثة» بغية كسر هذا التفرُّع الثنائيّ. ويُمكن تصوُّر حالتَين مُحتملتَين، هما:

أ) أنْ تكون المُفردة الثالثة مُصطلحاً

يقترحُ هوفمان (Hoffmann 1985) الذي يستشهِد به بيرسون (Pearson 1998) أن «تحتوي النصوص المتخصِّصة على ثلاث فئات من الكلمات، على أن تكون الفئتان الأولى والثانية فئتَي مصطلحات، كالآتي: مصطلحات مختصَّة بالموضوع ومصطلحات غير مختصَّة بالموضوع وكلمات من اللُّغة العامّة». ويتبايَنُ نمطا المصطلحات أحدهما عن الآخر من حيث مرجعهما المختلف، إذ

(*) إنَّ الفولغاتا (vulgate) هي الترجمة اللاتينية **للكتاب المُقدَّس** التي أجراها سان جيروم (Saint Jérôme) في أول القرن الخامس الميلادي بتكليف من البابا داماس الأول (Damase Ier). وأصبحت النص الرسمي المقبول والمُعتمَد في الكنيسة الكاثوليكيّة. ويُستخدم هذا التعبير بمعنى القراءة أو النصّ المقبول عند الجمهور.

يُرجعنا النمط الأوَّل إلى أحد ميادينِ النصّ الرئيسية، في حين يُرجِعنا الثاني إلى ميدان خارجيّ. ويُميِّز الأَخَوان ترمبل (Trimble et Trimble 1978)، اللذان يستشهِد بهما بيرسون أيضاً، بين «المصطلحات التقنيّة على مستوى عال» و«المصطلحات التقنيّة» و«المصطلحات التَحْتقنيّة». وتتطابق المصطلحات التقنيّة مع المصطلحات البَيْميدانيّة (interdomaniaux)، التي تتشاطرها عدَّة ميادين. أمّا المصطلحات التَحْتقنيّة، فهي عبارةٌ عن «كلمات من اللُّغة العامّة اكتسبَت دلالةً متخصِّصةً في بعض الميادين». بيد أنَّ السؤال الذي يطرح نفسه هو الآتي: ما الذي يفعلانه بباقي الكلمات؟

ب) أنْ تقع المُفردة الثالثة بين الكلمة والمصطلح ضمن مجموعة اتِّصاليّة معيَّنة، فتكون «مصطلحاً إلى حدّ ما» أو «كلمةً إلى حدّ ما».

يقترح كلّ من غودمان (Godman) وباين (Payne)، بحسب بيرسون أيضاً (1981)، إنشاء فئة عامَّة تضمُّ مختلف الكلمات التي لا تندرج في فئة المصطلحات العامّة، ويُطلقان عليها اسم «المصطلحات غير التقنيّة». ولكن ما الذي يُفرِّق هذه «المصطلحات غير التقنيّة» عن الكلمات؟ إنَّ معايير التصنيف التي يستخدمها البعض تجعلنا نغرقُ في الشكّ والحيرة، بحيثُ يتمّ الاستناد تارةً إلى شيوع المصطلح وطوراً إلى انتمائه إلى الميدان. وتكون هذه المعايير إمّا غير ملائِمة أو يستحيل قياسها.

3.2.2 ـ علم تركيب الجُمَل المصطلحيّ

يُفترض به أن يدحَض التعذُّر الشَّكليّ القاضي باستحالة تعريف الوَحدة المصطلحيّة. كما إنّه يُمثِّل رداً تواصلياً على إشكاليّة نظريّة جديَّة، فمثلاً: «يتجلَّى أحد مظاهر الجِدَّة في البنك المصطلحيّ «أورروديكاتوم» في أنَّه يُعالِج «مروحةً» من «الوحدات المصطلحيّة»

المطّاطة بما فيه الكفاية، والتي تبدأ من الوحدة المصطلح وصولاً إلى الجملة» (Goffin 1997). وقد أفضت الإشكاليّات الدائِمة التي تواجه المترجمين ـ والتي تُشكِّل خير دليل على أنَّ التصوُّرات ليست قابلةً أن «تسكنَ في كلّ لغة» بالسهولة التي اعتقدها كاسيرر (Cassirer 1930، وتمَّت الترجمة الفرنسيّة عام 1973) ـ إلى إقناع المسؤولين في «البنك المصطلحيّ المذكور آنفاً باستحداث خانة مُخصَّصة للجملة (يُشار إليها برمز PH = أي، جم) تُعاد فيها الجُمَل كاملةً أو أقسامٌ منها، ممّا يسمح بتوضيح المُصطلح أو إظهار طريقة عمله أو إثبات استعماله».

يُعدُّ تركيب الجُمَل مجرَّد بديل عن السياق، ويكون محدوداً جدّاً ووليد الصدفة وغير مطروح بشكل إشكاليّ. ولكنَّ الإقرار بذلك يعني **أوّلاً** التسليم بأنَّ السياق يُعدِّل من دلاليّة المُصطلح؛ **وثانياً**، أن المُصطلح يكون قادراً على اكتساب معنى سياقيّ ولا تكون له دلالة واحدة خارج النصّ وداخله . . . وتحاشياً للوقوع في التجربة، سنقول بتحفُّظ إن «التركيب التعبيريّ يتَّسع ليصل إلى الوحدة الجُمَليّة الصغرى».

3.3.3 ـ المُجانسة الوظيفيّة

ثمّة طريقةٌ دفاعيّةٌ أخرى مُخصَّصةٌ هذه المرّة لتجنُّب طرح مسألة تعدُّديّة الوحدة المعجميّة التي تُظهِرُ في النصّ عينه درجةً متغيِّرةً من الفَرْض الدلاليّ (المُتمثِّل بالوضع المزدوِج كلمة/ مصطلح بحسب المذهب)، ألا وهي: إدخال فئة المُجانسة الوظيفيّة. وهكذا، يُمكن لكلمات فرنسيّة من مثل (train) = قطار و(convoi) = موكب، حين ترِدُ في نصوص تتعلَّق بالنقل بسكّة الحديد، أن تعمل في الوقت نفسه بصفتها مصطلحات متخصِّصة وكلمات من ثبت مصطلحات

اللُّغة العامّ (Kogotkova 1976). وفي الواقع، بدلاً من أن نؤثِر التأويل السياقيّ الذي يُرغِمنا على التسليم بأنَّ السياق يؤدِّي دوراً حاسماً في عمليّة إنشاء معنى المصطلح المطروح، نُعلِن المُجانَسة[3].

تُعدُّ الحيلة التي تقضي بحلِّ إشكاليّة تعدُّديّة المعاني بشكل منهجيّ بواسطة المُجانسة خاصة تدلّ على تعامي قسم من الجماعة عن رؤية المقدِّمات المناهضة للألسنيّة في هذا المذهب (باعتبار أن رَفْض تعدُّديّة المعاني يعني أيضاً رَفْض الصفة التطورية للغة).

4 ـ منعطف علم المصطلحات النصيّ

تكمن علامة نجاح تقنيّات ألسنيّة المدوَّنة الكبرى في إعطاء مدى وقدرة على العمل منقطعَي النظير للدراسة التي تتناول الممارسات النصيّة الفعليّة، أي ما اتُّفِقَ على تسميته بالاستعمال (Biber [et al.] 1996). إنَّ هذَين السبَبَين بالتحديد هما اللذان دفعا بمستخدمي علم المصطلحات الوافدين من ميدان الذكاء الاصطناعيّ أو من مختلف قطاعات التقنيّات الوثائِقيّة، إلى تحويل أنظارهم نحو هذه الممارسات. كثرٌ هم المتخصصون في هذه الأنظمة الذين يتَّفِقون في الرأي على الإثباتات الآتية:

ـ اعتبار أنَّ المعارف ذات الصلة بميدان معيَّن تكون مدوَّنةً في النصوص التي تُنتِجها الجماعة تبعاً لغرض التواصل هذا أو ذاك، يتعيَّن علينا أن نبلغَ هذه المعارف بالذات. وهي تظهر على شكل عبارات ينبغي النظر إليها كما هي.

ـ بما أنّ التعابير اللغوية تعدُّ بمثابة الواقع الوحيد الملموس

(3) ناهيك بأنّه أمرٌ بدهيٌّ معاكسٌ ألاّ نستخدِمَ التساوق لرفع الإبهام المتنازَع فيه بين ثنائيّة الكلمة/ المصطلح.

والذي يَسهُل على المُحلِّل بلوغه، فهي تُشكِّل نقطة انطلاق سلسلة الإجراءات اللُّغويّة والدلاليّة التي تخوِّلنا إبراز المصطلحات.

ـ يتطلَّب تحديد المصطلحات ووصفها النِّهائيّ حُكم الخبير الذي من خلال تصفُّح لائِحة المصطلحات المُرشَّحة يقوم بمقابلة هذه الوحدات بمعارِف سبقَ أن نظَّمتها جماعته وحفظتها غيباً وتشاطرتها.

ـ في ما يتعلَّق بميدان معيَّن، ونظراً إلى الغموض الذي يكتنفُ التصوُّر «ميدان»، لا وجود لقائمة مصطلحات وحيدة ممكنة، بل لعدَّة قوائم مصطلحات تختلف باختلاف الأغراض المرجوَّة (للترجمة أو لإعداد مكانز أو الفهارس أو التصانيف... إلخ). (Zweigenbaum .1999)

ـ ينبغي في إطار تطبيق معيَّن أن يُصار إلى تحديد نوع المهامّ المتعلِّقة بالاكتساب المصطلحيّ. فهل إنَّ المسألة تتعلَّق مثلاً بإنشاء قاعدة معارف أو بالحفاظ عليها أو بتثبيتها؟

ـ وحدها نوعيّة المعطيات التجريبيّة (كأن تكون مثلاً عبارات قيد التداول والاستعمال ولها مقاييس تواتر وخصائص توزيعيّة) تكون قادرةً على ضمان ملاءمة الأدوات للمهام التي نهدف إلى تنفيذها.

ـ لا وجود للمدوّنة المبتكرة ولا صلاحية لها إلاّ في إطار التجربة التي أحدثتها.

1.4 ـ من الموقف الوصفيّ إلى الموقف المعياريّ

تعمد المقاربة النصيّة المُكيَّفة بشكل أفضل مع الضرورات والإشكاليّات ذات الصّلة بعمليّة إنتاج المستندات المتخصِّصة بشكل جامح غير مكبوح، إلى قلب الأولويّات رأساً على عقب. فبينما

يحصر علم المصطلحات الكلاسيكيّ العنصر اللُّغوي في إطار آليّات التسمية وحدها ويفرض رؤية محوريّة استبداليّة بشكل أساسيّ، تحوِّل دراسة النصوص التخصُّصيّة الاهتمام إلى:

ـ طريقة العمل الفعليّة للوحدات المعجميّة في السياق.

ـ المقاربة الوصفيّة للنصوص والوحدات المعجميّة على حساب المقاربة المعياريّة (نظراً إلى أنَّه سيتمّ من الآن فصاعداً اعتبار المعيار بمثابة النتيجة التي تنشأ عن حالات الضَّبْط المتعاقبة المفروضة على الإنتاجات النصيّة بواسطة نظام القِيَم الخاصّ بالميدان وبالجماعة).

ـ المقاربة التي تعمل «من الأسفل إلى الأعلى» (bottom-up) بغية استنباط الأنطولوجيّات انطلاقاً من النصوص[4] (Biebow et Szulman 1997).

ـ عمليّة تثبيت شبكةِ مصطلحات منبثقة عن مدوَّنة معيَّنة عن طريق مقارنتها بمدوَّنة أخرى مماثلة.

وهكذا، تمّ التخلِّي عن السؤال **القَبْليّ** المجرَّد من أيّ أساس تجريبيّ الذي يتناول وضع المصطلح. وفي الواقع، من شأن التبدُّل في وجهة النظر أن يلغي مختلف المسلَّمات التي تسبِقُ عمليّة التعرُّف على المصطلح، بدءاً من أحادية التصوُّر وصولاً إلى تقطيع المصطلح في النصّ. وإنَّ الانطلاق من معطيات النصّ الحقيقيّة، أي أخذ المفاعيل المتَّصلة بخاصيّة المعنى السياقيّة بالحسبان، يُفضي بنا إلى

---

(4) انظر أيضاً: Stuart J. Nelson, Thom Kuhn and Daniel Radzinski [et al.], «Creating a Thersaurus from Text: A «Bottom-up» Approach to Organizing Medical Knowledge,» *Journal of the American Medical Informatics Association*, no. 5 (1998),

الذي استشهدَ به زفيغنباوم.

إعادة تأويل «التصوُّرات» باعتبارها مدلولات تمَّت مَقْيَستها بواسطة ممارسات خطابيّة وعلوميّة في حقل النشاطات المهنيّة حيث تتقاطع عدَّة ميادين في أغلب الأحيان. ومن هذه الأوْلويّات، يبرز برنامجٌ مختلف يُمكن أن ينتهجه المُحلِّل، ألا وهو: انطلاقاً من عمل التأويل والتعيين وتحديد الثابتات الذي يُنجِزه المُحلِّل على عدد معيَّن من المستندات التي تنتِجها جماعة الخبراء وتتبادلها، سيسعى جاهداً إلى إبراز طبقات المدلولات التي يُمكن الإبقاء عليها باعتبارها مصطلحات الميدان. ومن خلال التوقُّف عن اعتبار المصطلحات بمثابة «وحدات معرفة» قَبْليّة تأتي «لتحلّ في اللُّغة»، نطرح أنَّ «التصوُّر لا يُشكِّل المصدر الذي يتحدَّر منه المصطلح، بل إنَّه ثمرة تشكيله» (Rastier 1995).

تلجأ طرائق التعيين الآلي للمصطلحات المرشَّحة إلى استعمال مقاربات إحصائيّة وصرفيّة نحويّة يتمّ إيلاؤها أهميّةً متغيِّرةً. بعض هذه الطرائق يفترض أنَّ المصطلحات تُمثِّل بُنى صرفيّةً نحويّةً خاصَّةً وتكون مُلزمةً بحصر وحدتها ذات الدلالات المعجميّة المتعدِّدة (على غرار المصطلح الثنائيّ لدى داي (Daille 1994)). ومن خلال التشكيك بنمط الحصر القَبْليّ هذا، يقترح آخرون على غرار بوريغو (Bourigault 1994) أن يُصار إلى تجزئة النصّ عبر تعيين الحدود الموجودة بالقوّة التي يتمّ ضمنها عزل التراكيب التعبيريّة الاسميّة القابلة أن تشكِّل تواردات مصطلحات. تكمن الفائدة الكبرى من هذا النِّظام الذي يجمع بطبيعة الحال عدداً من الوحدات أكبر بكثير من اللازم، في أنَّه يُبقي المثال الصَّرفي النحويّ غير متميِّز(*)، من دون أن يقوم بإدخال معايير قابلة

(*) صفة الشيء الذي لم يقع فيه أيّ تغيير أو تميُّز.

للنقاش بشأن الصحة اللغوية المُحتملة التي قد تتَّسِم بها المصطلحات. وبالطبع، تَلحظُ هذه الطريقة عدَّة مراحل لتنقية لوائِح المصطلحات المرشَّحة التي تستوجِب في المرحلة الأخيرة أن يعمدَ الخبراء إلى الاختيار النهائي للمصطلحات.

تسمحُ عمليّة جمع المصطلحات شبه الآلية بدراسة الظواهر التي غالباً ما يأبى علم المصطلحات الكلاسيكيّ الاعتراف بها، على غرار تغيُّر المصطلحات على الصعيد النصيّ والبَيْنصيّ (intertextuel). ويقيس التغيُّر تفاوتاً بين الشكل المُمَعجم واستعماله. وفي النصوص المتخصِّصة على سبيل المثال، تُحدِثُ الوحدات الثُنائيّة العديد من حالات التغيُّر، سواء عن طريق الإدخال أو التناسق أو التبادل (Jacquemin et Royauté 1994). وتبعاً لعدَّة أبحاث تناولت مدوَّنات مؤلَّفةً من نصوص نموذجيّة، فإنَّ التغيُّر الذي هو أبعد من أن يكون «طارئاً»، ينال بين 15 و25 في المئة من مجمل الوحدات المُثبتَة كمصطلحات.

يُمثِّل الترادُف والتفسير بأسلوب شخصيّ على سبيل المثال حالتَين خاصَّتَين من التغيُّريّة اللُّغويّة التي بات من الممكن من الآن فصاعِداً دراستها في مدوَّنة انطلاقاً من مقاييس النوع الأدبيّ التي تميِّز المدوَّنة الفرعيّة. ومن خلال مقارنة مدوَّنات متعدِّدة اللُّغات ومنظَّمة بشكل لائق، بتنا نعرف كيف ينبغي أن ندرك بشكل أفضل درجة التغيّريّة الصَّرفية النحويّة التي تتَّسِم بها المصطلحات، وكيف ينبغي أن نقوِّمَ تقويماً أكثر واقعيةً الاختلافات القائمة بين اللُّغات بشأن تسمية التصوُّرات. وتكون هذه التغيُّريّة المتعدِّدة اللُّغات قادرةً على أن تسهم بإضفاء صفة الإشكاليّ على المصطلح باعتباره مدلولاً مُكرَهاً (بموجب فَرْض معياريّ تختلفُ درجة حدَّته تبعاً لأنماط المستندات التي تُشكِّل المدوَّنة الفرعيّة) وبتفريقه جيِّداً عن التصوُّر المُنبثق في ما

يخصُّه عن عمليّة تشكُّل المعطيات اللُّغويّة التي تُعدُّ مصطلحيّةً، وذلك بغرَض نَمذَجة المعارف في الإطار البيِّن لمهمَّة معيَّنة.

في مختلف الممارسات التي ذكرناها، والتي تمتدُّ إجمالاً من المعجميّة المتخصِّصة إلى عمليّات إنشاء الأنطولوجيّات، يقلبُ تبدُّل المقدِّمات المنطقيّة النظريّة التي يفرضُها تكلُّف المستندات، الأولويّاتِ المنهجيّة رأساً على عقب. وإنْ كففنا عن المطالبة بلغة تخصص تضمنُ مُقدَّماً مَعْيَرة المصطلحات وتُعطي توقيعاً على بياض لكلّ مدوَّنة مؤلَّفة من نصوص غير متميِّزة ولكن اشتهرت بأنَّها تنتمي ببساطة إلى الميدان، نكون مُلزَمين بأن نطرح مسألة المدوَّنة بمقتضى الهدف المنشود، قبل السعي إلى وصف النصوص بموجب حالات اطِّراد النوع الأدبيّ والمقامات الخطابيّة وظروف الإنتاج والنشر... إلخ. بالإضافة إلى ذلك، وباعتبار أنَّ المقاربة النصيّة تُطالب بوحدة تصاميم المحتوى والتعبير، نكفُّ عن تصوُّر عمليّة بناء المعنى من منظور عمليّة المَعجمة وحدها. إنَّ ظواهر التشاكل الدلاليّ التي تتناول سياقات ذات أحجام متغيِّرة تشكِّل دلائل معبِّرةً أصلاً لإعداد المدوَّنة.

يكمن طبعاً رهان الشروط التمهيديّة المنهجيّة التي تسبقُ تشكيل المدوَّنة في تحسين نتائج الاستخراج تحسيناً نوعيّاً، فأن نختار منهجاً نوعيّاً يعني أن نتَّخِذ مسافةً من الكلّ الكميّ الحالي (انظر المناشدات الاقتراحيّة التي تُطالب بإنتاج المصادر المصطلحيّة على شبكة الإنترنت).

2.4 ـ ثنائيّة المحور التركيبيّ الترابطيّ/ والمحور الاستبداليّ

لا يُمكن فصلُ مبدأ التفريق بين القوائِم المصطلحيّة تبعاً للتطبيق عن إشكاليّة الأنطولوجيا التي يكون لها، بموجب الأسباب المناسبة نفسها، مطمحٌ محليٌّ أكثر ممّا هو عامّ، وديناميكيٌّ أكثر ممّا هو

ثباتيّ (Zweigenbaum 1999). وبغضّ النظر عن مسارات عمليّة جعل النصّ دلاليّاً على مستويات أكثر تعقيداً من ثبت المصطلحات (ونذكر بنوع خاصّ الانتشار الدلاليّ على شكل تناظر دلاليّ ينال وحدات أخرى غير الوحدات الاسميّة). إنَّ سوء تقدير الظواهِر الواضحة للعيان كالتغيُّريّة المعجميّة ينعكس على ملاءمة الموسوعة، لأنَّ الكلمات المفاتيح ستُفهرِسُ حينئذ محتوى المدوَّنة المؤلَّفة من النصّ على نحو غير ملائم.

سواء أكانت المسألة تتعلَّق بفَهْرسة أم بمذكَّرات بحث ترجميّة، ثنائيّة اللُّغة أو متعدِّدة اللُّغات، أم بكتب من شأنها أن تساعد على كتابة مستندات مبرمجة، ينبغي أن تُظهِر الوسائل المُقترحَة درجة ملاءمة كافية مع الإشكاليّة التي يسعى الباحِث إلى حلِّها. ونكرِّر مرّةً جديدةً أنَّه لا يُمكن تقدير هذه الملاءمة إلاّ بالنسبة إلى استعمالات محدَّدة (Habert [et al.] 1998).

تفضي الضرورة المزدوِجة القاضية بإنشاء القوائم المصطلحيّة المتمايزة والأنطولوجيّات المحليّة تبعاً للتطبيق، إلى إعادة النظر في العلاقة التي تربط المحور التركيبيّ الترابطيّ بالمحور الاستبداليّ. ينطلق علم المصطلحات النصيّ (textuelle) من التواترات التي تظهر في النصّ، أي بالتالي من المحور التركيبيّ التعبيريّ. وتَنشأ لائحة المصطلحات المرشَّحة عن عمليّات التَّصْفِيَة والفرز الصَّرفيّة والنحويّة والدلاليّة المتعاقِبة. كما إنّها تخضع لحكم الخبراء من أجل الاصطفاء النِّهائيّ «مصطلحات الميدان». وتكون هذه الوحدات الموصوفة على هذا المَنوال لكي يتمّ إدراجها في محور استبداليّ، كالآتي:

- مزوَّدةً بصيغة وبدلالة ثابتَتين.
- قابلةً نسبيّاً لأن تُجرَّد من سياقها.
- مرتبطةً في النصّ بوحدات دلاليّة أخرى تُشكِّل معها سمات

بسيطة ذات نزعة نحويّة[*] (taxèmes) يُعاد استعمالها في مرحلة النَّمذجة التصوُّريّة.

ـ قابلةً لأن تكتسبَ تحديدات تكون منبثقةً عن سياقها الأصليّ.

انطلاقاً من المصطلحات المُنبثقة من النصّ، والتي يتولَّى الخبراء وصفها، يعمَدُ المتخصص في العلوم المعرفيّة بدوره إلى إبراز التصوُّرات المنسوبة إليها وتنظيم أنطولوجيا للتطبيق المنشود.

تبقى أسئلة عديدة بلا أجوبة. وهي تتمحور بنوع خاصّ حول إعادة استعمال الأنظمة المرجعيّة المصطلحيّة التي نقع عليها في عمليّة ابتكار المحاور الاستبداليّة المصطلحيّة المُنبثقة عن النصوص وفي عمليّة تأليف التعريفات. وفي الواقع، تتحدَّر الأنظمة المرجعيّة المتوفِّرة بشتَّى الأشكال (مكانز وقواميس... إلخ.) من منطق شامل (المسلَّمات الفوستريّة) يرفضه **قَبْليّاً** نهج الاكتساب عن طريق المدوَّنات. وممّا لا يحمل إلى الشكّ سبيلاً أنَّ عملية السيطرة الفضلى على الإشكاليّات الماديّة ذات الصلة بتنمية قوائِم المصطلحات/والأنطولوجيّات المحليّة و/أو بثِّها، تفترضُ أن نولي اهتماماً أكبر لأدوات التثبيت التي ينبغي إنشاؤها من أجل تقويم ملاءمة الإنتاجات المصطلحيّة بشكل أفضل. ويجب أن نُبقي في ذهننا أنَّ القضايا الأساسيّة هذه التي تتناول انصهار قوائِم المصطلحات، أي تهيئة الأنطولوجيّات، تفتقر إلى الملاءمة خارج سياق مهمَّة تكون محدَّدةً بشكل جيِّد.

(*) يُطلق بلومفيلد (L. Bloomfield) اسم taxème على سمة بسيطة ذات نزعة نحويّة من الممكن أن تتَّخِذ أربعة أشكال، وهي: ترتيب المكوِّنات والصيغة (أو النبرة) وتعديل الفونيمات تبعاً للمحيط واختيار الأشكال التي يكون لها الترتيب النحوي نفسه إنَّما تنطوي على معانٍ مختلفة. هبْ مثلاً الجملة التالية: اذهب!، فهي تنطوي على سِمتَين بسيطتَين أو يُقال أحياناً سِمتَين نحويَّتَين، ألا وهما: صيغة الأمر وصيغة المخاطب المفرد المذكر.

3.4 ـ آفاق مستقبلية

من العبث أن نتغاضى عن رؤية تعقيد المسارات الدلاليّة التي تميِّز النصوص المتخصِّصة، ومن العبث الأشد أن نتذرَّع بهذا التعقيد لنبرِّرَ دوام العقيدة الفوستريّة. ولا تتعلَّق المسألة بطبيعة الحال بإنكار ضرورة أن يُصار إلى المَعيَرة أو إلى إنتاج المستندات المرجعيّة أو إلى نَمذَجَة المعارِف على شكل أنطولوجيّات أو شبكات دلاليّة ثابتة، بل على العكس تماماً، فالمسألة تتعلَّق باقتراح نهج مُغاير ينطلقُ من الإنتاجات الخطابيّة الفعليّة باعتبار أنَّ هذه الأخيرة تُشكِّل الواقع المادّي الوحيد السَّهل المنال والقابل للتحليل والتقويم.

إذا كانت ألسنيّة المدوَّنة تخلقُ الظروف الملائِمة لتعديل المقاربة من خلال إبراز ظواهر لم تؤخذ بالاعتبار بما فيه الكفاية، على غرار تغيُّر أو من خلال السماح بإجراء مقارنات مُبتكرة بين الوقائِع الألسنيّة اللُّغويّة بحكم تقنيّات التراصف والوَسْم بالمُلصقات والإحصاء المتعدِّد الأبعاد، فإنَّ تطبيق علم دلالة النصوص المتخصِّصة لا يقع في نطاق دائرة اختصاصها. وإنَّ اقتراح العكس يعني ارتقاب أن تعمَد المعلوماتيّة إلى حلّ قضايا التأويل وإلى الوقوع في الفخّ الذي يُحذِّر منه الفصل 2.

في ظلّ انعدام وجود أيّ برنامج عمل نظريّ ومُجرَّب تحتلُّ فيه النصيّة مكانةً مركزيّةً، لا يُمكننا أن نتأمَّل في أن يُصار إلى تحديد القضايا وتحليلها بشكل صائب وإلى اقتراح مقاربات مُكيَّفة. ولنسترجِعْ باختصار المسائل التي تبدو أكثر إلحاحاً لإنشاء ممارسة مصطلحيّة جيِّدة، ألا وهي:

ـ كيفيّة إنشاء مدوَّنة مُتقنةِ الإعداد من أجل تطبيق معيَّن، على غرار: ثابتات التخصيص ومعايير انتقاء النصوص (الميدان والمضمونيّة والنوع... إلخ).

ـ عمليّة جعل السياق إشكاليّاً بغية استخراج الوحدات التمثيليّة ومعالجتها (معالجة التساوق والتشاكُل الدلاليّ الممتدّ. .. إلخ).

ـ مستوى تحليل التعالقات الدلاليّة (المدوَّنة والمدوَّنة الفرعيّة والنصوص والفقرات والكلمات).

ـ تأويل العامل الإحصائيّ في تحليل لوائح المصطلحات المرشَّحة.

ـ تقويم الأنظمة المرجعيّة المصطلحيّة الموجودة من أجل الإكمال المحتمل لعلم المصطلحات النصيّ.

ـ إنشاء السمات النحوية من أجل إبراز المصطلحات التمثيليّة لمدوَّنة فرعيّة.

ـ استراتيجيّات تأليف التعريفات (إنَّ الإشكاليّة المطروحة مماثِلةٌ لإشكاليّة الإغناء، إذ إنَّ السياقات تبقى مُقصِّرةً غالباً عن إنشاء التعريف، فنعمَد إلى إدخال تعريفات تنشأ عن المستندات المرجعيّة).

ـ تقسيم العمل الدلاليّ والعلوميّ، ونعني به: مقياس الخبير.

5 ـ الخلاصة

لقد حاولنا أن نبرهِنَ أنَّ رهان النّقاش حول «الدلالة في مقابل المعنى» يكمن في إثبات صحَّة المناهج الكلاسيكيّة الهادفة إلى اكتساب المصادر المعجميّة المتخصِّصة. ولكن إثر اصطدام متخصصي الهندسة التطبيقيّة للمعارِف بضرورة تحسين ملاءمة أدواتهم، عمدوا إلى إبراز حدود الممارسة المصطلحيّة المُقيَّدة بعقيدة تُشيِّئ الدلالة في مقابل المعنى عبر دُغماتيّة (dogmatisme) مناهضة للألسنية.

بعد أن رأى علم المصطلحات الكلاسيكيّ أنَّ تقنيّات قواعد

البيانات، التي تتشاطر وإيّاه سيميائيّة الرمز نفسها، تُعزِّز مقدَّماته المنطقويّة، وجد أنه يفقد استقراره بسبب تقنيّات ألسنيّة المدوَّنة التي تفرِض مجموعات من النصوص باعتبارها وحدة تحليليّةً، قاطعةً بذلك الطريق على الاعتبارات ذات المنحى المثالي حول وصف المصطلح «**قَبْليّاً**».

من شأن هذه النتائج الأوَّليّة التي وصفناها بشكل خاطف أن تفتحَ حقل أبحاث وتطبيقات جديداً أمام علماء المصطلحات النظريِّين الألسنيِّين اللُّغويِّين المستعدِّين لإجراء مراجعة نظريّة. ولم يسبق أن كانت الآفاق المستقبليّة مُحفِّزةً بهذا القدر. فمن جهة، لا تنفكُّ أدوات التحليل تتطوَّر فاتحةً مجالاً واسعاً لأبحاث متجدِّدة. ومن جهة أخرى، تُظهِرُ الحاجة إلى أثبات مصطلحات متخصِّصة في مختلف قطاعات التطبيق الضرورة المُلحَّة لهذا التجديد، كما إنّها تُثبِت أنَّ الوقت الذي نستغرقه للقيام بإعادة صياغة فعلية داخل علم الدلالة النصيّ ليس وقتاً ضائعاً.

المراجع

Books

Auroux, Sylvain. *La Raison, le langage et les normes*. Paris: PUF, 1998.

Cassirer, Ernst. *La Philosophie des formes symboliques*. Paris: Editions de Minuit, 1973.

Danilenko, V. P. *Russkaja terminologija*. Léningard: Nauka, 1977.

Felber, Helmut. *Basic Principles and Methods for the Preparation of Terminology Standards*.

Galinski, Christian. *La Linguistica aplicada*. Barcelone: Universitat de Barcelona, 1990.

Kandelaki, T. L. *Issledovanija po russkoj terminologii*. Léningrad: Nauka, 1971.

Pearson, Jennifer. *Terms in Context, Studies in Corpus Linguistics*. Amsterdam; Philadelphia: John Benjamins, 1998.

Problématique de la définition des termes dans les dictionnaires de différents types. Léningrad: Nauka, 1976.

Rastier, François. *La Triade sémiotique, le trivium et la sémantique linguistique*. Limoges: Pulim/ université de Limoges, 1990. (Nouveaux actes sémiotiques, no. 9)

———, M. Cavazza et Anne Abeillé. *Sémantique pour l'analyse*. Paris: Masson, 1994.

Rondeau, Guy. *Introduction à la terminologie*. Québec: Gaëtan Morin, 1984.

Sager, Juan C. *A Practical Course in Terminology Processing*. Amsterdam; Philadelphia: John Benjamins, 1990.

Soulez, Antonia. *Manifeste du Cercle de Vienne et autres écrits*. Paris: PUF, 1985.

Terminologie und Nomenklatur. New York: Peter Lang, 1996. (Leipziger Fachsprachen-Studien; Bd 11)

Wissenschaftssprache und Gesellschaft. Hambourg: Akademion, 1986.

Periodicals

Biber, D., S. Conard and R. Reppen. «Corpus-based Investigations of Language Use.» *Annual Review of Applied Linguistics*: vol. 16, 1996.

Cavazza, Marc. «Sémiotique textuelle et contenu linguistique.» *Intellectica*: vol. 23, 1996.

Goffin, Roger. «EURODICAUTOM, la banque de données terminologiques multilingue de la commission européenne, 1973-1997.» *Terminologie et traduction*: no. 2, 1997.

Lejčik, Vladimir Moiseevič. «Le Substrat linguistique du terme.» *Voprosy jazikoznanie*: no. 5, 1986.

Nelson, Stuart J., Thom Kuhn and Daniel Radzinski [et al.]. «Creating a Thersaurus from Text: A «Bottom-up» Approach to Organizing Medical Knowledge.» *Journal of the American Medical Informatics Association*: no. 5, 1998.

Rastier, François. «Le Terme: Entre ontologie et linguistique.» *La Banque des mots*: no. 7, 1995.

Riggs, Fred Warren. «Ethnicity, Nationalism, Race, Minority: A Semantic-Onomantic Exercise.» *International Sociology*: 1991.

Slodzian, Monique. «La Doctrine terminologique, nouvelle théorie du signe au carrefour de l'universalisme et du logicisme.» *ALFA*: vols. 7-8, 1995.

Zweigenbaum, Pierre. «Encoder l'information médicale: Des Terminologies aux systèmes de représentation des connaissances.» *Innovation stratégique en information de santé*: no. 2, 1999.

Conferences

Actes du colloque international de terminologie. Québec: L'Editeur officiel du Québec, 1976.

Jacquemin, C. and J. Royauté. *Proceedings 17th Annual International ACM SIGIR Conference on Research and Development in Information Retrieval*. Dublin: [n. pb.], 1994.

Thesis

Daille, Béatrice. «Approche mixte pour l'extraction de terminologie: Statistique lexicale et filtres linguistiques.» (Thèse de doctorat soutenue à l'université Paris VII, 1994).

الرمز بين المدلول والتصوُّر

لويك ديبيكر[1]

1 ـ المقدِّمة

منذ بدايات الألسنيّة، تمَّ دمْج التصوُّر بالمدلول[2]. بيد أنَّ واقع الحال هذا يشغل علم المصطلحات باعتباره فرعاً علميّاً يُعنى بمعالجة اللُّغات والتصوُّرات. وأثناء القيام بأعمال مصطلحيّة، نُلاحظ مراراً أنَّه لا أساس لهذا الدمج بين التصوُّر والمدلول وأنَّها قد تطرحُ إشكاليّةً في علم المصطلحات. بدأت تُثار هذه المسألة مؤخَّراً في أوساط علم المصطلحات (Cabré 1993: 97; Depecker 1996;

(1) مركز البحث في شؤون علم المصطلحات النظري والمعلوماتي وتنظيم اللُّغات (CRETTAL) في جامعة السوربون الجديدة (باريس III).

(2) نِظام التنويت:

بدا ضرورياً في هذه المقالة أن نستعمل تنويتاً خاصّاً. فالوحدات المذكورة بين « » و/ / و// //، هي على الشكل التالي:

« » = رمز ألسني لغوي

= سيمة

// // = تصوُّر (انظر بوجه خاص: Bernard Pottier, *Linguistique générale, théorie et description* (Paris: Klincksieck, 1974)).

Gaudin 1996; Thoiron [et al.] 1996, et Rastier 1991)، الذي أعاد طرح هذه الإشكاليّة بكل أبعادها.

تنوّه مجلّة (*Meta*) في عددها المخصَّص للتسمية بهذا التمييز بين التصوّر والمدلول على نحو معبِّر. (Thoiron 1996)، ولكن لا يبدو أنَّنا قد استنتجنا مجمل أهميّة هذا التمييز، وأننا أدركنا ما يمكن أن يقدمه هذا التمييز من عنصر تأسيسيّ لعلم المصطلحات. يبقى علينا أن نقيم البرهان قدر المستطاع وأن نستخلص منه النتائج. وهذا ما سنسعى إليه في هذه المقالة. يبدو من الضروريّ في الواقع أن نتفحص هذه الفرضيّة لأنَّ العمل المصطلحيّ يرتكز عليها. فالفرق الوحيد الذي تمّ رصده هو أن علماء المصطلحات النظريِّين يستخدمون المصطلح (conpcet) تصوُّر «لقول» (signifié) «مدلول» في حين يلجأ الألسنيّون إلى استعمال مصطلح «مدلول» لقول «تصوُّر». الأمر الذي يبدو، على الأقل غريباً. ويتعيَّن علينا أن نتفحّص هذه الملاحظة إذ يبدو أنَّها تجسّد تجسيداً واضحاً سوء تفاهُم.

2 ـ التصوُّر غير المميَّز عن المدلول: عودة إلى سوسور

إذا أردنا أن نستعيد باقتضاب نشأة الألسنيّة في مطلع القرن العشرين من خلال تفحّص **دروس في الألسنيّة العامّة** (*Cours de linguistique générale*) لسوسور وأصوله المخطوطة، تبقى بعض العناصر مثيرة للقلق. يُرسي سوسور أُسس الألسنيّة على أن اللُّغة عبارة عن نظام، وأن كل عنصر في هذا النظام يتمتَّع بقيمة بالنسبة إلى العناصر الأخرى وأنه ينبغي تحليل اللُّغة بحدّ ذاتها ولذاتها، وخصوصاً أن العنصر المفتاح فيها هو الرمز الذي يتألَّف من دالّ ومدلول. ومن أبرز حسنات هذا التحليل أنه يُخضع اللُّغة والرمز

للفكر بشكل بُنيويّ، ولاسيما من خلال استخراج الدالّ والمدلول والتمييز بينهما. هذا ما أدَّى إلى تأسيس الألسنيّة، إنَّما أيضاً إلى انغلاق العنصر الألسنيّ اللُّغويّ على نفسه. والواقع أن سوسور يحلِّل الصلة بالمرجع باعتبارها اعتباطيّةً، وما هو من طبيعة الفكر، غالباً ما يتدنى عند سوسور إلى مستوى انعدام الشكل (amorphe) ولكن من دون أن يتَّسم ذلك بقيمة سلبيّة إلى هذا الحدّ. فصفة «انعدام الشكل» تعني ببساطة من وجهة نظر سوسور «الشيء الذي يفتقر في ذاته إلى الشَّكل» (وهذا ما يؤكِّده غوديل (Godel 1957: 207) وفي مواضع أخرى). ولكنَّنا نجد على الدوام في **الدروس في الألسنيّة العامّة**» نوعاً من نزعة تحويل الفكر إلى الرمز، حيث إن اللُّغة تُعطي شكلاً «كُتَل» الفكر والصوت التي «لا شكل لها» (Saussure 1994: 156, et Bouquet 1997: 233). ومن بين الألسنيِّين اللُّغويين الذين حاولوا دفع تحليل سوسور إلى أقصى حدّ، نذكر هيلمسلف (Hjelmslev) الذي شدَّد على هذه المسألة، مُستشهداً بسوسور نفسه، قائلاً: «يبدو الفكر، إذا ما أُخِذَ بحدِّ ذاته، كأنَّه سَديمٌ لا شيء فيه يكون محدَّداً بالضرورة. فما من أفكار مُعدَّة سلفاً ولا شيء بيّن قبل ظهور اللُّغة» (Hjelmslev 1971: 67). إلاّ أنَّه يبقى علينا أن نتفحّص برهان سوسور حول هذه المسألة.

يشير سوسور، إذ ينطلق من المبدأ القاضي بأنَّ «الوحدة اللُّغويّة هي عبارةٌ عن شيء مزودج»، إلى أن «الرمز اللُّغويّ لا يوحِّد الشيء والاسم بل التصوُّر والصورة الصوتيّة»، موضِّحاً أن هذه الأخيرة هي «السِمَة النفسية» لهذا الصوت، أي إنَّها تُشكِّل التمثيل الذي تزوِّدنا به شهادة حواسِّنا بشأن التصوُّر (Saussure 1994: 98). وعليه، يُعدُّ الرمز اللغوي من وجهة نظره «وحدةً نفسيّة ذات وجهَين» تتشكل من «اتحاد التصور بالصورة الصوتيّة». وهو بذلك يدفع التحليل اللُّغوي إلى

اجتياز خطوة حاسمة من خلال تجنيب كلمة «رمز» «الاستعمال الشائع» الذي يُمكن أن يلحق بها، وهو أن تدلّ على «الصورة الصوتيّة وحدها، كالكلمة مثلاً (على غرار كلمة: (arbor) = «شجرة». . . إلخ)». (المصدر نفسه، ص 99). بيد أنَّه يردف قائلاً: «يغيبُ عن بالنا أنَّه في حال سُمِّيَتْ كلمةُ (arbor) «رمزاً»، فلا يتمّ ذلك إلاّ لأنّ هذه الكلمة تحمل التصوُّر «شجرة» بحيثُ تتضمَّن فكرةُ الجزء الحواسيّ فكرة الكلّ (المصدر نفسه، ص 99). ويتعيَّن علينا أن نتفحَّص هنا، ما يُمكن أن يحمله هذا التصريح من عناصرَ جوهريّة ومُبتكرة: من خلال جعل الرمز توليفاً بين «عنصرين وثيقَي الصلة»، يفتح سوسور المجال لإمكانية اعتبار الرمز وحدةً بنيويّةً، ولو أعرب عن بعض الندم لاضطراره إلى الإبقاء على كلمة «رمز» للدلالة على «مجمل» الرمز، فهو يختم هذه البرهنة قائلاً:

> «نقترح أن نبقي على كلمة رمز للإشارة إلى الكل، وأن نستبدل كلاّ من تصوُّر وصورة صوتيّة على التوالي بمدلول ودالّ. وتكمن أفضليّة هذين المصطلحَين الأخيرين في أنَّهما يسِمان التعارض الذي يفصل إمّا أحدهما عن الآخر أو عن الكلّ الذي يشكِّلان جزءاً منه» (Saussure 1994: 99).

وعليه، يتم تشبيه الوجه السَّمعي للرمز بالدالّ، في حين يتحوّل التصور إلى المدلول. وفي **دروس في الألسنيّة العامَّة**، لم يُطِلْ سوسور الحديث عن التصوُّر مكتفياً بتوضيحه على الشكل الآتي: «يتألف من أفعال الإدراك التي نسميها تصوُّرات» (المصدر نفسه، ص 28). بالإضافة إلى ذلك، يبدو أنَّه غالباً ما يستخدم كلمات «فِكر» (pensée) و«فِكرة» (idée) و«تصوُّر» (concept) بحيث تتبادل في ما بينها إلى حدّ ما.

إنْ نُرِدْ التعمُّقَ أن نتعمّق أكثر في برهنة سوسور حول بنية الرمز

الألسنيّ، نقلْ إنَّ فضلها الأكبر يكمن في أنها تُدخل التصوُّر في الرمز في «توليف» يجمعه بالوجه السَّمعي للرمز الألسنيّ. ولكن في الوقت نفسه الذي يُدخِل فيه سوسور التصوُّر في الرمز، يُحيله إلى مدلول. فيبدو انطلاقاً من هنا أن التصور لم يعد له وجود خارج المدلول. وقد تمَّت قراءة **دروس في الألسنيّة العامّة** على هذا النحو. وإن غالبيّة تصريحات سوسور تصبُّ بالطبع في هذا الاتّجاه، لاسيما الصور التي يستخدمها لدعم برهنته. وهذا هو مثلاً شأن صورة وجه الورقة وظهرها التي توضِّح عمليّة الجمع بين الدال والمدلول. ومع أن هذه الصورة لها ما يُبرِّرها، إلاّ أن من مفاعيلها ربط التصوُّر بالمدلول وَحدَّه به، معزِّزاً بذلك اندماج الواحد في الآخر:

> «من الممكن أيضاً تشبيه اللُّغة بالورقة حيث إن الفكر يُشكل وجهها والصوت ظهرها. فلا يمكننا أن نقتطع وجه الورقة من دون أن نقتطعَ في الوقت نفسه ظهرها؛ كذلك الحال في اللُّغة حيث إننا لا نستطيع أن نفصل الصوت عن الفكر ولا الفكر عن الصوت». (Saussure 1994: 157).

علماً بأن سوسور لا يقول صراحةً في هذا الصدد إن الفكر يُختزل في اللُّغة. فالمثل يتناول العلاقة التي لا تُفصَم عُراها القائمة بين الدالّ والمدلول. وقد تم تقديمه بمنتهى الروعة بواسطة هذا العرض:

> لا يكمن الدور المُمَيَّز الذي تضطلع به اللُّغة إزاء الفكر في ابتكار وسيلة صوتيّة ماديّة للتعبير عن الأفكار، بل في تأدية دور الوسيط بين الفكر والصوت في ظلّ ظروف معيَّنة يؤدِّي فيها اتّحادهما حكماً إلى تعيين حدود هاتين الوحدَتين بالتبادل. فالفكر المشوَّش بطبيعته، يُضطر أن يتحدد بدقة وهو يتجزّأ. وبالتالي، لا تحويل للأفكار إلى مادة ولا تحويل للأصوات إلى روح، بل إن المسألة

تتعلّق بهذا الواقع المُلغز نوعاً ما، وهو أن «الفكر ـ الصوت» يفترض تقسيمات، وأن اللُّغة تُعدُّ وحداتها عن طريق التأليف بين كتلتَين غير متشكلتَين تشكيلاً متميّزاً (amorhpes) [. . .]. فكلّ مصطلح لغويّ عضو صغير (articulus) حيث ترسخُ الفكرة في صوت ويغدو الصوت رمز هذه الفكرة (المصدر نفسه، ص 156).

يطرح هذا النصّ في ذاته أسئلةً بالغة الأهميّة تتمحور حول الأمور الآتية: الدور الدقيق الذي تضطلع به اللُّغة بالنسبة إلى الفكر والطريقة التي يتمّ بموجبها تعيين حدود هاتين «الوحدتين»، فضلاً عن الطريقة التي تَرسَخ بموجبها الفكرة في الصوت والعكس بالعكس. . . إلخ. فهو ينزع إلى جعل اللُّغة نوعاً من شكل محض أو نوعاً من كائن كبير مجهول الهوية تتحرَّك دونه كتلة الفكر غير المتشكلة (amorphe) وبعده لا يعود أي شيء قابلاً للتحليل. نُشدِّد من جهتنا على واقع أن الفكر يبقى حاضراً في ذهن سوسور إذ إن الرمز اللُّغويّ لا يختزله بل يُعطيه شكلاً (فبحسب سوسور «ترسُخ الفِكرة في الصوت» و«يغدو الصوت رمز الفكرة»).

كما يُمكننا أن نأخذَ في الحسبان بدايات البرهنة التي قام بها سوسور حول العناصر المؤلِّفة للرمز اللُّغويّ والتي تفحّصناها آنفاً، ونستنتِج من ثم ما يأتي: لا يقول سوسور تماماً إن التصوُّر هو المدلول، بل:

يضمُّ الرمز اللُّغويّ [. . .] تصوُّراً وصورةً صوتيّة [. . .]. نقترح أن نستبدل التصوُّر والصورة الصوتيّة على التوالي بالمدلول والدالّ (المصدر نفسه، ص 98 ـ 99).

لكنَّه يوحي بأن الوجه التصوُّري للرمز هو المدلول. وهو يشدِّد في صورة رائعة على فكرة أن كلمة (arbor) تنطوي على التصوُّر «شجرة» (المصدر نفسه، ص 99؛ وأيضاً Godel 1957: 82 et)

(passim). كلمة (arbor) تتضمّن التصوُّر «شجرة»، ولكنّ ذلك لا يعني أنَّ هذا التصوُّر يُحَدُّ فيها. وقِس على ذلك حين يتحدَّث سوسور عن «الصلات التي تُكرِّسها اللُّغة» بين معنى كلمة (arbor) و«التصوُّر شجرة» (Saussure 1994: 99). فكلمة (arbor) تتضمن التصوُّر «شجرة» من دون إن تُحَدَّ فيه، تماماً كما أن «التصور» لا يُحَدّ في كلمة (arbor). فالتصوُّر يملأ الرمز، والرمز يمتلِئ من التصوّر. ولكن التمييز يبقى قائماً بينهما (arbor). ويورد سوسور فقرةً أخرى لا تكفّ عن كونها مثيرة للحيرة. وهكذا، يتكلَّم سوسور في صدد الحديث عن التبدُّل اللُّغويّ، عن «تبدُّلات المعنى التي تطول تصوّر المدلول» (المصدر نفسه، ص 109). ومن شأن هذه الفقرة أن تجعلنا نفترض أن سوسور قد صاغ مصطلح المدلول نفسه انطلاقاً من تعبير «التصوُّر المدلول». وإذا قرأنا **دروس في الألسنيّة العامّة** من هذا المنظور، فإن بعض فقراته ستتَّخذ وقعاً مغايراً تماماً. وهكذا، «لا يجمع الرمز اللُّغويّ بين الشيء والاسم، إنَّما بين التصوُّر الذهنيّ والصورة الصوتيّة» (المصدر نفسه، ص 98). وبرأينا، ينبغي قراءة هذا التصريح بمعزل عن أيّ تصريح آخر. فبالنسبة إلينا، يكتسب تحليل سوسور كلّ أهميّته من عبارة «التصوُّر المدلول»، إذ إنه يقول: «إن المدلول هو التصوُّر الذي تعنيه اللُّغة»، ويعني ذلك تبعاً لحدس مبتكر، التصوُّر كما تُشكِّله اللُّغة، أي باعتباره المدلول في رأي الألسنيّين.

إذا أرجعت الألسنيّة التصوُّر إلى المدلول لتمزجه به، فمردّ ذلك بلا ريب إلى عدَّة تأكيدات أخرى ورَدَت في **دروس في الألسنيّة العامّة** والتي ذَكَّرنا بها أعلاه. قد يخطر في بالنا أن هذا الالتباس قد يكون ناجماً عن الطريقة التي تمّت بموجبها إعادة نقل هذه الدروس. وغالباً ما يوقظ الكتاب الذي وضعه غوديل والذي يتناول فيه المصادر المخطوطة ِ **دروس في الألسنيّة العامّة**، الشكّ حول هذه النقطة

((Godel 1957))، ولاسيَّما ص 95 و113 وما يليها وفي مواضع أخرى. وهذا هو شأن إعادة التشكيل المذكورة أدناه والتي أُنجزت انطلاقاً من الملاحظات المأخوذة من دروس سوسور (يدلّ الخطّ المائل على أن المصطلحات هي نفسها المذكورة في المخطوطة المعنيَّة والمذكورة بين هلالين):

> قال سوسور في الدرس الذي أعطاه يوم 5 أيّار/ مايو من العام 1911 حول الوحدات الحسيّة الخاصّة باللُّغة، ما يأتي: لكي يدخل التصور في النّظام اللُّغوي، ما عليه إلاّ أن يكون قيمة صورة صوتيّة (انظر المخطوطة (D 193 DS))، وإلاّ فهو ليس سوى تجريد (Godel 1957: 114-115).

سنبقي في هذا الصدد على واقع أن التصوُّر يَدخل، من خلال توظيفه للرمز، في النظام اللُّغوي. ولا يعني ذلك أنه يتلاشى فيه، بل يعني ببساطة أن التصور يغدو المدلول في هذا النظام. وبرأينا، من المُستبعد أن يكون سوسور غافلاً عن هذا الأمر، لأنه ناهيك من الإشارات التي يطلقها هنا وهناك، فهو يعيش في عالم فكري وفي تراث حيث التمييز بين الفكر واللُّغة كان شائعاً ((Mounin 1968: 24) وفي مواضع أخرى). ذلك أن التراث الفكريّ الذي كان سائداً في تلك الحقبة، والذي لا يزال متأصِّلاً حتى يومنا هذا، يرتكز على تصور للرمز يرقى إلى زمن أرسطو (Aristote). فهو يعلن إذا أردنا إيجازه بشكل عامّ، أن الرموز ترجع إلى الأشياء بواسطة التصوُّرات وفق علاقة ثلاثيّة تربط بين الرمز والتصوُّر والشيء.

يدفعنا سوسور إذاً إلى التوغُّل أكثر في التحليل. أمّا نحن، فسنصوغ الفرضيّة الآتية: لا يُحَدُّ التصوُّر بالمدلول. فالواحد منهما متميّز عن الآخر ولو مالا إلى الاندماج في اللُّغة. علينا الأخذ بهذا التصريح باعتباره توجيهاً للعمل، ولكنَّه ينطوي برأينا على طريقة

للبحث ينبغي استكشافها باعتبار أن هذا التمييز يبدو عاملاً فعّالاً في علم المصطلحات.

3 ـ لا يَحُدُّ التصوُّر بالمدلول

3.1 ـ بُنية المصطلح: التسمية والتصوُّر

سننطلق من مبدأ أنَّ المصطلح يتألَّف من تسمية ومن تصوُّر تُرْجِعُنا التسميةُ إليه. نقطة الانطلاق هذه مفيدة لعدَّة أسباب. في ما يتعلَّق بالتسمية، هذا الاسم بالذات أساسي. غالباً ما تتحدَّث الأوصاف في علم المصطلحات عن تسمية، وفقاً لمصطلح مستمدّ من التقليد. إن كلمة تسمية برأينا مُضلِّلة. فهي تحملنا أوَّلاً على الاعتقاد أن علم المصطلحات يقتصر على الأسماء. وهذا أبعد ما يكون عن الواقع. والأفعال كثيرة فيه (حيث «نحوِّل وسيلة النقل إلى فِعل»)، والصفات، حتى الظروف موجودة، في ميدان الحقوق مثلاً (Cornu 1990). من جهة ثانية، تميل كلمة تسمية إلى إحالة الجزء اللغوي إلى فئة نحوية (هي الاسم)، حاجبةً بذلك إلى حدّ ما طبيعته الأعمّ كرمز. والحال أنَّه برأينا ثمّة فائدة منهجية، بل في ما يتعدى ذلك، باعتبار المصطلح رمزاً لغويّاً بكامله. ويبدو هذا الأمر بديهيّاً. ولكن، غالباً ما نقع في أوساط علم المصطلحات النظري، ولا سيّما في الأوساط التي تُعنى بالتقعيد (normalisation) أو داخل «مدرسة فيينا» حيث أبصر علم المصطلحات النظري النور وحيث لا يزال مؤثراً إلى حدّ بعيد، على مفهوم يحيل، في قسم كبير منه، المصطلح إلى مُلصَق مُعلَّق على التصوُّر (Felber 1987). لا نستطيع أن نتبع هذا النهج لأسباب مختلفة. ولنقل باختصار إن كل عمل مصطلحي يظهر بشكل واضح أن المصطلح، ونعني به بشكل عام الرمز اللُّغويّ ذا المعنى المتخصص، هو عنصر ذو فعل وردّ فعل،

وأن عملية استحداث لفظ، سواء كان مصطلحيّاً أم لا، وعمليّة اختيار مصطلح معيِّن وليس آخر وعمليّة اتخاذ القرار في البت في أمر مصطلح ما وعمليّة نشره في المجتمع. . . إلخ. تشير بما فيه الكفاية، إذا دعت الحاجة، إلى قابلية هذه الوحدات اللغوية لردّات الفعل. وعليه، يُعدُّ المصطلح من وجهة نظرنا رمزاً كاملاً. وهو رمز حيّ. وإن قلَّة أخذ هذا الواقع الجوهريّ بالاعتبار هي التي دفعت معظم علماء المصطلحات إلى اعتبار أن حقل تخصصهم لم يكن يتعلَّق بالألسنيّة أو قلّما يتعلق بها. وأنه كان بالإمكان اعتباره علماً مجرَّداً يعالج تصوُّرات مزوَّدةً بمُلصق لغويّ، وإلى الاعتقاد أيضاً بأنه لم يكن سوى جزء فرعي من عمليّة الترجمة. وبالنسبة إلى المصطلح، إن ثباته كرمز هو الذي يفسِّر أيضاً عبر الاستدلال بالضدّ استبسال علماء المصطلحات في سبيل حدِّ المصطلح بمعنى واحد افتراضيّاً وأحادي المعنى توهماً. إن النظر إلى علم المصطلحات النظري من زاوية التقعيد بشكل أساسي، قائلين بضرورة أن تتطابق مع المصطلح الواحد تسمية واحدة فقط لا غير طالما أدّى إلى فصل عمليّة ابتكار المصطلحات ومعالجتها عن استعمالاتها الفعليّة أو الممكنة. وفي المقابل، يَفتَح تحليل المصطلح باعتباره رمزاً حيّاً مثلما نقترحه، إمكانيّة أن نأخذ في الاعتبار في علم المصطلحات ظواهر تكون على جانب كبير من الأهميّة كالترادف ومستويات اللُّغة وإعادة الصياغات والتبدلات الجغرافيّة الصغرى والكبرى و«فوْكلمات» اللُّغات الخاصّة(*) المُحبّبة (Depecker 1995: 26 sq.). . . إلخ. إن أخذ هذا الأمر بالاعتبار، حديث العهد ولم تتم، على حدِّ علمنا، صياغته بهذه الطريقة. وهو يتحدَّر بنوع خاصّ من تقارير أهل الخبرة بشأن بعض تجارب التنظيم المصطلحي، لاسيما في كندا وفرنسا (بحسب

(*) أي اللغات الخاصة بأصحاب مهنة أو بجماعة معيّنة.

الشبكة الدوليّة التي تعنى بشؤون الاستحداث المصطلحي وعلم المصطلحات (RINT 1994).

بالإضافة إلى ذلك، نقوم من جهتنا بالتمييز بين المصطلح والتسمية. ففي الواقع، حين نتكلَّم عن المصطلح، من الممكن أن يُفهَم أنَّنا نتكلَّم عن المصطلح ككل (تصوُّر وتسمية)، أو فقط عن الجانب اللُّغوي فيه. والحال أنه، بقدر ما يبدو لنا جوهرياً أن نشير إلى التعارض الذي يفصل التسمية (التي تنتمي إلى نظام اللُّغة) عن التصوّر (الذي ينتمي إلى نظام الفكر)، بالقدر ذاته يكون جوهرياً أيضاً أن نفصل كلاّ منهما عن المجموع الذي يشكّلان جزءاً منه. وإلاّ، ففي معرض الحديث عن «المصطلح»، سيتعذر علينا معرفة إن كان المقصود به التسمية أو التصوُّر الذي ترجع إليه أو المصطلح بمجمله. ومن هنا نشأ هذا المبدأ الثاني الذي يمكن أن يُسدِّد خُطانا في هذا العرض: المصطلح رمز لغويّ (دالّ + مدلول) يُرجعُ إلى تصوّر قابل للتحديد خارج إطار اللُّغة.

3.2 ـ بُنية التصوُّر والمدلول

حين ننطلق من التمييز بين التصوّر والمدلول، فنحن لا نقصد تجزئة الرمز لمصلحة المجهول، ولكنَّ جُلَّ ما نقوم به هو الارتكاز على ما يبدو عملانياً في التفكير الذي يتناول التصوُّر والذي تمّ منذ زمن بعيد جدّاً في حقول معرفيّة أخرى، ولاسيما المنطق والفلسفة. فضلاً عن ذلك، تسمحُ لنا اليوم النظريّات الحديثة المنجَزة في حقل الألسنيّة بأن نربط بشكل أفضل الفكر بالرمز (انظر بنوع خاصّ (Pottier 1974: 21) وما يليها وفي مواضع أخرى، وعام 1992، ص 61 وما يليها وفي مواضع أخرى؛ (Kleiber 1997: 9)، وما يليها، (Putnam 1990 [1988]) وفي مواضع أخرى). تسهم هذه المكتسبات

في إظهار الفوارق الدقيقة بين ما يوصَف بالحاسم نسبيّاً في حالات الوصف التقليديّة للتصوُّر والرمز، واللَّذَين هما أبعد من أن يكونا مُتجانسين. تقضي المسلَّمة التي يقول بها التقليد والتي سنوجزها في هذا الصدد بشكل مقتضب، بأن التصوّر يُشكِّل العنصر الأساسي الذي به نفكر فنحن ندرك الأشياء من خلال التصوّرات، كما إنّنا نُفكِّر، بواسطة التصوّرات والعلاقة القائمة بين التصوُّرات. يتألَّف التصوّر من خصائص تشكّل الوحدة المنطقيّة الأساسية ويتمّ تحليله وفق محورين هما:

ـ الاستبطان (أي الفهم، وهو مصطلح تقليدي ولكنَّه يشكّل التباساً) الذي يمثِّل مجمل الخصائص التي يتألَّف منها الشيء.

ـ التعميم الذي يمثِّل مجمل الأشياء التي ينطبق عليها هذا التصوّر.

يتم تصنيف الأشياء على شكل تصوّرات. وتكون المميِّزات التي يتمتع بها الشيء مجرَّدةً في التصوُّر على شكل خصائص. تُستثمر هذه المميِّزات وتطبَّق بدرجات متفاوتة في التصوُّر. يتوقَّف هذا الأمر بخاصَّة على كيفيّة إدراكنا هذا الشيء، بحيث إن بعض المميِّزات قد تُفلت من عمليّة الإدراك الحسّي أو المَفهَمَة (الإدراك المجرد). ومن الممكن أن يتمّ وصف التصوُّر بواسطة نظام رمزيّ (Granger 1960, 1979)، ولاسيما بواسطة معادلة أو تمثيل بصريّ أو أيقونة أو وحدة لغويّة أو أكثر. وإن هذا الجانب الأخير هو الذي يثير بشكل أساسي اهتمام علم المصطلحات، لأنه يتمّ فيه وصف التصوُّر بواسطة تعريف لغوي. يمكن اعتبار هذا الأخير بمثابة النظام الأصغر الذي يتألَّف من قول تُذكَر فيه خصائص التصوُّر والعلاقات التي تنشئها في ما بينها. ويتم اصطفاء هذه الخصائص في القول اللُّغوي الذي يتم عبره تلخيصها، تبعاً لوجهة النظر المُعتمَدة بنوع خاص وللوصف المنشود

ولدرجة الدقة المتوخّاة ولأسلوب الصياغة المعتمد وللثقافة موضوع البحث. ومن الجائز أيضاً أن يتمّ وصف التصور بواسطة إعادة صياغات تفسيرية مختلفة (paraphrases)، الأمر الذي يمكننا القيام به مثلاً في إطار عرض يكون تعليمياً تقريباً، ولكنَّ المسألة تتعلَّق هنا بإجراء وصف لا يكون مختلفاً كثيراً عن الوصف الذي جاء في التعريف. ونستشف من هذه التأملات القليلة في طريقة عمل التصور وبشأن الصلة بالتعريف، كما ورثناهما عن التقليد، كم أن هذا المكتسب مازال ضعيف الاستثمار وكم أنه من الحري بنا أن نعيد النظر فيه. ولقد استفاد علم المصطلحات النظري بشكل واع إلى حد ما من هذا التحليل التقليدي للمصطلح. يشكل هذا التحليل أحد الأسس التي يركن إليها، حيث إن نشأة علم المصطلحات باعتباره فرعاً علميّاً قد نتجت برأينا عن عمليّة أخذ التصور بالاعتبار، وضمن هذا النطاق، عن عمليّة التمييز بين التصوّر والرمز.

في ما يتعلَّق بالمدلول، من الممكن تناوله وفق علم دلالة من النمط البُنيويّ، وهذه المقاربة هي الأكثر عملانيّةً في علم المصطلحات، مع الإشارة إلى وجوب التمسك بالعناصر الأساسيّة القابلة أن تلقي بعض الضوء على الوقائع المصطلحيّة. يتفكَك المدلول إلى سيمات (Sèmes)، وهي عبارة عن وحدات محتوى تباينية (انظر بنوع خاص غريماس (Greimas 1986)؛ (Pottier 1974) وفي مواضع أخرى). وهكذا، بإمكاننا مثلاً أن نفكِّك المدلول (bateau) = «مَركَب» من خلال الإشارة إلى أنَّه يحتوي على الأقل على سيمات /البناء/ (/construction/) و/النقل/ (/transport/) و/ أنه يسير على الماء/ (/qui va sur l'eau/). وتتعلَّق المسألة هنا بسيمات عامَّة. ولكن قد ترتبط بها سيماتٌ خاصة، من مثل: /شراعيّ/ (/à voile/) و/ذو محرِّك/ (/à moteur/) و/بُخاريّ/

(/à vapeur/) . . . إلخ. ناهيك من أن السيمات تستطيع أن تتمفصَل في سيمات عامَّة وسيمات خاصة، فهي ليست كلها من الطبيعة ذاتها. ويقع التمييز الأكبر بين السيمات التعيينيّة والسيمات التضمينيّة. إذ تُحدِّد السيمة التعيينيّة معنى الرمز بشكل ثابت. وهكذا، تُحدِّد السيمة /انفجاريّ/ (/à explosion/) نمطاً من أنماط المحرِّكات. وفي المُقابل، تُحدِّد السيمة التضمينيّة معنى الرمز على نحو غير ثابت نسبيّاً وافتراضي وحتى فردي وهكذا: حين تكون السيمة ماثلة في الرمز، تكون قابلةً بدرجات متفاوتة للتفعيل تبعاً للسياقات ولمقامات التواصل (انظر بنوع خاص بوتييه الذي يطلقُ على هذا النوع من السيمات اسم «سيمة بالقوَّة» (virtuème) أو السمة التقديريّة، Pottier (1974). وهكذا، حتى في تعبير من مثل محرِّك انفجاريّ، يمكن للصفة انفجاريّ أن توحي بسيمتي /الفُجاءة/ (/soudaineté/) و/الخطر/ (/danger/). وتُشكِّل مجموعة سيمات المدلول مَفهَمَه (sémème) (المصدر نفسه). ويكتسِب المفهوم «مَفهَم» (sémème) أهميّةً عظمى لأنَّه ينزعُ إلى برهنة أن أنماطاً مختلفةً من السيمات قد تضاف إلى النواة السيميّة (التي هي عبارة عن مجموعة السيمات الأساسيّة التي يتَّصف بها المدلول)، ولاسيما السيمات التضمينيّة (Pottier 1974) أو السياقيّة (Greimas 1986: 45-50). وفي الواقع، يسمحُ نمط السيمات هذا، من بين أمور أخرى، بوصف متغيِّرات معنى الرمز اللُّغويّ تبعاً لمفاعيل المعنى التي تتدخَّل في الأقوال أو التي تكون قابلةً أن تتدخَّل فيها. كما أنَّه يسمح في ما يتجاوز ذلك، بتحليل الغنى الفعليّ أو الافتراضيّ الذي يتَّصف به مَفهَم (sémème) الرمز.

تكون فائدة وصف كهذا مُباشرةً في علم المصطلحات. وهكذا، يُمكن أن تتعارَض السيمات في كنَف اللُّغة نفسها وأن تجعَل التسمية عقيمةً، فمثلاً: ينطوي الفعل الفرنسيّ (contrôler) (= «ضَبَطَ») على

سيمة / دقَّقَ/ (/vérifier/) ولكنَّه يحتوي أيضاً في مَفهَمه على سيمة / سيطَرَ/ (/maîtriser/)، ممّا يجعله غير جدير بأن يُستعمَل في السياق التقنيّ، بسبب حالات الغُموض المُمكنة التي قد يخلقها. وقد يكون من الضروريّ أيضاً أن يُصار في طور الاختيار بين التسميات أو ابتكار ألفاظ مستحدثة، إلى تفحُّص مَفهَم المصطلح، ولاسيما من أجل تلافي التناقضات التضمينيّة الاحتماليّة. وهذا هو شأن الكلمة الفرنسيّة (chatoiement) (= بريق) في ميدان تقنيّات الرادار حيث اتَّضَح لدى استعمال هذا المصطلح أنَّه غير موافق كمصطلح مُعادِل للمصطلح الإنجليزي (speckle) = «تَرَقُّش»، للإشارة إلى اللَّمعان الذي يظهَر في بُنية الصورة ـ على شاشة الرادار مثلاً، والذي يُشكِّل عائقاً يقف بوجه الهدف. وتعطي الكلمة الفرنسيّة (chatoiement) من خلال سيمات التلألؤ والبريق الحريريّ والنقاء التي تنطوي عليها، تضميناً إيجابيّاً لهذه الظاهرة السلبيّة التي تُسبِّب إزعاجاً وتطرح صعوبةً في عمليّة تحليل الصُّور. وبهذه الطريقة، برز ميل لدى المتخصصين إلى رفض هذا المصطلح لهذا الاعتبار بالتحديد وباعترافهم الشَّخصيّ (Rouges-Martinez 1992; Depecker 1997: 122 sq.). ونكون هنا بصدد تأثير تضمينيّ مُعاكِس ينزع إلى إقامة دليل إضافي يثبِت كم أن المصطلحات هي أبعد من أن تُشكِّل مجرَّد ملصقات تُعلَّق على الأشياء.

في وجهة النظر التي اعتمدناها، من الضروريّ أن نُبقي في ذهننا أنَّ السيمة هي عنصرٌ خاصٌّ بلغة معيَّنة وأنها تكون وثيقة الارتباط بها. وإلاّ كان خطر المزج بين ما ينتمي إلى اللُّغة وما يتعلَّق بالتصوّر، كبيراً. والحال أن من شأن مُقارنة بسيطة بين لغتين أن تُبرهِن أن المادة اللُّغويّة التي تضعها كل منهما موضع التنفيذ لا تكون متشابهةً وأن تنظيمهما السيميّ يختلف حتماً.

3.3 ـ تفحّص بناء حقل مصطلحيّ في اللغة

حتى وإن كان هذا الملخَّص ينزع إلى إظهار مدى الاختلاف بين هذين النظامين، نظام التصوُّر ونِظام المدلول، فلم يتمّ بعد برأينا إعداد برهنة فعليّة حول عدم تطابق التصوُّر مع المدلول، لأنّ إعدادها ليس بالأمر اليسير. هذا وقد تمّ أيضاً حجبُ هذه البرهنة خلف سِتار التماثل الذي أقيم، لدى نشأة الألسنيّة، بين التصوُّر والمدلول. ولكن يبدو أنَّه من الممكن إجراؤها، ولاسيما من خلال مقارنة اللُّغات وتحليل الحقول التصوُّريّة وتأثيرات حالات الإبهام التي يولِّدها الرمز. ويبدو من خلال الاستدلال بالضدّ أن ما سنطلق عليه لاحقاً اسم «غنى المدلول» سيشهد على غزارة الرمز بالمعاني بالنسبة إلى التصوُّرات التي يُفترض به تعيينها.

وهكذا، تسمح لنا معاينة حقل مصطلحيّ في لغتين بأن نستشفَّ التمييز المحتمل بين المدلول والتصور. ولنفترض من وجهة نظر عامة أن الحقل المصطلحي عبارة عن مجموعة مصطلحات تكون تصوُّراتها مرتبطةً ارتباطاً وثيقاً. فإذا عاينَّا مثلاً الحقل المصطلحيّ الخاصّ بالحراسة اللَّيليّة على السفينة، بمقتضى المحور الاستبداليّ الرائع الذي زودنا به فان كامبنهود (Van Campenhoudt 1996)، نلاحظ أن اللُّغة الإنجليزيّة تستخدم كلمة (watch) للإشارة إلى عدَّة تصوُّرات، حيث إن هذه الكلمة تحمل في حناياها المعاني الآتية: «سَهِرَ على (veiller) وحَرَسَ (surveiller) وراقَبَ (regarder)». كما تدلّ كلمة (watch) في هذه اللُّغة أيضاً على ساعة اليد (montre). وفي اللُّغة الإنجليزية، يرجعنا مدلول كلمة (watch)، أي، المجمل الدلاليّ المؤلِّف لهذا الشكل، إلى فكرة الحراسة اللَّيليّة والنظر والمراقبة والوقت، بالتلازم كما إنه يتطابق في كلّ مرة مع تصوُّر مختلف؛ ناهيك من وجود توسُّع من الفعل إلى الشيء (montre = watch =

ساعة اليد) أو من فعل الحراسة إلى الأشخاص المكلَّفين بالحراسة (watch = équipe de surveillance = فريق الحراسة). ولكن تجري الأمور بخلاف ذلك في اللُّغة الفرنسيّة التي تنظِّم هذه المجموعة من خلال اللُّجوء إلى تسميات متمايزة لكلّ تصوُّر. وإذا ما تحرَّرنا من قبضة اللُّغات، يمكننا أن نحدِّد التصوُّرات الآتية:

➢ التصوُّر //حراسة//

● تستعملُ اللُّغة الإنجليزية كلمة (watch) التي يمكننا توضيحها باعتبارها «فعل الحراسة بشكل متيقظ بواسطة النظر».

● أمّا اللُّغة الفرنسيّة، فتستخدم كلمة (veille) بمعنى (veiller) «سَهِرَ على» (أي أن يكون المرء يقظاً) وبشكل غير مباشر «أن يكون متيقِّظاً».

➢ تصوُّر //وقت الحراسة//

● تستعمَل اللغة الإنجليزية كلمة (watch) التي يُمكننا توضيحها باعتبارها «نتيجة فعل الحراسة بشكل متيقِّظ بواسطة النظر».

● تَستخدم اللغة الفرنسيّة كلمة (quart) وهي عبارة عن نوبة الحراسة التي تساوي ربع المدَّة (من ساعتَين إلى أربع ساعات في الإدارة البحريّة الوطنيّة الفرنسيّة، وتكون هذه المدَّة قابلةً للتبدُّل)، في تعارض أساسي مع تقسيمات أخرى للوقت.

➢ تصوُّر //فريق الحِراسة//

● تَستخدِم اللُّغة الإنجليزية كلمة (watch) التي يُمكن أن نُفسِّرها كالآتي: «الفريق الذي يُنفِّذ فعل الحراسة المتيقِّظة هذا».

● أمّا اللُّغة الفرنسيّة، فتستخدم كلمة (bordée): وتعني جزءاً من طاقم الخدمة على ظهر السفينة.

يتَّضح بالنتيجة أنه من الممكن وصف بُنية هذا الحقل المصطلحيّ التصوُّريّة وإعادة بناء تنظيمه اللُّغويّ. تنظِّم هنا كل لغة من هاتين اللُّغتين العلاقات التي تُنشئها حول تصوُّرات //الحراسة اللَّيليّة// و//مدّة الحراسة// و//فريق الحراسة// وفق بنية صرفيّة ودلاليّة مختلفة. فاللُّغة الإنجليزيّة تعتمد التجنيس اللفظي (تجمع في شكل واحد) ما تتركه لغات أخرى، كاللُّغة الفرنسيّة مثلاً، متمايزاً على المستوى الصَّرفيّ. وبهذا، يتمّ تفعيل الدلالة الجانبيّة على نحو مختلف بين لغة وأخرى، كالآتي: تعمَد اللُّغة الإنجليزيّة على المستوى الألسنيّ إلى بَنْيَنَة الحقل التصوُّريّ مستخدمةً صورة الحراسة والنظر (watch) المجازية المُرسَلة، في حين تُحجم اللُّغة الفرنسيّة على المستوى اللُّغويّ عن استخدام مصطلح «حراسة» (veille) لتوضيح الصورة المطابقة لها، إلاّ في ما يتعلَّق بتصوُّر واحد من هذه التصوُّرات (ألا وهو تصوُّر //الحراسة//). وبناءً عليه، تشير هاتان اللُّغتان إلى التصوُّرات نفسها، لكن الرموز الألسنية التي تضعها كلّ منهما موضع التنفيذ تعطيها شكلاً مختلفاً وتجعلها تظهر بوجه مغاير على شكل مدلولات خاصّة. وبرأينا، لو كان التصوُّر يُحَدُّ بالمدلول، لكانت مدلولات اللُّغتَين هي ذاتها.

4.3 ـ وصفُ العلاقة التي تربط الاسم النوعيّ بالاسم المُندَرج

رأينا انطلاقاً من المثل السابق أن مدلولات اللُّغات لا تصِف التصوُّرات بالطريقة نفسها. ومن الممكن أن نُلاحظ أيضاً، انطلاقاً من وصف علاقة الاسم النوعيّ بالاسم المُندرج، أنها لا تصفها، وحتى أنّها لا تجزِّئها، بالطريقة نفسها. وسنضرب توضيحاً لهذه المسألة المَثَل الإنجليزيّ الشهير (river). فكلمة (river) إذ تُتَرجَم إلى اللُّغة الفرنسيّة (fleuve) = «نهر» و(rivière) = «جَدوَل»، نطرح أن كلمتي نهر وجَدوَل هما متمايزتان في اللُّغة الفرنسيّة على الصعيد الألسنيّ،

ولكنهما مُمتزجتان في اللُّغة الإنجليزية. ممّا يُفرز شكلاً مندرجاً ونوعيّاً مختلفاً في اللُّغتين. ففي ما يتعلَّق بكلمة (river) الإنجليزية، لدينا على المستوى اللُّغويّ، ما يأتي:

اسم نوعيّ: (watercourse) = (cours d'eau) مجرى مياه

اسم مندرج: (river) = (fleuve) = نهر (rivière) = جدول

(نقلاً عن معجم *The New Shorter Oxford Dictionary* 1993).

نستنتِجُ إذاً أنَّ الكلمة الإنجليزية (river) تنطوي على مدلول «كبير» قابل للتحليل بصعوبة مُقابل مدلولين متمايزين في اللُّغة الفرنسيّة. وعلى صعيد البَنْيَة المعجميّة (أي على صعيد اللُّغة)، تُقدِّم اللُّغة الإنجليزية اسماً مندرجاً واحداً، في حين تُعطي اللُّغة الفرنسيّة اسمَين مندرجَين متشاركَين في الوجود (ألا وهما: نهر وجدول). وفي الواقع، تملك اللُّغة الفرنسيّة اسماً نوعيّاً (ألا وهو: «مجرى المياه» (cours d'eau)) واسمَين مندرجَين يقعان على المستوى نفسه («نهر» و«جدول»)، أي بكلام آخر اسمَين مندرجين متشاركين في الوجود أو اسمَين متساويَين (Gouadec 1990: 50)، فنخلصُ إلى ما يأتي: من خلال استخدام رَمزَي «نهر» و«جدول»، تقوم اللُّغة الفرنسيّة بـِ «التنويع المصطلحيّ» (أي إنها تلجأ إلى استخدام مصطلحين) وبـِ «المساواة بين هذين المصطلحين» (أي إنها تربطهما بالمستوى نفسه) من أجل التعبير عمّا تتركه اللُّغة الإنجليزية ممتزجاً في كلمة واحدة. وإن هذا النوع من التفاوت بين المدلولات من لغة إلى أخرى، يجعل درجة استعادة النص المترجَم أمراً خاضعاً للصدفة حتماً (انظر بنوع خاص (Mounin 1963: 48) وما يليها، وكذلك في مواضع أخرى). فكلمة (river) تتجاوز كلمتي (fleuve) و(rivière)، في حين تختصر كلّ من كلمتي (fleuve) و(rivière) قسماً من معنى

كلمة (river). والحال أنه، لو كان التصوُّر يُحَدُّ بالمدلول، لتحتّم علينا التسليم في مثل هذه الحالة: إمّا بأن التصوُّرات تتغيَّر إلزامياً من لغة إلى أخرى، بما أن المدلولات تتغيَّر، وإمّا بأن مدلولات اللُّغتين تتبادل في ما بينها، وهذا محال لأن الواحد منها لا يتطابق مع الآخر. وإذا استنتجنا من عرض المدلولات بَنْيَنَةَ ما يقابلها من تصوُّرات نحصل على:

التصور الشامل Superordonné:

// مجرى مياه// //cours d'eau// //watercourse//

التصورات التابعة:

//نهر// //جدول// //fleuve// //rivière//

//river// //(small) river//

انطلاقاً من اللُّغة الفرنسيّة، نعيد على الصعيد التصوُّريّ، تشكيل تصوُّر شامل وتصوُّرَين تابعين. ويُشكِّل هذان التصوُّران الأخيران بدورهما تصوُّرَين مترابطين في اللُّغة الفرنسيّة ومتميزَين لغويّاً. ولكن ذلك لا يصحُّ في اللُّغة الإنجليزية، ما خلا في الحالات التي يتمّ فيها تحديد كلمة (river) بصفة (small) = صغير، وهذا أمر شائع نسبيّاً. بيد أن اللُّغة الإنجليزية لا تقدِّم شكلاً متمايزاً على مستوى اللَّفظة، مانحةً بذلك مساحةً دلاليّةً أكبر على أيّ حال لكلمة (river) (مجرى مياه كبير إلى حدّ ما)، لدرجة أن كلمة (river) تساوي أحياناً كلمة (watercourse) = مجرى المياه (انظر معجم *Webster's* 1961)). إلاّ أنه باستطاعتنا أن نصوِّبَ إلى حدّ ما هذه التفاوتات بين المدلولات انطلاقاً من تحليل تصوُّريّ. ويُمكننا أن نجري هذا التحليل، مثلما فعلنا في هذا الصدد، انطلاقاً من اللُّغة الفرنسيّة، إنما أيضاً انطلاقاً من أيّ لغة أخرى أو انطلاقاً من مقاربة غير لغويّة، عن طريق ابتكار التصوُّرات بشكل متحرّر من اللُّغات مثلاً، كأنْ نربِطَ التصوُّر // مجرى مياه// بعدَّة تصوُّرات أخرى تبعاً لمنسوب المياه مثلاً، كما

تقوم به كهرباء فرنسا (EDF)، وأن نزوِّدها بتسميات لغويّة. يستعمل بوتييه تعبيراً موفقاً لوصف هذا الفراغ اللُّغويّ الذي قد يكون مؤقتاً أو غير مؤقت (والذي قد نودّ سدَّه حين نعمل في ميدان علم المصطلحات المتعدِّد اللُّغات)، فيُطلقُ عليه اسم «لَفيظة» (lexe)، أي ظلّ التصوُّر الذي يبدو أن طيفه يلوح فوق اللُّغات قبل أن يتجسَّد فيها. . . (Pottier 1974: 44). هذه الأسباب المختلفة تسهم في شرح السبب الكامن وراء إيثار الميادين المتخصِّصة استعمال التسميات القابلة أن تتطابق من وجهة نظر مدلولها كما من وجهة نظر التصوُّر الذي تُحيل إليه. وهذا مثلاً هو حال كلمة قناة المياه (voie d'eau/ waterway/ Wasserstraβ) التي تبقى مساحتها الدلاليّة والتصوُّريّة قريبة جدّاً من لغة إلى أخرى (بحسب مجلس أوروبا (Conseil de l'Europe 1996)).

وبالتالي، تَنتُج عن بَنْيَنَة اللُّغات بَنْينات (structurations) مختلفة للمدلولات، غالباً ما تكون متباعدة، وحتى أنّها تكون غير قابلة للتحويل نسبيّاً، فمثلاً: تتجاوز الكلمة الإنجليزية river حدود النهر والجدول، في حين تَحُدُّ كلّ من الكلمتَين الفرنسيَتين (fleuve) و(rivière) كلمة (river) في قسم من معناها. هذا هو السبب الذي يدفع بعلم المصطلحات إلى تَجَشُّم عناء استخراج التصوُّرات من اللُّغات وإلى الاستناد على هذه الأخيرة لإعادة تشكيل المادة اللُّغويّة من خلال تسميتها (التسميات) أو صياغتها (التعريفات)، وهكذا: يصبو علم المصطلحات إلى صياغة تعريفات للتصوُّرات. ويمكننا أن نتفحَّص هذه المسألة انطلاقاً من مثل آخر، هو مثل الكلمة الفرنسيّة (bateau) = «مركب» في ميدان الملاحة الداخليّة. ففي هذا الميدان، يتمّ تحديد المركب باعتباره «بناءً عائماً مجهّزاً أو غير مجهّز بمحرك وقابلاً أن ينتقل أو أن يتمّ نقله، كما إنه يكون قادراً أن يستقبل أو أن ينقل البضائع أو الأشخاص (انظر القرار حول مجموعة مصطلحات

النقل الصادر في 18 تمّوز/ يوليو عام 1989 في **الجريدة الرسميّة** الصادرة في 12 آب/ أغسطس عام 1989). ويُمَفصل هذا التعريف البالغ الدقة بعض الخصائص التي تمّ الإبقاء عليها في هذا الصدد مقارنةً مع خصائص أخرى. وهكذا، فمن شأن الخاصيّة //بناء// (//construction//) أن تُميِّز المركب عن كلّ جسم عائم آخر، كما إنَّ خاصيَّتَي //مزوَّد بمحرِّك// (//motorisée//) و//غير مزوَّد بمحرِّك// (//non motorisée//) تسمحان بضمِّ المراكب ذات المحرِّكات والمراكب الشِّراعيّة، في حين تُميِّز خاصيَّة //قابل أن ينتقل// (//susceptible de se déplacer//) المراكب، عن //البناء العائم// (//établissement flottant//) الذي يبقى مثبتاً بالرصيف والذي يخضع لهذا السبب لقواعد الأمن الخاصة، أمَّا خاصية //أن يتمّ نقله// (//d'être déplacé//)، فتضمِّن الطَوْفيّات(*) بنوع خاص، وأخيراً، من شأن خاصية //قادر أن يستقبل أو أن ينقل البضائع أو الأشخاص// (//apte à recevoir ou à transporter des biens ou des personnes//) (إذا ما جعلنا من هذه المجموعة خاصيةً متجانسةً حتى وإن كانت تضمُّ عدة خاصيّات)، أن تُميِّز المركب عن كلّ بناء عائم آخر (كالشاخص الإذاعيّ(**) أو زورق التجسير... إلخ).

نتبيَّنُ طريقة عمل التعريف المصطلحي التي تعمدُ إلى تضمين/ استبعاد الخاصيّات بشكل دقيق وإلى إبراز التضاد مع تصورات أخرى. وتتجلّى هنا علاقة التضاد الأساسيّة في الإشارة إلى البناء العائم الذي يشكِّل حالةً خاصةً في تنظيم الملاحة الداخليّة (إذ إنه يكون مثبتاً بالرصيف وعملية انتقاله تكون صعبة). وكان من الممكن أيضاً أن يتمّ تمثيل علاقة التضاد هذه والمعايير المنتقاة لصياغة

(*) إنَّه عبارةٌ عن قارب إنزال أو قارب كبير مسطَّح على شكل طَوْف.
(**) أداة إذاعية تُستعمل في إرشاد السفن والطائرات.

التعريف من خلال الإشارة إلى السفينة (navire) التي هي عبارةٌ عن مركب مخصَّص للنقل البحريّ. ولكن نظراً إلى واقع أنه يتمّ تحديد المركب هنا في ميدان الملاحة الداخليّة، فقد بدا كافياً أن نقف عند ذكر التناقض الذي يجمعه أساسيّاً مع البناء العائم، إذ تتعلق المسألة في هذا الصدد بالتعريف بالمراكب المخصصة للملاحة الداخليّة فقط. وعليه، لقد تمّ لغايات تنظيمية تحديد المركب باعتباره تصوُّراً متخصِّصاً، حيث إن وجهة النظر المصطلحيّة قد أَلزَمَت المركب باتخاذ صفة نوعيّة لا يملكها في اللُّغة العامَّة، وهكذا: من شأن الصفة التخصُّصيّة المعطاة لمصطلح مركب أن تَحُدَّ من توسِّعه. وبالعكس، إذا ما رجعنا إلى معجم لغة كمعجم (*Lexis*)، نكون أبعد ما يكون عن هذه الصفة النوعيّة، إذ يتمّ فيه تحديد كلمة مركب (bateau)، على الشكل الآتي: «شتَّى أنواع السفن والقوارب» (نقلاً عن معجَم (*Lexis* 1979))، وعلى مستوى تعريفيّ آخر أيضاً، يُحدِّد معجم (*Le Nouveau Petit Robert*)، كلمة مركب (bateau) كما يأتي: «بناءٌ عائم مُخصَّص للملاحة» (*Nouveau Petit Robert* 1993) وفي هذا التعريف لكلمة مركب، يتعذَّر علينا أن نلاحِظ وجود تفاوتات بين التصوُّر والمدلول، حيث يبدو أنَّهما متطابقان. ويُمكننا في هذه الحالة أن نعتبرَ أنَّ اللُّغة هي التي تُعطي شكلاً للتصوُّر (فلا نتخيَّل أن يكون المركب شيئاً آخر غير «بناء عائم مُخصَّص للملاحة»). أمَّا في حالة التعريف المصطلحيّ، فيتعيَّن علينا في المُقابِل أن نعتبر أن التصوُّر هو الذي يعطي شكلاً للُّغة (إذ إننا ندفعُ كلمة «مركب» باتِّجاه اكتساب معنى خاصّ لا يملكه عادةً). وإذا صحَّت هذه الفرضيّة، فلن تكون دراسة كيفيّة تسمية المفاهيم والأشياء ودراسة معاني الكلمات عبارةً عن مجرد منهجَي عمل أو تحليل مختلفين فحسب، بل إنهما ستشكِّلان أيضاً أسلوبَين مختلفَين تنتهِجهما اللُّغة والتصوُّرات من أجل إنشاء بنية خاصة بها. وعليه،

يترتب علينا أن نأخذ في الاعتبار الدور الذي يضطلع به اشتراط التعريف في إطار عمليّة تخصيص المعنى هذه التي ينتهجها غالباً علم المصطلحات، إذ: نعطي معنى خاصّاً لوحدة لغويّة من خلال إرغامها على امتلاك هذا المعنى في سياق البرهنة التي ننجزها بشأنها. وبغية استكمال هذا التحليل، نميلُ إلى القول إن السيمات كلها تكون متوفِّرةً في كلمة مركب بمعناه العامّ، في حين لا تُعطى السيمات في كلمة مركب بالمعنى الذي يتَّخذه في المِلاحة الداخليّة إلاّ من خلال خاصيّات التصوُّر. وتُصبح هذه السيمات متوفرةً إذا ما ابتكرنا مثلاً مصطلح «مركب داخليّ» (bateau intérieur) (أي مركب مُخصَّص للمِلاحة في مياه الأنهار والبُحيرات)، وقد يدمجُ المدلول في هذه الحالة خاصيّات التصوُّر بالكامل على شكل سيمات، فيتطابق حينئذ المدلول والتصوُّر.

يبدو هذا النوع من الظواهِر غير مألوف، إلاّ أنه شائعٌ في الميادين التقنيّة أو العلميّة التي يكون فيها التصوُّر هو المقصود والمُحدَّد بالدرجة الأولى وليس التعبير عنه في اللُّغة (التي تُعنى بالمدلول). ومن هنا، تنشأ التفاوتات التي تمكن ملاحظتها من ميدان إلى آخر.

5.3 ـ لا يُحَدُّ التصوُّر بالمدلول : إبهام المدلول

باستطاعتنا أن نحاول التعمُّق في هذَين التحليلين اللذين يتمحوران حول التمييز المحتمل بين التصوُّر والمدلول من خلال التمعن في طريقة عمل المصطلح. ولقد رأينا أن عمليّة التمييز بين التسميات والتصوّرات هي التي تسمح بإعادة بناء الحقول المصطلحية (على غرار watch / veille/ حِراسة) والمستويات التصوريّة التي تنظِّمها اللغات (على غرار river/ fleuve, rivière/ نهر وجَدوَل). كما إنّ عملية تعيين حدود التصوّرات هي التي تسمح بضبط مصطلحات

اللغات المختلفة بعضها بالنسبة إلى البعض الآخر، باعتبار أن اللغات تنزع إلى تضليلنا إذا ما تمَّت دراستها بشكل منعزل. وهكذا، يختلف مدلول المصطلح الفرنسيّ contrôle (الذي يجمع في آن فكرة السيطرة على إجراء معين والتحقُّق منه) عن مدلول الكلمة الإنجليزية (control) الذي لا ينطوي عموماً في اللغة الإنجليزية إلاّ على معنى السيطرة الفاعِل. ومن هنا نَشَأَ، تحت تأثير اللغة الإنجليزية، الإبهام الذي يكتنف المصطلح (contrôle) في اللُّغة الفرنسيّة المتخصِّصة (فإمّا أن ينطوي على معنى السيطرة أو التدقيق، أو أن ينطوي بفعل المحاكاة اللُّغويّة عن اللُّغة الإنجليزية على معنى السيطرة فقط). ويتمّ ذلك، حتى حين يكون التصوُّران اللَّذان ترجِع إليهما الكلمة الفرنسيّة (contrôle) (ونعني بهما: //سيطرة// (//maîtrise//) و//تدقيق// (//vérification//) ماثِلَين وقابلَين تماماً للتمييز بشكل دقيق. فجُلّ ما في الأمر أن السياقات ومقامات التواصل تترك على الدوام أثراً في التفسير الذي ينبغي إعطاؤه للمدلول أو للمدلولات المُستخدمة، ممّا يستوجب تثبيت معنى المصطلحات المتخصِّصة، فمثلاً: يتمّ لهذا السبب حَظْر استعمال كلمة (contrôle) نوعاً ما في بعض حقول الاختصاص من مثل الهندسة الذريّة، والتي يُفضي فيها أيّ غموض في معنى المصطلحات المُستعملة إلى عواقب وخيمة. وثمّة أمثلة أخرى من شأنها أن توضِّح هذه الظاهرة، نذكر منها على سبيل المثال كلمة (fuel-oil) التي تشير في اللُّغة الإنجليزية إلى المحروقات والوقود في الوقت نفسه، في حين أنها تدلّ في اللُّغة الفرنسيّة على المحروقات وحدها. وفي الواقع، تتجلى إحدى خصائص التصوُّر، من وجهة نظر منطقيّة بحصر المعنى، في أن يكون متمايزاً عن أيّ تصوُّر آخر وأن يكون غير مكتنف بالإبهام. وبناءً عليه، يتعيَّن علينا أن نعتبر أن إبهام مصطلح ما (أو بشكل أعمّ، إبهام وحدة لغوية وحتى سيميائية) يحمله الرمز نفسه وفيه، عبر مدلول التسمية بنوع

خاص (أي المجموعة الدلاليّة المؤلِّفة للشكل اللُّغويّ). ويتمّ ذلك، حتى ولو أن التصوّرات التي يوحّدها المدلول العام في دال واحد، إذ إن هذه التصورات تبقى شديدة الحضور. من هنا نشأ الإبهام الشديد الوطأة الذي يكتنف ما يمكننا تسميته بتأثيرات اللُّغة في التصوُّرات، من هنا أيضاً برزت ضرورة العمل في ميدان علم المصطلحات على التصوُّرات بغية استنتاج الدلالة الدقيقة التي تنطوي عليها المصطلحات الواجب معالجتها. ومن الممكن أيضاً أن نُفسِّرَ انطلاقاً من هنا ما يسمى «لأسباب تعود للإبهام وسوء التفاهم» «الخوف من المدلول» أو بالحذر من المصطلح المجازيّ والذي يمكننا ملاحظته لدى التقنيين والعلماء المتخصصين (انظر بوجه خاص (Bachelard 1972))، لمصلحة تفضيل تحليل التصوُّرات التي تعتبر غالباً غير مكتنفة بالغموض وقابلةً للتحديد بوضوح، وتكون وطأة ذلك أشدّ وأمضى حين تكتسب هذه التصوُّرات تصديق الواقع عليها، ومن ثم: سواء كانت المسألة تتعلق بعمليّة تعيين حدود المصطلحات بواسطة تعريف لغويّ أو بتمثيلها في نظام رمزي آخر (على غرار تمثيل الوحدة الكيميائية أو المعادلة الرياضيّة... إلخ)، فإن ما يشكِّل نقطة رسوخ كل تمرين علميّ إنما هو التصوّر وعمليّة إدراجه في إطار تحليل عقليّ.

6.3 ـ غنى المدلول

ولو اتَّصف الرمز اللغويّ بالإبهام جرَّاء مدلوله، فهو، بلا ريب، يستمّد منه غناه أيضاً. إن الرمز اللغويّ يفيض بالمعاني، يكفي أن نقارن كلمة (eau) «مياه» مع رمزها الكيميائيّ (H_2O). ويدرج هذا الرمز الكيماويّ في نظام صارم مبنيّ على تحليل مُكَوِّنَي المياه: الهيدروجين والأكسيجين. علماً بأن لا وقع لهذا الرمز الجوهر الكيماويّ (H_2O) ولا صدى، كما إنّه لا يثير الخيال. وهذا هو

المُبتغى، باعتبار أن العلوم الدقيقة تتفرَّد بميزة ابتكار أنظمة تنويت تكون مختصة بها. وهكذا، «إن الرموز التي تكون أول الأمر مثقلةً بالتضمينات التي ترتبط عادةً بالصُّور، تتجرَّد منها تدريجيّاً لتعمل كبُنى مؤلَّفة من عناصر حمّالة معان محدّدة وقابلة للتركيب في ما بينها (Granger 1979: 26) (نشير بشكل عابر إلى أن هذا الأمر يشكِّل برنامج عمل جيّداً لعلم المصطلحات). ويُردِفُ المؤلِّف قائلاً: «يُظهر لنا تاريخ العلوم أن كلّ علم ينزع إلى تطوير نظام كتابة خاص ينفصل بشكل بيِّن إلى حدّ ما عن ترميز اللُّغات الطبيعيّة البسيط (المصدر نفسه، ص 27). إنَّ هذه الإشكاليّة هائلة وهي تؤدِّي إلى إجراء دراسة عامة للأنظمة الرمزيّة. أمّا في ما يخصُّنا، فنؤكِّد أن تأشيرة من مثل (H_2O) لا تنطوي إلاّ على الشحنة المعنويّة التي تملكها في النظام الذي تندرج فيه. في حين أن معادلاتها من المفردات اللغوية التي تتخذ أحد أشكال الرموز الآتية: (eau) و(wasser) و(water) و(agua) و(aqua) و«ماء»... إلخ، تملك في اللُّغات مساحةً دلاليّةً وبُعداً انفعاليّاً كبيراً جدّاً. فهي تصوِّر الماء باعتباره عنصراً سائلاً وعنصراً مُجدِّداً ومبدأ حياة ونظافة ونقاء وقيامة، وإلى ما هنالك. وهكذا، وإن كان الرمز اللُّغويّ يتضمَّن بُعداً تعيينيّاً (باعتبار أنه يُحيلُ عموماً إلى مرجع يمكن تحديد موضعه إلى حدّ ما)، إلاّ أنه يحتوي أيضاً على بُعد تضمينيّ (فهو يثير صُوَراً وتمثيلات تكون منظمةً في اللغة والمجتمع والأفراد أو عبرهم). وباختصار، يكون الرمز اللغوي مزوداً، كما يُنوِّه به سوسور ببراعة، «حياة سيميائيّة» خاصة به. ولهذا السبب تحديداً تحترس منه العلوم وتسعى قدر الإمكان إلى تلافيه والتخلص منه.

أمّا بالنسبة إلينا، فيُشكِّل المدلول المكان الذي تتركَّز فيه أساسيّاً شحنة المعنى هذه التي نطلق عليها اسم «غنى المدلول» والتي تُشكِّل فَيْض معناه الفعليّ (في السياق) والقابل للتحفيز (في اللُّغة). وهذا ما

تشهد به بدرجات متفاوتة المعاجم قاطبةً، في حال لم نكن مُقتنعين بذلك بأنفسنا، فمعاجم اللُّغة تزخَرُ بهذه المعاني التعيينيّة طبعاً، إنما التضمينيّة أيضاً. وهذا هو على سبيل المثال شأن المُفردة (faisan) = تُدْرُج التي يُحدِّدها معجم (*Le Nouveau Petit Robert*) كالآتي: «عصفورٌ من الدجاجيّات (التُدْرُجيّات) مكسوٌّ بريش ملون وله ذنب طويل (الذكر) ويُقدَّر للحمه اللَّذيذ المذاق»، حيث تضاف إلى الوصف الموسوعيّ نوعاً ما للعصفور معلومةٌ مطبخيّةٌ وثقافيّةٌ غير متوقَّعة بما فيه الكفاية. هذا ويتمّ تحديده في موضع آخر، في معجَم (*Grand Larousse de la langue française*)، كالآتي: «عصفورٌ من فصيلة الدجاجيّات أصله من آسيا، يكسوه ريشٌ فاقع اللَّون ولاسيما لدى الذكر الذي يملكُ ذنباً طويلاً، كما إنَّه يُقدَّر للحمه اللَّذيذ الطَعْم» (نقلاً عن (Collinot et Mazière 1997: 172) وما يليها وفي مواضع أخرى، واللَّذين يُبرِزان على نحو لافت للنظر هذا الجانب في المعاجِم). أمّا في ما يخصُّنا، فنحنُ لا نُنكِر وجود التصوُّر // تُدْرُج// في الرمز «تُدْرُج». إذ إن الحيوان محدَّدٌ تحديداً جيِّداً في هذا الصدد إن من حيث فصيلته أو رتبته. ولكنه عولج في محيط دلاليّ وحتى سيميائيّ يتجاوز حدوده بأشواط بعيدة. وباستطاعتنا أن نطيل البَرهنة مستعينين بكلمة (paon) = «طاووس» مثلاً، والذي يتمّ تحديده على الشَّكل الآتي: «طير داجن مكسو بريش جميل، له قنزعة على رأسه وذنب طويل تغطِّيه علامات على شكل عيون، وهو من رتبة الدجاجيّات ومن فصيلة الطاووس الهنديّ الأزرق اللَّون (Pavo cristatus L) (نقلاً عن معجم *Littré*). كما يتمّ تحديده من منظور آخر، كالآتي: «طير منشأه آسيا (من فصيلة الدجاجيّات أو التُدْرُجيّات) يوازي حجمه حجم التُدْرُج، ويكون الذكر منه مكسوّاً بريش أزرق ممزوج بالأخضر، وله قُنزعةٌ على شكل تاج، فضلاً عن ذنب طويل ذي ريشات مُبَّقعة بالعُيَيْنات، يستطيع الحيوان أن ينصبها

وأن يبسطها على شكل مروحة» (*Nouveau Petit Robert*). يُذكِّرنا الطاووس بالتُدْرُج، ولكننا لا نكترث هنا بمذاق لحمه بل بلونه الذي يجعلنا نسافر إلى دنيا الأحلام. ونلاحظ إلى أيّ مدى تتجلى التمثيلات الاجتماعيّة في هذا الصدد، علماً بأنها قد تتبدل احتماليّاً من مجتمع إلى آخر. ويُظهِرُ المدلول فيها زينات الطائر ورُقشاته إزاء لانفعاليّة التصوُّر المُفترضة (يمكننا أن نحلم بما كان يمكن أن يكتبه رولان بارت (Roland Barthes) في هذا الموضوع).

علينا ألاّ ننسى، من دون أن تتاح لنا إمكانيّة توسيع هذه الفكرة في هذا المعرض، أن الدالّ يشترك أيضاً في غنى الرمز. وهذا ما نلاحظه على نحو مُبين في الأنظمة الكتابيّة الرمزيّة، فمثلاً: يتضمن كلّ من أيديوغرام(*) الربيع في اللُّغة الصينيّة واللُّغة اليابانيّة على السِمة «شمس» (soleil). وصحيح أن الأمثلة المقتبسة عن أنظمتنا الكتابيّة تكون أقل نبضاً بالحياة إلاّ أنها توضِّح الفكرة أيضاً. ونذكر على سبيل المثال الكلمة الفرنسيّة الرائعة (baladeur) = جهاز الموسيقى الجوَّال التي غدَت مصطلحاً رسميّاً في فرنسا يعادل كلمة (walkman) الإنجليزية (**الجريدة الرسمية** الصادرة في 18 شباط/ فبراير عام 1983)، والتي توفّق بشكل مدهش بين مفهوم الـ (balade) بمعنى التنزُّه والـ (ballade) بمعنى الأغنية (Depecker 1996). وهكذا، نجد أنه من الممكن للبُعد التضميني والتخيُّليّ الذي يتصف به الرمز أن يبرز في الدالّ وفي شكله وفي المفاعيل التي تنتجُ عنه (على غرار المجانسة وعمليّة إدراج الكلمات في محور استبدالي والجناس غير التامّ... إلخ).

(*) إنَّه عبارة عن صورة (أو رمز) تُستعمَل في نظام كتابيّ ما (كالهيروغليفية والصينية) وتُمثِّل شيئاً أو فكرةً لا كلمةً خاصَّةً بهذا الشيء أو تلك الفكرة.

4 ـ بعض التبعات المحتملة الناجمة من التمييز بين التصوُّر والمدلول

4.1 ـ وصف ممكن للصِلات التي تربط التصوُّر بالرمز

قد يتجلّى أحد أكثر الإثباتات الدامغة على التمييز بين المدلول والتصوُّر في أننا نستطيع أن نراقب الصلات القائمة بين التصوُّر والرمز، في حين يتعذر علينا القيام بذلك انطلاقاً من الرمز نفسه (يكون ذلك بمثابة التقيُّد بالتحليل التقليديّ للمدلول الذي يندمج بالتصور تقليديّاً). ويمكننا في الواقع أن نحلِّل العلاقات التي تربط التصوُّر بالرمز والعمل عليها من خلال اعتبار الرمز ككل (دالّ + مدلول) مقارنةً بالتصور. ولكن قبل القيام بذلك، سنذكِّر ببعض وقائع اللُّغة بغية التشديد على تكامليّة الوصفين تصوُّر/ رمز ورمز/ تصوُّر. إذا نظرنا إلى المُجانسة والترادُف، نلاحظ أن المجانسة تتعلَّق بإحدى خصائص الرمز اللُّغوي التي هي تعدُّديّة المعاني، أي واقع أن يكون للرمز عدَّة معان. أمّا بالنسبة إلى الترادف، فهو يتعلَّق في المرتبة الأولى بميزة أخرى من مميِّزات الرمز اللُّغوي والتي تتمثَّل بإمكانيّة استخدام هذا الرمز في بعض السياقات مكان رمز آخر نسبيّاً. ومن الممكن انطلاقاً من هنا أن نعاين بموجب مقاربة تعتمد وجهة نظر دراسة معاني الكلمات، ما تكون عليه حال العلاقة القائمة بين الرمز اللُّغويّ والتصوُّر، إذ: يكون الرمز اللُّغوي متعدِّد المعاني في أغلب الأحيان، أي إنه يملك عدَّة مدلولات تتطابق مع عدَّة تصوُّرات. ومن النادر في المقابل أن يكون الرمز أحادي المعنى، ما عدا في الميادين المتخصِّصة. ولكن حتى هنا ينبغي أن نتوخى الحذر لأننا قد نتصوَّر أوليّاً أن للصفة (chlorhydrique) = حمضي كلوريدريكي مثلاً معنى واحداً ومدلولاً واحداً، وتتطابق مع تصوُّر واحد (Martin 1992: 75). ولكن لسنا على يقين من ذلك، إذ من الممكن أن تكتسب الصفات

عدَّة معانٍ حتى في ميدان الكيمياء، مثلما نرى في هذا المثل حيث يمكن للصفة (chlorhydrique) أن تعني على الأقلّ إمّا «مصنوع من الكلور» (fait de chlore) = أو «من طبيعة الكلور» (de la nature du chlore)، ممّا يشكِّل على أيّ حال فوارق دقيقة في المعنى لا يستهان بها. قد يُسهم التمييز بين الرمز والتصوُّر في إبراز هذا النوع من الظواهر إذا أخذنا بالاعتبار طبيعة تعددية المعاني للرموز اللغوية بشكل أساسيّ.

وبالعكس، فبمقتضى مقاربة تعتمد وجهة نظر تسمية الأشياء والمفاهيم، قد يكون وصف العلاقة القائمة بين التصوُّر والرمز اللُّغوي مفيداً بالقدر نفسه. قد يكتسب التصوُّر إمّا تسميةً واحدةً أو عدَّة تسميات. في حال لم يكتسب التصوُّر إلاّ تسميةً واحدةً، يقال عن العلاقة التي تربط التصوُّر بالرمز إنها أحاديّة التسمية (انظر بنوع خاص معيار المنظمة العالميّة للمَعيَرة إيزو رقم 1087، عام 1990، في الفقرتين 1.4.5. و2.4.5.). ولكن التصوُّرات التي تكتسب تسميةً واحدةً نادرة جدّاً وتكون عبارةً عن وحدات علميّة، أي جُزَيئات ونجوم بشكل أساسي، يشار إليها برموز بسبب أعدادها التي لا تحصى، وهذا ما لاحظه ميشال سير (Michel Serres) في معرض نقد هذا الأسلوب، قائلاً: «لم تعد النجمة باعتبارها نجمةً أو مسمّاةً هكذا موجودةً [. . .]. ولم تعُد التسميتان (RR Lyrae) أو الوميض (NGC1036) تُشكِّلان جزءاً من أيّ لغة، إذ إنهما تنفصلان عن اللغة أسوةً بالمعادلات التي نناقشها بشأنهما (1985: 378). ولكن أن يكتسب التصوُّر في المقابل عدَّة رموز أو تسميات، فهذا الواقع يفتقر إلى أيّ اسم، ومردّ ذلك بلا ريب إلى أنه يمثِّل غالبيّة الحالات الساحقة. ونقترح أن نطلق عليه، تماشياً مع مصطلح «أحاديّة التسمية»، اسم «تعدُّديّة التسمية»، للدلالة على واقع اكتساب التصوُّر عدَّة رموز أو تسميات.

إن هذه الملاحظات المَصوغة انطلاقاً من التمييز بين التصوُّر والرموز تعود بمنفعة نظريّة ومنهجيّة على علم المصطلحات النظريّ. فهي تبرز هذا النمط من الظواهر من خلال التشديد على الطبيعة المتعدِّدة المعاني بشكل أساسي التي تتصف بها الرموز اللُّغويّة. كما إنها تسمح لنا بأن نحدّد جيِّداً ما يتعلَّق بالعنصر اللُّغوي وما يتعلَّق بالعنصر التصوُّري وبتطويق الإشكاليّات التي تنشأ عنهما بشكل أفضل. وهكذا، حين نقول عن مصطلح إنه مجانس لمصطلح آخر، فإن العلاقة المقصودة هي تلك التي تنطوي بشكل أوّلي على الرمز اللُّغويّ وليس على التصوُّر، إذ: لا يمكن للتصوُّر أن يكون «مجانساً» لتصوُّر آخر، لأنه ببساطة مجرَّد تصوُّر (أي يتمتع بميزة اللَّاهويّة). وكذلك، حين نقول عن مصطلح إنه أحاديّ المعنى، فإن العلاقة التي نشير إليها هي علاقة تربط اللُّغة بالتصوُّر موضوع البحث. وأن نقول عن التصوُّر إنه أحادي المعنى لا معنى له. وبالعكس، من العسير أن يقال عن التسمية إنها نقيض تسمية أخرى أو متناقضة معها، إلاّ إذا كنا نعتبر أن اللُّغة تتطابق مع المنطق. ولكن جلّ ما تستطيع اللُّغات فعله هو أن تعيد وبدرجات متفاوتة من الدقَّة إنتاج العلاقات المنطقيّة القائمة بين التصوُّرات، ولها في ذلك ضروب وأشكال متغيِّرة للغاية. والدليل على ذلك أنها تمزج الوصف النحوي لعلاقات التضاد (على غرار أبيض/ أسود) والتناقض (على غرار شرعيّ/ غير شرعيّ) تحت مصطلح نقيض، فوحدها العلاقات القائمة بين التصوُّرات، مثلما وَصَفَها المنطق، تستطيع أن تكون متضادَّةً أو متناقضةً، الأمر الذي يكون له عقبى على معالجة اللُّغات.

2.4 ـ وصف محتمل للصلات التي تربط الرمز بالتصوُّر

يمكننا عند هذه المرحلة أن نرجع إلى الرمز اللُّغوي، من خلال معاينة الوصف الذي قد تعطيه التسمية للتصوُّر الذي تحيل إليه. ولا

يسعنا إلاّ أن نعتبر أن الهدف من التسمية لا يكمن في وصف خاصيّات التصوُّر أكثر ممّا يتعلَّق بعمليّة الإرجاع بطريقة شاملة ودقيقة بدرجات متفاوتة إلى التصوُّر موضوع البحث. وفي الواقع، تملكُ اللُّغة، كما ذكَّرنا به للتوّ، قدرةً إيضاحيّةً نسبيّةً جدّاً في وصفها للتصوُّرات، مقارنةً مع أنظمة رمزيّة أخرى. وغالباً ما تتَّسم عمليّة وصف خصائص التصوُّر التي تضطلع بها التسمية بطابع بيِّن إلى حدّ ما. وهكذا، إن التحدُّث عن الـ (section efficace) = «مَقطع فعّال» في ميدان الفيزياء النوويّة من أجل وصف «إمكانيّة حدوث تفاعل بين جُزَيئَة فرعيّة وجُزَيْئَة هدف»، يكون بعيداً كلّ البعد عن الإحاطة بهذه الظاهرة، علماً بأن حتى أكثر أنظمة المعادلات تطوراً لا تستطيع أن تعبِّر عنها إلاّ بشكل مشوب بالنقص. ولكن، قد تسمح المصادر الصرفيّة التي تملكها لغة معيَّنة بالاقتراب بشكل مُرض بدرجات متفاوتة من وصف التصوُّر المُشار إليه. وينبثق في الواقع تعليل المصطلح عن الحرص على مطابقة الرمز اللُّغويّ للتصور الذي يرجع إليه. بيد أن تعليل المصطلح، أيّاً يكن هذا التعليل، لا يستوفي التصوُّر إلاّ بشكل استثنائي ونسبي.

يبرز هذا الأسلوب بوجه خاصّ في المصطلحات المنحوتة. إذ في الكلمة الفرنسيّة (méningite) = «التهاب السحايا» على سبيل المثال، تسِمُ اللاَّحقة الفرنسيّة (ite-) الخاصيّة «التهاب»، ويُشدِّد المحور الاستبداليّ التصنيفيّ الذي تُشكِّله هذه اللاَّحقة مع كلمات من مثل (névrite) = «التهاب العَصَب» و(tendinite) = «التهاب الوتَر»... إلخ، على ثبات هذا الإرجاع. وانطلاقاً من هنا، قد يتمّ في اللُّغة الفرنسيّة إدخال عدَّة أنماط من الإيضاحات، على غرار إيضاح تدرُّج الأمراض الواحد منها بالنسبة إلى الآخر، على الشَّكل الآتي: (ite-) تدلُّ على التهاب حادّ) و(ose-) (تدلُّ على التهاب مزمن) و(ome-)

تدلّ على مرض خبيث. وتُنتج إمكانيّات ملاءمة التسميات مع التصوُّرات هذه طرائق وأساليب متنوِّعةً لصَوغ الأسماء، كالآتي: أسماء نظاميّة أو نصف نظاميّة (ويقال لها أيضاً نصف عاميّة) أو أسماء عاميّة. وإن أخذنا على سبيل المثال الكلمة الفرنسيّة (octane) = أوكتان، نجد أن كلّ عنصر من عناصرها المكوِّنة هو نظاميّ، بمعنى أنَّه يُحيل إلى خاصيّة محدَّدة بوضوح، كالآتي: -oct (ثمانية) و(ane-) (ذرَّة كربون). وبالتالي، يتألَّف الأوكتان من ثماني ذرّات من الكربون. وفي ما يتعلَّق بالأسماء النصف نظاميّة، يمكننا أن نستشهِدَ بالكلمة الفرنسيّة (méthane) = غاز الميتان التي لا ينطوي العنصر الأول فيها على معنى نظامي، حتى وإن كان يملك معنى نظاميّاً من حيث الاشتقاق (باعتبار أنه مشتقٌّ من الكلمة اليونانيّة (méthu) التي تعني «مشروباً متخمِّراً»)؛ فغاز الميتان يتطابق مع ذرَّة كربون واحدة. وأخيراً، إن الاسم العامي هو الاسم الذي يفتقر إلى الدلالة النظامية، على غرار الكلمة الفرنسيّة (esprit-de-bois) = «حِمْض كلوريديّ» والتي تعني حرفيّاً في اللُّغة الفرنسيّة «روح الخَشَب»، وهو اسم خيماويّ (alchimique) قديم للدلالة على غاز الميتان. وفي إطار هذه التصنيفيّة العملاتيّة في ميدان الكيمياء، يُعدُّ الاسم النظامي نوعاً من مثال أعلى، ولكنه سهل البلوغ نسبيّاً باعتبار أن «الغرض الأساسي من وضع مجموعة المصطلحات المنهجيّة «يكمن» في أن الاسم يصف بنية الأجسام مثلما تُعبِّرُ عنها الصّيَغ العلميّة (formules) الموسَّعة» (Rigaudy 1995: 2). وهذا ما يصبو إليه باستمرار علم الكيمياء الذي يعتبر أن التصوُّر يشكِّل فعليّاً بنية الوحدة الموصوفة.

قد يكون لهذا الوصف عقباه على الطريقة التي نعاين بموجبها الرمز اللُّغويّ من وجهة نظر التصوُّر. وفي حال كنا نُحلِّلُ مطابقة الاسم للشيء، يمكننا مثلاً في الوضع المثالي أن نعيد إنشاء المُنتج

انطلاقاً من اسمه. وهذا ما يحصل في ميدان الكيمياء مع الأسماء النظامية. إذ يعدِّد الاسم النظامي، على الصعيد اللُّغوي، خصائص التصوُّر الموصوف بأكبر درجة ممكنة من الشموليّة. وقد يذهب هذا الأسلوب أبعد من ذلك بكثير، لأن الوصف لا يتناول فقط المكونات التي تتألف منها الوحدة، بل إنه يتناول أيضاً، قدر المستطاع، الروابط التي تنشأ بين هذه المكوِّنات. وإذا أخذنا مَثَل الكلمة الفرنسيّة (cyclopentaazane) = حلقة ذرات الكربون الخماسية، نجد ما يأتي: تتعلَّق المسألة بمركَّب ذي حلقة مُشبعة مؤلَّفة من سلسلة من خمسِ ذرّات مماثلة يُشار إليها بالرمز (NH) أي النِتروجين الذي يتألَّف من ذرَّة هيدروجين (H) واحدة (انظر بوجه خاصّ: (المصدر نفسه، ص 6) ولكن ذلك لا يحول دون إمكانيّة أن تكتسِبَ الوحدة عدَّة أسماء، وهكذا مثلاً نُطلق عادةً على كلمة (cyclopentaazane) التي تُعتَبَر بمثابة الأمين(*) الحلقيّ الثانويّ (amine cyclique) اسم بيرّول(**) (pyrrolidine). وبالتالي، يُظهر الرمز اللُّغويّ فعاليّةً ممكنةً يتمّ استثمارها على نطاق واسع جدّاً في ميدان الكيمياء وفي مجموعات المصطلحات العلميّة بفضل الوصف التشكُّليّ الذي قد يشتمل عليه الرمز اللُّغويّ، وعليه: تكون بُنية المرجع، وفي ما وراءه الغرض، موجودة في الاسم نفسه. وفوق ذلك، تنفتِحُ على نطاق واسع مجموعة الأسماء العاميّة التي يحسُن بنا أن نُجيدَ التعامل معها لأنها تكون قيد الاستعمال أو مرصودةً له. وهكذا مثلاً، تُشكِّل كلمة (aspirine) = أسبرين (وهو تعبير عاميّ) اسماً تجاريّاً لحَمْض خلِّيك ساليسيليك (حَمْض خلِّيك + حَمْض ساليسيليك). ونرى هنا كلّ

(*) مركَّب ينتج من إحلال مجموعة أو أكثر من مجموعات الأريل محلّ هيدروجين النشادِر.

(**) إنَّها مادة أزوتية مُستخرجةٌ من قطران الفحم الحجري.

الفائدة التي يمكن أن يكتسبها هذا النوع من الوصف المبنيّ على التشكُّل الوصفيّ، ولاسيما من أجل الابتكار التوليدي أو التقعيد المصطلحي، حتى وإن كان هذا النوع من المَنهَجة نادر الوجود، إلاّ أن الكيمياء تمثِّل نموذجاً مثاليّاً إلى حدّ ما في هذا الشأن. ولكن، يعود إلى هذا الميدان الفضل بالتشديد على أنه من الممكن تشكُّليّاً أن نجد عدَّة درجات لوصف التصوُّر بواسطة الرمز، ولاسيَّما على الصعيد التشكُّلي.

وعليه، من الممكن أن يتمّ وصف العلاقتين القائمتين بين التصوُّر والرمز وبين الرمز والتصوُّر، وإقامة الاحتمالات بشأنهما كالآتي: في الحالة الأولى، نُبيِّن ظواهر تعدُّديّة المعاني والترادف والمجانسة المتجذِّرة في طبيعة الرمز اللُّغويّ. ونلاحظ في الحالة الثانية ندرة التصوُّرات التي ليس لها سوى رمز واحد أو إشارة واحدة لتسميتها.

3.4 ـ التبعات المحتملة التي يُخلِّفها التمييز بين التصوُّر والمدلول على تحليل بعض وقائع اللُّغة

تسمح عمليّة التمييز بين المدلول والتصوُّر، في رأينا، بإعادة موضعة ما ينتمي إلى الرمز وما ينتمي إلى التصوُّر، وبالإسهام في تحديد نصيب كلّ منهما في إطار الوقائع الملاحظة. تنفتح هذه الفرضيّة على عدَّة فرضيّات أخرى، ولاسيما من خلال إتاحة المجال للنظر على نحو مغاير، أي من منظور علم المصطلحات، إلى بعض الظواهر اللُّغويّة كالمجانسة أو الترادف أو التضاد أو العلاقة بين الاسم النوعيّ/ والاسم المندرج. تقع هذه المسائل في صُلب علم الدلالة. والأمر نفسه ينسحب على الترادف. وفي الواقع، كيف يمكننا أن نقول، وضمن أيّ نطاق، عن الوحدة اللُّغويّة إنها مرادفة لوحدة

أخرى؟ وبغية دراسة الترادف، يبدو لنا من المُجدي أن نُميِّز بين المعنى والدلالة والتسمية. إذ تشكِّل الدلالة معنى الرمز بصفته رمزاً في اللُّغة، في حين يُعدّ المعنى بمثابة المعنى المُفعَّل للرمز، وأخيراً، تُشكِّل التسمية، بالنسبة إلى الرمز، واقع أن يُرجِعَ إلى ما يُسمِّيه (أي المُسمَّى الخاصّ به)، وبالتعميم إلى الرمز نفسه. وهكذا، يقال عن وحدتين لغويَّتين إنهما مرادفتان من حيث دلالتهما إذا كان من الممكن في عدد معيَّن من الحالات أن نستبدل إحداهما بالأخرى، والعكس بالعكس، على غرار الكلمتين الفرنسيَّتَين (voiture) = «سيّارة» و(auto) = «مَركبة». ولا يتمّ ذلك إلاّ في عدد معيَّن من الحالات فقط، لأننا بتنا نسلِّم اليوم إلى حدٍّ ما بأنه من المحال أن تكتسب وحدتان لغويّتان المعنى نفسه، من وجهة نظر استعمالهما في الخطاب، أي إنهما بكلام آخر لا تستطيعان أن تكونا مرادفتين (حتى بالنسبة إلى كلمتي (voiture) و(auto) اللَّتين لا تندرجان ضمن التراكيب نفسها، باعتبار أنَّه يُفضَّل استعمال الأولى ـ أي (voiture) ـ في فرنسا، في حين يفضَّل استعمال الثانية في كندا. . . إلخ). (انظر بوجه خاص (Rastier 1991: 73) وما يليها). أمّا من وجهة نظر التسمية، فنقول عن وحدتين لغويتين أو أكثر إنها مرادفات، في حال كانت تُحيل إلى التصوُّر نفسه، ومن خلال هذا التصوُّر إلى الشيء نفسه. فمثلاً: يُشار إلى التصوُّر //برمجيّات للتعليم// (//logiciel pour l'enseignement//) «برمجيّات التعليم» (logiciel d'enseignement) و«برمجيّات تربويّة» (logiciel pédagogique) و«برمجيّات التعلُّم» (logiciel d'apprentissage) و«برمجيّات معزَّزَة بالحاسوب للتعليم» (logiciel didacticiel). . . إلخ، وتُشكِّل هذه التسميات كلُّها تسميات متعادِلةً بالنسبة إلى التصوُّر. ويتمّ استعمال هذا الجانب من الترادُف، والمُسمَّى «الترادف المرجعيّ» (انظر بوجه خاصّ (Martin 1976))، في علم المصطلحات النظريّ بشكل أساسيّ. ويشير راي ديبوف (Rey Debove) بشكل أكثر حسماً

في هذا الشأن إلى ما يأتي: «قد نعثر على مرادفات في نظريّة التسمية التي تُنشئ علاقات بين العالم والرموز، ولكننا لا نجد لها أثراً في نظريّة الدلالة (95 :1997). وفي الواقع، إذا كنا نجري تحليلاً للمدلولات وحدها، سيكون من العسير برأينا أن نستخدم فيه هذه التسميات باعتبارها تسميات متعادلةً، حيث إن صفة «للتعليم» لا تتساوى لا مع صفة «للتعلُّم» ولا مع صفة «تربويّ» ولا مع صفة «تعليميّ». ومن الصعب أيضاً اختزالها بقاسم مشترك يتمّ تشكيله انطلاقاً من مدلولات هذه التسميات. في حين أنه من وجهة نظر التصوُّر، تكون هذه العلاقات انعكاسيّةً وتماثُليّةً (فإنْ كان التصوُّر برمجيّات تعليميّة مساوياً لتصوُّر برمجيّات للتعلُّم، يكون إذاً التصوُّر الثاني متطابقاً مع التصوُّر الأوَّل) ومتعدّياً (أي، إن كان التصوُّر برمجيّات تعليميّة مُساوياً لتصوُّر برمجيّات التعلُّم، وإن كان هذا الأخير مساوياً لتصوُّر برمجيّات تربويّة، فيكون إذاً التصوُّر الثالث مُتطابقاً مع التصوُّر الأول).

التمييز بين المدلول والتصوُّر يطول مسألة التضاد كذلك. ويغطّي التضاد في علم المصطلحات نمطين على الأقلّ من العلاقات المنطقيّة، هما: علاقة النقيض وعلاقة التناقض (انظر بوجه خاص (Martin 1976: 59) وما يليها، و(Pottier 1992: 47) وما يليها). وتكون علاقة التناقض مبنيّةً في علم المنطق على واقع أن القضيّة إمّا أن تكون صحيحةً أو خاطئةً. وعليه، فإمّا أن يكون الأمر تنفيذيّاً/ أو غير تنفيذيّ (exécutoire/ non exécutoire)، شرعيّاً/ أو غير شرعيّ (légal / illégal)، مشروعاً/ أو غير مشروع (licite/ illicite)، إلى ما هنالك. وعليه، فإمّا أن يكون الفعل تنفيذيّاً أو شرعيّاً أو مشروعاً أو لا يكون كذلك، إذ لا يُمكنه أن يكون بَين بَين. أمّا بالنسبة إلى علاقة النقيض، فهي مبنيّةٌ في علم المنطق على مضارب التعاكس (Opérateur d'inversion) بحيث يمكن لقضيّة أن تكون معاكسةً

لقضيّة أخرى (احتماليّاً، بمقتضى قيمة الحقيقة التي تكون كبيرةً أو مطلقةً بدرجات متفاوتة). وهذا هو شأن الأمثلة التالية: أعطى/ أرجَعَ (donner/ rendre) واقــتــرَضَ/ ســدَّد (emprunter/ rembourser) وركَّبَ/ فكَّكَ (monter/ démonter) ونظيريّ/ رقميّ /analogique) numérique)... إلخ. ويمكننا إبانة هذه العلاقات في اللُّغات بأسلوب غني ودقيق بدرجات متفاوتة. وهذا هو في اللُّغة الفرنسيّة شأن العلاقات التناقضيّة التالية: شرعيّ/ غير شرعي (légal /illégal) ومطابق/ غير مطابق (conforme/ non-conforme) وبُنيويّ/ غير بُنيويّ (constitutionnel/ anticonstitutionnel) وزواج/ تفريج /mariage) démariage) وتيّار / تيّار مضادّ (courant/ contre-courant) ومتجانِس الشَّكل/ كُمَّثْريّ الشَّكل (échogène /anéchogène)... إلخ. ونلاحظ إذاً أن التضادّ يغطِّي، في الاستعمال الذي دَرَجَت عليه الألسنيّة، علاقات تضاد متنوِّعة. وثمَّة فائدة بالتأكيد من أن نحدِّد في هذا التحليل ما ينشأ عن المدلول (المعنى الذي تنظِّمه اللُّغات) وما ينجُم عن علم المنطق (علاقات تصوُّرية تُعيد اللُّغات إنتاجها). وهذا هو شأن العلاقات التي تدخل في تسمية طبيعة مياه معدنيّة معيَّنة والتي يتمّ التعبير عنها بواسطة صفات متناقضة بالأحرى في اللُّغة الفرنسيّة، كالآتي: غازيّة (gazeuse) وفوَّارة/ غير غازيّة pétillante/ non) gazeuse) وغير فوَّارة (non pétillante) وغير مُكَرْبنة (plate). أمّا في اللُّغة الإنجليزية فيتمّ التعبير عنها أكثر بواسطة الأضداد، كالآتي (sparkling, fizzing/still, thin). وممّا لا شكّ فيه، أنَّه حريٌّ بنا أن نستثمرَ أكثر سواء في الألسنيّة أو في علم المصطلحات، ظاهرات البَنْيَنَة هذه الخاصَّة باللُّغات والتي يُدوِّنها غريماس بمهارة في «محاورَ دلاليّة» في إطار التحليل الذي يجريه بشأنها (21 :1986). ويُنجِز ذلك من خلال اعتبار أن المسألة تتعلَّق في هذا الصدد بتراكيب تقع داخل كنف اللُّغات. وبالعكس، إن أردنا المضيّ أبعد

من ذلك من خلال اعتماد وجهة نظر أخرى ومن خلال الاستناد إلى المرجع، نلاحظ أنَّ الكلمات ذات المرجع الحسّي لا يكون لها نقيض، فمثلاً: لا وجود لكلمة «* لاشاحِنة» (non-camion*) (انظر بوجه خاصّ (Rey-Debove 1997)).

تفتح كذلك ظاهرة الاسم المُندرج والاسم النوعيّ الطريق أمام التمييز بين التصوُّر والمدلول. ولقد رأينا سابقاً ما كان عليه الوضع في المَثل الإنجليزي (river) الذي يُتَرجَم إلى اللُّغة الفرنسيّة بكلمتَي (fleuve) = «نهر» و(rivière) = «جَدوَل»، والذي يُبرهِن اللاّتميُّز المعجميّ في اللُّغة الإنجليزية إزاء التصوُّرَين المتمايزَين في اللُّغة الفرنسيّة. ولكنَّ الفراغ المعجميّ لا يعني حُكماً أنَّ التصوُّر منعدِم الوجود، إذ: إمّا أن يكون اللاّتميُّز هذا حقيقيّاً إنَّما قابلٌ للتعويض بواسطة طرائِقَ وأساليب مُختلفة (فمثلاً، تُعدُّ العبارة الإنجليزية نهر صغير (small river) بمثابة المُعادِل المُحتمل للكلمة الفرنسيّة (rivière)، أو أن يكون اللاّتميُّز ظاهريّاً ليس إلاّ ويُمكن بالتالي التعويض عنه بواسطة المُجانسة. كما هو شأن المصطلح الفرنسيّ (couverture) = تغطية في ميدان الكشف المسافيّ الفضائي. فالكلمة الفرنسيّة (couverture) تمثِّل في الوقت نفسه إنجاز عمليّة تحصيل البيانات من خلال مسح منطقة معيَّنة ونتيجة هذه العمليّة. وعليه، إنَّ كلمة (couverture) تكون جناسيّة في هذا الميدان بما أنَّها تُمثِّل تصوُّرَين. أمّا اللُّغة الإنجليزية، فتُميِّز بينهما مستخدمةً مصطلح (surveying) = مَسْح في الحالة الأولى ومصطلح (coverage) = مجال التغطية في الحالة الثانية. فنحصل على ما يأتي:

اسم نوعيّ: (exposure) = (prise de vue) = التقاط صورة

اسم مندرج: (surveying) = (couverture) = «مسح» (coverage) = (couverture) = مجال التغطية

تعمدُ اللُّغة الإنجليزية إلى تنويع (أي التمييز على الصعيد اللُّغويّ) المصطلحين المطابقين للتصوُّرين الآتيين: //تحصيل البيانات من خلال مسح منطقة معيَّنة// و//نتيجة هذه العمليّة// وإلى مشاكلتهما (أي إنها تضعهما على المستوى الاسمي المندرج نفسه). في حين تعمد اللُّغة الفرنسيّة إلى مجانستهما مستخدمةً مصطلح (couverture). وتنزع عمليّة إنشاء العلاقات بين التصوُّرات التي تنجزها اللُّغة إلى إظهار التأثير الذي تخلِّفه التصوُّرات في اللُّغة، إذ: تعمَد هذه الأخيرة إلى تنويعها أو جعلها مرادفات أو مجانسات، ممّا يكشف بالنتيجة التفاوتات القائمة بين الرموز والتصوُّرات.

4.4 ـ بعض التبِعات التي يُخلِّفها التمييز بين التصوُّر والمدلول في العمل المُصطلحيّ

يبقى المصطلح، أيّاً يكن، رمزاً لغويّاً. وقد يبدو ذلك أمراً بديهيّاً. ولكن هذه البَداهَة لا تصنَّف في خانة البداهة في الأوساط التقنيّة أو العلميّة. ويُعزى سبب ذلك إلى أنه تاريخيّاً، نشأ علم المصطلحات كفرع علمّي في إطار التقعيد التقني وفي أوساطه، ومازالت الأفكار وأساليب العمل فيه مُتشَرِّبةً بهذا الأصل، وهكذا: يتمّ غالباً اعتبار التسميات بمثابة الملصقات المعلَّقة على التصوُّرات، كما يتمّ تأكيد وجوب عدم اكتساب الكلمات أو المصطلحات أكثر من معنى واحد في الميدان المطروح. والحال أنه حتى لو كان بإمكاننا أن نتصور مثل هذه الاقتضاءات، فلا يمكننا أن نتشبث بها، ومن المُجدي أن نعي ذلك. وهكذا، فإزاء حالات المجانسة الموجودة في اللُّغات بكميات وافرة أكثر بكثير ممّا قد نتصوَّره، لا يمكننا أن نعتبر أنه يتعذر على المصطلح أن يمتلك أكثر من معنى واحد في الميدان نفسه، وإليكم مثالاً على ذلك: تشير الكلمة الفرنسيّة (couverture) في حقل الكشف المسافيّ الفضائي إلى تصوُّرَي //تحصيل البيانات من خلال مسح

منطقة معيَّنة// (أي، (surveying) = مسح في اللُّغة الإنجليزية) و// نتيجة هذه العمليّة// أي، (coverage) = تغطية في اللُّغة الإنجليزية. وبالتالي، قد يخلِّف الرمزُ مفاعيل معانٍ غير متوقَّعة نسبيّاً في لغة معيَّنة، فمثلاً: تعني الكلمة الفرنسيّة (sublimation) (= تسام) في آن «الإعلاء نحو حالة أخرى» و«انتقال المادَّة الجامدة إلى مادّة سائِلة انتقالاً مباشراً» و«تحويل طاقة الميول المكبوتة تجاه غرض معيَّن نحو غرض آخر»، إلى ما هنالك. وإنَّ الرغبة الميّالة إلى الاختزاليّة التي تعتمِلُ في صدور علماء المصطلحات لن تقوى على تغيير واقع الحال هذا.

وعليه، ينبغي أن تساعدنا عمليّة الأخذ في الحسبان المُطلقة والكاملة للمصطلح باعتباره رمزاً، على الاختيار بين التسميات الموجودة التي ينبغي المُفاضلة بينها، سواء كانت المسألة تتعلَّق بعمل تقعيد مصطلحي أو بتوحيد قياس قوائم المصطلحات أو باستنباط المْحدَثات. وعلاوةً على اقتضاء أخذ الموجود في الحسبان بغرض تحاشي استنباط تسميات لا حاجة لها، يتعيَّن علينا أن نعاين مدلول التسميات الواجب المفاضلة بينها بغية تجنُّب مفاعيل المعاني الضمنيّة المحتملة أو على العكس بغية التلاعب فيها عن معرفة. ولقد رأينا آنفاً مَثَل الكلمة الفرنسيّة (chatoiement) = بريق التي يتعارض تضمينها الإيجابيّ مع التصوُّر المقصود. وفي المقابل، كثيرة هي الأمثلة التي تُصوِّر كلمات تنطوي على تضمينات سلبيّة، نذكر منها مثلاً: الكلمة الفرنسيّة (primeur) = جِدَّة (التي توحي في اللُّغة الفرنسيّة ببائع الخُضَر البَدريَّة بعض الشيء) التي تستخدَم كمُعادِل للكلمة الإنجليزية (scoop) = النبأ المثير و(bande vidéopromotionnelle) = شريط مصوَّر التي تستخدم كمُعادِل للكلمة الإنجليزية (clip) = كليب أي، قصّاصة من فيلم و(télévision à accès

(conditionnel = جهاز تلفزيون ذو ولوج مشروط، في مقابل الكلمة الإنجليزية (pay tv) = تلفاز اكتتابيّ و(macrotisation) = تقليص الحجم كمعادل للكلمة الإنجليزية (downsizing) = تصميم بحجم صغير، وغيرها الكثير من الأمثلة. وبالعكس، توَفِّق الكلمة الفرنسيّة (baladeur) = جهاز الموسيقى الجوَّال على نحو باهر، كما رأينا سابقاً، بين سيمتي (balade) = تنزُّه و(ballade) = أغنية (انظر (Depecker 1997: XXIV) وما يليها).

بالنظر إلى حالات الإبهام هذه وإلى الأشراك المحتملة، قد تسهم عمليّة إدراك المصطلح كرمز لغويّ في جَذْب الانتباه إلى حياته الخاصّة، وفي تجنُّب حالات اللُّبس التي قد يغذِّيها واقع أن نكتفي بمعاينته عند مستوى اللُّغة. وسواء كنا نبحث عن مصطلحات معادلة في لغات أخرى، أو كنا نترجم، فمن المؤكَّد أنه يترتب علينا أن نحترس من ترجمة الكلمة في مقابل الكلمة والمدلول في مقابل المدلول. ومردُّ ذلك إلى أن المدلول الخاص بمصطلح في لغة معيَّنة يكون ثمرة تحاليل سابقة ولا يتطابق إلاّ تطابقاً غير ناجز مع مدلول مصطلح في لغة أخرى. وهكذا، لا مناص في إطار كلّ معالجة مصطلحيّة من المرور بالمستوى التصوُّريّ. وانطلاقاً من التعريف الذي يمكننا أن نعطيه للتصوُّر، حتى وإن كان تعريفاً مؤقَّتاً، ينبغي أن نُحلِّلَ وضع الرموز التي علينا الجَمْع بينها، ونذكر منها مثلاً: أشكال الدالّ المتغيرة (على غرار (scanner /scanneur /scaneur) (= سكانِر)) وstéréoisomère/stéréo-isomère /stéréoïsomère (= الإيزومير[*] المجسَّم... إلخ)، والأشكال المختصرة بواسطة الحروف الاستهلاليّة

(*) يُقال له أيضاً مُتشابه الأجزاء أو مُتشاكِل، وهو عبارة عن شبيه مُشاكِل يُماثل آخر في التركيب ويُخالفه في الخواص.

والألفاظ الأوائليّة، والمرادفات، ونعني بها التسميات والوحدات المصطلحيّة التي تتطابق مع التصوُّر المعني في ميدان اختصاص معيَّن وفي لغة العمل موضوع البحث، فضلاً عن الأضداد التي تُمَوضِع المصطلح المطروح للبحث بالنسبة إلى المصطلحات المتناقضة معه في اللُّغة، مع التنبُّه إلى العلاقات المنطقيّة التي تُعزِّزها، ناهيك من المصطلحات المجانسة المحتملة... إلخ. ويتعيَّن القيام بعمليّة مشابهة في اللُّغات التي تُنجَز فيها المعالجة المصطلحيّة. وخلاصة القول إنَّ من شأن عمليّة تشكيل المشجَّرات المصطلحيّة أن تسمح بإبراز بَنْيَنَة الرموز في اللُّغة (الأسماء النوعيّة والأسماء المندرجة) وبَنْيَنَة التصوُّرات المطابقة لها (تصوُّرات عُليا وتصوُّرات تابعة). مع اعتبار أن هذه المشجَّرات تشكِّل تصميماً يجمع النظامين، ونعني بهما نظام اللُّغة ونظام التصوُّرات، ويكون بمثابة القاسم المشترك الذي يسمح بانتقال مجموعة المصطلحات الخاصة بلغة إلى مجموعة مصطلحات لغة أخرى، مع الإشارة إلى التفاوتات القائمة بين المجموعتين.

وأخيراً، لا تكمن فائدة فصل المدلول عن التصوُّر في العمل المصطلحيّ في تصنيف الإشكاليّات بالتسلسل وحسب، بل أيضاً في تَمَفصُل المعلومة في وسائط(*) التنظيم والنشر والتبادُل. وهكذا، تسمح عمليّة التمييز هذه بفَصْلِ ما يتعلَّق بفئات المعطيات التي تُعنى بشؤون التسمية (على غرار حقل المدخل والحاشية اللُّغويّة... إلخ)، عمّا يتعلَّق بفئات المعطيات التي تُعنى بمعالجة التصوُّر (على غرار التعريف والحاشية التقنيّة وغيرها)، ويؤدِّي ذلك من ثم إلى توزيع مراحل العمل، باعتبار أن هذين المستويَين لا يتعلَّقان بالضرورة بالكفاءات نفسها.

(*) تعني الأدوات التي تُستخدَم وسائلَ لنشر المعارِف أو تنظيمها أو ما شاكل.

5 ـ الفائدة المنهجيّة الأساسيّة من تعريف التصوُّر

إذا أردنا المضيّ حتى النهاية في تحليل التمييز بين المدلول والتصوُّر بغية التحقُّق من الفرضيّة المُقامة بشأنه، تقودنا الأسئلة التي أثرناها سابقاً إلى طرح سؤال آخر لا مناص لعلم المصطلحات من طرحه، ألا وهو: حين نُحدِّد مصطلحاً، فهل نقوم بتحديد مدلوله أم تصوُّره؟ وإن المكان الأمثل الذي يمكننا فيه مراقبة المدلول وهو ينفصِلُ عن التصوُّر هو ذلك الذي تمدُّنا به بوجه خاصّ الحالات التي تبرز فيها غزارة المدلول بالمعاني. ولقد لمسنا ذلك لدى معاينة غنى المدلول. ويتوجَّب علينا بالتالي القول بوجود اختلاف بين تعريف المدلول الذي غالباً ما يكون ذلك الذي نستقيه من المعاجم، وتعريف التصوُّر الذي يُسلِّم به علم المصطلحات. ولقد أدرك خبراء التقعيد التقني الدوليّ هذه المسألة تمام الإدراك، حتى ولو لم يُوضِّحوها على هذا المنوال. وتبرز الإرشادات التي ضمَّنوها في المقاييس هذا الاهتمام القاضي بالتخلُّص من معنى الرموز في اللُّغات بغية صياغة التعريفات حول التصوُّرات. وهكذا، تمّ التنويه في الفصل الذي يحمل اسم «وصف المفاهيم» والوارد ذكره في معيار إيزو رقم 860 (انظر **الأعمال المصطلحيّة وأعمال التوحيد القياسي حول المفاهيم والمصطلحات** (*Travaux terminologiques-harmonisation des notions et des termes*)، بما يأتي:

قبل صياغة التعريف الموحَّد القياس، ينبغي أن يتمّ التوافق حول:

أ) الخصائص الضروريّة لفهم المفهوم.
ب) الخصائص التي ينبغي أن تُشكِّل جزءاً من التعريف [. . .].

إن «التعريف الموحَّد القياس» موضوع البحث هو تعريف

التصوُّر (المُسمَّى «مفهوم» هنا) والقابل أن يسمح بإنشاء تمثيله اللُّغويّ في اللُّغات المُعالجة أو المقصودة. وينبغي أن يُشكِّل هذا التعريف المُرتكز الذي يمكن أن تتوافق حوله اللُّغات. ويضيف المقياس ما يأتي:

> ينبغي أن تشتمل نصوص التعريفات كلّها في مختلف اللُّغات على الخصائص نفسها. علماً بأن صياغة التعريفات تتوقَّف على القواعد الخاصَّة بكلِّ لغة (انظر معيار إيزو رقم 860، عام 1996، الفصل الخامس).

تنطوي هذه الملاحظة على إيضاح هامّ، وهي تُشكِّل أحد أسس علم المصطلحات، ومفادها: لا تُعطَى الأولويّة لتعريف التصوُّر بصفته قولاً لغويّاً، بل لخصائص التصوُّر المُعالَج باعتبارها تُشكِّل تعريف هذا التصوُّر وتسمح بترابُط العبارة التي تؤلِّف التعريف. فبعد أن يتمّ تثبيت الخصائص وانتقاؤها، يُمكن حينئذ أن تتبدَّل صياغة التعريف بتبدُّل اللُّغات.

> إنَّ هذا المقياس معبّر بوضوح في هذا الصدد، لأنه يصف مختلف الإجراءات التي ينبغي اعتمادها بغية ضبط اللغة لمطابقة التصوُّرات، مُظهراً بذلك الجانب اللُّغويّ الذي يتَّصف به العمل المصطلحيّ، ولكن أيضاً الجانب الفوق لغويّ (supralinguistique). كما إنه يشير بوجه خاص في الفصل المخصَّص «مقارنة المفاهيم المعزولة» إلى ما يأتي: «ينبغي تحليل المفاهيم عبر مقارنة التعريفات وليس المصطلحات». ونفهم من هنا أن إعداد التعريف المصطلحي لا يرتكزُ على المصطلح باعتباره رمزاً في لغة معيَّنة، بل على التصوُّر موضوع البحث. وينوِّه المقياس بثلاث حالات محتملة الوقوع على الأقل، كالآتي:

ينبغي استخراج التعريفات من مصادر موثوقة [...]. وبعد إجراء تحليل مُقارَن بين مختلف تعريفات المفهوم، ينبغي أن نُحدِّد الشروط المحتملة: فإمّا أن تُحيل المصطلحات إلى المفهوم نفسه في مختلف اللُّغات، وإمّا أن نقع على اختلافات في فهم المفهوم أو في توسُّعه، أو في الاثنَين معاً. وفي هذه الحالة الأخيرة، يترتَّب على المتخصصين في المجال أن يُقرِّروا أيّ ظرف من الظَرفَين التاليَين ينبغي تطبيقه، ألا وهما:

أ) تكون الاختلافات وثيقة الصلة بالموضوع، فالمسألة إذاً تتعلَّق بعدَّة مفاهيم مختلفة. وينبغي تحديد كلّ مفهوم من هذه المفاهيم ودمجه في نظام المفاهيم الموحَّد.

ب) تكون الاختلافات غير ذات أهميّة، ويكون مفهوم واحد ضروريّاً بالنتيجة، فينبغي إذاً تحديد هذا المفهوم بشكل مُرض في كلِّ لغة من هذه اللُّغات ودمجه في نِظام المفاهيم المُوحَّد (انظر معيار إيزو رقم 860، عام 1996، الفصل 2.2.4).

وعليه، يمكننا تلخيص هذا الإجراء على الشكل الآتي: يتمّ إعداد التعريفات انطلاقاً من مصادر تسمح بإنشاء عدَّة تعريفات محتملة. وتتمّ صياغة هذه التعريفات انطلاقاً من لغات تُعبِّر عن التصوُّر المطروح. في حال كان مدلول مصطلحات هذه اللُّغات يتطابق بدقَّة مع التصوُّر موضوع البحث، نتحدَّث عندئذ عن وجود تطابق بين المصطلح والتعريف. وإلاّ، فالمسألة تتعلَّق، في واحدة من هذه اللُّغات، إما بتصوُّر غير التصوُّر المطروح؛ أو في حال كان الاختلاف «غير ذي أهميّة»، فيتعيَّن على التعريف أن يزيل هذه الاختلافات، وهكذا: يحدث غالباً أن نعمد إلى صياغة تعريف يكون عامّاً بقدر ما يكون ضروريّاً لكي يُستخدَم كقاسم مُشترك في العمل على توافق اللُّغات حول التصوُّر المطروح. وحريٌّ بنا أن نعتبر أنه في

سياق هذا العمل، تتعلَّق المسألة بإجراء ملاءمة ومطابقة بنوع خاصّ، فبالإمكان إخضاع اللغات لنوع من القسر إلى حدّ ما، من خلال تمدُّد مدلولاتها، حتى تعني ما لا تعنيه عادةً. فعلى سبيل المثال، نعطي للكلمة الإنجليزية (hit-parade) التعريف الآتي: «ترتيب الأغاني التي نالت أكبر نسبة من المستمعين في ميدان المنوعات» كمعادل للمصطلح الفرنسيّ (palmarès) = «قائمة الفائزين» الذي تكون مساحته الدلاليّة أكبر بكثير، أو على العكس، نعطي لكلمة (bateau) = مركب المعنى الخاصّ الذي يملكه التصوُّر مركب في ميدان المِلاحة الداخليّة. وهذا دليل إضافيٌّ يشهدُ على الاختلاف القائم بين التصوُّر الذي يُستخرَجُ من اللُّغات والتصوُّر الذي يُدمَجُ فيها على شكل مدلول.

إن هذه التوصيات هي من الثوابت في حقل التقعيد المصطلحيّ، حتى ولو لم ينخدع واضعو القواعد بهذه الجهود الحثيثة المبذولة للتقريب بين التصوُّرات واللُّغات، ومن الضروري لهم أن يطمحوا إلى ذلك. وقد تمَّت الإشارة إلى هذه المسألة في صدد الحديث عن ابتكار المصطلحات، ولاسيما في هذه الفقرة المذكورة أدناه حيث علينا أن نشكر واضعي القواعد لأنهم أقرّوا بالعُنف الذي يمارس على اللُّغات في تصريحاتهم الهادفة إلى الحدّ من هذا الأمر، ومفادها:

> بغية إنشاء المطابقة المصطلحيّة كلما أتيحت الفرصة للقيام بذلك، يقتضي استعمال خصائص المفهوم نفسها في عمليّة التسمية، ولاسيما لدى ابتكار مصطلحات جديدة. بيد أنه لا ينبغي ممارسة ضغط من أيّ نوع كان على اللُّغات المختلفة لإرغامها على اعتماد نمط تشكيل مصطلحات يكون غريباً عن بنيتها الخاصة (انظر معيار إيزو رقم 860، عام 1997، الفصل 3.2.6).

في نطاق هذه التبادلات، تُصدر إذاً اللُّغات أصواتاً ناشزة وكأنها آلات موسيقيّة جيِّدة نستخدمها بعنف. ولكنها الطريقة الوحيدة أيضاً المتاحة أمامنا لجعل اللُّغات تتطابق بشكل أو بآخر.

6 ـ الخلاصة

تبدو لنا هذه الفرضيّة القائلة: إنَّ من المجدي التمييز بين المدلول والتصوُّر، في حال كانت تركن إلى أساس متين، فرضيّةً غنيَّةً بالنتائج. ويتمّ التسليم بها على أيّ حال في علم المصطلحات. تسمح عمليّة التمييز بين المدلول والتصوُّر، في اللُّغة وعلى نطاق أوسع في الأنظمة السيميائيّة، إلى إعادة موضعة ما ينتمي إلى الرموز وما ينتمي إلى التصوُّرات. ولا يعني ذلك أننا نطرح كمسلمةٍ وجودَ فصلٍ بين الرموز والتصوُّرات يكون دائماً فصلاً حادّاً، ذلك أنه من جهةٍ، هناك تفاعل واضح ودائم بين الاثنين يدفعنا إلى المزج بينهما باستمرار تقريباً، وإلى أنه لابدّ من الإقرار من جهة أخرى بأن الغموض يكتنف الفكر كما اللُّغة، وهذا ما يسلِّم به كل عالم متخصص، فضلاً عن أن عمليّة ترسيم الحدود الفاصلة التي نميل إلى القيام بها، قلّما تكون حاسمةً ومُرضيةً. ولكنَّ من الضروريّ أن نتخلَّى عن شيء حتى لا نخسر كلّ شيء، مع أخذ هذا الأمر بالاعتبار للمضيّ قدماً، سواء في علم المصطلحات النظريّ أو في الترجمة، وهما عمليتان لا تزالان ممكنتين رغم كلّ شيء على شكل ممارسات، أيّاً تكن الافتراضات النظريّة التي تستنِدان إليها.

إن التبعات التي يخلِّفها التمييز بين التصوُّر والمدلول لا تُعدُّ ولا تُحصى، ويشقُّ علينا بلا ريب أن ندركها كلّها، فعلى الصعيد النظري، قد يسهم هذا التمييز في إرساء أُسس علم المُصطلحات من خلال إدراجه كفرع علمي يعنى بكلّ من التصوُّر والرمز في آن. ومن ثم، فإنه يُعنى بالموضوع الذي يتطرَّق إليه علم المصطلحات بنظرة

مُبتكَرة قد تخوِّلنا استنتاج وقائع ألسنية ومعرفيّة مازالت خفيّة. أمّا على الصعيد التطبيقيّ، فللتمييز بين المدلول والتصوُّر قيمةٌ منهجيّة، إذ إنه يُتيح المجال لإدراك الوقائع المصطلحيّة بشكل أفضل. مع التشديد مثلاً على أن أحد العناصر الجوهريّة القابلة أن ترسي أسس علم المصطلحات يتمثَّل في خاصيّة التصوُّر، أي وحدة الفكر البُنيويّة التي تسمح ببناء التصوُّرات وترابطها. وضمن هذا النطاق، يستطيع علم المصطلحات بواسطة المقاربة الخاصة التي ينتهجها أن يُقدِّمَ إلى بعض مجالات العلم الأخرى بعض الظواهر الخفِيَّة أو غير المُستثمرة بعد. ويتعيَّن عليه أيضاً أن يُحرز تقدُّماً في معرفة آليّات التصوُّر والعلاقات القائمة بين التصوُّرات والتي مازال تناولها يتمّ على نحو سكونيّ إلى حدّ ما.

تبقى انطلاقاً من هنا بعض العناصر التي لم يتمّ التطرُّق إليها بعد، ولاسيما تداخل العلاقات التي بين الرموز والتصوُّرات، علماً بأن المدلول يُشكِّل بالنسبة إلينا، مثلما أشرنا في العَرض الذي تقدَّمنا به أنفاً، التصوُّر كما هو مُدمَج في اللُّغة، وكما تدمجه اللُّغة. وينطبق ذلك أيضاً على وقائع التمثيل التي لم نأتِ على ذكرها في هذا المعرض. وتجدر الإشارة إلى وجوب التعاطي بجديَّة مع هذا النوع من الوقائع في إطار كلِّ عمل يتمحور حول الرموز. وتُشرَّع هنا على مصراعَيها طريقة بحث هائلة، مازالت المجازفة فيها محفوفةً بالمخاطر. وبرأينا، يُعدُّ التمثيل، كما نراه اليوم، ميزةً تتفرد بها الذات الإنسانية كفرد أو مجموعة إنسانية. وبين الرمز والتصوُّر والغرض، وهو الثالوث الموروث عن الفلسفة الغربيّة والذي يبدو أنه يوافق بشكل جيِّد علم المُصطلحات، نقعُ على الذات الفنومينولوجية التي تنشئ الرابط بين هذه العناصر الثلاثة حاملةً التمثيلات والنظرات الخاصة إلى العالم.

المراجع

Books

Bachelard, Gaston. *La Formation de l'esprit scientifique*. Paris: Librairie philosophique Vrin, 1972.

Blanché, Robert. *Introduction à la logique contemporaine*. Paris: Armand Colin, 1957.

Bouquet, Simon. *Introduction à la lecture de Saussure*. Paris: Editions Payot et Rivages, 1997. (Bibliothèque scientifique Payot)

Cabré, Maria Teresa. *La Terminología, teoría, metodología, aplicaciones*. Barcelone: Editorial Antárida/ Empúries, 1993.

Centre d'études du lexique. *La Définition*. Paris: Larousse, 1990. (Langue et langage)

Collinot, André et Francine Mazière. *Un Prêt à parler: Le Dictionnaire*. Paris: PUF, 1997. (Linguistique nouvelle)

Cornu, Gérard. *Linguistique juridique*. Paris: Montchrestien, 1990. (Domat droit privé)

Cuvillier, Armand. *Vocabulaire philosophique*. Paris: Le Livre de Poche, 1956. (Biblio essais)

Depecker, Loïc. *Dictionnaire du français des métiers: Adorables jargons*. Paris: Seuil, 1995. (Point-virgule)

——. *La Mesure des mots, cinq études d'implantation terminologique*. Rouen: Publications de l'université de Rouen, 1997.

Desanti, Jean-Toussaint. *Les Idéalités mathématiques*. Paris: Seuil, 1968. (L'Ordre philosophique)

Dictionnaire des termes officiels: Textes législatifs et réglementaires. Délégation générale à la langue française. Paris: La Délégation, service de terminologie: Direction des journaux officiels, 1994.

Felber, Helmut. *Manuel de terminologie*. Paris: Organisation des Nations Unies pour l'éducation et la culture (Unesco)/ centre international d'information pour la terminologie (Infoterm), 1987.

Foucault, Michel. *Les Mots et les choses*. Paris: Gallimard, 1966.

Frege, Gottlob. *Ecrits logiques et philosophiques*. Paris: Seuil, 1971. (Points, Essais)

Godel, Robert. *Les Sources manuscrites du cours de linguistique générale de F. de Saussure*. Genève: Librairie E. Droz, 1957.

Gouadec, Daniel. *Terminologie, constitution des données*. Paris-la-Défense: AFNOR Gestion, 1990.

Grand Larousse de la langue française. Paris: Larousse, 1971-1978.

Granger, Gilles-Gaston. *Langages et épistémologie*. Paris: Klincksieck, 1979.

——. *Pensée formelle et sciences de l'homme*. Paris: Aubier-Montaigne, 1960.

Greimas, Algeirdas Julien. *Sémantique structurale, recherche de méthode*. Paris: PUF, 1986. (Formes sémiotiques)

Hjelmslev, Louis. *Prolégomènes à une théorie du langage*. Paris: Les Editions de Minuit, 1971.

ISO 1087: 1990. *Norme internationale, Terminology-Vocabulary, Terminologie-vocabulaire*. 1ère édition. Genève: [n. pb.], 1990.

ISO 860: 1996. *Travaux terminologiques-harmonisation des notions et des termes*. Paris-la-Défense: AFNOR, 1997.

Lexis: Larousse de la langue francaise. Paris: Larousse, 1979.

Le Livre de l'année. Paris: Larousse, 1996.

Martin, Robert. *Inférence, antonymie et paraphrase*. Paris: Klincksieck, 1976. (Bibliothèque française et romane)

———. *Pour une logique du sens*. Paris: PUF, 1983. (Linguistique nouvelle)

Mounin, Georges. *Ferdinand de Saussure*. Paris: Seghers, 1968. (Philosophes de tous les temps)

———. *Les Problèmes théoriques de la traduction*. Paris: Gallimard, 1963.

New Shorter Oxford Dictionary. Oxford: Clarendon Press, 1993.

Nouveau Petit Robert. Paris: Dictionnaires Le Robert, 1993.

Popelard, M.-D. et D. Vernant. *Eléments de logique*. Paris: Seuil, 1998. (Mémo)

Pottier, Bernard. *Linguistique générale, théorie et description*. Paris: Klincksieck, 1974.

———. *Sémantique générale*. Paris: PUF, 1992.

Putnam, Hilary. *Représentation et réalité*. Paris: Gallimard, 1988. (NRF essais)

Rastier, François. *Sémantique et recherches cognitives*. Paris: PUF, 1991.

Rigaudy, Jean. *Nomenclature des composés organiques*. Traité Constantes physico-chimiques. Techniques de l'ingénieur. Paris: [n. pb.], 1995.

Saussure, Ferdinand de. *Cours de linguistique générale*. Paris: Payot, 1994. (Bibliothèque scientifique Payot)

Serres, Michel. *Les Cinq sens*. Paris: Grasset, 1985.

Van Campenhoudt, Marc. *Le Réseau notionnel interlinguistique, Réseau notionnel, intelligence artificielle et équivalence en terminologie multilingue: Essai de modélisation*.

Webster's Thrid New Dictionary of The English Language Unabridged. London: G. Bell and Sons, 1961.

Periodicals

«Conseil de l'Europe. Directive 96/50 du 23 juillet 1996 concernant l'harmonisation des conditions d'obtention des certificats nationaux de conduite de bateaux de navigation intérieure

pour le transport de marchandises et de personnes dans la Communauté.» *Journal officiel des communautés européennes*: 17 septembre 1996.

Depecker, Loïc. «Structure du signe linguistique: Application à plusieurs disciplines.» Colloque «Terminologie et interdisciplinarité» organisé par le centre de terminologie de Bruxelles (Institut Marie Haps) et l'association internationale des professeurs de langues vivantes, avril 1996.» *Langage et l'homme, Langues de spécialité et terminologie*: vol. 32, no. 4, 1997.

Gaudin, François. «Terminologie: L'ombre du concept.» *Meta*: vol. 4, no. 4, 1996.

Kleiber, Georges. «Sens, référence et existence: Que faire de l'extralinguistique?.» *Langages*: no. 127, 1997.

Meta: La Dénomination: Numéro spécial, vol. 41, no. 4.

Réseau international de néologie et de terminologie (RINT). *Terminologies nouvelles*. Agence de coopération culturelle et technique. *Implantation des termes officiels*: no. 12, décembre 1994.

Réseau international de néologie et de terminologie (RINT). *Terminologies nouvelles*. Agence de coopération culturelle et technique. *Terminologie et développement*: no. 6 et 9, juin 1993.

Rey-Debove, J. «La Synonymie ou les échanges de signes comme fondement de la sémantique.» *Langages*: no. 128, 1997.

Websites

http//www.refer.fr/termisti/rni.htm

من المعجميّة المتخصِّصة إلى علم المصطلحات التطبيقي: نحو «معجم تحوُّلي»؟

مارك فان كامبنهود[1]

1 ـ معاجم متخصِّصة

يقضي المذهب العلميّ بأن مجموعةً من المُميِّزات تُفرِّق علم المصطلحات التطبيقيّ عن المعجميّة، وأبرزها: التركيز على اللُّغة المتخصصة، والمُقاربة التصوُّريّة وأحادية المعنى، ووجهة نظر علم تسمية الأشياء والمفاهيم، والتقعيد، ووجهة النظر التزامنيّة، والتصنيف المنهجيّ، وغيرها[2]. في الممارسة التطبيقيّة، يتمّ وصف اللُّغة المتخصصة في معاجِمَ تتقارب منهجيَّتها إلى حدّ ما من المقاربة

---

(1) مركز الأبحاث في الألسنيّة التطبيقيّة (TERMISTI)، معهد المترجمين والمترجمين الفوريِّين العالي في بروكسيل (Bruxelles).

(2) إنَّ هذه الخصائص المُميِّزة التي ذكرتْها مدرسة فيينا، انظر على سبيل المثال:
Helmut Felber, *Manuel de terminologie* (Paris: UNESCO, 1987), pp. 82 sq.,
تستحقُّ أن تُعتَبر ذات قيمة نسبية. وبهذا الصدد، نقرأ باهتمام التحاليل التي قامَ بها =

المعجميّة أو المصطلحيّة التطبيقيّة. وكما يقترح لورا (P. Lerat) (Lerat 1995: 173)، «إذا اعتبرنا أن معجم اللُّغة العامَّة يُشكِّل الدرجة الصّفر لعلم المصطلحات التطبيقيّ، فإن معجم اللُّغة المتخصِّص الأحاديّ اللُّغة يشكِّل درجته الأولى». يقترحُ المعجم المتخصص، كونه مُخصَّصاً لمدوَّنة محدودة وأحاديّة اللُّغة إجمالاً، تصنيفاً ألفبائياً للمداخل المتعدِّدة المعاني التي تتمّ تحت خانتها معالجة التركيبات التعبيريّة باعتبارها استعمالات خاصَّة.

> وبالعكس، يكون المعجم المتخصِّص مُصطلحيّاً بحصر المعنى إذا اتصف بالخصائص الآتية: متعدِّد اللُّغات ومحصورٌ بموضوع شديد التخصُّص ومزوَّد بفَهْرَسَة حول المفاهيم (المُرقَّمة) والوحدات المصطلحيّة المُطابقة (في كلِّ لغة) (Lerat 1995: 174).

تفضي متطلِّبات تعدُّديّة اللُّغات حُكماً إلى الحدّ من توسُّع التعريفات في المعاجِم المتخصِّصة تبعاً للتعادُل. وكذلك، يفترِضُ التمييز الدقيق بين الميادين الفرعيّة والعلاقات الدلاليّة أننا نَلحَظُ فيها المزيد من المفاهيم، على احتمال أن تتضاعف حالات المُجانسة.

1.1 ـ كثرة المُنتجات

في الوقائع، يسعى كلُّ معجميّ في اللُّغة المتخصِّصة بادئ ذي بدء إلى ابتكار مُنتج مُكيَّف مع احتياجاته الخاصّة ومع احتياجات قرَّائه المحتملين، وعليه: يؤدِّي ذلك غالباً إلى إنشاء مُنتج يكون

= ساجيه، انظر: Juan C. Sager, *A Practical Course in Terminology Processing* (Amsterdam; Philadelphia: John Benjamins, 1990), p. 8, and Maria Teresa Cabré, *La Terminologie, théorie, méthode et applications, U - Linguistique*, traduit du catalan, adapté et mis à jour par Cormier, M. et J. Humbley (Ottawa: Presses de l'université d'Ottawa; Paris: Armand Colin, 1998), pp. 74-86.

بعيداً عن المتطلبات «الأكاديميّة» التي عليها تمَّ إعداد علماء الألفاظ والمصطلحات الحائزين على شهادات.

إنَّ المعاجم المتخصِّصة الأحاديّة اللُّغة هي بغالبيّتها الساحقة موسوعاتٌ قبل كلّ شيء (على غرار معاجم الطبّ والمعلوماتيّة والبحريّة. . . إلخ.)، وقلّما تكون معاجم لغةٍ فعليّةً بحصر المعنى[3]. ويُصمِّم شخصٌ متخصص في هذا الميدان أو أكثر هذه الموسوعات المتخصِّصة الأحاديّة اللُّغة، التي من المحتمل أن تُقدِّم مصطلحات مُعادِلةً، على غرار معجم *Dictionnaire de l'océan* الصادِر عن «المجلس الدوليّ للُّغة الفرنسيّة» (CILF) (عام 1989)، وهي تتوجَّه تبعاً للحالات إلى قرّاء مطَّلعين على الموضوع بدرجات متفاوتة.

إذا كان من الممكن أن نعثر على بعض القوائم المعجميّة المتخصِّصة الثنائيّة اللُّغة، يبدو من الأصعب أكثر بكثير أن نقعَ على نماذِجَ لقوائم معجميّة متخصِّصة متعدِّدة اللُّغات. وبموازاة ذلك، سيعثر المُراقب اليَقِظ على نماذج قليلة جدّاً ـ بغضّ النظر عن المقاييس الوطنيّة المُحتملة ـ لقوائم مصطلحيّة تطبيقيّة أحاديّة اللُّغة تعتمد منهجاً مفهوميّاً بحصر المعنى وتزوِّد بتعريفات أحاديّة المعنى بشكل دقيق، إذ تندرج غالبيّة المعاجم المتخصِّصة الثنائيّة اللُّغة ولاسيَّما تلك التي تكون ناطقةً بعدَّة لغات ـ والتي يؤلِّفها المترجمون في أغلب الأحيان ـ في عداد جداول مصطلحات تُقدِّم مجرَّد لوائح بالمصطلحات المُعادِلة التي تفتقر إلى ما يضمن موثوقيّتها. وباستثناء

(3) في ميدان البحريّة، لا نعرف سوى مؤلَّف واحد يمكن أخذه بمثابة معجم لغة، ونعني الثبت التعريفي البحري الذي وضعه جال (Jal)، انظر: Augustin Jal, *Glossaire nautique. Répertoire polyglotte de termes de marine anciens et modernes*, 2 vols. (Paris: Didot, 1848),

وإن المركز الوطنيّ للبحث العلميّ (C.N.R.S.) هو حاليّاً في طور إعادة صياغته.

الأعمال التي تكون نوعيّة المعلومات التي تُقدِّمها ثمرة تصميم سياسيّ[4]، تكون غالباً القوائم المصطلحيّة التطبيقيّة المتعدِّدة اللُّغات بالمعنى الحصريّ فقيرةً جدّاً بالوصف اللُّغويّ. ونكاد لا نعثر مطلقاً على معاجم تضمُّ أكثر من لغتين وتُقدِّمُ معلومةً كاملةً توازي تلك التي تقدِّمها المعاجم المتخصِّصة الأحاديّة اللُّغة.

تعريفات	معاجم ثنائيّة اللُّغة	معاجم متعدِّدة اللُّغات
لا تحديد	**هازارد** (*Hazard*) (عام 1951) **وراتكليف** (*Ratcliff*) (عام 1983) **ودوبنيك وهارتلاين** (*Dobenik & Hartline*) (عام 1989) **وغلينانس** (*Glénans*) (عام 1993) **وبرونو وموييرون ـ بيكار** (*Bruno & Mouilleron-Becar*) (عام 1994).	**معجَم مصطلحات البحريّة التقنيّة** (*IMCO*) (عام 1963) **وسيغديتاس** (*Segditas*) (عام 1965 ـ 1966) **ومعجم البحريّة التقني المُصوَّر** (*A. I. P. C. N.*) (عام 1966) **وفاندنبرغ وشابال** (*Vandenberghe & Chaballe*) (عام 1978) **وبَكر** (*Bakr*) (عام 1987) **وفان دير توين ونيومِن** (*Van der Tuin & Newman*) (عام 1993) **وفاندنبرغ ويونِن** (*Vandenberghe & Johnen*) (عام 1994) **وفيرهايغ** (*Verhaege*) (عام 1994).
في لغة واحدة	**غروس** (*Gruss*) (عام 1978) **وراندييه** (*Randier*) (عام 1979).	**كيرشوف** (*Kerchove*) (عام 1961) **وميريان** (*Merrien*) (عام 1962) **والمجلس الدوليّ للُّغة الفرنسيّة** (*CILF*) (عام 1989).

---

(4) يحضرنا خصوصاً **معجم صيد السمك** الذي وضعه المركز التعليمي والثقافي (C. E. C.)، انظر: C. E. C.: *Multilingual Dictionary of Fishing Gear*, 2nd Edition (Oxford: Fishing New Books; Luxembourg: Office for Official Publications of the European Communities, 1992), and *Multilingual Dictionary of Fishing Vessels and Safety on Board*, 2nd Edition (Oxford: Fishing New Books; Luxembourg: Office for Official Publications of the European Communities, 1992).

في كلّ لغة	منظّمة الأمم المتّحِدة (O.N.U.) (عام 1992)[5]	المركز التعليميّ والثقافي (*C.E.C.*) (عام 1992) (أ وب).

الجدول 1: التلازم بين وجود التعريفات وعدد اللُّغات في بعض المعاجم البحريّة الصادرة بعد عام 1945 والتي تتضمَّن اللُّغة الفرنسيّة[6].

وعليه، يكمنُ بوضوح الرهانُ بالنسبة إلى عالم المصطلحات التطبيقيّ في القدرة على تقديم نتاجات تُضاهي من حيث نوعيّتها تلك التي تُنجَز من منظور معجميّ. ولنا كامل الحقّ في أن ننتظر من المؤلِّف، إلاّ إذا كانت لدينا ثقة مُطلقة وعمياء في عمله، أن يزوِّدنا بحد أدنى من المعلومات الدلاليّة حول المصطلحات المُعادِلة المُنتَجَة. ولا بدّ لنا من الاعتراف أنّنا إذا استثْنَيْنا معجم (*Dictionnaire de la machine-outil*) الذي وضعه فوستر (Wüster 1968)، فلا نعرف عدداً كبيراً من النتاجات المماثلة.

2.1 ـ مجموعةٌ اتِّصاليةٌ؟

طالما تمّ إرساء أُسس التمييز بين علم المصطلحات التطبيقيّ والمعجميّة على نقاط تتعلق بالمذهب النظريّ، في حين أن الممارسة التطبيقيّة، وبوجه أخصّ التقدُّم الذي يُحرزه الاستثمار المعلوماتيّ، يُظهران أن الاختلاف هو بالأحرى ذو طابع تواصليّ. تعمل المعجميّة المتخصِّصة في إطار أحاديّ أو ثنائيّ اللُّغة، ولكنَّها أعجزُ من أن تديرَ أكثر من لغتَين في الوقت نفسه[7]. ومع توالي

(5) تمّ تحديد بعض المصطلحات فقط.

(6) نعثرُ على بيان وصفي مرجعي بهذه المؤلَّفات على العنوان الإلكتروني الآتي: www.refer.org

(7) يبدو أنَّ معيار (ISO/TR) رقم 12618، انظر: ISO/TR 12 618, *Aides à apporter par les ordinateurs dans les travaux de terminologie - Création et utilisation* =

السنين والسعي إلى مَعْلَمَة(*) المعاجم، يظهر علم المصطلحات التطبيقيّ أكثر فأكثر بمثابة المحاولة التداوليّة التواصليّة التي تسعى إلى إنشاء المصطلحات المُعادِلة في إطارٍ متعدِّد اللُّغات أكثر ممّا يبدو بمثابة مجال علمي قائم بذاته مبني على الأنطولوجيا. وبهذا المعنى، من المناسِب بوجه خاص أن نتساءَل عن مدى ملاءمة علم المصطلحات التطبيقيّ الأحاديّ المعنى، والمرتكز على ما يمكن أن يدعى المقاربة التصورية للّغات، إلاّ إذا كانت المسألة تتعلّق بمشروع تقعيد وطنيّ.

تُظهِر مقارنةٌ معمَّقةٌ بين عدد كبير من المعاجِم أنَّ الانتقال من المعجميّة المتخصِّصة إلى علم المصطلحات التطبيقيّ يتمّ عبر مجموعة اتصالية، حيث عدد اللُّغات يسجّل هذا الانتقال بوضوح، كالآتي:

لغة واحدة	**لغتان اثنتان**	**ثلاث لغات**	**. . . لغات**	**عدد معينً (n) من اللُّغات**
معجميّة متخصِّصة				
		علم مصطلحات تطبيقيّ		

الجدول 2

يمكن الردّ على ذلك بأنَّ تحليلاً من هذا القبيل يتغاضى عن اختلاف جوهريّ آخر بين علم المصطلحات التطبيقيّ والمعجميّة

---

de bases de données terminologiques et de corpus de textes (Genève: Organisation = internationale de normalisation (ISO/ TC 37), 1994), p. 4,

يعتمد وجهة النظر هذه بالنسبة إلى علم المصطلحات التطبيقيّ في العلوم الإنسانيّة، لأنَّها تنصح بالعدول عن تصميم قوائِم مصطلحات تطبيقيّة تغطِّي أكثر من لغتَين في ميادين من مثل القانون والعلوم الاجتماعيّة والتربية... إلخ.

(*) جعل الشيء معلوماتيّاً.

المتخصِّصة. يرتكز علم المصطلحات التطبيقيّ على منهج يعتمِدُ على نهج تسمية الأشياء والمفاهيم قريب من وضْع القوائم، وعليه: يكتَسِبُ كلّ تصوُّر باستطاعته أن يُشكِّل موضوع تسمية مَدخلاً، في حين لا يُكرِّس المؤلَّف الذي يتَّسِمُ بطبيعة معجميّة مَدخلاً لتسميةِ أدنى اسم مندرج. ولكن في الممارسة التطبيقيّة، يتقاطَع هذا التمييز تقاطُعاً شبه تامّ مع التمييز الذي يركن إلى عدد اللُّغات، لأنَّنا نعرِفُ عدداً يسيراً جدّاً من المعاجِم المتخصِّصة الأحاديّة اللُّغة التي تضع قائِمةً منهجيَّةً بكلِّ أصناف الأسماء المندرِجة (على غرار أنماط المسامير كافَّةً). بل أكثر من ذلك، يُظهِرُ التحليل أنَّ قلَّةً من علماء المصطلحات التطبيقيِّين يضعون مثل هذه القوائِم المنهجيّة لتصوُّرات ميدان معيَّن، ما خلا بعض الاستثناءات الشهيرة، على غرار باش[8] (Paasch 1901) وشلومان (Schlomann 1906-1932).

2 ـ بديهيّات بحاجة إلى إعادة النظر

يرتكز علم المصطلحات المُنظَّر[*] في التقليد الفوستري[9] على عدد معيَّن من البديهيّات التي يسهُل على أيّ عالم ألسنيّ دَرَسَ معجماً متخصّصاً بحدّ أدنى من الجدية، أن يُخضع

(8) فعلى سبيل المثال، إنَّ معجم (*Illustrated Marine Encyclopedia*) الذي وضعه باش (Paasch) (عام 1890) باللغة الإنجليزية فقط، ينطوي في المتوسِّط على 84,70 في المئة من المداخل المُعرَّفة (لما يُناهِز الـ 3000 مدخل)، بينما يشتملُ المعجم الثلاثيّ اللُّغة الذي ينبثِقُ عنه، على 22,75 في المئة من المداخل المُعرَّفة فقط، انظر: Heinrich Paasch, *De la Quille à la pomme de mât. Dictionnaire de marine en anglais, français et allemand*, 3e édition (Anvers: Eckardt and Messtroff, 1901),

وصحيحٌ أنَّ معجم الترجمة هذا يضربُ بأربعة عدد المداخل، ذلك لأنَه يَلحَظ العديد من الأسماء المُندرِجة التي تمّ تصنيفها إثر التعريف باسمها النوعيّ.

(*) الذي يرتكز على مذهب نظريّ.

(9) نؤثِرُ التحدُّث عن تقليد فوستري أو مدرسة فيينا، لأن قراءة أعمال فوستر قراءةً يقظة تُبرهِنُ أنه يتوخَّى الحذر أكثر بكثير من أتباعه.

بعضَها للشك. إنّ المبدأ القائل بأنّ المصطلح المتخصص هو بالضرورة أحاديّ المعنى، أو بأنّ على الترادف والتجانس أن يغيبا من المعاجم المتخصّصة غياباً واسعاً، اعتبره عدد من الباحثين المتميزين مبدأ ذا قيمة نسبّية إلى حدّ كبير. وفي أحسن الأحوال يمكننا الإقرار بحق علماء المصطلحات ضابطي القواعد أن يحلموا بالتوصل إلى ضبط معجم للمصطلحات في مجال علميّ معيّن، كي يبعدوا عنه هاتين الظاهرتين الخاصتَين بكل لغة حيّة.

2 . 1 ـ التقطيع الدلاليّ

إن الحاجِز الجوهريّ الذي يفصلُ المعجم الأحاديّ اللُّغة عن معجم الترجمة هو تقطيع المعنى، ففي المعجم الأحاديّ اللُّغة، يتمّ تقسيم المدخَل إلى عدد من المفاهيم المُشتقَّة بقدر ما يُرتأى أنه ضروريّ تبعاً لمعاييرَ تاريخيّة أو دلاليّة أو نحويّة أو صرفيّة من غير المناسب أن نعيدَ طرحها في هذا الصدد. هذا وقد تُستخدَم هذه المعايير نفسها للتمييز بين مداخل كلمات متجانسة في حالة المعاجِم الأحاديّة اللُّغة التي تعتمِدُ مقارنةً جِناسيّةً في اللُّغة العامَّة (على غرار معجم (*Dictionnaire du français contemporain*) أو معجم (*Lexis*).

يبقى وجود مداخل متعدِّدة المعاني أمراً ممكناً في المعجَم الأحاديّ اللُّغة المُخصَّص للغةِ اختصاص قديمة أصلاً (على غرار البحريّة والطبّ والحقوق. . . إلخ)، حتى وإنْ كان يبدو أن عدد المعاني المُشتقَّة فيها لا يوازي عدد المعاني المُشتقَّة في اللُّغة العامّة، فوحده تمييز دقيق بين الميادين الفرعيّة يخوِّلنا إجراء تقسيم جِناسيّ محتمل يَنفُرُ منه مع ذلك السواد الأعظم من المؤلِّفين.

إذا كانت معاجم الترجمة تميلُ إلى تقديم معان أحاديّة، فمردُّ ذلك قبل كلِّ شيء إلى أن هذه الأخيرة تُشكِّل إطار التعادُل الدقيق. ومن السَّهل تفسير واقع الحال هذا، إذ: تنبثِقُ الحاجة إلى تحديد

مفاهيم الكلمات تحديداً دقيقاً قبل كلّ شيء عن الحاجة إلى إنشاء مصطلحات معادِلة أيّاً تكن لغتا المصدر والهدف. وفي هذا الإطار، تعمَدُ اللُّغة أو اللُّغات التي نودّ مدّ الجسور بينها إلى فَرْض معيار تحديد المعنى بمنتهى الوضوح. وإن هذه الظاهرة هي صحيحةٌ أصلاً في اللُّغة العامّة، فمثلاً: بينما يجمعُ معجم (*Nouveau Petit Robert* 1993) تحت خانة المعنى العامّ مختلف الحالات التي تستعمَل فيها التسمية **موزة** (banane) عبر تماثُل الشَّكل، يجد معجم (*Robert & Collins Senior* 1993) نفسه مجبراً إلى فصل كلّ من هذه المفاهيم بشكل واضح. ونجد في هذا الصدد أن المعيار صارم جدّاً، ومفاده: يبصر المعنى النور كلَّما لاحظنا وجود ترجمة مختلفة[10].

موزة : اسم مؤنَّث. أ (فاكهة) موزة. **ب** (طرقات) واقي الصدمات الذي يُثبَّت على السيّارة. **ج** (تسريحة شعر) طنطور[*] (في بريطانيا)،

(10) كما سبق لنا أن اقترحنا آنفاً، إن معيار التعادُل هو شبيه إلى حدّ الغرابة بالمعيار الاشتقاقي الذي يُنظِّم تفريق المداخل في المعاجم التي ترتكز على المقاربة المتعدِّدة الدلالة. انظر: Marc Van Campenhoudt, «Réseau notionnel, intelligence artificielle et équivalence en terminologie multilingue: Essai de modélisation,» dans: André Clas, Philippe Thoiron et Henri Béjoint, *Actes des IVes journées scientifiques de l'AUPELF-UREF:* «*Lexicomatique et dictionnairiques*» (Montréal: AUPELF-UREF; Beyrouth: F. M. A., 1996), p. 303.

يميِّز معجما (*Petit Robert*) و(*Grand Robert*) بين مدخلَين لكلمة = (bière) جِعة بسبب وجود كلمتَين أمّ مختلفتَين، ألا وهما: الكلمة الأمّ الهولنديّة، وهي (bier) والكلمة الأم الفَرَنسكيّة (Francique) وهي bera. ويوازي المعيار الإثيمولوجي الاشتقاقيّ هذا، إثر إجراء التبديلات اللازِمة (mutatis mutandis)، واقع أن نستخدم لغتَين أجنبيَّتَين لكي نُنظِّم التفريق الجناسي. وإنَّ ترجمة مدخلَي كلمة = (bière) جِعة هذَين إلى اللُّغة الإنجليزية تستوجبُ ترجمتين مختلفتين، ألا وهما: = (beer) «جِعَة» و(coffin) = «بيرة».

(*) إنَّها تسريحة شعر بريطانية وهي مزيجٌ من عدَّة تسريحات. أطلَقنا على تسريحة الشعر البريطانيّة هذه اسم «طنطور» تيَّمناً بلباس الرأس النسائيّ الذي هو عبارة عن قبَّعة مخروطيّة عاليَة، وتعني: **أ)** تسريحة للنساء يُرفَع فيها الشعر عالياً فوق الجبين، أو **ب)** تسريحة للرجال يُرفَع فيها الشعر من الجبين ثُمَّ يُردّ إلى الوراء.

وتسريحة بومبادور (في الولايات المتَّحدة). **د** (في اللُّغة العسكريّة العاميّة) ميداليّة ووسام ونَوْط*. (في لغة الطيران العاميّة) طائرة عموديّة وهليكوبتر وحوّامَة**. **و**[حقيبة] حقيبة الخصر وكيس يُربَط على الوِرْك.

Banane [banan] nf a (fruit) banana. **b** (Aut) overrider. c (Coiffure) quiff (Brit), pompadour (US). **d** (arg Mil) medal, decoration, gong*. **e** (arg Aviat) twin-rotor helicopter, chopper**. **f** [sac] waist-bag, bum-bag.

موزة : 1. **اسم** (فاكهة) موزة مؤنَّث؛ (شجرة) شجرة الموز مؤنَّث 2. **كلمة مركَّبة** [. . .][11].

Banana [b«'nAıııın«] **1 n** (fruit) banana f; (tree) bananier m **2 comp** [...]

(*Robert & Collins Senior* 1993)

يتوجَّب علينا أن نذكِّر أيضاً باختلاف قلّما تتمّ الإشارة إليه: جرت العادة أن يتألَّف المعجم الثنائيّ اللُّغة العامّة من قسمَين يعكسان اللُّغتَين المصدر والهدف، في حين لا تتألَّف عموماً معاجِم اللُّغة المتخصِّصة، ثنائيّة اللُّغة كانت أو متعدِّدة اللُّغات، إلاّ من قسم واحد متبوع بفهرس يسمح بقلب مزدوجة اللُّغتَين. وهكذا، تُعرِّض هذه المعاجم نفسها للانتقاد الجوهريّ الذي يأخذ عليها أنها غير موثوقة إلاّ للترجمة باتِّجاه واحد: الاتِّجاه الذي ينطلقُ من اللُّغة الأولى التي تمّ تصميم هذه المعاجم انطلاقاً منها.

أوّليّاً، إنَّ غياب التمييز هذا بين مزدوجات اللُّغات بواسطة أجزاء منفصلة، هو شديد الشَّبَه بطريقة عمل كلّ معجم ترجمة في قاعدة بيانات، في حين أنَّ بُنيةً صُغرى من النمط المعجميّ تطرحُ المزيد من إشكاليّات القلب والتمثيل (انظر الفقرة 1,3.). وإن بدا

(11) لن نورِدَ تتمَّة المقالة لأنّها مُخصَّصةٌ للتراكيب التعبيريّة.

للوهلة الأولى أنَّه من الأسهل مَعلَمة علم المصطلحات التطبيقيّ، إلاّ أن برهان السهولة ينقلب بسرعة ضدّه، إذ بما أنَّه يفسح مجالاً للمَعْلَمة المباشرة، فهو لا يعير بالاً لإشكاليّة قلب اللُّغات.

2.2 ـ مبدأ التعادُل المفهوميّ

كما سبقَ أن حاولنا برهنته آنِفاً (Van Campenhoudt 1996: 283 sq.)، إنَّ إقامة تعادُل دقيق قادر أن يسمحَ بقلب اللُّغتَين المصدر والهدف في المعجم المتخصِّص في عدد معيَّن (ع) من اللُّغات، ترجِعُ عموماً إلى تطبيق مبدأ بسيط للغاية أطلقنا عليه اسم مبدأ التعادُل المفهوميّ.

> إذا كان المصطلح أ في اللُّغة الأولى (ل$_1$) يُعادِل المصطلح ألفا α في اللُّغة الثانية (ل$_2$)، وإذا كان المصطلح أ في (ل$_1$) يُعادِلُ المصطلح بيتا β في (ل$_2$)، في حين أنَّ المصطلح ألفا في (ل$_1$) ليس مُرادِفاً للمصطلح بيتا في (ل$_2$)، فمردُّ ذلك عل الأرجح إلى أن المصطلح أ في (ل$_1$) يملكُ معنيَين ينبغي التمييز بينهما بواسطة مدخلَين متمايزَين داخل المعجم.

	ل$_1$	ل$_2$
المدخَل 1	أ	ألفا
المدخَل 2	أ	بيتا

يتماهى هذا المبدأ كثيراً مع مبدأ إنشاء العُقَد في الشبكة الدلاليّة الأحاديّة اللُّغة. ويُذكِّر لوفرا وصباح (Levrat et Sabah 1990: 93) بأنَّه في شبكات دلاليّة متنوِّعة يسمح رابط التعادُل بتمثيل علاقات الترادُف:

لدى إدارة الشبكة إدارةً آليّة، يُمكننا الاستفادة من هذا الرابط لإبراز معانٍ متعدِّدة محتملة، فمثلاً: إنْ كان المصطلح أ مرادفاً للمصطلح ب، وإنْ كان المصطلح أ مرادفاً للمصطلح ج، في حين أنَّ المصطلح ج ليس مرادفاً للمصطلح ب، يعني ذلك على الأرجح أنَّ المصطلح أ ينطوي على معنيَين ينبغي التمييز بينهما بواسطة عقدتين في الشبكة.

من هذا المنظور، من الممكن أن تُشير عدَّة مرادفات إلى العقدة نفسها في الشبكة، وأن يتمّ وصفها بموجَب الوصف الدلاليّ نفسه. وبموازاة ذلك، من الممكن أن يُشار إلى عدَّة عُقَد بواسطة الألفاظ المُجانِسة، بما أنها تحافظ على علاقات دلاليّة مختلفة.

يجيز لنا كلّ تقدُّم بأن نفكِّر بأن تطوُّر هندسة المعرفة سيُسهِمُ بعمق في ردم الهوَّة بين علم المصطلحات التطبيقيّ والمعجميّة المتخصِّصة، عبر اعتماد منهجيّة مُشتركة. ونعرِفُ حقَّ المعرفة أنَّ الروابط الدلاليّة تُعدُّ من أكثر المعايير مناسبةً للغرض للتمييز بين مفاهيم الكلمات. تسمحُ عمليّة أخذ الروابط الدلاليّة في الحسبان، مقترنةً بمبدأ التعادُل المفهوميّ، بمعاينة تقطيع الواقع المرصود في كلّ لغة بشكل أفضل وبعَرْضِه بشكل ملائم لدى صياغة التعريفات (Van Campenhoudt 1996).

ينبغي جمع المصطلحات المعادِلة المُنبثقة عن عمليّة تطبيق مبدأ التعادُل المفهوميّ تحت خانة المدخَل عينه. يكشِفُ المحتوى الدلاليّ المحدَّد على هذا المنوال النِّقابَ عن وجود حلّ وَسَط تداوليّ تواصليّ صِرْف هدفه إتاحة المجال لإقامة التعادُل أيّاً تكن مزدوجة اللُّغتَين واتِّجاه الترجمة. ويكون من باب التعسُّف المطلق أن ندَّعي بأن هذا المحتوى الدلاليّ يتطابقُ مع «تصوُّر» معيَّن، لأن هذا المبدأ

هو نفسه الذي يُطبَّق في معجم الترجمة الثنائيّ اللُّغة الذي يتمحور حول اللُّغة العامّة. في الواقع، يتمتَّع المدخَل بتوسُّع دلاليّ يكون نتيجة حلّ وَسَط صرف بين لغات مختلفة، واللغة التي تميّز الواقع أكثر من سواها تفرض وجهة نظرها على اللغات الأخرى.

تأتي عمليّة تطبيق مبدأ التعادُل المفهوميّ تطبيقاً صارماً مصحوبة بعدَّة نتائِجَ لا تتوافَق كلُّها بالطبع مع وجهات نظر «دعاة» علم المصطلحات التصوُّريّ، ألا وهي:

- قد تُشكِّل المجانسة في قاعدة بياناتِ لغةِ اختصاص معيَّنة الدليل على عمل متقن قوامه إنشاء مصطلحات مُعادِلة.

- يتعيَّن حكُماً أن يتمّ التعريف بالمرادفات بالطريقة نفسها.

- يمكن أن يكون التعريف مُتعدِّد المعاني مادام لا يَستلزِم تبديل المصطلح المُعادِل داخل ميدان الاختصاص نفسه.

- كلَّما عالجنا اللُّغات، ينزِعُ امتداد مفاهيم الكلمات إلى التقلُّص، وتعدُّديّة المعاني إلى التلاشي والامِّحاء.

من المؤكَّد أنَّ النتيجة الأخيرة هي التي تُبعدنا أكثر من سواها عن المُقاربة التصوُّريّة والمقعِّدة (الضابطة للقواعد)، ألا وهي: إنَّ إنتاجَ معجم ترجمة متخصِّصة متعدِّد اللُّغات يمكن أن يُنفّذ في إطار وصفيّ يرتكَزُ على رصد الاختلافات بين اللُّغات، إلاّ أنَّ ذلك يستتبع القبول بالتشكيك بالمحتوى الدلاليّ المُمَعجَم وبالمصطلحات المُعادِلة المُقترحة في كلّ مرَّة يتمّ فيها أخذ لغة جديدة في الاعتبار. ويستتبع ذلك أيضاً أن نُسلِّم بأنَّه، كما في اللُّغة العامّة، قد يكون من العسير أن نُشير إلى مفهوم ينتمي إلى لغة خاصَّة، إلاّ إذا استخدمنا إحدى هذه الحِيَل الكلاسيكيّة، ألا وهي: الاسم النوعيّ، أو الاعتماد على لفظ مستعار، أو الكناية.

2.2.1 ـ مفاهيم بيألسنية(*) أم تصوُّراتٌ؟

لقد سبقَ لنا أن اقترحنا في مقالة صدرت في مجلَّة (*Terminologies nouvelles*) (Van Campenhoudt 1991)، أن «المفهوم البَيْألسنيّ»[12] يُعدُّ، في سياق الترجمة، نتيجةً متغيِّرةً تنبثقُ عن عمليّةِ مقارنة تقطيع الواقع بين لغتين مختلفتين. وبغية توضيح مدى أهميّة مبدأ البحث عن التشاكُل[13] هذا في علم المصطلحات التطبيقيّ المتعدِّد اللُّغات، سنُذكِّر بإشكاليّة طَيف الألوان التي سبق أن أثارها ليونز (Lyons) (Lyons 1970: 46-47) عبر الترسيمة الآتية:

اللُّغة الفرنسيّة	أحمر	برتقاليّ	أصفر	أخضر	أزرق
اللُّغة أ	أ	ب	ج	د	
اللُّغة ب	و	ز	ح	ط	ي
اللُّغة ج	ك	ل	م		ن

الجدول 3: الإشكاليّة التي طرحها ليونز (Lyons 1970: 46-47).

بغية عرضِ تداخل ثقافيّ كهذا، يتعيَّن على المعجم الثلاثيّ اللُّغة أن يُجيزَ ثلاثة توفيقات لغويّة (ألا وهي: التوفيق بين اللُّغتَين أ

(*) بيألسنية (interlinguistiques): ما يتعلق باللغات الاصطناعية.

(12) مع بلوغ هذه المرحلة من تقديم عرضنا، حريٌّ بنا ألاّ نستخدم بعد ذلك إلاّ كلمة مدخل. ولأسباب تتعلَّق بالسّهولة، سنلجأ إلى استعمال المصطلح «مفهوم بَيْألسنيّ لغويّ» واسمه النوعيّ «مفهوم»، للإشارة إلى المحتوى الدلاليّ المُطابِق مع المصطلح المُعادِل الذي يتمّ وضعه تبعاً لمبدأ التعادُل المفهوميّ.

(13) نقتبس فكرة «اللُّغات المتشاكِلة» عن ليونز، انظر: John Lyons, *Linguistique générale: Introduction à la linguistique théorique, langue et langage* (Paris: Larousse, 1970), p. 45.

وب، والتوفيق بين اللُّغتَين أ وج، والتوفيق بين اللُّغتَين ب وج)، بالإضافة إلى ستَّة اتِّجاهات ممكنة للترجمة (كالآتي: من اللُّغة أ إلى اللُّغة ب (أ ⇐ ب)) ومن اللُّغة أ إلى اللُّغة ج (أ ⇐ ج) ومن اللُّغة ب إلى اللُّغة أ (ب ⇐ أ) ومن اللُّغة ب إلى اللُّغة ج (ب ⇐ ج) ومن اللُّغة ج إلى اللُّغة أ (ج ⇐ أ) وأخيراً من اللُّغة ج إلى اللُّغة ب (ج ⇐ ب))، الأمر الذي أدَّى بنا هكذا إلى الدفاع عن الفكرة القائِلة بأنَّ عدد المفاهيم البَيْألسنيّة اللُّغويّة وتوسُّعاتها الخاصَّة كان يتبدَّل تبعاً لمزدوجة اللُّغتَين التي تؤخَذ بالاعتبار. ويُثبِت تطبيق مبدأ التعادُل المفهوميّ هذا التبدُّل، كالآتي:

- بين اللُّغتَين أ وب 9 مفاهيم، ألا وهي: [أو] و[ب و] و[ب ز] و[ج ز] و[ج ح] و[د ج] و[د ط] و[د ي] و[ي][14]
- بين اللُّغتَين ب وج 8 مفاهيم، ألا وهي: [و ك] و[ز ك] و[ز ل] و[حـل] و[ط ل] و[ط م] و[ي م] و[ي ن]
- بين اللُّغتَين أ وج 8 مفاهيم، ألا وهي: [أك] و[ب ك] و[ب ل] و[ج ل] و[د ل] و[د م] و[م] و[ن]
- بين اللُّغات أ وب وج 12 مفهوماً، ألا وهي: [أو ك] و[ب وك] و[ب زك] و[ب زل] و[ج زل] و[ج ح ل] و[د ح ل] و[د ط ل] و [د ط م] و[د ي م] و[ي م] و[ي ن]

في علم مصطلحات تطبيقيّ متعدِّد اللُّغات يشتملُ على أكثر من مزدوجة لغويّة واحدة، ينبغي أن ننجِزَ التقطيع آخذين بالاعتبار

(14) لا تتطابق الأزواج المؤلَّفة من حرفَين إلاّ مع تسمية اعتباطيّة للمفهوم البَيْألسنيّ اللُّغويّ الذي ينبغي التحسُّب له وليس مع توسُّعه إطلاقاً، فمثلاً: لا يملك المفهوم [أو] إلاّ توسُّع المفهوم [أ].

المفاهيم البَيْألسنيّة كافّةً، الضروريّة لترجمة تبقى سليمةً دائِماً أيّاً تكن المزدوجة المُختارة واتِّجاه الترجمة. وهكذا، يتوجَّب على المعجم الثلاثيّ اللُّغة (الذي يحتوي على اللُّغات أ وب وج) أن يلحظَ توسُّعات المفاهيم المُشار إليها سابقاً، أي 12 مفهوماً مُختلفاً. وكلَّ مرَّة نُضيفُ فيها لغةً جديدةً، ستُدمَجُ لا مناص مفاهيمُ بيْألسنيّةٌ جديدةٌ في المؤلَّف وسيُصار إلى تعيينها، في حين ستُمسي مفاهيمُ أخرى باطلةً.

بغية تأليف معجم متعدِّد اللُّغات ذي نوعيّة جيِّدة، لا نحتاج إذاً إلى إعادة قراءة أسطورة الكهف أو إلى تحويل التقاليد العلميّة والتقنيّة إلى مقياس مُشترك واحد، بل جلُّ ما نحتاجه هو تحليل غياب التماثل (isomorphisme) بين اللُّغات عبر إجراء وصف دلاليّ دقيق.

2.2.2 ـ حين يبدي التعادل مقاومةً

في إطار شبكة مفهوميّة معيَّنة، نستطيعُ في أغلب الأحيان أن نُعلِّلَ المصطلحات المُعادَلة التي نحصل عليها بفضل مبدأ التعادُل المفهوميّ في حالة التباعُد بين اللُّغات، من خلال اللُّجوء إلى الخاصيّات التي توجِّهُ العلاقة الاسميّة المُندرِجة (Van Campenhoudt 1996: 292-294). إلاّ أنه لا يَخفى على أحد بعد الآن أنّ ثمّة اختلافات عديدة بين معاجِم مفردات البحريّة وعلم الاجتماع وهندسة الأشكال الارتجاعيّة المُنتظِمَة. وبهذا المعنى، لن نجرؤ مُطلقاً على الادِّعاء بأن مبدأ التعادُل المفهوميّ يسمح بحلِّ مختلف الإشكاليّات التي يطرحها التعادل في قوائم المصطلحات القانونيّة على سبيل المثال.

حين نتأمَّلُ في حقائِقَ أكثر تجريداً، يُمكن أن تغدو مسألة تقطيع الواقع مسألةً أكثر دقةً، فمثلاً: قد تُشكِّل الظواهر الطبيعيّة موضوع

تحاليل شديدة الاختلاف تبعاً للُّغات، إلى درجة أنَّ تضارُب الخاصيّات المُفعَّلة قد يؤدِّي إلى إشكاليّةِ تعادُل ينبغي أخذها على محمل الجدّ، فعلى سبيل المثال، حين تهبُّ الريح من الغرب إلى الشمال الغربيّ، يقول البحّار الناطق بالإنجليزيّة «يتبدَّل اتِّجاه الريح» (the wind is veering) أيّاً تكن وضعيّة شاغول المركب. وفي المقابل، سيقول بالأحرى البحّار الناطق بالفرنسيّة «الريح مؤاتية» (le vent adonne) أو «الريح تعاكس» (le vent refuse) تبعاً لكونه يتلقَّى الهواء في مَيْمَنة المركب أو ميسرته. وبغية التوصُّل إلى ترجمة العبارة الإنجليزية (the wind is veering) ترجمةً سليمةً، من المناسب إذاً أن نكون مطَّلعين على وضعيّة شاغول المركب، فإزاء الظاهرة الجويّة الحسيّة والقابلة للقياس نفسها، يختلفُ التحليل الذي يقوم به الشخص الناطق بالإنجليزيّة عن ذلك الذي يقوم به الشخص الناطق بالفرنسيّة، وتبقى طريقة عرض تبدُّل اتِّجاه الرياح في كلّ لغة متنافِرةً بشدَّة مع طريقة عرضها في اللّغة الأخرى، إلاّ إذا كنَّا على علم بالسياق الدقيق. وباستطاعتنا طبعاً أن نُحدِّدَ المفهوم الإنجليزي لمتكلِّم اللُّغة الفرنسيّة، ولكنَّنا نفتقرُ إلى أيّ مصطلح يخوِّلنا مَعْجَمَته[15].

يقودنا هذا المثل وغيره إلى اقتراح أنَّ عيبَ النموذج المثلَّثيّ لِعلم المصطلحات النظريّ ـ والذي وَصَفَه لورا (Lerat 1989: 56 sq.) وصفاً جيّداً ـ يكمن في أنَّه يُغفِلُ الجانب المرجعيّ السياقيّ، مع أنَّه ينظّم اختيار التعادُل. ويتحتَّم علينا كذلك أن نلاحِظَ أنَّ مثل هذه الحالات تُسيء إلى مقاربة التعادُل التصوُّرية، إذ، يبدو المفهوم بمثابة واقع لغة وثقافة بقدر ما يبدو ثمرةَ عمليّة ذهنيّة صرْف. ففي منطق

(15) إنَّ الفعل = (haler) غيَّرَ اتِّجاه السفينة الذي يُقدَّم أحياناً بمثابة المصطلح المُعادِل، (Kerchove 1961: 888)، هو مهجورٌ ولا يستتبع بالضرورة التغيير في اتِّجاه عقارب الساعة.

وجهة نظر مفهوميّة بحصر المعنى، يتطابقُ المفهوم مع مجموعة خصائص تُشكِّل الموضوع المُمَفهَم، وتكون متوافقة ظاهريّاً من لغة إلى أخرى. غير أنَّ بعض الحالات من مثل حالة تبدُّل اتِّجاه الرياح، وغيرها العديد من الأمثلة، تطرحُ حتماً عدَّة أسئلة[16]، على غرار السؤال الآتي: أمازال باستطاعتنا أن نصرَّ على أن الخصائص تنبثِقُ من الموضوع ولا تكون متأثِّرةً باللُّغة موضوع البحث؟ سيفضي بنا هذا الأمر إلى التفكير بما يحلّ بالمفهوم في إطار مبدأ التعادُل المفهوميّ.

يُفرِزُ تطبيق مبدأ التعادُل المفهوميّ ـ كما سبقَ ورأينا ـ نتائِجَ تختلفُ باختلاف اللُّغتَين، المصدر والهدف. وإنه لمن العبث أن ندَّعي بأنَّ المحتوى الدلاليّ للبطاقة المصطلحيّة التي تُبصِرُ النور بفعل تطبيق هذا المبدأ يتطابقُ مع التصوُّر. وعلى سبيل الافتراض، سنكون ميّالين لتحديده كفضاء للمعنى الذي يُستخدَم كأرضيّة مشتركة بين عدَّة لغات. ينزعُ ذلك إلى برهنة أنَّه يترتَّب على علم المصطلحات التطبيقيّ أن يبقى قبل كلّ شيء عبارةً عن نشاط ممهور بالذرائعيّة[*] ومن شأنه أن يُعيِّن حدودَ فضاءاتِ تسمح بإقامة مصطلحات معادِلة بين عدَّة لغات. ولتعذُّر إمكانيّة اكتفاء المعجميّ أو عالم المصطلحات التطبيقيّ (فلنُطلقْ عليه الاسم الذي يحلو لنا) بإجراء نشاط يرتكز على علم دلالة وصفيّ في كلّ لغة، فهو يجد نفسه مجبراً على تعيين حدود هذه الفضاءات التي لا يسعنا أن نُطلِقَ عليها اسم تصوُّر أو مدلول.

(16) تسمحُ مثل هذه الحالات بفهم السبب الذي يحملُ بعض المؤلِّفين، على غرار روندو (Rondeau 1984: 11, 19) على السعي إلى دمج المفهوم بالمدلول.

(*) مذهب يرى أنَّ معيار صدق الآراء والأفكار في قيمة عواقبها العمليّة، فالحقيقة تُعرَفِ بـ «نجاحِها» ـ إنَّها فلسفة جيمس (James) وشيلر (Scheller) وديوي (Dewey).

3 ـ نحو إنشاء «معجم تحوُّليّ» إلكترونيّ

يكون العبور إلى المُعجَم المتعدِّد اللُّغات عبوراً مشروطاً بالكامل بعمليّة تحديد المعنى، أي بالتالي مفاهيم الكلمة، تحديداً سليماً. فضلاً عن ذلك، لقد سعَينا في ما تقدَّمنا به أعلاه أن نقترحَ وجود شَبَه كبير بين المقاربة الجناسيّة وضرورة إنشاء تعادُل دقيق. عام 1995، بمناسبة انعقاد مؤتمر حول «**المعجميّة المعلوماتيّة والقاموسيّة**» في جامعة ليون (Université II Lyon II)، قدَّم عدَّة مُداخلين نماذج لإدارة معاجم اللُّغة العامّة مرتكِزةً على المُجانسة. وكما كان ينوِّه به ماتيو كولاس بشكل بارع (Mathieu-Colas 1996)، تثير معالجة تعدُّديّة المعاني معالجةً معلوماتيّةً عدَّة إشكاليّاتِ تمثيل، حتى في سياقٍ أحاديّ اللُّغة، لأنَّه من العسير إدارة الوجود المُشترك لعدَّة معان في مدخل واحد. وقد برهَنَ آنذاك كيف تمّ في إطار مختبر الألسنيّة المعلوماتيّة (التابع للمركز الوطني للأبحاث العلميّة (C. N. R. S.) في جامعة باريس (XIII) (Université Paris XIII)، مدُّ جسر يربطُ علم الألفاظ بعلم المصطلحات من خلال اللُّجوء إلى استعمال تقنيّة تفريق الكلمات المتعدِّدة المعاني تفريقاً جناسيّاً. وفي الواقع، يمكن لعمليّة ترابُط المعاني مثلما يتمّ تصوُّرها في إطار المقاربة المتعدِّدة المعاني أن تكون مرمَّزةً (codée) بشكل جيِّد في الحقول المُخصَّصة لهذا الغَرَض الخاصَّة بالمداخل المُجانِسة.

> في ما يتعلَّق بظاهرة تعدّد المعاني المعقدة إلى هذا الحدّ، يتَّضح أنه من الأكثر عملانيةً، من وجهة نظر لغويّة ومعلوماتيّة أيضاً، أن نبدأ بعرض **تنوُّع** العناصر (التفريق الأقصى) قبل التمكُّن من وصف الروابط التي تجمعها وصفاً دقيقاً أكثر (Mathieu-Colas 1996: 325).

3.1 ـ الضرورة المعلوماتيّة للتلاؤم

في سياق معلوماتيّ، يُفضي كلّ من اقتضاء تعيين المحتويات بدقَّة والتحرُّر من تنظيم الكتابة تنظيماً خطيّاً، إلى إعادة النظر بشكل عمليّ للغاية في الحدود الكثيرة المسامّ أصلاً التي تفصلُ المعجميّة المتخصِّصة عن علم المصطلحات التطبيقيّ. فإزاء الحاسوب، يلفي المعجميّ نفسه على قدم المساواة مع عالم المصطلحات التطبيقيّ الذي يترتَّب عليه أن يوزِّع المعلومة التي تكون بحوزته داخل حقول محدَّدة سلفاً. ولكنّ المعجميّ، بخلاف عالم المصطلحات التطبيقيّ الذي يكون حريّاً به أن يحذو حَذْو هذا الأخير، يكون معتاداً ألاّ يحصرَ عمله في نطاق البحث عن المصطلحات المُعادِلة ويتوق إلى تقديم معلومات دلالية ومعجميّة.

يُمكننا بلا أدنى ريب أن نفهمَ المعجم الأحاديّ اللُّغة المؤلَّف من منظور متعدِّد الدلالة بواسطة بَيْنِيَّةِ تواصل(*) يتمّ وَقْفها لغرض معيَّن. و«جلّ» ما يفترضه هذا الأمر أن يكون المؤلِّف قد فكّر مقدَّماً بنموذج المعطيات الذي يكون بحوزته وبمجموعة الحقول التي يكون بحاجة إليها. وإن أردنا التحدُّث بلغة المعلوماتيّة، وليس بلغة الطباعة وتركيب الصفحات كما في العصور الغابرة، نقول إنَّ على المؤلِّف أن يُعِدَّ تقنيةً للتعريف بنمط المُستند(**) (DTD) وأن يجعلَ المعلومة اللُّغويّة تنسكِبُ في القالب الذي يكون قد شكَّله بهذه الطريقة. وكلَّما كانت هذه المعلومة محدَّدةً بشكل مُرهَف ودقيق، سَهُلَ تطوُّر المعجم على مرّ المجموعة الاتِّصاليّة. وعندما تتواجد عدَّة معاجمَ

(*) يقال لها أيضاً «ملقى التواصل»، وهي عبارة عن عتاد التواصل وبرمجياته بين جهاز وآخر.

(**) إنَّها اختصار في اللُّغة الإنجليزية لعبارة (DTD) (Document Type Definition)، وهي عبارةٌ عن تقنية تضمّ مجموعة تصاريح ترميز هدفها تحديد نمط المُستند.

أحاديّة اللُّغة لميدان الاختصاص نفسه، يبدو من المنطقيّ أن نتخيَّل أنَّه باستطاعتنا دمج هذه المعاجم بسهولة بغية إنتاج معجم متعدِّد اللُّغات يتَّخذ بالضرورة صبغةً «مصطلحيّةً» أكثر.

ولكن، بين الشقّ النظريّ القابل للتطبيق تطبيقاً مباشراً والشقّ التطبيقيّ، ينشأُ عائقٌ يصعبُ اجتيازه. ويُعزى سببه خصوصاً إلى استعمال تقنيّات معالجة النصّ أو الأجهزة المصطلحيّة المُستقبِلَة التي تنقل على الشاشة صفحةً بيضاء تبعث شعوراً كبيراً بالطُّمأنينة. وحتَّى مع بلوغنا مشارف الألفيّة الثالثة، مازال عددٌ كبيرٌ من واضعي المعاجم المتخصِّصة يدأبون على صياغة مؤلَّفاتهم من خلال ملء ورقة بيضاء تطبيقاً للنموذج التوجيهيّ الذي كان يتَّبعه كبار المعجميِّين في الماضي الغابر. ولم يتمّ احتساب الثمن الباهظ الذي كانت تُكلِّفه عمليّة الأعْلَمَة[*] «بواسطة لغة الترميز المُمَقْيَسة العامّة»[**] (SGML) لمعجم معيَّن يكون مصمَّماً على ركيزة إلكترونيّة بطبيعة الحال والذي لا تخضع بُنيته الصُغرى لأيّ قاعدة ثابتة، إلاّ مُذْ تمّ تطوير أشكال التبادُل المُتَّفَق عليها والعَشْوائيّة[17]. ونظراً إلى كلفة تشكيل المعاجم الإلكترونيّة، وأكثر من ذلك، إلى كلفة مَعْلَمة معاجم الاختصاص

(*) تعني «الأَعْلَمَة» في ميدان المعلوماتيّة أن يتمّ وضع أعلومة أو واسِم أو علامة تدلّ على انتهاء كتلة البيانات على الشَّكل الآتي: < > . والأعلومة هي عبارة عن أمر (اسم) يوضَع بين رمزَين، ألا وهما: الرمز الأدنى (<) ويُسمَّى «أُعلومة الافتتاح» والرمز الأعلى (>) ويُسمَّى «أُعلومة الخِتام».

(**) إنَّها اختصار لِعبارة (Standard Generalized Markup Language) وهي لغة تأشير أو ترميز تُعَدُّ مقياساً لإدارة المعلومات أصدرتها منظمَّة إيزو (معيار إيزو رقم 8879، عام 1986) كوسيلة لإنشاء وثائق قابلة للتنسيق والتنظيم.

(17) يفترِضُ التبادُل المُتَّفَق عليه وجود اتِّفاق مُسبَق حول تقنيّات التعريف بنمط المستند (DTD) وحول إعداد برنامج تحويل مُخصَّص، بينما يجنبنا التبادل العشوائيّ الأعمى من خلال تقنيّة مشتركة للتعريف بنمط المستند تُستعمَل كشكل مُرتَكز، إنشاء محوِّل مختلف في كلّ مرَّة.

التي سبق نشرها، يمكننا أن نتساءل عن نوعيّة نماذج البيانات الرديئة التي يستعملها مؤلِّفوها.

تُشكِّل المعاجم نصوصاً وقواعد بيانات في آن، كما ينوِّه به إيد وفيروني (N. Ide et J. Véronis 1996: 174) بمنتهى البراعة، وهي «تُمثِّل بالتالي ازدواجيّةً على جانب من الأهميّة بين بُنية السطح (أي النصّ) والبُنية العُمقيّة (أي المحتوى الإعلاميّ)». ومن الواضح وضوحاً تاماً أنَّ إدراك هذه البُنية الأخيرة وحدها يُفسِح المجال لإدارة التعدُّديّة اللُّغويّة إدارةً معلوماتيّةً فعّالةً. ويقترحُ الفصل 12 من «مبادرة ترميز النصوص»[18] (*Text Encoding Initiative* (*TEI*) والمُخصَّص للمعاجِم المطبوعة، إجراء عمليّةِ أعْلَمَة تُشبِهُ كثيراً بنية السطح التوجيهيّة؛ ممّا يُفسِّر لمَ لا تلحَظُ هذه المبادرة أن يُصار إلى دَمج قسمَي المعجم بشكلٍ يخوِّلنا قلب ترتيب اللُّغتَين المصدر والهدف للمعجم الثنائيّ اللُّغة[19] نفسه. علماً بأنَّ الأمثلة المُقترحة بشأن عملية أَعْلَمَة المعاجِم المتعدِّدة اللُّغات ـ التي نعرفُ أنَّها معاجمُ متخصِّصةٌ ـ لا تعني سوى أحد قِسمَي معجم اللُّغة العامّة الثنائيّ اللُّغة.

لا تُقدِّم «مبادرة ترميز النصوص» (TEI) مواصفات تخصيصيّةً فِعليّةً للمعجميّة المتخصِّصة ولعلم المصطلحات التطبيقيّ المحرَّرَين على الورق. ويتمّ تكريس الفصل 13 لقواعد البيانات المصطلحيّة وحدها، وليس لأَعْلَمَة المعاجم المتخصِّصة المتوفِّرة في المكتبات. وقد تطوَّر هذا الفصل ليُصبح معيار إيزو (ISO/FDIS) رقم 12200

---

(18) انظر: www.uic.edu/orgs/tei/index.html

(19) في البند 1.12 تقترِحُ مبادرة ترميز النصوص (TEI) ببساطة أن يُصار إلى تجزِئَة العنصر (< جسم >) (< body >) بواسطة العنصر < جزء > (< div >).

(عام 1998)، المعروف أكثر تحت اسم (MARTIF). وباعتباره مقياساً مصوغاً من أجل التبادُل المتَّفَق عليه بشأن المعطيات الإلكترونيّة، فهو قلّما يعرِضُ الإشكاليّات التي يطرحها التبديل الارتداديّ للمعاجِم المتخصِّصة التي لم تتمّ صياغتها تبعاً لضرورات الإدارة المعلوماتية[20].

قد نتساءَل هل من المُلائِم أن تواظِبَ أشكال التبادُل الموجودة على الساحة اليوم (على غرار مبادرة ترميز النصوص (TEI) ومقياسَي (MARTIF) و(GENETER) على دَأْبها في التمييز بين المعجميّة وعلم المصطلحات التطبيقيّ. وتشهَدُ قوَّة أدوات الأعْلَمَة والآفاق الجديدة لاستثمارها استثماراً مباشراً (بواسطة لغة الترميز المَدودة[*] (XML)) في صالح إنشاء «معاجم تحوُّليّة» متخصِّصة. وكونها تكون قابلةً للاستعمال في إطار مشاريع جمّة، من المُفترَض أن تفسح هذه المعاجم التحوُّليّة في المجال لإنتاج تشكيلة كبيرة من المُنتجات القاموسيّة المُتفرِّعة، سواء للغة واحدة أو لعدَّة لغات.

من هذا المنظور، يبدو أنَّه لا غنى عن وضع قائِمة جَرْد بكلّ الحقول المُستعملة في المعجميّة العامّة والمتخصِّصة، على غرار تلك التي أُنجِزَت في إطار الإدارة المصطلحيّة التطبيقيّة (انظر معيار إيزو ISO/FDIS رقم 12620 عام 1998)، بحيث نتمكَّن بعد ذلك من أن نصوغَ شكلاً ـ مرتَكَزاً واحداً. ويبدو أن المشروع (MARCLIF)

(20) يُفسِّر ذلك بلا أدنى شكّ النجاح الذي حقَّقه الشَّكل المُرتَكَز (GENETER) الذي وَقَع خيار عدَّة مشاريع أوروبيّة عليه.

(*) يُقال لها في اللُّغة الإنجليزية (Extensible Markup Language)، وهي عبارة عن لغة ترميز قابلة للامتداد. وهي لغة تأشير أو ترقيم عامة هدفها خلق لغات ترميز ذات غرض خاصّ، قادرة على وصف العديد من الأنواع المختلفة. وبمعنى آخر، إنَّها طريقةٌ لوصف البيانات.

(وهو اختصارٌ للعبارة الإنجليزية الآتية: «شكل التبادُل التصوُّريّ والمعجميّ القابل للقراءة عن طريق الآلة» (Machine-readable Conceptual and Lexicographical Interchange Format) الذي أعدَّته الجمعيّة الدوليّة للترجمة الآليّة (International Association for Machine Translation) (IAMT) يُشكِّل خطوةً أولى في الاتِّجاه الصحيح (Melby [et al.] 1996). وبانتظار أن نشهَدَ وِلادة مقاربات مماثلة، يبدو من المجدي أن نطالب بأن يتمّ تعيين كلّ المعلومات المُلائِمة الواردة في المعاجم المتخصِّصة تعييناً معلوماتيّاً دقيقاً.

2.3 ـ علاقاتٌ إضمارية تعريفية

يحقُّ لنا أن نتساءل عن مدى تلاؤم المعلومة الدلاليّة مع عمليّة استثمار المُعجَم التحوُّليّ استثماراً يتَّصف بطابع معجميّ أكثر أو مصطلحيّ تطبيقيّ أكثر. وإنْ كان النقاش بشأن هذه المسألة مشوِّقاً من زاوية نظريّة، إلاّ أنَّه يصطدِمُ بمبدأ الواقع، إذ في سياقٍ أحاديّ اللُّغة، قلّما يهتمُّ مؤلِّفو المعاجم المتخصِّصة بمتطلبات مدرسة فيينا (Ecole de Vienne) المتشدّدة في ما يتعلَّق بالتعريف عن طريق الفهم ويَسقطون، كما سبق أن رأينا، في الموسوعية(*). أمّا بالنسبة إلى مؤلِّفي المعاجم المتعدِّدة اللُّغات، فنُذكِّر بأنَّه من النادر أن يقترحوا تعريفات في كلّ لغة.

> ثمّة طرقٌ كثيرةٌ لتحديد التصوُّرات يتمّ استعمالها تبعاً لطبيعة التصوُّرات الواجِب التعريف بها وتبعاً للغرض الخاصّ المرجوّ من التعريف، والتي تتراوح من تعيين حدود فضاء المعرفة الذي يشغله تصوُّرٌ معيَّنٌ وصولاً إلى

(*) نزعةٌ إلى تجميع المعارف في مختلف الفروع.

تشكيل نوع من مُفكِّرة، ومن حاجة المترجم إلى التأكُّد من صحَّة المُصطلح المُعادِل وصولاً إلى الشخص المتخصِّص الذي يترتَّب عليه تعيين عمليّة جديدة أو منتج جديد (Sager 1990: 42).

ثمّة ما يدعو للاعتقاد أنّ هذه الحالة لن تتبدَّل في المستقبل، ويقترحُ ساجيه (المصدر نفسه) اقتراحاً حكيماً بأن نُقِرَّ بتنوُّع الصّيغ التعريفيّة، سواء في المعجميّة أو في علم المصطلحات. والواقع أنه حتى معجميّو اللُّغة العامّة لا يتردَّدون، كما تُذكِّر به كابريه (Cabré 1998: 182)، في اللعب بمهارة على مختلف أنماط التعريفات.

بكلام آخر، يبدو من النافل الاعتقاد أنّ إنشاء معجم تحوُّليّ سيُفضي إلى تقويض الصفات المُميِّزة للتعريفات المصطلحيّة التطبيقيّة والمعجميّة في لغة الاختصاص. وإنْ كانت المعاجم المتخصِّصة الأحاديّة اللُّغة تملك في الواقع نزعات موسوعيّةً، إلاّ أنها تتميَّز كذلك بخاصيّة أنها تُقدِّم معلومةً دلاليّةً أغنى بكثير من تلك التي تقدِّمها المعاجم المتعدِّدة اللُّغات. وفي حال تمَّت أعْلَمَةُ هذه المعلومة بشكل سليم، فلا بدّ أنَّها ستُسهم في إغناء الحقول التي تنطوي عليها البطاقة المصطلحيّة التي يكون للمترجم ملء الحريّة في الاطلاع عليها. وهنا أيضاً، تكمن المسألة الأهمّ في تمييز التعريفات بالمعنى الحصري عن الشروح الموسوعيّة والحواشي والأضداد والروابط، إلى ما هنالك، تمييزاً واضحاً. كما إن عمليّة تقديم حقول ترميز متمايزة لواضع المعجم من شأنها أن تحمله على التفكير في محتوى التعريفات التي يقترحها.

وأخيراً، واجِبٌ علينا أن نُشدِّدَ على أنَّه في إطار صناعات اللُّغة، سيؤثِّر تطوُّر المُنتجات القاموسيّة في نهاية المطاف في النماذج التعريفيّة. وندركُ من الآن أنَّ عمليّة استثمار البُنية الصُّغرى أو اللُّغة التحوُّليّة الخاصّة بمعجميّة ثنائيّة اللُّغة تتمحور حول اللُّغة العامّة،

على شاكلة معجم (*Robert & Collins*)، ستسمحُ بِـ «تحويل المعجم إلى نوع من مَكْنَز تمتزجُ فيه الموسوعة بالَعنصر المعجميّ» (Fontenelle 1996: 13). فضلاً عن ذلك، تشهدُ الأعمال المُنجزَة حول استثمار المدوَّنات النصيّة والشبكات الدلاليّة، وخاصَّةً داخل قواعد المعارف المصطلحيّة، بما فيه الكفاية على عمليّات تقريب المسافات في المُستقبل في ما يتعلَّق بالتعريف. ولقد سبقَ أن بدأ بعض الأشخاص المُقتنعين بوجهة النظر هذه بالعمل على إجراء تمثيل مُشابه لمعجم مفردات اللُّغة العامّ ومعجم مفردات اللُّغة المتخصِّص (Viegas 1997).

3.3 ـ إيجاد ندوات خاصة بالتحرير

عندما نُلقِم قاعدة بيانات متعدِّدة اللُّغات ذاتَ حجم ضخم، تكمنُ الصعوبة الرئيسة غالباً في إيجاد معاجِم متعدِّدة اللُّغات لا تكون عبارةً عن مجرَّد جداول مصطلحات تُقدِّم لوائِح ترجمات من دون أيّ ضمانة دلاليّة للتعادُل. وعليه، يزداد خطر أن نقع في تجربة الاستحصال على عدَّة معاجِمَ متخصِّصة أحاديّة اللُّغة تُقدِّم معلومةً معجميّةً ونحويّةً ودلاليّةً أغزر مادةً، وأن نُحاول جعلها تتناسبُ إحداها مع الأخرى. الأمر الذي يستلزِمُ بطبيعة الحال تكبُّدَ عمل قوامه تثبيت المصطلحات المُعادِلة من خلال إجراء حوار محصور بين خبراء ينطقون بلغات مُختلفة. وقد أضحى هذا الحوار، الذي كان من الصعب تنفيذه قديماً، سهلاً بفضل التطوُّر المُذهِل الذي تشهده شبكات التواصل الإلكترونيّة.

منذ زمن ليس ببعيد، كان أبسط اجتماع تعقِده مجموعةٌ دوليّة من المحررين المتخصصين في الميدان يكلِّف أموالاً طائلةً. بيد أنَّه من الآن فصاعداً، بات من الممكن خلق فضاء تحريري افتراضيّ يتمكَّن في نطاقه مساهمون من مختلف بلدان العالم من التفاوض

بشأن إنشاء مصطلحات معادِلة داخل معجم تحوُّليّ متعدِّد اللُّغات. وكما سبق لفوستر أن ذكر (Wüster 1968: 2.19)، لقد تمَّ تصميم السواد الأعظم من أكبر المعاجم المتخصِّصة المتعدِّدة اللُّغات انطلاقاً من العمل المنجز حول لغة واحدة (على غرار اللُّغة الألمانيّة في المعاجم التي وضعها شلومان (Schlomann 1906-1932))، ممّا يضعف من قدرتها على إحراز نتائج جيِّدة عندما نُترجمُ انطلاقاً من لغة أخرى. ولاتزال هذه الملاحظة صالحةً حتى يومنا هذا.

لقد أدركت المفوَّضيّة الأوروبيّة جيداً الإمكانيّات الجديدة المتاحة عن طريق شبكة الإنترنت، بما أنَّ البرنامج الذي أعدَّته والذي يحمل اسم جمعية المعلومات المتعدِّدة اللُّغات (Multilingual Information Society) (MLIS) قد موَّلَ مشاريع تشكيل «ندوات مصطلحيّة». وخلف هذه التسمية ذات الطابع المُبهَم على أقل تعديل، يلوح طيف فكرة خلق فضاءات تحريريّة حواريّة تهدف إلى تحسين المعطيات المصطلحيّة واستيفائها وتعزيزها. ومن شأن عمليّة إنشاء حوار أفضل بين المحرِّرين والخبراء والمستخدمين، فضلاً عن عمليّة استثمار المدوَّنات النصيّة عبر شبكة الإنترنت، أن تسمحا سريعاً بمُجاراة تطوُّر معاجم مفردات اللُّغة المتخصِّصة. وحريٌّ بنمط الفضاء الحواريّ هذا أن يسمحَ للمحرِّرين بوجه خاصّ بالعمل بشكل موازٍ، من دون أن تعمدَ أيّ لغة إلى فرض وجهة نظرها على سواها من اللُّغات[21].

---

(21) يرمي تحديداً المشروع (DHYDRO) وهو أحد المشاريع التي يموِّلها برنامج «مجتمع المعلومات المتعدِّد اللُّغات» (MLIS) إلى إيجاد فضاء تحريريّ، على شبكة الإنترنت، مخصّص لتحقيقِ تطوُّر تدريجيّ للصيَغ الثلاث الأحاديّة اللُّغة للمعجم الهيدروغرافيّ [مياه بلد أو منطقة] (*Dictionnaire hydrographique*) الذي أعدَّته المنظَّمة الدوليّة الهيدروغرافية باتِّجاه إنجازِ معجم تحوُّليّ. وإنَّ العنوان الإلكتروني الخاصّ بمشروع (DHYDRO) هو الآتي: www.loria.fr/projets/MLIS/DHYDRO

نشهَد غالباً على ما يبدو في مثل هذا الفضاء النشاطيّ الحواريّ عمليّة تشظّي المعلومة المتعدِّدة الدلالة إلى عدَّة مداخل مجانِسة تبعاً لتشعُّب الميادين الفرعيّة وللعلاقات الدلاليّة ولمقتضيات الترجمة. بيد أنه لا يجوز وضع تعدُّديّة المعاني في دائرة الشكّ خارج نطاق عمليّة تطبيق هذه المعايير تطبيقاً صارماً. هذا وقد تبقى «ثغراتٌ» قائمةٌ في بعض اللُّغات، إلى أن يتفاهمَ المحرِّرون في ما بينهم لتفسير إشكاليّة الترجمة المطروحة للبحث[22]. ممّا قد يُفضي إلى محاولة تصميم معجم متعدِّد اللُّغات يعرِضُ الاختلافات بين اللُّغات، عوضاً عن تعليق ملصقات على تصوُّرات يصعُبُ أحياناً حصرها حتى في لغة الاختصاص.

في المقابل، من المُفترَض أن يضمَنَ اقتضاء تخزين المعلومات بواسطة بَيْنِيّةِ تواصل مشتركة وإمكانيّة الإفادة من شتَّى أدوات المساعدة على التحرير، تشكيلَ معجم تحوُّليّ فعليّ يكون من السَّهل انطلاقاً منه إنتاج عدد كبير من المؤلَّفات المُكيَّفة مع حاجات كلّ شخص (سواء كان اختصاصياً أو طالباً أو مترجماً أو مترجماً فوريّاً. .. إلخ). وفي الواقع، في حال تمَّت أعْلَمَة مفاهيم الكلمات بشكل سليم، فيُمكننا باستمرار أن نُعيدَ تنظيمها بحيثُ نتمكَّن من اعتماد تقديم أحاديّ اللُّغة ومتعدِّد المعاني، إذ: يكفي أن نجمع تحت خانة المدخل نفسه مفاهيم الكلمة كافَّةً التي تُحدِّدها لغةٌ معيَّنةٌ تحت مداخل جناسيّة. وعليه، يتجلَّى أحد أبرز التحوُّلات التي تطرأ

(22) كما يقترحه أصلاً المقياس ISO/TR رقم 12618، انظر: ISO/TR 12 618, *Aides à apporter par les ordinateurs dans les travaux de terminologie - Création et utilisation de bases de données terminologiques et de corpus de textes*, p. 4,
الذي يبدو لنا وكأنه يسجل تطوراً واضحاً في مقياس TC37 في ما يتعلَّق بالوصف اللُّغوي.

على المعجم الأحاديّ اللُّغة والمتعدِّد المعاني المُصمَّم على هذا المنوال في أن المعيار المُمَيِّز بين مفاهيم الكلمات سيكون فيه وثيق الصِّلة بعمليّة عَرض الميادين الفرعيّة ومقارنتها في عدد اللُّغات المعيَّن (n) التي يصفها المعجم التحوُّليّ. وفي ما يتعلَّق بمعجم مفردات ميدان متخصِّص ثابت نسبيّاً، قد يتبادر إلى ذهننا أنَّ الفضل الأكبر الذي يعود لهذه المفاهيم يكمنُ في اعتمادها، كلَّما زادَ عدد اللُّغات، مخطَّطات تمهيديّةً تأخذ بالاعتبار وجهات نظر جماعة دولية.

4 ـ الخلاصة

يرتكزُ مبدأ التعادُل المفهوميّ على مقارنة اللُّغات من وجهة نظر وصفيّة. وخارِج نِطاق تطبيق هذا المبدأ، يمكننا ببساطة أن نكتفي بعرض إشكاليّات التعادُل التي نصادفها في ميدان يكون موسوماً بالتقاليد الخاصَّة بكلّ ثقافة. هذه هي أصلاً الطريقة الفضلى لمساعدة المترجِم على فهم النصوص التي غالباً ما يهزأ مؤلِّفوها بالمقاييس المصطلحيّة.

يحدّ هذا من الطموح الأساسيّ الذي كان يُراوِدُ مدرسة فيينا التي كانت ترمي أوَّلاً إلى إنشاء وِفاق حول المفاهيم قبل السعي إلى تسميتها. وبينما تؤثِرُ هذه المدرسة ضبط التصوُّرات على الصعيد الدُّوليّ، يُمكننا أن نتصوّرَ مقاربةً أخرى تتَّصِفُ بطابع وصفيّ أكثر وتسمحُ لمتكلِّمي كلّ لغة بتقاسُم عوالمهم المفهوميّة، عوضاً عن إرغامهم على مشاطرة عالم واحد تمّ تصوُّره سلفاً. وتجعلنا إمكانيّةُ خَلْقِ فضاءات تحريريّة افتراضيّة على شبكة الإنترنت نتأمَّلُ بأن تفضي مقابلة وجهات نظر مُعدِّي المعاجم في لغات مختلفة إلى إيجاد وصف أكثر دقَّةً لإشكاليّة التعادُل.

إن نموذج المفهوم البَيألسنيّ اللُّغويّ المقترح في إطار مبدأ

التعادُل المفهوميّ له تبعاته، إذ: تستتبعُ عمليّة إضافة لغة جديدة، ناهيك من التقدُّم التقنيّ أو العلميّ، وحتى التطوُّر الثقافيّ، أن يصار إلى إعادة النظر في التقطيع المفهوميّ ومن ثم في التعريفات والمصطلحات والسياقات والروابط، إلى ما هنالك. وسيبدو أن هذه اللّااستقراريّة تُشكِّل عَيْباً مُبطلاً، إلاّ أنها الثمن الصحيح الذي يُكلِّفه العمل الصارم القاضي بإنشاء مصطلحات معادِلة. ولكن يبدو أن المعلوماتيّة جديرة بإدارة ثقل هذا النموذج. وبالإضافة إلى ذلك، من الجيِّد أن نُذكِّرَ بأنّنا في ميدان الذكاء الاصطناعيّ، نواجه كذلك ضرورةً مماثلةً تقضي بإعادة النظر في المكان الذي تحتلُّه العُقَد في الشبكة الدلاليّة كلّما اتسعت رقعة المعارف (Levrat et Sabah 1990: 96).

بتنا اليوم على قناعة بأن المنهجيّة التي يعتمدها مُعدُّ المعجَم تتوقف على الاختيار بين وجهتي النَّظر المتعدِّدة اللُّغات والأحاديّة اللُّغة أكثر منها على التمييز ـ الإشكاليّ دائماً ـ بين اللُّغة العامّة ولغة الاختصاص. ومَن يكون مبتغاه إتاحة المجال لإنشاء ترجمة صحيحة ودقيقة لا يُبيحُ لنفسه تصنيفَ المعاني تبعاً لمعاييرَ صُدفويّة (معنى مشتقّ أو عن طريق التوسُّع أو الاستعارة أو المجاز المُرسَل... إلخ). ولا يُمكنه مُطلقاً، بغية التوصُّل إلى إنتاج التعادُل، أن يتملَّص من ضرورة أن يعني الشيء نفسه في كلِّ لغة من اللُّغات المطروحة.

ينظِّم تطلّب الدقة الدلالية هذا، كلّ معالجة معلوماتيّة تتناول ثَبْت المصطلحات. تقنعنا هذه الملاحظة بضرورة المُطالبة بتضافر إنجازات التقدُّم القاموسيّ نحو منهجيّة متناغمة، إنْ لم تكن مشتركةً، في وصف معاجِم مفردات اللُّغة المتخصِّصة أيّاً تكن التطبيقات التي ينبغي أن تتفرَّعَ منها.

المراجع

Books

Cabré, Maria Teresa. *La Terminologie, théorie, méthode et applications*. Traduit du catalan, adapté et mis à jour par Cormier, M. et J. Humbley. Ottawa: Presses de l'université d'Ottawa; Paris: Armand Colin, 1998. (U - Linguistique)

C. E. C. *Multilingual Dictionary of Fishing Gear*. 2nd Edition. Oxford: Fishing New Books; Luxembourg: Office for Official Publications of the European Communities, 1992.

———. *Multilingual Dictionary of Fishing Vessels and Safety on Board*. 2nd Edition. Oxford: Fishing New Books; Luxembourg: Office for Official Publications of the European Communities, 1992.

CILF. *Dictionnaire de l'océan*. Paris: Conseil international de la langue française, 1989.

Dictionnaire du français contemporain. Paris: Larousse, 1966.

Felber, Helmut. *Manuel de terminologie*. Paris: UNESCO, 1987.

ISO/ FDIS 12620. *Aides informatiques en terminologie* - *Catégories de données*. Genève: Organisation internationale de normalisation (ISO/ TC 37), 1998.

ISO/ FDIS 12 200. *Applications informatiques en terminologie* - *Format d'échange de données terminologiques exploitables par la machine (MARTIF)* - *Transfert négocié*. Genève: Organi-

sation internationale de normalisation (ISO/ TC 37), 1998.

ISO/TR 12 618. *Aides à apporter par les ordinateurs dans les travaux de terminologie - Création et utilisation de bases de données terminologiques et de corpus de textes*. Genève: Organisation internationale de normalisation (ISO/ TC 37), 1994.

Jal, Augustin. *Glossaire nautique. Répertoire polyglotte de termes de marine anciens et modernes*. Paris: Didot, 1848. 2 vols.

———. *Nouveau glossaire nautique d'Augustin Jal*. Révision de l'édition publiée en 1948. Paris; La Haye: Mouton, 1970.

Landolt, H. M. F. *Dictionnaire polyglotte de termes techniques militaires et de marine*. Leyde: E. J. Brill, 1865-1871.

Lerat, Pierre. *Les Langues spécialisées*. Paris: PUF, 1995. (Linguistique nouvelle)

Lexis. Dictionnaire de la langue française. Nouvelle édition. Paris: Larousse, 1992.

Lyons, John. *Linguistique générale: Introduction à la linguistique théorique*. Paris: Larousse, 1970. (Langue et langage)

Nouveau Petit Robert. Paris: Dictionnaires Le Robert, 1993.

Paasch, Heinrich. *De la Quille à la pomme de mât. Dictionnaire de marine en anglais, français et allemand*. 3e édition. Anvers: Eckardt and Messtroff, 1901.

———. *Illustrated Marine Encyclopedia*. Anvers: Ratinckx frères, 1890.

Rey, Alain. *La Terminologie: Noms et notions*. 2e édition corrigée. Paris: P. U. F., 1992. (Que sais-je?)

Le Robert & Collins Senior. Paris: Dictionnaires Le Robert; Glasgow: Harper Collins Publishers, 1993.

Rondeau, Guy. *Introduction à la terminologie*. 2e édition. Chicoutimi: Gaëtan Morin, 1984.

Sager, Juan C. *A Practical Course in Terminology Processing*. Amsterdam; Philadelphia: John Benjamins, 1990.

Schlomann, Alfred. *Illustrierte Technische Wörterbücher*. Munich; Berlin: R. Oldenbourg, 1906-1932. 17 vols.

Wüster, Eugen. *The Machine Tool*. An Interlingual Dictionary of

Basic Concepts Comprising an Alphabetical Dictionary and a Classified Vocabulary with Definitions and Illustrations. English-French Master Volume. London: Technical Press, 1968.

Periodicals

Ide, N. et J. Véronis. «Codage TEI des dictionnaires électroniques.» *Cahier Gutenberg* (*Numéro spécial: TEI-Text Encoding Initiative*): no. 24, 1996.

Lerat, Pierre. «Les Fondements théoriques de la terminologie.» *La Banque des mots*: Numéro spécial, 1989.

Levrat, Bernard et Gérard Sabah. ««Sorte de,» une façon de rendre compte de la relation d'hyponymie/ hyperonymie dans les réseaux sémantiques.» *Langages*: no. 98, 1990.

Melby, Alan K., Klaus-Dirk Schmitz and Sue Ellen Wright. «The Machine Readable Terminology Interchange Format (MARTIF).» *Termnet News*: 1996.

Van Campenhoudt, Marc. «TI, le logiciel d'expérimentation notionnelle de Termisti.» *Terminologies nouvelles*: no. 5, 1991.

Conferences

Actes des 2es rencontres «Terminologie et intelligence artificielle» (TIA-97). Toulouse: Equipe de recherche en syntaxe et sémantique; université de Toulouse-le-Mirail, 1997.

Clas, André, Philippe Thoiron et Henri Béjoint. *Actes des IVes journées scientifiques de l'AUPELF-UREF: «Lexicomatique et dictionnairiques»*. Montréal: AUPELF-UREF; Beyrouth: F. M. A., 1996.

Dupuis, Henriette. *Essai de définition de la terminologie. Actes du colloque international de terminologie (Québec, Manoir du lac Delage, 5-8 octobre 1975)*. Québec: Régie de la langue française, 1976.

Websites

www.ttt.org/theory/termnet.html



هل للمصطلحات خصائص عارضة(*)؟

فرانسوا غودان[1]

1 ـ المقدِّمة

تسمح لنا تعدُّدية المعاني بأن ندرك بسهولة أكبر ما يجعل من اللُّغة واقعاً لا يمكن اختزاله في مجموعة مصطلحات معيَّنة. ومن شأن تنوُّع دلالات المفردة أن يفتح الفضاء الذي يفصل الكلمات التي نستعملها عن وقائع العالم الخارجيّ التي نقصدها حين نُسمِّيها. ولكن غالباً ما تختلِطُ التعدُّديّة الدلاليّة التي تتَّصف

(*) نُطلِق صفة عارِضَة (extrinsèque) على خصائص غرض أو أمر معيَّن، حين تكون هذه الخصائص غير مُستمدَّة من جَوهَر الغَرَض أو من صُلبه، بل من علاقتنا بالمرجع أي الشكل الخاص الذي يتَّخذه احتكاكنا بهذا الغَرَض. ونطلِق في المقابل صفة ذاتيّةً (intrinsèque) على خصائص غرض أو أمر معيَّن، حين تكون هذه الخصائص من جِبلَّة هذا الغَرَض أي ناشئةً أو واقعةً ضمنه أو ضِمنَ جزء من أجزائه، أي إنّها تدخُل في جوهره ولا تكون شكليّةً ولا طارِئَةً.

(1) مختبر (UPRESA) رقم 6065 الذي يُعنى بدراسة «علم الديناميكا الألسنيّ اللُّغويّ الاجتماعيّ» والتابع للمركز الوطنيّ للبحث العلميّ (CNRS) في جامعة روين (Université de Rouen).

بها الرموز مع تنوُّع الطبقات التي نشير إليها بهذه الطريقة. وفي سياق فعل الإرجاع يشكِّل ما نقصده في العالم المَعرفيّ، أي ما نحيل إليه من خلال التجربة الجماعيّة التي نتشاطرها مع المخاطبين الذين نتوجَّه إليهم بحديثنا، منطقةً ضيِّقةَ النِطاقِ إلى حدّ ما. وفي حال كانت رقعة هذه المنطقة متّسعة قليلاً، نشعر بانزلاقات في الإرجاع (référence). وبغية تصنيف هذه الانتقالات، تقدِّم عمليّة اللُّجوء إلى استعمال الأساليب البلاغية خدمات جليلةً في هذا المجال، ولكنها ليست مرضيةً دائماً بنظر المُحلِّل. سنتفحّص هنا بعض الاقتراحات الحديثة الرامية إلى شرح السبب الذي يجعل مثلاً الملفَّات الشائكة تتحوَّل إلى «بطاطا ساخِنة» (patates chaudes). ومن ثمّ، سنتساءَل عمَّا إذا كانت هذه الانزلاقات في الإرجاع تلاحظ أيضاً في قوائم المصطلحات التي تشتهر بدقتها المرجعيّة.

2 ـ خصائص ذاتيّة وخصائص عارضة

إن من اقترح مفهومي الخصائص الذاتيّة والخصائص العارضة كانا بيار كاديو (Pierre Cadiot) وفرانسوا نيمو (François Nemo) وذلك لتفسير التبدُّلات المرجعيّة في التراكيب التعبيريّة الاسميّة. ولقد أثار هذان المفهومان اهتمامنا في نطاق أنهما يُقدِّمان وجهة نظر تسمح بالتوفيق بين الدراسة التي تتناول الكلام الفرديّ، أي عملية إنتاج المعاني، ووجهة نظر أكثر نظاميّةً (systémique) ترتكز على تجريد ثقافيّ، لكي لا بتجريدٍ نقول توافقيّ، ألا وهي: اللُّغة. وعليه، يتموضع المؤلِّفان في نطاق الأعمال العديدة الدائمة التبدُّل التي تسعى إلى صياغة العنصر اللُّغويّ والمعرفيّ الثابت الكامن تحت الكلمات المتعدِّدة المعاني. ومن دون أن نسترجع بالتفصيل اقتراحات كاديو

ونيمو[2] السهلة المنال، علينا أن نعيد موضعة نمطي الخصائص هذين.

من وجهة نظر المؤلِّفين، تتَّصف «الخصائص الذاتيّة» التي تتمتع بها الأسماء بطابع ثابت، وتخضَعُ لمنطق تصنيفيّ. كما إنها تسمح بجمعها في فئات من خلال إدراج أسماء الأشياء في **طوائف** ويتَّسم هذا التصنيف بطابع مرجعيّ بما أن المسألة تتعلق بمميِّزات خاصَّة بالأشياء نستخدمها بهدف تسمية هذه الأخيرة. وهكذا مثلاً، تتجلَّى الخاصيّة الذاتيّة التي تملكها الكلمة الفرنسيّة (lit) = سرير في أنها تدلُّ على نوع من أنواع قطع الأثاث. ولكن قد يتمّ الاعتراض على ذلك بالقول بأن ثمّة ضروباً عديدةً من الأسرَّة. وهذا أمر مؤكَّدٌ، إذ يتعذَّر علينا مثلاً أن نُخضعَ كلمتَي (lit) اللَّتَين تردان في اللُّغة الفرنسيّة في عبارتي (lit du fleuve) = مجرى النَّهر و(lit du vent) مهبّ الريح لتصنيف يضعهما في خانة الأثاث. ولكن، ما دامت المسألة تتعلَّق في كلتا الحالتين بمكان يمكن للنهر أن يتدفَّق فيه وباتِّجاه تهبُّ منه الريح، نجد فكرة مشتركة مع فكرة السرير، ألا وهي: المكان الذي يمكننا فيه الاضطجاع أو التمدُّد. الميزة الأخيرة هي التي يطلق عليها المؤلفان اسم «الخاصيّة العارضَة» أي بكلام آخر الخاصيّة المرتبطة **بعلاقتنا بالمرجع**، وهنا بالسرير. وتنبثق الخاصيّات العارِضة عن العلاقات التي يُنشئها المتكلِّمون مع المرجع، وتجدر الإشارة إلى أن المؤلِّفَين يستخدمان مفهوم العلاقة للإشارة إلى «الشكل الخاصّ الذي يتخذه الاحتكاك بالشيء»[3]. ولن يختلف اثنان على أن السرير هو قطعة أثاث يمكننا أن نُمدِّد جسمنا

---

(2) انظر: Pierre Cadiot et François Nemo: «Pour une sémiogenèse du nom,» *Langue française*, no. 113 (1997), et «Propriétés extrinsèques en sémantique lexicale,» *French Language Studies*, no. 7 (1997).

(3) Cadiot et Nemo, «Pour une sémiogenèse du nom,» p. 24.

بطوله عليها، الأمر الذي يتعذر علينا فعله على كرسيّ، كما أن المقعد غير مُعَدّ للقيام بذلك.

إننا نخضع الأسرَّة لفعلين على الأقل: إننا نصنّفها في خانة قطع الأثاث (وهذا ما أصبحَ يُشكِّل خاصيّةً ذاتيّةً)، وإننا نستلقي عليها (ممّا يشكِّل خاصيّةً عارضةً). ومن البديهيّ أننا لو قمنا بدراسة تتناول مجمل استخدامات الكلمة الفرنسيّة (lit)، فسنكتشف أمامنا خصائص عارضة أخرى. وعلى سبيل المثال، تُظهر عمليّة معجَمَة تراكيب تعبيرية فرنسية من النمط التالي: /صِفة عدديّة ترتيبيّة + سرير/، على غـرار: (premier lit) = الـزواج الأوَّل و(deuxième lit) = الـزواج الثاني... إلخ، أننا لا نستخدم السرير من أجل الاستلقاء فقط. واللاّفت هنا أن مجموعة المصطلحات التي يستخدمها المؤلِّفان تخضَعُ للتعريف الاتِّفاقيّ، على المنوال الآتي: يُستخدَم مصطلح قطعة أثاث (meuble) كعنصر مُعرِّف(*) وبصفته هذه، نطلق عليه اسم خاصيّة ذاتيّة، ولكن من الواضح أن الميزة التي يختصُّ بها السرير بالنسبة إلينا إنما تتجلى في واقع أننا نستطيع أن نستلقي عليه. وإذا ما تمّ إسقاطنا في عالم تكون فيه الأسرَّة متحرِّكةً ومقاومة للماء وعازلةً للصوت، فلا شكّ في أننا سنتردَّد في تصنيفها في خانة قطع الأثاث ولكننا سنأمل بأن نتمكن من التمدُّد عليها. ومن هنا نستنتج أن الاستعمالات التطبيقيّة التي اعتدنا إخضاع الأغراض لها، فضلاً عن العلاقات التي ننشئها معها، تكون أكثر ثباتاً من الفئات التي ننظِّمها فيها والتي تكون قابلةً للمراجعة باستمرار. ويكون هذا الطابع القابل للمراجعة واضحاً للعيان في العلوم، كالعلوم الطبيعية مثلاً التي قُلِبَ فيها اليوم، بفضل معطيات علم الوراثة، معيارُ التخاصب الذي

(*) في المعجميّة، يدلّ المصطلح عنصر مُعرِّف (définisseur) على الاسم العامّ أو الشامل الذي يَدخُل في تعريفات المصطلحات.

يستخدم لتعيين الأجناس ـ ومن ثم لفهم الأسماء التي تشير إليها ـ رأساً على عقب.

من الواضح أن الخصائص الذاتيّة تتأثَّر بالتصانيف التراتبيّة والاسميّة النوعيّة التي ألفناها. بعض هذه العلاقات تكون متجذِّرةً في الممارسة والثقافة، فمثلاً: يعتبر كلّ إنسان أن المُرَّان هي نوع من أنواع الشجر وأن الحزن نوع من أنواع المشاعر وأن الملعقة إحدى أدوات الأكل. وتبدو الخصائص الذاتيّة التي يأخذها مؤلِّفو التعريفات في الاعتبار جوهريّةً بالنسبة إلى الشّعور اللُّغويّ العفويّ. أمّا الوعي اللُّغويّ، فلا يتأثر بالافتراضات الدلاليّة، أي بالدلالة، فهو يعنى أساسيّاً بالأداة الفعّالة التي تُشكِّلها علاقة التسمية. وهنا تكمن برأينا فائدة قوائم المصطلحات التي اشتهر عنها أنها تعمل كمجموعة أسماء ـ ملصقات أو رموز تسحَق في كنفها الدلالة تحت وطأة التسمية، وتُشكِّل بالنتيجة أرضاً ممتازةً لمعاينة صوابيّة اقتراحات كتلك التي توسّع في عرضها كاديو ونيمو.

إزاء تنوُّع الدلالات، يمكننا إعطاء نمطَين من الأجوبة، كالآتي: إذا فضَّلنا وظيفة التصنيف، قد يكون من الضروريّ أن نُفكِّر بمقتضى توسُّع المعنى لكي نعرض تعدُّديّة المعاني، ولكن إذا شدَّدنا في المقابل على التطبيق العمليّ الذي يتطابق مع الأسماء، فسيُفضي بنا ذلك إلى افتراض وجود أحاديّة معنى من شأنها أن تُفسِّر على مستوى بالغ التجريد، مجمل استخدامات المصطلح. ومن وجهة النظر الأولى، يُنسَب الاسم سرير مجازيّاً إلى مراجع أخرى. أمّا من وجهة النظر الثانية، فيتمّ تكرار الشَّكل الأسلوبيّ نفسه للفعل والإدراك والتفكير، والذي يتمّ تطبيقه على مراجع غير متجانِسة. وحينئذ، تقوم مجموعة هذه الاستخدامات بتثبيت «التوافُق حول التطبيقات العمليّة المُضمرة في فعل الكلام» والذي يتحدَّث عنه روبير لافون

(Lafont 1988: 98)، علماً بأن هذا التوافق يقعُ في أساس تعدّد استخدامات الكلمات المتعدِّدة الدلالة. أمّا تصوُّرنا حول هذه المسألة، فيندرِجُ في إطار وجهة النظر التي تقضي ببناء المرجع على نحو اجتماعيّ مُشترك.

تُعدُّ عمليّة بناء المرجع، أي ما يدمِجه في الإمكانيّات الافتراضية المنوطة بالرموز، عمليّةً ذات طابع اجتماعي وتاريخيّةً للغاية. وقد يقودنا إغفال هذا البُعد الأخير إلى تصوُّر عمليّة بناء المرجع المشتركة وكأنَّها إنتاجٌ يُبصِر النور من العدَم متناسين الترابط القائم بين عملية أخذ الأفراد للنماذِج الموروثة في الحُسبان من جهة، والممارسات الكلاميّة التي تُشكِّل مكان تكوُّن اللُّغة المُستمرّ من جهة أخرى. وقد يتَّخِذ هذا النسيان نزعة بنيوية يأتي ليُغذِّي النِسبَويّة، المتعلِّقة بعلم الاجتماع بخاصَّة، التي نَهَلت منها العلوم اللسانية التي تناولت الكلام الفرديّ والخطاب منذ بضع سنوات خلَت.

1.2 ـ المرجع بين الأفراد والأغراض

تندرجُ عمليّة بناء المرجع، مثلما نتصوُّرها، في إطار التطبيق العمليّ أي التجربة الناشطة التي يشترك فيها الناس والتي يتمُّ إفراغها في كلمات (ولتطبيقِ ذلك على عمليّة التعميم، انظر Gaudin (1998). وكما يقول لافون: «لا يُدرِكُ المتكلِّم إلاّ المعنى الذي يُعطيه هو نفسه للأشياء والذي يُلازم فِعله عليها ويُسهِّله» (Lafont 1978: 16). ونفهمُ انطلاقاً من وجهة النظر هذه أن الاختلافات في الاهتمامات التطبيقيّة تؤدِّي، في معاجم مفردات المهَن، إلى بروز المزاحمات في التسميات والتصانيف. وإذا اعتمدنا وجهة نظر كهذه، تتلاشى ماهية الأغراض أمام ما نفعله بها.

يَصْحَبُ الكلام الفرديّ الفعل وهو جزء من العوامل الجمَّة التي

ترسي أُسس التفاهم المُتبادَل. وتكون خبرتنا بشأن العالم والآخرين متقاربةً للغاية، لدرجة أننا نتوصَّلُ إلى التفاهُم. فنحن نستخدمُ بالطريقة نفسها الصحف القديمة والمنافِض والعلب والأسرَّة والبطاطا الساخِنة، لكي نُكرِّر بعض الأمثلة المقتبسة عمّا كُتِبَ حول هذا الموضوع. وهكذا، نُضفي بشكل توافقيّ صفة «الصحيفة القديمة» (vieux journal) على كلّ صحيفة لم تعُد صالحةً للقراءة، سواء لأنَّها قديمةٌ وربَّما لم تُقرأ وقت صدورها أو أنّها قد صدَرَت في اليوم ذاته وتمَّ تصفُّحها بسرعة. ومن العسير أن نُخضِعَ تبدُّلاً من هذا القبيل إلى تحليل بمُقتضى الصُّور المجازيّة. باعتبار أن هذا التحليل يكون مرتبطاً بممارستنا الجَماعيّة والثقافية للصُّحف، إذ تُصبِح الصحيفة بمجرَّد قراءتها صحيفةً قديمةً. ونُلاحظ أن هذا الاستدلال البسيط غير مُباح بشكل توافقيّ بالنسبة إلى الكتب، إذ لا يُعدُّ الكتاب المطبوع منذ سنوات عديدة كتاباً أنجَزنا قراءته وبات بإمكاننا رميه في سلَّة المهملات. وتدلُّ كلمة كتاب (livre) في ثقافتنا على غَرضٍ قراءة وإعادة قراءة محتملة، الأمر الذي لا ينطبقُ على كلمة صحيفة (journal).

وبالطريقة نفسها، واستكمالاً للأمثلة التي ضربها كاديو ونيمو، قد تُشير الكلمة الفرنسيّة (client) = زبون إلى كلّ كائن حيّ أو غرض يترتَّب علينا أن نوليَه انتباهاً خاصّاً. ونوافق على برهنتهما من دون أيّ تحفُّظ: صحيحٌ أن باستطاعتنا أن نُضفي في اللُّغة الفرنسيّة صِفة زبون على الحِصان الصعب المراس، وعلى الهدف الذي يتوجَّب علينا الانقضاض عليه وعلى الفريق الواجب التغلُّب عليه، وعلى الولد الذي ينبغي الإشراف عليه، وعلى قطعة الأثاث الواجب نقلها، وعلى الكوكب السيَّار الواجبة دراسته، وعلى مقال في الألسنية، واللَّه أَعلم علامَ أيضاً؟ وفي كلّ مرّة، سيُعدُّ المرجع المشار إليه بمثابة الغرض

الذي نوليه انتباهاً خاصّاً. وفي هذه الاستعمالات المختلفة للكلمة، نلاحظ أن العلاقة الموضوعة في المقدِّمة غريبةٌ عن ميدان التجارة ـ الذي يُشكِّل المكان المناسب لاستخدام تسمية زبون، ولكن لا تُعدُّ هذه العلاقة غريبةً عمّا تعنيه كلمة زبون في اللُّغة الفرنسيّة. وتُشكِّل أوجه التشابه بين مختلف طبقات المراجع المُشار إليها بفضل برنامج المعاني (من وجهة نظر علم التطبيقات العمليّة المعلوماتيّ) المعروف أيضاً باسم البرنامج المرجعيّ (Kleiber 1997) **حافزاً** للتسميات الناتجة.

لا يَخضع إطلاقاً ما يُشكِّل الوحدة الدلاليّة لهذه الاستخدامات المختلفة، كما أشار إلى ذلك المؤلِّفان بحقّ، إلى منطقِ تشابُه مشتقَّات الكلمات الذي يُوضِّحه علم دلالة النموذج البَدْئيّ. ففي الواقع، لا ينتمي الإنسان الواجب التغلب عليه انتماءً من بُعد إلى طبقة الزبائن الذين يتقاسم معهم أوجه شبه قليلة جدّاً. ولكن، بينما يسعيان جاهدَين إلى التميُّز عن نظريّة النموذج البَدْئيّ يُدهشنا أنهما يضربان صفحاً عن نظريّات أخرى معاصرة ومعروفة للغاية، وفي طليعتها تلك التي توسَّع في عرضها فرانسوا راستييه (François Rastier). والحال أن هذه الأخيرة تنطوي على فائدة جليّة لعرض الظواهر التي تثير اهتمامهما، كما إنها تسمح بخاصَّة بمدِّ جسور تربط بين نظامي الظواهر اللَّذَين يُميِّزان بينهما تحت اسمَي **استخدامات** و**استعمالات**.

2.2 ـ خصائص عارضة وخصائص ذاتيّة وعلم دلالة تفاضُليّ

لا تخلو الخصائص التي يُميِّز بينها المؤلِّفان من نقاط مشتركة مع بعض اقتراحات علم الدلالة التفاضليّ. وإليكم هذا المثل البسيط والمناسب، ألا وهو: تختلفُ المعاني التي نُعطيها للكلمة الفرنسيّة

= مكتب، في العبارات التالية: (Pierre est dans son (bureau = «بيار في مكتبه» و(Pierre achète un nouveau bureau) = bureau) «اشترى بيار مكتباً جديداً» و(Pierre est parti au bureau = «ذهبَ بيار إلى المكتب»، باختلاف الفئات التي نُصنِّفها فيها (غرفة وأثاث ومحلّ)، ولكنَّها تتقارب بواسطة سِماتها النوعيّة. ويمكننا إعادة صياغة هذه السِمات النوعيّة والعامَّة بمُقتضى الخصائص الذاتيّة والعارِضَة. ومن الواضح هنا أنَّ الخصائص الأخيرة هي التي ترسي أُسس وحدة الكلمة المتعدِّدة الدلالة. وفي الحالات الثلاث التي ذكرناها أعلاه، ترتبط علاقتنا بالمكتب بنشاطات تتعلق بالكتابة.

إليكم مثلاً آخر، ألا وهو: لا تكفي فئة /بيض سمك أو كافيار/ (/oeufs de poisson/) لتحليل العبارة الفرنسيّة (gauche caviar) = «الاشتراكيّون الذين لا يختلطون بعامَة الشعب» التي تفترض في الواقع أن تكون علاقتنا الجماعيّة بثمن الكافيار قد اتَّخذَت بُعداً ثقافيّاً. وتكون هذه العلاقة الجماعيّة مُستمدَّةً من الخصائص العارِضة. إلاّ أنه باستطاعتنا أن نُفسِّر أيضاً هذه العبارة بمقتضى نموذج علم الدلالة التفاضليّ، كالآتي: تسمح لنا سياقات مختلف استخدامات كلمة كافيار بأن ننسِبَ إليها، بشكل عَرَضيّ أوَّلاً، سِمات معان سياقيّةً. ومن ثمّ، ولَّدَ تكرار هذه السِمات شكلاً مُقَوْلَباً وجعل السِمة متداولةً ثقافيّاً. فغدَت هذه السِمة سِمةً مُكتسبةً لأنها غير مُخصَّصة بل مُمَقْيَسَة اجتماعيّاً. ونلاحظ أن المقياس الألسني اللغوي ـ الاجتماعيّ الذي يتطابق مع هذه السِمات الاختياريّة يكون قريباً من العلاقة بالمرجع التي تفترضها الخصائص العارِضة.

نصل الآن إلى مَثَلِ البطاطا الساخنة (patates chaudes). من الممكن إخضاع هذا التعبير الذي يدرسه كاديو ونيمو إلى تحليل مماثل. فحين نتحدَّث عن البطاطا الساخِنة للإشارة إلى ملفَّات

«شائكة»، فمن شأن ذلك أن يكشِفَ جَماد التركيب التعبيريّ من جهة، والسِمات التي يتزّود بها التعبير وهي من النمط الآتي/ مؤلم إن أبقيناه بين يدَينا/ ، من جهة أخرى. فلقد احتفظنا في اللُّغة بقسم من التجربة التي نملكها عن المرجع الذي يشير إليه التركيب التعبيريّ بطاطا ساخنة. وغدَت تسمية المرجع، البيِّنة في عبارة «ملفّ شائك»، تسميةً مُضمرةً، ولم نَعُدْ نبيِّن الطابع «خطير» (dangereux) بواسطة الصفة إنما بواسطة تركيب تعبيريّ اسميّ الاشتقاق. وتكون المعلومة التواصلية مشابهةً، إذ: في كلتا الحالتين، سواء قلنا «ملفٌّ شائكٌ» أو «بطاطا ساخِنة!»، تكون المعلومة المنقولة مشابهةً، وتكمن نقطة الاختلاف الجوهريّة بينهما في التواطؤ الذي يَنتُجُ عن التبدُّل المرجعيّ. وقد بات اليوم عدد كبير من المتكلِّمين يتشاطرون هذا التواطؤ الذي أصبح ذا طابع ثقافيّ، الأمر الذي يتوافق مع عمليّة مَعجَمَة هذا التعبير الجامِد. ولكن يقتضي أن نُعايِنَ إلى أيّ مدى لا يَنتُج الانتقال من التركيب التعبيريّ الوصفيّ إلى التركيب المونيميّ(*) عن عمليّة معجَمَةِ الخصائص العارِضة. تُبرهِنُ هذه الأمثلة عن وجود نقطة التقاء، في بعض الحالات على الأقلّ، بين وجهة نظر علم الدلالة التفاضُليّ ووجهة النظر التي تضع الخصائص الذاتيّة في مقابل الخصائص العارِضة. وبما أننا تطرَّقنا كثيراً إلى هذه الخصائص الأخيرة، فلنعكف الآن على دراسة الخصائص الأولى.

3.2 ـ هل الخصائص الذاتيّة عرضيَّة؟

سنواصل بحثنا من خلال معاينة المعنى الحديث للتسمية الفرنسيّة (cendrier) = مِنفضة. يستهلُّ كاديو ونيمو برهنتهما بتفحّص

(*) يُعدُّ التركيب المونيميّ (synthème) بمثابة التركيب الذي يتألَّف من مونيمَين (monèmes) أو أكثر والذي يُمكن تحليله إلى وحدَتيَ معنى على الأقلّ.

التعريف الذي يعطيها إيّاه معجم (*Nouveau Petit Robert*) (الذي سنشير إليه من الآن فصاعداً بالرمز *NPR*)، ومفاده: «2. وعاء صغير أو طبق يسقط فيه المدخِّنون رماد سيجارتهم أو غليونهم».

من وجهة نظرهما، لا يُمكن أن تتطابق العناصر المُعرِّفة المنتقاة مع الخصائص العارِضة التي تملكها الكلمة، لأن من شأن ذلك أن يعني تفضيل نمط معيَّن من المنافض (مع أن ذلك يُشكِّل الهدف الألسنيّ اللُّغوي ـ النفسيّ الذي يرمي إليه المعجم، ونعني به: السماح للقارئ بتخيُّل المرجع). وعليه، فقد اختارا وصف بعض الخصائص الذاتيّة الدنيا، فمثلاً: لكي يسمَّى الشيء منفضةً، عليه «أن يكون ثابتاً»، و«حاوياً» و«غير قابل للاشتعال» و«سهل البلوغ في الظروف المناسبة»، وربَّما أيضاً «سهل التفريغ»[4]. ولكنهما يلاحظان أن هذه السِّمات تتَّسم بطابع عامّ جدّاً، وهي تناسب على حدّ سواء الطاسات والأكواب... إلخ. والواقع أن هذه البرهنة تُفضي إلى ما يوحي به علم الصَّرف. ويعبِّر المؤلِّفان عن ذلك بواسطة مصطلحات هَادِفة (téliques)، كالآتي: «يقال «منفضة» لكلِّ غرض مُخصَّص لتلقِّي رماد السجائر وأعقابها، بموجب حركة ملائمة»[5]. ويطالعنا في هذا الصدد، مع اللاحقة الفرنسيّة (ier-)، مستوى المورفيم الذي يقاسي علم الدلالة المرجعيّ صعوبات في تحليله، إذ: يكفي أن نُلِمَّ بطريقة عمل المكوِّنَين للفظة الفرنسية (-cendr) و(ier-) حتّى نجنِّب أنفسنا الحيرة. بيد أن هذه الإشكاليّة الجديّة تحتاج إلى دراسة خاصَّة.

الجدير بالملاحظة أن المؤلِّفَين يحصران اهتمامهما في وصف منافض المدخنين فقط، فبالنسبة إليهما «يقال منفضة لكلِّ غرض

(4) Cadiot et Nemo, «Propriétés extrinsèques en sémantique lexicale,» p. 135.

(5) المصدر نفسه.

يرتبط ببعض الحركات»[6]، وبشكل أدق، بحركات المدخِّنين، أي هؤلاء المتكلِّمين الذين ينتِجون رماداً. ولكنَّنا نشهد عندئذ تفكُّك مفهوم الخصائص الذاتيّة، لأن ما يُرسي التسمية باعتبارها عمليّة تعيين أغراض تستعمل بالمُصادَفة كمنافض، إنما هو واقع أنها مُعَدَّة لاحتواء الرماد أو قادرة على احتوائه، لا أكثر ولا أقلّ. فكل ما من شأنه أن يتلقَّى الرماد يُسمَّى منفضةً... فنخسَرُ بالتالي الميزة المُصنِّفة في الأسماء. وعلينا أن نحذر من إغراء الأغراض، فمثلاً: إن اسم المنفضة لا يُعِدّها لتلقِّي أعقاب السجائر، إذ يسمح برميها فيها لأنها تصحبُ الرماد الذي ينفضه المدخِّنون، ولكن يُحظَّر رميها في مَرْمَدة لامَرتينيّة تحتوي على الرماد بعد حرق الرُفات.

هل تملك كلمة منفضة خصائص ذاتيّةً أم خصائص عارضةً؟ على أيّ حال، إن كانت المعاجم تركِّزُ على نمط المنافض الأكثر شيوعاً، فليس من شأن ذلك أن يحكم مسبقاً على تحليل المفردة الدلاليّ. فبعد كلّ ذلك، ليس المعنى الحديث (المعنى 2) الذي يصفه معجم (*NPR*) سوى اقتطاع للتركيب التعبيريّ منفضة المدخِّن (cendrier de fumeur). وبالتالي، ثمّة أنواعٌ شتَّى من المنافض، وليس فقط منافض المدخِّنين، فالخاصيّة النوعيّة، وكنَّا نرغَبُ في أن ننعتها بـِ «الذاتيّة»، التي تتَّصف بها المنفضة تكمن ببساطة في أنها تحتوي على الرماد. ويتخيَّل مستعمل القاطرة والفرن والغليون صوراً مختلفةً عن هذه الكلمة، وكذلك القارئ المولَع بالشاعِر لامَرتين (Lamartine) الذي سيَفهَم هذه الكلمة وكأنها مرادف للمَرْمَدة الجنائزيّة (urne funéraire). وتُستمدُّ هذه التمثيلات من عمليّة تأويل المُفردَة في سياقات نصيّة ومقاميّة خاصَّة. فهل بإمكاننا أن نعتمد بشأن

---

(6) المصدر نفسه.

هذه المنافض قاطبةً الخلاصة التي توصَّل إليها المؤلِّفان والتي تقول: إنّ الأغراض النَّفعيّة تتمتَّع بالخاصيّة التعريفيّة القاضية بأن «خصائصها الذاتيّة تُستَنتَجُ من خصائصها «العارِضة»»[7]؟ وإن أردنا التعبير عن ذلك بشكل مُبسِّط بعيد عن التعقيد، نقول: إن المنافض تُعدُّ أوعيةً لأننا نودع فيها الرماد، كما إنّنا نعتبر الأَسرَّة بمثابة قطع الأثاث لأننا نستلقي عليها، وهلمّ جرّاً. وعليه، تنطوي الأغراض على دلائل هادفة، فمثلاً: تبقى المنفضة التُّحفة منفضةً ولو كنا لا نستخدمها كمنفضة، فنحن لا نكفُّ عن تسميتها منفضةً وذلك لأنَّها تملك مميِّزات المنفضة، فنحن ندرك الاستعمال المعَدّة له، إلاّ أنَّه يصعُب تطبيق هذه الدلائل الهادفة على شتَّى أنواع المنافض، وهنا يطرح السؤال التالي نفسه: هل نستطيع فعلاً أن نُميِّز بواسطة الدلائل الهادفة منفضة الفرن عن منفضة القاطرة عن منفضة حرق الأموات؟

وعليه، يُشكِّل تحليل أمثلة من هذا القبيل بمقتضى الخصائص الذاتيّة والعارِضة نقطةً حسّاسةً، ففي هذا الصدد، تنبثِقُ الخاصيّة «العارِضة» من دلالة اللاَّحقة الفرنسيّة وحدها: ثمة ما يدفعنا إلى التفكير بأن ممارستنا التطبيقيّة تأتي في المرتبة الثانية. فنحن نطلق اسم منفضة على كلِّ غرض يستوعب الرماد. وكذلك من غير المُجدي كثيراً أن نجدَّ في البحث عمّا يسمح لنا في إطار ممارستنا الجسديّة العمليّة بتسمية بعض الأغراض أو أجزاء منها أو تعيينها، على غرار المُرتفَق (accoudoir) مثلاً، إذ: يسمحُ لنا علم التشكُّل بربط الفعل بالتسمية. وعلى كلِّ حال، من المناسب أن نعالج بكثير من التنبُّه التعريفات التي يزوِّدنا بها المعجميّون، لأنَّها لا تُشكِّل بحدِّ ذاتها **نماذج** دلالة بل إنها مجرَّد **نُسَخ منقولة** ذات قصد تعليميّ. وأخيراً،

(7) المصدر نفسه، ص 136.

لربَّما استوحى المؤلِّفان من معجم (*Robert Junior*) الذي يقتصر التعريف الذي يُعطيه لكلمة (cendrier) = منفضة، ومفاده: «مستوعب نضع فيه رماد السجائر وأعقابها»، على عالم المدخِّنين ولا يحكم مسبقاً على شكل الغَرض.

إن ما يعتبره المؤلِّفان بمثابة السِّمات الذاتيّة يُشكِّل في الواقع مميِّزات طارئةً إنما من النمط النموذجيّ البَدْئيّ، إذ: إن المنافض الأكثر شيوعاً، أي تلك التي يتَّصف تمثيلها بطابع مركزيّ، هي المنافض التي نضعها على الأثاث. ولا يجدر بنا التغاضي عن هذه المسألة لأن ما نعتبره غالباً بمثابة حقيقة الدلالة لا يكون إلاّ مجرَّد تمثيل موجّهٍ توجيهاً شديداً، ونعني به: التعريف المعجميّ الذي يُفترَض به أن يسمحَ للقارئ باستذكار المرجع. وكما يؤكِّد آلان راي (Alain Rey)، ينبغي النظر إلى تعريف المعجم «وفقاً لإنتاج خطاب تعليميّ منتظم، مشابه للخطاب البلاغيّ، إنما يختلف عنه كثيراً وهو مثله ينتمي إلى الممارسة التطبيقيّة الاجتماعيّة للخطابات» (Rey 1990: 21). ولا تُشكِّلُ الأقوال التعريفيّة سوى خطاب تقعيدي، **من جملة خطابات أخرى محتملة**، يهدف إلى استذكار **الدلالة** انطلاقاً من التسمية في أغلب الأحيان. وكلُّنا يعلمُ أنَّ الأغراض تستطيع أن تنتمي إلى فئات مختلفة تبعاً لعوالم الخطاب وللعلاقات التي نُنشِئها معها، فعلى سبيل المثال: من الممكن في خطابات محترفي الاستكشاف الفضائيّ أن يتمّ تصنيف القمر الصِّناعيّ باعتباره قرصاً أو غرضاً متحرِّكاً أو مرحِّلاً(*)... إلخ (Condamines et Rebeyrolle 1997). وقد سنحت لنا الفرصة لتوضيح هذه الظواهر والإشكاليّات التي كانت تطرحها في حالات التعاون بين مختلف العلوم (Bouveret et Gaudin 1997).

(*) أداة لنقل برنامج إذاعيّ من محطّة بقوة أكبر.

بغية مواصلة بحثنا، فلنعكف على دراسة مصطلح أمسى شكله مُضلِّلاً، ألا وهو المصطلح الفرنسيّ (couloir) = رواقٌ، الذي بات معناه مُستقلاًّ عن الفعل الفرنسيّ (couler) = انسابَ. ونجد في معجم (*NPR*)، في الخانة الأولى من خانات المعاني التي يُعطيها لهذه الكلمة، التعريف التالي: «ممرّ ضيِّق وطويل يستخدم كممرّ للانتقال من غرفة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر». وتوحي العناصر المُعرِّفة بالخصائص الذاتيّة، ألا وهي: نمرُّ في الرِّواق من دون أن نتوقَّف فيه، خِلافاً للدهليز، ويسمح شكله المستطيل بتمييزه عن قُرص الدَّرج وعن الردهة، كما إنّ موقعه يُميِّزه عن الممشى، وأخيراً، يسمحُ وجود الكلمة الفرنسيّة (pièce) = غرفة بتضمين فكرة الرواق المنزليّ، من دون تفضيله. وتُطالعنا السِّمات /مكان عبور/ و/ضيِّق/ و/طويل/ في العبارات الفرنسيّة التالية: (couloir aérien) = خطّ سير الطائرات و(couloir d'autobus) = خطّ سير الحافلات و(couloir humanitaire) = معبر المساعدات الإنسانيّة، ولقد فقدنا العلاقة القائمة بين مكاني الانطلاق والوصول في العبارة الفرنسيّة (couloir du stade) = ردهة الملعب المُدرَّج - إلاّ أنَّ المقصود هو مكان يمرُّ فيه اللاّعب من دون أن يتوقَّف... وإذا رغبنا الآن في البحث عن الخصائص العارضة لكلمة (couloir) في اللُّغة الفرنسيّة، فقد تتبادر إلى ذهننا العبارتان الفرنسيَّتان (bruit de couloir) = الشائعات و(intrigue de couloir) = مناورات ودسائِس من وراء الكواليس، حيث نجد أنَّ الرواق يُمسي هنا مكاناً نتبادل فيه الأحاديث لنُدبِّر المؤامرات أو للنميمة. ولكن تبدو هذه الخصائص العارضة غير مُثمرة بما فيه الكفاية لتحتلَّ الموقع المركزيّ الذي ينسبه إليها كاديو ونيمو.

في ما يتعلَّق بكلمة «رِواق»، نلاحظ أن المعجميّة لا تصنِّفه بالضرورة في فئة محدَّدة بدقَّة. وتكون الفئة هنا /مكان عبور/. وإذا كان علينا أن نبحثَ عن دلالات ثانويّة، فيبدو أنها تكون أكثر قابليّةً

للتحليل بمقتضى السِّمات المُكتسبة، باعتبار أن الرِّواق هو أيضاً مكان يشجِّع ضيقه على حياكة المؤامرات، وقد أمست هذه السِّمة متداولةً في اللُّغة لتأويل طائِفة كبيرة من الأروقة. تقع هذه السِّمات الاختيارية المُسلَّم بها اجتماعيّاً في مرحلة الانتقال من الاستخدامات إلى الاستعمالات. وإذا اتخذنا موقع وجهة نظر علم الدلالة التفاضليّ، يبدو جليّاً أن التمثيل الذي يتناول نمط المنفضة لا يكون مستمدّاً من المعنى بل من التمثيلات الذهنيّة، فسواء كانت المسألة تتعلَّق بمنفضة نستخدمها حين نُدخِّن ونحن واقفون أو جالسون أو في السرير أو في الخارج أو تحت المطر أو في الفضاء، فمن شأن كلّ ظرف من هذه الظروف أن يوجِّهَ مخيِّلة الشخص الذي يؤوِّل والذي يُصادِفُ استخدامات خاصَّة، ولكن ليس من شأن ذلك أن يُعدِّل المعنى الذي تنطوي عليه هذه الكلمة. أمّا بالنسبة إلى شكل الغرض، فأن يكون مكيَّفاً ليوافق استعمالنا له، فإن ذلك نتيجة سعيدة غالباً لتطور التقنيّة أوّلاً والتكنولوجيا في ما بعد.

3 ـ الاستخدامات والاستعمالات

يُرجعنا هذا التعارض بين الاستخدامات والاستعمالات (emplois et usages) إلى الثنائيّة القائِمة بين التسمية والتعيين، باعتبار أن الاستعمال يكون مشتقاً من اسم والاستخدام غير مشتق من اسم. ويربط المؤلِّفان بين طريقتَي عمل الأسماء هاتَين مؤكِّدَين أنَّ «الاستخدامات تغدو استعمالات حين تصبح اسميّة الاشتقاق»[8]. وتُفعَّل الخصائص العارِضَة في إطار وظيفة فهرستيّة، لأنَّها تسمح بالإشارة بشكل عَرَضيّ إلى المراجع التي تملك اسماً آخر. ولكن بإمكان هذه التعيينات، كما نعلم، أن تستحيل إلى تسميات خاضعة

(8) المصدر نفسه، ص 130.

للقاعدة وأن تُستخدَم كركائِز لإرساء الفئات. وعندئِذ، تترك عمليّة إسناد الصفات المجال لمنطق التصنيف.

ولكي نُردِّد الأمثلة التي ضربناها آنفاً، فلا الحصان الصعب المراس، ولا الشخص الواجب التخلُّص منه، ولا الفريق الذي ينبغي التغلُّب عليه، ولا الولد الواجب الإشراف عليه، ولا قطعة الأثاث الواجب نقلها، ولا الكوكب السيّار الواجبة دراسته، **تُسمَّى** زبوناً، ولكن ذلك لا يحول دون القدرة على إطلاق هذا الاسم عليها عَرَضيّاً. أمّا بالنسبة إلى الطبيب الذي يُطلق بشكل اعتياديّ هذا الاسم على مرضاه، أَوَلا تعني كلمة زبون في لغته الفرديّة اسم الشخص الذي يستشيره طبيّاً ويدفع له أجراً؟ ونلاحظ هنا أن الترابُط بين الاستخدامات والاستعمالات يطرحُ إشكاليّات لغويّةً ـ اجتماعيّةً، إذ تعوزنا المعايير التي من شأنها أن تُرسي على الصعيد الاجتماعيّ أُسس تعارض من هذا القبيل. أن يتعمَّم الاستخدام في وَسَط معيَّن وأن يصبح الاسم مُرادفاً لكلمة مريض (patient)، فهذا أمر يرجع إلى الاستعمال، أو على الأقلّ إلى الاستعمال الذي تقوم به مجموعة خاصَّة. وبمقتضى علم الدلالة التفاضليّ، تصبحُ عندئِذ السيمات المُكتسبَة، المضبوطة اجتماعيّاً، سيماتٍ مُلازِمَةً ضمن إطار الاستعمال الذي تقوم به مجموعة معيَّنة.

في طور الانتقال من الاستخدام إلى الاستعمال، يكفُّ الاسم عن إسناد الخصائص بشكل عَرَضي، ليتَّخذَ مكاناً له في تصنيف تراتبيّ. فالاستعمال هو كناية عن استخدام أصبح تعريفيّاً. وإذا كرَّرنا المحاجَّة المبنيَّة على العلاقات بالأغراض، يُمكننا أن نعزو تنوُّع الاستخدامات إلى نمطَين من الأسباب: قد تربطنا علاقات مختلفة بالغَرَض نفسه (فمثلاً، يوحي التعبيران الفرنسيان (lit du fleuve) = مجرى النهر و(deuxième lit) = الزواج الثاني بعلاقات مختلفة

بالكلمة الفرنسيّة (lit) = سرير؛ تماماً كما يُمكن أن تربطنا علاقة مشابهة بمجموعة أغراض مُغايرة (على غرار فرانسوا ميتران (François Mitterrand) مُديناً «كِلاب» الصحافة بعد حادثة انتحار بيار بيريغوفوي) (Pierre Bérégovoy). وتُطالعنا في الحالة الأولى التبدُّلات المجازيّة المُرسلة، في حين أننا نقع في الحالة الثانية على الاستعارات. وسواء كانت المسألة تتعلَّق بالنَّوع الأوَّل أو الثاني من هذه التبدُّلات، فعندما لا يعود الرابط القائِم بين المرجع والاسم ذا طابع طارئ متَّخذاً له مكاناً في إطار الرابط الاسميّ الاشتقاق، يُصبح عندئذ الاسم جزءاً لا يتجزَّأ من الاستعمال. وفي سياق التحليل السيميّ، يتوافق الاستعمال المُنتظِم للسيمات التي تتحوَّل شيئاً فشيئاً من سيمات مكتسبة إلى سيمات ملازمة، مع عمليّة الانتقال من الاستخدام إلى المفهوم أو إلى الدلالة (Rastier 1987).

لقد غدَت على سبيل المثال الكلمة الفرنسيّة (banlieue) = ضاحية حاملة سمة معنى /تحقيريّ/ مرتبط بالخطابات السلبيّة التي يتمّ تداوُلها حول هذا الموضوع. وشيئاً فشيئاً أمست هذه السِّمة متداولةً باعتبارها مفهوماً مُقعّداً اجتماعياً. ويصحُّ ذلك بالنسبة إلى اسم مثل (banlieue)، ولكن باستطاعتنا أن نُبيِّن ظاهرةً من النمط نفسه بشأن أسماء ذات مضمون دلاليّ غامض، مثلاً: يُمكننا أن نُضفي على أغراض جدّ متنوِّعة الصفة الفرنسيّة (bitoniau) = الغَرَض الفُلانيّ(*)، ولكنَّنا لا نقع مطلقاً على غرض يُمكننا أن نشير إليه قائلين «هذا الغرض اسمه الغَرَض الفلانيّ» (وتجدر الإشارة إلى أنَّ العِبارة الفرنسيّة المعرِّفة (petit bouton) = «شيء صغير مدوَّر إجمالاً» التي يستخدمها معجم (*NPR*) ليست سوى بديل مؤقَّت يستعمله

(*) تُطلَق الصفة «فُلانيّ» على الشيء الذي لا يُراد تسميته أو نُسِيَ اسمه.

المعجميّ، لأنَّ كلمة bitoniau = الغَرَض الفُلانيّ لا تنتمي فعلاً إلى طبقة معيَّنة). فالمسألة تتعلَّق بكلمة يتألَّف استعمالها من مجموعة استخدامات، بما أنَّها لا ترتبِط ارتباطاً واضحاً بطبقة معيَّنة، بل إنها ترتبِطُ بالأحرى بتصور إدراكيّ وعمليّ، يدلُّ: إمَّا على جزء من الغرض وليس على الغرض كاملاً، أو على نتوء بصريّ أو تكامل في جهاز تقنيّ أو على حجم متواضع، وعلى شيء يُمكن أو ينبغي التحكُّم به... إلخ. وعليه، لا يصلحُ الانتقال من الاستخدامات إلى الاستعمالات إلاّ لبعض الأسماء، لأنه يُحتِّم وجود تغيُّر في المرجع، أي بالتالي في فعل التسمية (Kleiber 1984). تقدِّم حالة الكلمة الفرنسيّة (bitoniau) مثالاً عكسيّاً، إذ إنَّ المسألة تتعلَّق بفئة معجميّة إنَّما غير مرتبطة ارتباطاً ثابتاً بطبقة معيَّنة من الأغراض. وعلينا أن نُقرَّ بأن هذه الحالات هي حالات هامشيّة.

3.1 ـ الاختصاصيّ في علم الوِراثة وعلبة اللَّيل

إذا لم يكن هناك شيء اسمه (bitoniau) = الغرض الفلانيّ، فثمّة عدد كبير من الأغراض التي نُطلق عليها في اللُّغة الفرنسيّة اسم (boîte) = علبة أو صندوق. وفي هذه الحالة الأخيرة، تُطالعنا بالأحرى وفرة مُفرطة في التسميات (انظر الفصل العاشر لـ Cadiot (1997)، ممّا يُصعِّب اللُّجوء إلى التعارُض بين الاستخدامات/ والاستعمالات. ولكثرة أنواع العلب الموجودة أصلاً، نادراً ما نشعر بالرغبة في إضافة المزيد منها... ومن دون التنقيب عن التغيُّرات المرجعيّة، يُمكننا أن نلاحظ أن الأشخاص غير اللُّغويِّين لا يُصادِفون صعوبات قصوى في التحدُّث عن هذه الأغراض المتنوِّعة كافَّةً التي تحمل اسم (boîte) = علبة في اللُّغة الفرنسيّة. إذاً ما هي الإشكاليّات التي تعترض اللُّغويِّين حين يواجهون تنوُّعاً من هذا القبيل؟

بعد الفراغ من إجراء فحص مفصّل لتعدُّديّة معاني كلمة (boîte) = علبة في اللُّغة الفرنسيّة، توصَّل بيار كاديو إلى الخلاصة القاضية بما يلي: «أن يكون الغرض علبةً، يعني أن نتخيَّله كعلبة» (Cadiot 1997: 213). ونحن ممتنّون له لأنَّه يُسلِّم المخيِّلة زمام السلطة، وهذا أمرٌ لم نألفه لدى علماء الدلالة. بيد أنَّه يترتَّب علينا الإقرار بأنَّ كلمة (boîte) تتطابقُ مع مجموعة من المراجع التي يُمكن جمعها في تمثيل مُهَيمن قابل للتبرير بمقتضى مقاربة نموذجيّة أصلية، ونعني بها المقاربة التي يسعى المعجميّ جاهداً للتعبير عنها، ويتجلَّى هذا التمثيل كالآتي: «وعاء مصنوع من مادَّة صلبة (كالورق المقوىّ أو الخشب أو الصفيح المعدنيّ أو البلاستيك) سهل النقل ومجهَّز عادةً بغطاء» (نقلاً عن معجم *NPR*، التعريف 1). وهنا يؤدي علم دلالة النموذج البَدْئيّ خدمات يصعب وضعها موضع الشكّ. إذ تُشبه العلبة في أغلب الأحيان ما وُصف لنا. ويبقى أن نعرف إذا كان هذا الشَّبَه من الطراز اللُّغويّ بحصر المعنى. وعلى كلّ حال، تتلاقى المقاربتان النموذجيّة البَدْئيّة والمعجميّة.

لا تُجيزُ الصيغة التعريفيّة إلحاق العبارة الفرنسيّة (boîte de nuit) = عُلبَة اللَّيل، أي الملهى اللَّيليّ بتعريف العلبة الآنف الذكر، الأمر الذي تسمح بفعله الصيغة التخيُّليّة التي ابتكرها كاديو، ونعني بها «النموذج الذهنيّ المَرِن» الذي أوجده (المصدر نفسه). وقد يُشكِّل ذلك نقطة تفوُّق نموذجه. بما أن كلّ ما يُسمَّى علبةً يكون مُتخيَّلاً كعلبة، يسمح لنا ذلك بأن ندمجَ في الصيغة نفسها ليس فقط أسماء بعض الأغراض (على غرار (boîte d'allumettes) = علبة الثِقاب و(boîte à musique) = الصندوق الموسيقيّ) أو أسماء بعض الأماكن (مثلاً، تُستعمَل كلمة boîte في اللُّغة الفرنسيّة للإشارة إلى المؤسّسة التعليميّة أو المنشأة... إلخ»)، وللإشارة أيضاً إلى علبة

اللَّيل (boîte de nuit))، إنَّما أيضاً تسميات مزوَّدة بمعنى تحليليّ (على غرار (boîte de conserves) = علبة الطعام المحفوظ)، بالإضافة إلى التسميات التي تَنتجُ عن التعبير الجامد، والتي يُسنَد إليها معنى شامل (مثلاً، يصعبُ تجزئة الصندوق الموسيقيّ إلى صناديق أو علب).

يسمحُ لنا تاريخ المُفردة باستخراج نوع من خاصيّة ثابتة، ومفادها: تُستخدَم العُلَب لاحتواء الأغراض والبشر (انظر العبارة التي كانت تُستخدَم في القرن الخامس عشر، ألا وهي: (boiste aux cailloux) = علبة الحِجارة أي، «السجن»)، ممّا يُشكّل العلاقة التي نُنشِئها مع العُلَب. وتسمَحُ هذه الفِكرة التاريخيّة المُشتركة باستعراضِ تنوُّع كبير في المضامين الدلالية. ولكن إذا كان ما يُسمّى علبة هو ما يُتخيّل أنه علبة، فعلينا أن نَعرف مَن هو الذي يتخيَّله؟ **مَن** يرى في الـ boîte (= المؤسَّسة) التي يعمل فيها نقاطَ تشابُه مع (boîte à gâteaux) = علبة قوالب الحلوى؟ فأيُّ منطق هو هذا المنطق اللُّغويّ المعمول به إذا كان لا يُدركه المتكلِّمون؟ فهل يمكننا تشبيه استعمال كلمة (boîte de nuit) = علبة (اللَّيل) بكلمة (boîte entreprise) العُلبة (أي، المؤسَّسة)، في حين يُصار إلى صياغة الاثنتَين، وهما اسما مكان، بشكل مختلف (فلا تنطوي مُطلقاً العبارة الفرنسيّة (aller en boîte) (= ذهَبَ إلى العلبة) على معنى «ذهَبَ إلى العمل»). أوَلسنا نتفكَّرُ هنا في معطيات دلاليّة تضرب بالمعطيات التوزيعيّة عُرض الحائِط؟ ويُفضي بنا البحث عن نموذج لا يكون لغويّاً بعد الآن بل ذهنيّاً، إلى أن نضعَ في المرتبة نفسها طبقات مختلفةً (أسماء أغراض وأماكن) ووحدات يتباعدُ أداؤها الخطابيّ (على غرار التراكيب الخاصَّة بكلمة boîte، حيث يُقال مثلاً: خَرَجَ إلى + الاسم (sortir en + N) وذهَبَ إلى + الاسم (aller en + N). وبالإضافة إلى ذلك من شأن نموذج من هذا القبيل أن يعرِضَ الظواهر الناجِمة عن

احتكاكات اللُّغات، باعتبار أنَّ الاستحداث اللُّغويّ الخارجيّ المَنشأ، وهو عامل إغناء للمفردات، لا يندرِج بالضرورة في إطار حالات تعدُّديّة معاني الأشكال الموجودة التي تتَّصف بطابع تاريخيّ.

وبهذا الصدد، ثمَّة خطرٌ ليس بضئيل برأينا في أن يُصار إلى جَمع العبارات الفرنسيّة التالية: (boîte de nuit) = علبة اللَّيل، و(boîte de cigares) = علبة السيكار، و(boîte de conserves) = علبة الطعام المحفوظ في صيغة واحدة. ويقتضي أيضاً أن يُصار إلى دمج استخدامات من مثل تلك التي تشهدها الكلمة الفرنسيّة (boîte) في عدد معيَّن من التسميات المستعملة في ميدان علم الوِراثة والتي تتعلَّق فيها المسألة بمجرَّد محاكاة لغويّة للكلمة الإنجليزية (box) (= علبة) (ونذكر منها على سبيل المثال: (boîte TATA) = علبة تاتا(*) في ترجمة للعبارة الإنجليزية (TATA box)، و(boîte homéotique) = علبة التشاكُل(**) التي تنقل الكلمة الإنجليزية (homeobox)... إلخ). وعليه، تعني كلمة (boîte) في هذا الصدد «متتاليةً» (séquence)، ولا تتعلَّق المسألة بتعبير جامد، لأن سلسلةً طويلةً من الأسماء المُشكَّلة على هذا المنوال قد شاعَت وانتشرت. وقد بات هذا المعنى مُتداولاً، والحال أنَّه يبدو من الصَّعب دمج هذه الدلالة في إطار «النموذج الذهنيّ» المُبهَم للغاية، الذي اقترحه المؤلِّف. وبغية الدفاع عن وضع الكلمة المتعدِّدة المعاني النافِذة، يتوجَّب علينا، وهو أمر مشكوك في مشروعيَّته، أن نفترِض أن الاختصاصيِّين في علم الوراثة يتخيَّلون متتاليات الحمض النوويّ (ADN) وكأنَّها عُلَب. وأنا أخشى

(*) تُعرَف أيضاً باسم (Goldberg-Hogness box)، وهي عبارة عن متتالية حمض نووي.

(**) إنَّها متتالية حمض نووي موجودةٌ ضمن الجينات وتُشارِك في تنظيم تنامي الحيوانات (التشكُّل الحيوي) وكذلك الفطريات والنباتات.

أن يحتجُّوا على هذه المسألة. وعليه، لنتركِ الاختصاصيِّين في عِلم الوِراثة يهتمّون بالجينومات، ولنُقفِل علبة ... بندورا[*] هذه (boîte de Pandore).

3.2 ـ هل يفتح مفتاح الإشعال صندوق البريد؟

تصحُّ الإشكاليّة التي طرحناها بشأن كلمة (boîte) على كلّ توسُّع في النموذج الدلاليّ باتِّجاه حالات قديمة في اللُّغة لم يعد المتكلِّمون يُدركونها. فلنتناول الآن مَثَل الكلمة الفرنسيّة (clé) = مفتاح التي عكفَت ليلاند ترايسي (Tracy 1997) على دراستها. وتُعبِّر المؤلِّفة، في سياق مشاركتها، عن رغبتها في تحليل تعدُّديّة معاني كلمة (clé) في نطاق استخداماتها المُرتبطة بالقفل وتلك المتعلِّقة بعلم الميكانيكا، إذ: من الممكن النظر إلى مفتاح البيت والمفتاح الإنجليزي باعتبارهما يتشاطران نقاط تشابُه. غير أنَّها تُقاوم هذه الرغبة، كما أنّها تشكر في الحاشية «بيار كاديو لأنَّه شكَّكَ بوجود خصائص عارضَة مشتركة بين المفتاح/ والقفل من جهة وبين المفتاح/ والمِسمار المُلَولَب من جهة أخرى» (Tracy 1997: 75).

إن المحاجَّة التي تقدَّمت بها مثيرة للاهتمام، لأنها تُحابي سِمة معنى مُحدَّد، ألا وهو: الولوج المقصور على حامِل المفتاح (بمفهومه الأوَّل) الذي ينبغي إدخاله في القفل أو في أيّ جهاز مماثل. أمّا المفتاح (بمفهومه الثاني)، فهو لا يُقدِّم علاقة المقصوريّة نفسها، إذ: «قد يُستخدَم المفتاح نفسه الذي أستخدِمه لإصلاح

(*) تُسمَّى أيضاً «علبة الشرور»، فبندورا هي امرأة أرسلها زيوس (Zeus) عقاباً للجنس البشريّ، بعد سرقة بروميثيوس (Prometheus) للنّار، وأعطاها علبةً ما إنْ فتحتها بدافع الفضول، حتى انطلقَت منها جميع الشرور والرزايا، فعمَّت البشر ولم يبقَ فيها غير الأمل (بحسب الميثولوجيا).

سيَّارتي لسيَّارة جارتي (أي لإصلاحها، في إطار هذا السياق). وفي كلّ مرَّة أودّ فيها قيادة سيّارتي، لا أكون بحاجة إلى مفتاح الرَّبط، أي المفتاح الإنجليزيّ، بشكل نِظاميّ يُمكن توقُّعه.» (المصدر نفسه). وفي إطار تحليل هذَين المعنيَين، تُعطي المؤلِّفة الأفضليّة للخصائص العارِضَة التي تجعل من المفتاح «أداةً صلبةً مصنوعةً تبعاً لمواصفات محدَّدة»، ويرتكزُ استعمال الكلمة نفسها على تماثل في الشَّكل. والحال أنه يبدو من الصَّعب أن نتغاضى عن أن مفاتيحَ عديدةً، متحرِّكةً كانت أم لا، تُشكِّل أغراضاً معدنيّةً نُحرِّكها يدويّاً ونُدخلها في جهاز ميكانيكيّ، ونذكر منها على سبيل المثال: مفاتيح كلّ من الساعة الجداريّة ورقّاص الساعة وصناديق الموسيقى وشدِّ الأوتار (التي تُستخدَم لآلات النَّقر)، فضلاً عن مفاتيح الضبط (لنُدَوزنَ بها آلات البيانو) والمفاتيح التي نستخدمها لنُزلجَ أبواب القِطارات (في قطارات الإكسبرس المحليّة التي لا تتوقَّف إلاّ في المحطّات الرئيسيّة)... إلخ. وبإمكاننا حتى أن نُلحقَ بقافلة المفاتيح هذه المصطلح الذي يستخدمه أطبّاء الأسنان، ونعني به المفتاح الإنجليزيّ (clé anglaise)، والذي يُستخدَم كما نقرأ في معجم (*Littré*) لاقتلاع الأسنان (إذ علينا أن نقتلِعَ السنّ ونحن نُحرِّك يدنا بشكل دائريّ). وعليه، إن الأفعال التي نقوم بها إزاء المفاتيح هي جدّ متقاربة، مثلاً: يُشبه فعل فتح القفل وإغلاقه إلى حدّ بعيد الفعل الذي يفترضه شدّ المسمار المُلَولَب. ومن العسير ألاّ نُدركَ هنا وجود مجموعة اتِّصاليّة نوعاً ما لجهة العلاقة الجسديّة التي تربطنا بالمفاتيح، أي بكلام آخر لجهة خصائصها المسمّاة «العارِضة».
واللافت من جهة أخرى أن المعاجم الثلاثة التالية، ألا وهي: معجم (*Dictionnaire du français contemporain*) وأخوه الأكبر معجم (*Lexis*) ومنافسهما معجم (*Robert méthodique*)، تجمَعُ بحكمتها المَعاجميّة المعهودة، تحت خانة المدخَل نفسه clé، مفاتيح الأقفال

ومفاتيح صناديق العدَّة (boîtes à outils). كما إنّها تُعامل مفتاح النوتات الموسيقيّة (clé musicale) ومفتاح السرّ (clé du mystère) معامَلة المصطلَحين المجانسَين.

هنا تكمن نقطة الاختلاف بين هذه المعاجم الثلاثة وما تقوله ترايسي (Tracy) التي توفِّقُ بين القولَين التاليَين (اللَّذَين ضربتهما كمثلَين في الصفحتَين 74 و75 من كتاب (Tracy 1997))، ألا وهما: «جَلبَ جورج المفتاح ليفتحَ السيّارة» (George amène la clé pour ouvrir la voiture) و«أخطأت العازفة في مفتاح النوتة الموسيقيّة» (la musicienne s'est trompé de clé)، وذلك بناءً على **التماثُل الوظيفيّ**. ويُعلِّل التوسيع الذي تتقدَّم به هذه العلاقة من خلال واقع أن «مفتاح النوتات الموسيقيّة يسمحُ للعازفة بالولوج شخصياً إلى قطعة موسيقيّة، تماماً كما يسمحُ المفتاح لمالك السيّارة بأن يدخلَ إليها» (Tracy 1997: 76). وتستتبع هذه الملاحظة العلميّة الموسيقيّة أنَّ لكلّ عازفة قراءة شخصيّة وحصريّة لدليل مقام التوليفة(*) الموسيقيّة. عسى أن تقي الإلهة يورتيربي(**) (Éurterpe) عازفة البيانو مارثا أرغيريتش (Martha Argerich) من قراءة مماثلة...

ولكن، ليس هذا كلّ ما في الأمر، إذ تستلزم حجَّة من هذا القبيل قارئاً مثاليّاً (أو قارئةً مثاليّةً) يرى (أو ترى) في مفاتيح التواليف السبعة التي تعزفها الفرقة الموسيقيّة عدداً من طرق الولوج الحصريّة يُضاهي عدد الأغراض التي نُعلِّقها في حُزَم المفاتيح التي تُجيز

(*) أقسام القِطعة الموسيقيّة.

(**) إنَّها، بحسب، الميثولوجيا الإغريقية القديمة، إحدى الإلهات التِّسع الشقيقات، وقد عُنِيت في القدم بالشعر الغنائي أو الموسيقي، ثم عرفها الشعراء في ما بعد كإلهة إلهام الموسيقي. هي ابنة زيوس (Zeus) ومنيموسين (Mnémosyne) وتُصوَّرالفنون كامرأة تحمل آلة الناي الثنائي، أي آلة الفلوت، أو تعزف عليها.

الولوج الحصريّ من خلال السماح بفَتح الأبواب والبوّابات وبوابّات المَركبات، ناهيك من صناديق البريد. والجدير بالذكر أن هذه التماثلات التي تقام ليست عبثيّةً، كما إنَّها لا تفتقِرُ إلى أيّ أساس، ولكنها على ما يبدو وليدة نزعة حدسيّة محضة. زد على ذلك أنَّنا نُلاحظ، في حال كنَّا مُدركين وقائع التعابير الجامدة، أن ظهور التعبير الفرنسيّ (à la clé) = معاً لا يرتكز على فكرة الولوج ولا على أيِّ تماثُل في الشَّكل، بل على **علاقة ملازمة**، فمثلاً: يُشكِّل المفتاح المكان الذي نجد فيه علامات الخَفض وعلامات الرَّفع، فنقول (trois bémols à la clé) = «ثلاثُ علامات خَفض معاً في مفتاح النوتة». ويكفي أن نُبدِّل الاسم الذي يسبقُ العبارة الفرنسيّة (à la clé، لنتبيَّنَ صِلة المُلازمة، فلو قُلنا مثلاً: (si tu as ton bac, il y aura une récompense à la clé) = «إذا نجحتَ في شهادة البكالوريا، ستكون بانتظارك مكافأة»). ويساهم واقع تركيب الجُمل هذا بوضوح في فصل المفهوم الموسيقيّ عن المُفرَدَة. فلا يُمكننا جمع مفاتيح النوتات الموسيقيّة السبعة في خانة مجموعة المعاني المرتبطة بالشَّكل، فلقد تلاشى هذا التعليل الأوَّليّ، فالسعي إلى إقامة علاقة وظيفيّة مع استخدامات أخرى للكلمة، يعني أن نطرحَ **كمبدأ** ما ينبغي **برهنته**، وهنا تُبدي المعطيات اللُّغويّة بعض المُقاومة.

سنُلاحظ هنا أيضاً أنه، في حال كانت العلاقات بالأغراض تملك حقيقةً ثقافيّةً بارزةً بما فيه الكفاية لنقوم بمعجَمتها، فلا ينبغي معالجة هذه المقاربة من وجهة نظر سيكولوجيّة ـ لغويّة لأن ذلك لا يكفي للتصدِّي لجوانب التوافق المرجعيّ ـ، بل من وجهة نظر **اجتماعيّة ـ لغويّة**. ويُعزى سبب ذلك إلى أنه في حال وجود واقع لغويّ يسمحُ بجمع مفاهيم الكلمات، فيتعذَّر وجوده بشكل دائم في عالم فِكريّ. فالعلاقة الإدراكيّة التي كانت تربط تاريخيّاً بين مفتاح الباب ومفتاح التوليفة الموسيقيّة قد زالت. وهذا ما يجدر بنا معرفته.

ولكن **أين** أضحى مركَز هذه العلاقة؟ إنَّه لمن المناسب إذاً أن نبقى قريبين من التعابير المقولة لكي تحتفظ مجموعة الاشتقاقات الدلاليّة ببعض الصِّحة. والحال أنَّنا قد نخشى وقوع بعض المغالاة في الرّغبة القوية بالنمذجة لدى كاديو ونيمو حين يؤكِّدان «أن معنى الكلمة الموصوف على هذا المنوال لا يَعرض استخدامات الكلمة وحسب بل مجمل استخداماتها التي لا تكون قد اكتسبَت بعد هذه الصفة» (Cadiot et Nemo 1997: 27). وقد أشار كليبر إلى هذا الخطر مُعتبراً أن مثل هذه التمثيلات التعميميّة تكون معرَّضةً «لخطر أن تكون بالغة القوة بحيث إنّها قد توافق كذلك وحدات لا تُشير إليها العبارة موضوع البحث» (Kleiber 1997: 31). وبرأينا، بغية التأكُّد من صحَّة نماذِج دلالة من هذا القبيل، ينبغي التحقُّق من أن ثمَّة شعوراً لغوياً جماعياً مطابقاً لها وارداً في الاستعمال. ولفعل ذلك، يُسلِّط التحليل بمقتضى سِمات المعاني الضوء على اختلافات تسمح معاينة أشكالها اللُّغويّة بإيجاد آثار لها في النصوص.

4 ـ هل للمصطلحات خصائص ذاتيّة وعارِضَة؟

في سياق استكمال بحثنا بشأن الاقتراحات التي تقدَّمَ بها كاديو ونيمو، سنُعاين مدى ملاءمة الخصائص الذاتيّة والعارِضَة لكي نبيِّن طريقة عمل المصطلحات. وحريّ بنا أولاً أن نطرح إشكاليّة المنهج المُتَّبَع. في الواقع، تعتمد مُعاينة المُفردات الشائعة على عمليّة اللُّجوء إلى التعريفات التي تقوم مقام نماذج الدلالة. والحال أنَّنا نعلَم أن المحرِّرين في المجال العلميّ ينتهجون تصرُّفات تعريفيّةً جدّ مختلفة. ونُسجِّل وجود هذه الاختلافات بوجه خاصّ في ما يتعلَّق بتعدُّديّة المعاني، إذ: يُندِّد بها أنصار التقنيّة التي تكون منقطعة عن الاستعمالات اللُّغويّة المألوفة، في حين يلجأ العلماء التربويّون إلى استعمالها (Gaudin 1995). وبغية التفكُّر في عمليّة تحوُّل

الاستخدامات إلى استعمالات، ينبغي إذاً أن نستعرضَ مسيرة المُفردات، الأمر الذي يطرح إشكاليّة الاستعارات المَعرفيّة. ولكن باعتبار أن هذه المسألة تتخطّى نطاق هذه المقالة، فسنقتصر على دراسة بعض المفردات المعزولة.

1.4 ـ هل ينطوي الزَّيغ على معنى؟

بغية رَصد حالات تعدُّديّة المعاني في الاستعمالات العلميّة، سنُنقِّب في معجم (Salem 1990) (*Dictionnaire des sciences*) عن كلمات تُشكِّل على الأقلّ موضوع عنوانَين(*) في المعجَم، ومن ثمّ سنعاين بعض المفاهيم العلميّة لكلمات من اللُّغة العامّة. ولم ننسَ الاحتياطات التي شدَّدنا على وجوب اتِّخاذها إزاء التحليل الدلاليّ للتعريفات، إنَّما يختلفُ الوضع اختلافاً ملموساً حين نستنِدُ إلى تعريفات موسوعيّة، وإن كانت مقتضبةً نسبيّاً، لأن عدد المعلومات فيها يكون أكثر. فما الذي يحصل حين نتحدَّث عن حالتَي الزَّيْغ البصريّ والصِّبغيّ (aberrations optique et chromosomique) وعن الامتصاص (absorption) في علمَي الفيزياء والأحياء وعن التحليل (analyse) في علم الكيمياء وفي الرياضيّات؟

نُطلق على الخطأ في التمييز الذي نأسف لوجوده لدى الآخرين، اسم (aberration) = زَيغ بمقتضى العلاقة الثقافيّة التي تربطنا بحالات انحراف قابلة للقياس. وإن هذه المعلومة هي تاريخيّة. ففي إطار الممارسات اللغوية، نتعلّم الاستعمالات التقنيّة للكلمة بعد

(*) تُستعمَل كلمة عنوان (rubrique) في ميدان المعجميّة للإشارة إلى الكلمة المطبوعة بالحِبر الأحمر أو بحروف خاصَّة، وهي مُقتبَسَة عن الكلمة اللاتينيّة (rubrica) والتي تعني حرفيّاً العنوان المكتوب بالخطّ الأحمر، علماً بأنَّه في كتب القانون، كانت عناوين الفصول والأبواب تُعلَّم قديماً بالخطّ الأحمر.

اكتسابها أَحدَثَ معانيها. وعليه، تؤلِّف أفكار الانحراف في الحكم والعبثيّة القاعدة الدلاليّة الأساس لكلمة زَيْغ؛ فبإمكاننا على سبيل المثال أن نتحدَّث عن زَيْغ إداريّ (aberration administrative) من دون أن يبدو مثل هذا الاستخدام العفويّ بعيداً عن المعقول. وعليه، ترد هذه الخصائص الذاتيّة في الاستعمال الأوَّليّ الذي نقوم به. ولكنَّها تغدو خصائص عارِضَةً في إطار التعلُّم، لأنَّ على المتكلِّم أن يُصنِّف الزَّيْغ الصِّبغيّ باعتباره تعديلاً في بُنية الصبغيّات أو في عددها. وتتعلَّق المسألة هنا بانحراف عن الوضع السويّ لدى فصيلة معيَّنة (فمثلاً، يتمثَّل الوضع السويّ لدى الإنسان بأن يمتلكَ 23 زوجاً من الصبغيّات المُنظَّمة تنظيماً سليماً)، والذي يتطابقُ مع وجود الصحَّة المثلى. أمّا في علم البصريّات، فيُمثِّل الزَّيْغ عَيْباً في الصورة، سواء كان ناجِماً عن عيب في جهاز معيَّن أو في العين. وتُطالعنا هنا سِمة معنى مُتداوَل إنَّما غير مُصنِّف، من النمط التالي /انحراف/ /déviation/، باعتبار أن القاعدة تكون في هذا الصدد نموذج الصورة «الأمينة للواقع» أي المُطابقة له. ويكون المثل الأوَّل هذا مُثيراً للاهتمام، لأنه يُشير إلى أن معجَمَة مصطلحات اللَّهجة التقنيّة تتمُّ من خلال الإبقاء على سمات معان ثانويّة، وأن هذه الأخيرة قد تتوافَقُ مع تصانيف تقنيّة مختلفة. بيد أنَّه من الممكن تشبيه طريقة عمل الخصائص العارِضَة بطريقة عمل السمات المُكتسبة المُمَقيَسَة اجتماعيّاً.

وبالعكس، ليست كلمة (absorption) = امتصاص سوى اسم دالّ على فعل ذي مضمون دلالي منفتح على نطاق واسع. فما الذي يحدثُ حين نستخدمها في علم الأحياء أو في علم الفيزياء؟ تعني كلمة امتصاص في الاستعمال الشائع، وبحسب معجم *NPR*، «فِعل التشرُّب»، أي بكلام آخر «سماح جسم بدخول جسم آخر إليه (سائِل

أو جُزيئات أو إشعاع) واحتباسه». ويُستخدَم هذا المصطلح في علم الأحياء للإشارة إلى «تسرُّب مواد إلى الخليَّة أو إلى جَوف جسم معيَّن» (Salem 1990: 12). وتبقى الدلالة هي هي، في حين ينتجُ التخصُّص عن طبيعة العوامل الفاعلة (خليّة أو جهاز عضويّ). أمّا بالنسبة إلى علماء الفيزياء، فيُعدُّ الامتصاص عبارةً عن «عمليّة يتمّ من خلالها نقل دفق من الطاقة إلى مادَّة» (المصدر نفسه). وإن ما يُشار إليه هنا ليس الفِعل المُنجَز ـ أي الذي يُنجِزه جسمٌ ما بالنظر إلى هذه الحالة ـ، بل بنتيجته، ألا وهي: تقليص حدَّة الحزمة الضوئيّة. ويتمّ التشديد على النتيجة ـ القابلة أن تُلاحَظ ـ أكثر ممّا يتمّ التشديد على فاعلها ـ الذي يصعبُ فصله في هذه الحالة. وبمقتضى التركيب النحويّ، يعمدُ استخدام هذا المصطلح في ميدان الفيزياء إلى إخفاء الفاعِل والإبقاء على الغرَض وحده.

هل بإمكاننا أن نتطرَّق إلى هذه المسألة بمقتضى الخصائص الذاتيّة والخصائص العارِضَة؟ بشتَّى الأحوال، تُشير المُفرَدَة إلى عمليّة معيَّنة، أي إلى فِعل. ويكون التخصُّص سياقيّاً، إذ لا يوجَد اختلافٌ معبِّرٌ بين امتصاص الجذور للمياه وابتلاع دولة لدولة أخرى أو شركة متعدِّدة الجنسيّات لمؤسَّسة معيَّنة أو امتصاص مادَّة ما للإشعاع. ومن العسير في هذا الصدد أن نتفكَّر بمقتضى «الخصائص الذاتيّة»، ولو كنَّا أمام كلمة معيَّنة لحظة إجابتنا على السؤال التالي: «ما هو الامتصاص؟»، فلن نعثرَ مطلقاً على خصائص ذاتيّة متنافِرة، كما هو عليه الحال بالنِّسبة إلى الكلمات المتعدِّدة الدلالة التي تُشير إلى أغراض حسيّة والتي قام كاديو ونيمو بدراستها. ونتوصَّل إلى الخلاصة نفسها بعد معاينة تعريفات كلمة analyse (= تحليل)، فهي مُفردةٌ متعدِّدة المعاني إلى حدّ بعيد إلاّ أنّ استعمالاتها المتخصِّصة بقِيَت قريبةً للغاية من استخداماتها الشائِعة.

نقترِبُ أكثر من الأشياء الحسيّة مع المصطلح الفرنسيّ (anneau) (= حلقة) الذي يُستعمَل في علم الفلك وفي الرياضيّات. فلنُقارن بعض تعريفاته المأخوذة من معجم (*NPR*)، ألا وهي:

I. 1. دائرة مصنوعة من مادَّة صلبة تُستَخدَم للوصل أو الربط.

I. 2. حلقة صغيرة مدوَّرة (نفيسةٌ في أغلب الأحيان) تُلبَس في الإصبع.

I. 3. في الجمع. آلة للتمارين الرياضيّة مؤلَّفة من حلقتَين معدنيَّتَن مُثبتَين في نهاية حبلَين معلَّقَين.

II. 1. شكل دائريّ (سواء كان يُحيط بشيء أم لا).

II. 2. حلقات المُشتري وزُحَل وأورانوس، وهي عبارة عن أحزمة متراكزة يُمكن رؤيتها وتتألَّف من قطع صلبة تُحيط بالكواكب.

II. 3. رياضيّات. بُنية جَبريّة ثلاثيّةُ العناصر تتألَّف من مجموعة تضمّ قانوني تركيب ضمن هذه المجموعة، ألا وهما: قانون الجمع وقانون الضَّرب.

I. 1. Cercle de matière dure qui sert à attacher ou à retenir.

I. 2. Petit cercle de métal (souvent précieux) qu'on met au doigt.

I. 3. AU PLUR. Appareil de gymnastique composé de deux cercles métalliques fixés à l'extrémité de deux cordes suspendues.

II. 1. Forme circulaire (entourant ou non qqch.).

II. 2. Les anneaux de Jupiter, de Saturne, d'Uranus,

ceintures concentriques observables composées de morceaux solides entourant ces planètes.

II. 3. MATH. Structure algébrique, triplet formé d'un ensemble et de deux lois de composition dans cet ensemble, la loi d'addition et la loi de multiplication.

من الواضح أنَّ العلاقة التي تربطنا بالحلقات هي من النمط الحسيّ، فنحن ندركها إدراكاً حسيّاً ونلبسها، فالحلقات هي كناية عن أغراض مدوَّرة وصلبة، تكون أكثر استقلالاً وأقلّ تجريداً من الدوائر. ونجدها في ميدان البحريّة والحدادَة وصناعة الجواهر والحلِيّ. وإنَّ التحدُّث عن تماثل في الشَّكل بالنِّسبة إلى الكواكب يُعَدُّ من باب إساءة الاستعمال، لأن الحلقة هي عبارة عن شكل. وحده استخدام هذه الكلمة في ميدان الرياضيّات يطرح إشكاليّةً ـ كما هي الحالة غالباً ـ ويكمنُ التفسير، بحسب معجم *Robert historique*، في واقع أنَّه، بالنسبة إلى هذا المفهوم، «يترك الشكل المجال لبنية مؤلَّفة من علاقات».

وفي المقابل، يملك المصطلح الفرنسيّ (aromatique) (= عِطريّ) مضموناً دلاليّاً يخضَعُ للعامل التصنيفيّ وللعلاقة المرجعيّة، ففي الواقع، نُطلق في علم الكيمياء صفة عِطريّة على مركَّبات تتميَّز بطاقةِ رنين. وكانت هذه التسمية حكراً بادئ الأمر على المركَّبات المُشتقَّة من البنزين (benzène) التي تملكُ **عِطراً** مميَّزاً. بيد أنَّ العلاقة التجريبيّة المرتبطة بحاسَّة الشمّ قد تلاشَت، مع أنَّها تُشكِّل التعليل التاريخيّ لهذا المصطلح، وتتعلَّق المسألة هنا بخاصيّة عارضة تكون صالحةً دائِماً للعناصر النموذجيّة البدئيّة في هذه الطبقة.

يُمكننا أن نعتبرَ كذلك أنَّ المقدار الماديّ(*) (grandeur physique) الذي كان يحلُّ بعض إشكاليّات المثال النموذجيّ والذي يُطلِقُ عليه غلاشو (Glashow) وإيليوبولوس (Iliopoulos) وميياني (Maiani) اسم charme (= فِتنة(**))، يمتلكُ شكلاً من أشكال الفِتنة من وجهة نظر **الأناقة** النظريّة التي يتحلَّى بها. وإنَّ الدلالة المُحتفَظ بها للإشارة إلى هذه الخاصيّة الكميّة تخضعُ للعلاقة بالغَرَض، أي للعلاقة التي اختبرها علماء الفيزياء الأوائِل، والتي تُشكِّل بالتالي علاقةً بالخصائص العارضة. ولكنَّنا نكرِّر مرَّةً أخرى أنَّنا نستطيع أن نُجري تحليلاً بمقتضى السيمات المُلازمة التي تغدو مُكتسبَةً.

وبعد، لنتوقَّف قليلاً مع الذرّات. يُمكننا أن نتحدَّث بشأنها عن عمليّة إضافة المادّة المُحسِّنة (dopage). ولكن ما هو الرابط المشترك بينها وبين الاستعدادات الرياضيّة؟ تقضي عمليّة إضافة المادَّة المُحسِّنة بتعديل الزردة المتبلِّرة من خلال تبديل بعض الذرّات بغية تعديل خصائص الشبكات البلّورية. ونلجأ إلى هذه الطريقة خصوصاً في إطار صناعة شبه الموصلات الكهربائية (semi - conducteurs). فما هي الخصائص التي يُمكننا رصدها؟ إنَّ البَونُ شاسِعٌ بين هذه العمليّة وممارسة الرياضيّ الذي يأخذ المنشِّطات استعداداً للمباراة، ومع ذلك فإنّ علاقتنا بعمليّة إضافة المادَّة المُحسِّنة تسمح لنا بالاهتداء إلى عناصر معنى من النمط التالي: /فعل مُعدِّل/ و/في سبيل تحسين الأداء/. ويَصعُب على ما يبدو تصنيف برنامج المعاني هذا في سياق التضاد القائم بين الخصائص العارِضَة والذاتيّة، لأنَّها تستطيع منفردةً أن تُلخِّص الخاصيّة الدلاليّة التي يتمتَّع بها هذا الاسم الذي يُشير إلى الفعل.

(*) نُطلِق اسم «مِقدار ماديّ» على كلّ خاصّية في الطبيعة يُمكن تحديد كميّتها عن طريق القياس أو الحِساب، وتملك وحدات قِياس.

(**) إنَّها خاصيّة تُميِّزُ الكُوارك والهِدْرون، ويعبَّر عنها كميّاً.

لنأخذ مثلاً آخر أقرب إلى التجربة التي نعيشها على الصعيد اليوميّ: يتحدَّث الجيولوجيّون عن الـ (croûte) = قِشرة للإشارة إلى «الطبقة الأكثر سطحيةً في الكرة الأرضيّة» (Salem 1990: 121). ويطالعنا في هذا الصدد المضمون الدلالي الثاني في اللُّغة الفرنسيّة لكلمة (croûte)، ألا وهي: **II**. «طبقة خارجية متيبسة» والتي تتبَع الدلاليّة التالية: «طبقة الخبز الخارجيّة التي تقسو بفعل طبخها في الفرن». وسواء كانت المسألة تتعلَّق بالكرة الأرضيّة أو بالخبز أو بالجُرح، فإنَّ كلمة (croûte) تعني على الدوام «الطبقة السطحية التي تُصبح قاسيةً». كما إنّها تتَّصِف بالهشاشة لأنَّنا نستطيع أن نكسرها، ومن الممكن أيضاً أن تتصدَّع أو أن تتشقَّق أو أن تسودَّ كلوح قديم. وترتبِطُ العلاقة بالقشرة ضمنيّاً بتصوُّرات متنوِّعة، وتندرجُ الكلمات المُشتقَّة منها في اللُّغة الفرنسيّة ـ على غرار: (croûter) = أكَلَ بالخبز و(crouton) = كسرة خبز يابِسة و(écroûter) = قشَّرَ و(encroûter) = غلَّفَ بقشرة ـ في عداد هذه الدلاليّات.

نلاحِظُ أنَّ الأسماء الحسيّة تخضَع بسهولة أكبر للتحليل بمقتضى الخصائص العارضة والخصائص الذاتيّة مقارنةً مع الأسماء المجرَّدة، فالصعوبة التي تُمثِّلها تعريفات هذه الأخيرة تزداد تعقيداً حين نُكبّ على دراسة مصطلحات علميّة. وينبغي في الواقع أن نفكِّر في الغاية من هذه التعريفات، لكي نحاولَ أو لا نحاول إظهار خصائص من هذا النمط يُمكنها أن تكون في أصل بعض التسميات، إلاّ أنَّها تكون قد فقدت معناها بالنِّسبة إلى المتكلِّمين. وتفترِضُ عمليّة مدّ الجسور الدلاليّة بين عوالم خطاب مختلفة اتِّخاذَ موقِف لا يرتكز بالضرورة على شعور لغويّ موجود سلفاً. وعليه، يضمحِلُّ الاهتمام بالملاءمة اللُّغويّة الاجتماعيّة أمام تفوُّق الانشغال التعليميّ الذي يستعمِل الوسائل المتاحة كلّها.

5 ـ خاتمة

كان غرَضنا من هذه المقالة أن نتفحّص الاقتراحات المُغرية التي تقدَّم بها بيار كاديو وفرانسوا نيمو. وممّا لا شكّ فيه، أنّ أحد أكثر الجوانب إثارةً للاهتمام في مقاربتهما يتمثَّل في الجانب الذي يكرسانه للممارسة التطبيقيّة في دلالة الأسماء. وتُهَيمن المقاربات الدلاليّة التصنيفيّة على التقليد الذي درَجنا عليه، كما إنَّ أهميّة التطبيق العمليّ التي وضَّحها علم التطبيقات العمليّ المعلوماتيّ منذ أكثر من عشرين سنة، قد أُعطِيَت حقَّها ووُضِعَت في مكانها الصحيح في نموذجهما.

من وجهة نظر المؤلِّفَين، تكمن العلاقة بالتجربة التطبيقيّة في الخصائص العارِضَة للأسماء والتي يضعانها في مقابل الخصائص التصنيفيّة المُسمّاة «ذاتيّةً». وفي ذهنهما، تُرسي الخصائص العارِضَة أُسس تعدُّديّة المعاني، ومن هنا، في حال لم تعُد الأسرَّة تُشكِّل قطع أثاث، فلن نكفَّ عن الرغبة في التمدُّد عليها. إلاّ أنّ الممارسات التطبيقيّة المرتبطة بأغراضٍ معيَّنةٍ لا تكون صالحةً إلاّ بالنسبة إلى مجموعة محدَّدة من المتكلِّمين. فحين نُدلي بالعبارة الفرنسيّة on) (ferme des lits = «إحجام عن استقبال المرضى لعدم شغور الأسرَّة» بسبب البطاقة الصحيّة، تغدو كلمة (lit) في هذا المعرِض وحدةَ علاج طبيّ فرديّة، وفي الوقت نفسه وحدةً قابلة للعدّ. ويرتكِزُ مثل هذا المعنى على خصائص ذاتيّة جديدة منوطة بالعلاقة الخاصَّة التي يُنشِئها المتكلِّمون مع الغَرَض ضمن نِطاق ميدان محدَّد. ويكون هذا المَثَل، أسوةً بأمثلة أخرى، قابلاً للتحليل بمقتضى السيمات التفاضُليّة، وهكذا: تكون السمة المُكتسبة المُمَقيَسَة اجتماعيّاً، ألا وهي/ المكان الذي نُعالج فيه المرضى/ حكراً على الخطابات التي يتمّ إصدارها في ميدان الصحَّة، وتكون مثل هذه السمة المُكتسبة لكلمة (lit) مُمَقيَسَةً اجتماعيّاً في هذا النمط من النصوص. وعليه، ما

من تنافر بين هاتَين المقاربتَين. وهذا ما يسمح بتوضيحه أيضاً البطاطا الساخِنة (= patates chaudes).

تطرحُ مُعاينة الخصائص الذاتيّة إشكاليّةً، لأنَّها تتطابق مع المظاهِر التي يُبقي عليها فريق لغويّ معيَّن (يُمكن أن يتراوح من الفريق المهنيّ وصولاً إلى الجماعة الناطقة بالفرنسيّة) باعتبارها مظاهرَ تصنيفية. والحال أنّه، كما يتمّ في أغلب الأحيان، لا نقوم بإجراء دراسة حول الفئات المُعبَّر عنها شفهيّاً في الخطابات، بل انطلاقاً من خطاب تقعيديّ من النمط التوجيهيّ المُلزم للغاية، ألا وهو: النمط المُعتمَد في المعاجم. ويَدفع هذا المنهَج بالمؤلِّفَين إلى انتقاد اختيار العناصر المُعرِّفة التي لا تكون الأفضل بحدِّ ذاتها إنّما تلك التي يتمّ الإبقاء عليها لتمكين القارئ من تكوين تمثيل ذهنيّ. ومن وجهة النظر هذه، ينبغي أن يكون التعريف المعجميّ قابلاً للتحديد بمقتضى النموذج البَدْئيّ، وعليه: تكون البجعة في معجَم اللُّغة بيضاء والجِسئيّ فيلاً، تماماً كما إنّ حالات الخسوف والكسوف تُعدُّ فيه بمثابة الأمور التي تحدثُ بين الشمس والقمر والأرض...

نلاحظ، إذاً نحن ابتعدنا عن المعاجم، أن المنافِض ـ أيّاً يكن نمطها ـ هي كناية عن مستوعبات تُستخدم لاستيعاب الرماد. وعليه، تقتصر الخصائص الذاتيّة على سِمَة /مستوعَب/، ونتيجةً لذلك تبدو فائدتها هزيلةً، باعتبار أنّ باستطاعتنا استنتاجها من الخصائص العارضة (فمثلاً، إنَّ الغرض الفلانيّ الذي يستوعِب الرماد يُعَدُّ مستوعَباً). وإنْ كانت المميِّزات الماديّة للمنافِض تُستنتَج، من وجهة نظر المؤلِّفَين، من الوظيفة التي تؤدِّيها (مثلاً، إنَّ المنافض العميقة القعر أو تلك المصنوعة من ورق لا تكون ملائمةً بالقدر نفسه للتدخين)، فليس من السهولة دائماً بمكان أن نُبرزَ هذه الخصائص الهادفَة. وفي نهاية المطاف، إنَّ ما يُرشِدنا إليه علم الدلالة لا يفوق بكثير ما يهدينا إليه علم الأشكال.

في حالة الكلمة الفرنسيّة (couloir) = رِواق، لا يسمح علم الصَّرف إلاّ باستذكار تاريخ اللُّغة، أمّا من وجهة النظر التزامنيّة، فقد انتفى وجود التعليل، وأضحَت الأروقة على أنواعها مجرَّد أماكن عبور ضيِّقة وطويلة، ممّا يسمحُ بإيجاد خصائص ذاتيّة مُشتركة بينها. وفي المقابل، من العسير تحديد الخصائص العارضة التي تتصف بها الأروقة، باعتبار أن سِمة/ مكان نتحدَّث فيه بهدف تدبير الدسائس أو النميمة/ تبدو هامشيّةً للغاية.

في ما يتعلَّق بهذه الخصائص ذات الطابع العامّ جدّاً والتي تُشكِّل خصائص المنافض وغيرها من الأغراض غير المُحدَّدة بشكل جيِّد، يكمن دور المعجميّ في تسليط الضوء بوضوح على تفوُّق منفضة الطاولة بالنسبة إلى المدخِّن على منفضة الفرن، لأنّه يضَع مؤلَّفاً تمتزج فيه، في حشد مجموعات المصطلحات، استعمالات تنتمي إلى جماعات جدّ متنوِّعة يختلِف وزن كلّ منها في الممارسات الكلاميّة. وكذلك، باعتبار أن الغالبيّة الساحقة من الناس يملكون منزلاً، يُعدّ رواق المنزل بمثابة الرواق الأكثر تمثيلاً من سواه. إلاّ أن الدلالة تكمن في السِّمات/ مكان عبور طويل وضيِّق/، وتخضَع مختلف حالات استعمال هذه الكلمة للاستخدامات، نظراً لكون الاستخدام يُشكِّل «مفهماً يشتمل معناه على سيمات مُكتسبة مُمَقيَسَة محليّاً أو منوطة باللُّغات الفرديّة» (Rastier 1991: 247). ولا تُعتَبر هذه السيمات مُكتسبةً إلاّ إذا أرجعناها إلى خطابات خاصَّة. ومن شأن تواترها أن يؤدِّي إلى إدراجها في المَفهَم، وحينئذ ننتقلُ من الاستخدامات إلى الاستعمالات، لنُكرِّر الصيغة التي استخدمها كاديو ونيمو.

يستندُ الانتقال من الاستخدامات إلى الاستعمالات على مقاربة اسميّة الاشتقاق بحصر المعنى. ولكي يَقعَ التغيُّر المرجعيّ، ينبغي أن تقومَ علاقة قَبْليّة بين الاسم وطبقة أغراض معيَّنة. والحال أنه ليس من

اليسير علينا دائماً أن نفصلَ هذه العلاقة الأولية. فما من شيء يُدعى في اللُّغة الفرنسيّة (bitoniau) = غَرَض فلانيّ. ولكنَّنا نقعُ في المقابل على العديد من الأشياء التي تُسمَّى (boîte) = علبة، ممّا يحول دون قدرتنا على احتوائها في عبارة عامَّة. ويتحرَّر البحث عن «النموذج الذهنيّ المَرن» الذي يجعَل تعدُّديّة المعاني شموليّةً، من الضغوطات اللُّغويّة، الأمر الذي يطرحُ إشكاليّةً. فهل ينبغي أن نبحَثَ عن عبارة سحريّة تتضمَّن أسماء الأغراض والأماكن وأجزاء الحمض النوويّ (فهل متتالياتُ الحمض النووي هي حيّة؟). أوَلا تسمح التعابير الجامدة والاستعارات والاختلافات التوزيعيّة بفَرزِ الدلالات؟ فمع أيّ حقيقة لغويّة ـ اجتماعيّة يُمكن أن تتطابق الصيغة التي تربِط في اللُّغة الفرنسيّة بين العبارات التالية: (boîte aux lettres) = صندوق البريد و(boîte de conserves) = علبة الطعام المحفوظ و(boîte à musique) = الصندوق الموسيقيّ و(sortir en boîte) = خَرَجَ إلى علبة اللَّيل و(mettre en boîte) = عــلَّــبَ و(aller à la boîte = au bureau) = ذهَبَ إلى المكتب؟ وباختصار، إن كان من المحمود أن نعيد الممارسة التطبيقيّة الخاصَّة بالمتكلِّمين إلى مكانها الصحيح، فحريّ بنا أيضاً على الأرجح أن نكرِّسَ مكاناً للشعور اللُّغويّ لدى هؤلاء المتكلِّمين.

قد يكون هذا الشعور غير مكتمل: لا يُدرك كلّ شخص بالضرورة علاقة المُلازَمة التي تربط اسم مفتاح سلَّم دو (clé d'ut) بالعبارة الفرنسيّة (à la clé) = معاً. ومن الممكن طبعاً أن يُصار إلى تلقين معجم مفردات اللُّغة. ولكن في حال كان علينا أن نُعلِمَ المتكلِّمين ببعض المسائل، فلا نقوم بذلك طبعاً من خلال حملهم على وضع مفاتيح «صول» الموسيقيّة(*)... في مفاتيح الإشعال.

(*) النغمة الخامسة في سلَّم دو.

ونستنتِج من هنا أنَّ مفاتيح اليوم تُقدِّم صفات مشتركةً، ولكن ليس كلّها، فالعبارتَان الفرنسيَّتَان (clé des champs) = الهروب و(clé de fa) = مفتاح فا(*) الموسيقيّ لا تُعدَّان مثلاً في عداد الحزمة الدلاليّة نفسها. وبغية جعل التصانيف الواجب إنجازها واضحةً، في حال كنَّا نراعي عقل القارئ، علينا أن نلجأ إلى تحليل وصفيّ للنصوص أو إلى مسح من شأنه أن يوجِّه المقابلات الواجِب القيام بها. والجدير بالملاحظة أنَّ الأعمال التي أنجزها روبير مارتن (Martin 1990) حول التعريف الطبيعيّ لم تلقَ متابعةً جديَّةً. وإنْ تنبَّهنا لضعف تطوُّر المقاربة اللُّغويّة ـ الاجتماعيّة حول علم الدلالة، يُستحسن بنا أن نلجأ، لعدم توافُر ما هو أفضل، إلى الأدوات العملانيّة الخاصَّة بالنماذِج الدلاليّة التي تكون في التداوُل ـ ولاسيما علم الدلالة التأويليّ التفاضُليّ ـ لكي ندرس الخطابات، علماً بأنَّه مازال من الواجِب إجراء دراسة حول الشعور اللُّغويّ واللُّغويّ التقعيديّ.

من الأسهل علينا نسبيّاً أن نتصوَّر إجراء مثل هذه الدراسة حول معاجم مفردات اللُّغة المتخصِّصة، لأنها وإنْ كانت تُلزم باكتساب ثقافة معيَّنة في الميدان، إلاّ أنَّها تعني مجموعةً من المتكلِّمين يُمكن تحديدها بسهولة أكبر. ولهذا السبب، إنَّه لمن المُثير للاهتمام أن نرى إلى أيّ مدى تخضع الاستراتيجيّات الاسميّة الاشتقاق المُطبَّقة للنموذج الذي تحدَّث عنه كاديو ونيمو. وتُظهر الأمثلة القليلة التي استشهدنا بها أنّ المسألة قد تتعلَّق بعمليّاتِ تخصُّص للمعنى الشائِع (على غرار الكلمات الفرنسيّة التالية: (aberration) = زَيْغ و(absorption) = امتصاص و(analyse) = تحليل، والتي يكون من الصَّعب التفكُّر فيها بمقتضى الخصائص الذاتيّة والعارضة، بسبب الطابع المجرَّد الذي تتَّسِم به هذه المصطلحات موضوع البحث. أمّا

(*) النغمة الرابعة من السلَّم الموسيقيّ.

بالنِّسبة إلى البُنية المؤلَّفة من علاقات والتي تُعلِّل التسمية الجَبْريّة (anneau) = حَلقَة، فهي ترتكِز أسوةً بالتسميات الأخرى على شكل الحلقة. وفي المقابل، يرتكِزُ اسم المركَّبات الكيميائيّة المسمّاة (aromatiques) = عِطريّة على الخاصيّة المرتبطة بعلاقتنا بعناصر من نمط الفانيللين (vanilline) والتي تملك عطراً تسهُل معرفته. ولكن، قد يُمسي دور الخصائص العارِضَة التي تحتلُّ في نموذج كاديو ونيمو مكاناً مركزيّاً، دوراً ثانويّاً في طريقة عمل أسماء التصوُّرات الذهنية المجردة. وهكذا، لقد رأينا أنَّ الفِتنة والغرابة(*) تملكان بالنسبة إلى علماء الفيزياء الذين يدرسون الجزئيّات رابِطاً مع الصفات التي تُسمَّى هكذا عادةً، بيد أنّ فائِدة هذا الرابط هامشيّة للغاية في ما يتعلَّق بالخصائص الفيزيائية.

في نهاية هذا البحث، يُمكننا أن نَخلُصَ إلى أنَّنا نؤلِّف في الخطابات التخصُّصيّة مراجع تربِطنا بها علاقاتٌ تطبيقيّةٌ مشتركةٌ. أمّا في إطار التجربة التطبيقيّة المشتركة، فتتشاطر المجموعة نفسها علاقةً متجانِسةً مع المراجع التي تؤلِّفها، فمثلاً: لا يكون السرير، من وجهة نظر العاملين في قِطاع الصحَّة العامَّة، مجرَّد قطعة أثاث. ونظراً لكون اللُّغة تُمثِّل المكان الذي تتعايش فيه تجارب متنوِّعة، فإنّ المراجع تُحيلنا إلى صلات عمليّة متباعدة، وعليه: نجد على سبيل المثال في العبارتَين الفرنسيَّتَين (second lit) = الزواج الثاني و(lit de mort) = فِراش الموت صِلات مختلفة مع السرير. ولا بدّ من وصف هذه الاستخدامات المتنوِّعة، وهنا يكمن دور المعجميِّين. ويعتمِدُ هؤلاء، بغية ضمان مقروئيّة مؤلَّفاتهم، استراتيجيّةً ملائِمةً مع وجهة النظر السيكو ـ لغوية. ومن الممكن بطبيعة الحال أن يُصار، بفعل

(*) تُعرَف باللُّغة الفرنسية باسم (étrangeté)، وهي خاصيّة تُميِّز الكواركات والهَدرونات.

تأثير الارتداد، إلى تطبيق النظريّة السيكولوجيّة للدلالة على عمليّة وضع تعريفات المعاجِم التي تهدِفُ إلى التذكير بالنماذج البَدْئيّة. ويكمنُ جزئيّاً نجاح نظريّة النموذج البَدْئيّ في تأثير الاستداريّة هذا. كما تعزِّزه السهولة التي يُمثِّلها البحث في مثل هذه المؤلَّفات، وهكذا: نخال أننا نعمَل على معالجة الدلالات والواقع أنَّنا لا نُعالج إلاّ التعريفات. وبغية التخفيف من وطأة التأثير الذي تُحدِثه هذه الاستراتيجية، ينبغي أن نعمدَ على الأقلّ إلى كشف النقاب عن وجود اختلافات بين تعريفات مُطبَّقة تِبعاً لوجهات نظر متباعدة.

وعليه، يعمَد المؤلِّفان بحقّ إلى إبعاد ظواهر النموذجيّة البَدْئيّة. ولكن يبقى أن عمليّتَي تداوُل التسميات وإقامة علاقات تربطها بمراجع مُنشأة ذات طبيعة غير متجانسة، تؤدِّيان إلى إنتاج كلمات متعدِّدة الدلالة متنوِّعة للغاية. ويكون من المُغري أن نسعى إلى عرضها على نحو شامل. وهذا ما يرمي إليه المؤلِّفان. بيد أنّ قدرة نموذجهما التفسيريّ تهمل طوارئ التاريخ التي تؤدِّي إلى حدوث تغيُّرات في المجموعات الاتِّصاليّة الدلاليّة والتي يُكبُّ بعض اللُّغويين، وبخاصَّة جاكلين بيكوش (Jacqueline Picoche)، على وصفها.

إذا كان صحيحاً أنّ بعض الكلمات المتعدِّدة الدلالة ترسم نماذج بَدْئيّةً جذّابة، فثمَّة حالاتٌ حيث «غياب الاستعمالات الانتقاليّة والاستعارة القاعديّة» (Picoche 1993: 104) يجبرنا على التخلي عن المقاربة الشاملة، أي المدلول النافذ أو النموذَج الذهنيّ المَرِن. وتندرجُ عمليّات المَفهَمة التي تقوم بها الخطابات العلميّة في عداد عوامل الفَصم هذه. ولهذا السبب، نعتقِد أنَّه ينبغي إغناء تحليل الدلالات بتحليل يتناول الدلالات المُنشأة في إطار تنوُّع الخطابات، لأنَّ رسوخ الدلالات يتوطَّد في عوالـمَ خطابيّة خاصَّة. ولا تكون تعدُّديّة المعاني الناتِجة سوى حصيلة كفاءات متنوِّعة يتمّ اكتسابها في

مقامات تأويليّة مختلفة. وتستجيبُ نَمذَجَة المعاني الفريدة للشعور اللُّغويّ، كما إنَّها تسمحُ في حالة المورفيمات النَّحويّة[*] بإبراز طريقة عملها النظامية (Vittorri et Fuchs 1996). ولكنَّ تطبيقها على الأسماء الحسيَّة يُعرِّض المحلِّل في أغلب الأحيان لخطر مُخالفة المعطيات الوظيفيّة وإعداد نموذج نافذ للغاية. نتفهَّم الرغبة في إيجاد عناصر معرفيّة ثابتة يلوح طيفها خلف تنوُّع الدلالات، بيد أنَّ الواقع اللغويّ الذي تتمتَّع بها عبارات مجرَّدة من النمط التالي: «يحتوي العنصر الأوَّل «أ» على العنصر الثاني «ب» لإنتاج/ أو للتزويد بالعنصر الثالث «ج» (Cadiot 1997)، حيث يَسِمُ العنصر الأوَّل «أ» مكان العلبة (= boîte)، قد تُبقينا تشكيكيِّين، إذ: تَجهَدُ مثل هذه العبارة لاحتواء استخدامات الاسم كافَّةً بشكل مُرض وقد نخشى أن تتوافق مع كلمات أخرى متعدِّدة المعاني. أمّا بالنسبة إلى الحلّ المتمثِّل بِـ «النموذج الذِّهنيّ» والذي هو عبارةٌ عن «ملخَّص يُنَمِّطُ الخصائص المنسوبة إلى المرجع»، فهو لا يمكن أن يخضَع لضغوطات التحقق. ولربَّما يُمهِّدُ الطريق لعلم أنماط الأمور الخياليّة. . . إلخ.

الشكر

يتقدَّم المؤلِّف بالشُّكر الجزيل من إيف غامبييه (Yves Gambier) وفرانسوا راستييه لأنَّهما تكبَّدا عناء مراجعة هذه المقالة بتأنّ وانتباه.

(*) تُعرَف التراكيب النحوية في اللُّغة الفرنسيّة باسم (grammèmes)، وهي نقيضة المورفيمات المعجميّة التي تُعرَف باسم = (léxèmes) وحدات معجميّة صُغرى. وتكون المورفيمات النحوية إمّا متَّصلة، كما في المثلَين التاليَين: لاستقرار وبَيْحكوميّ؛ أو منفصلة، وتضمّ حروف الجرّ وأدوات التعريف، فضلاً عن بعض الظروف، على غرار: حرف الجرّ «في».

المراجع

Books

Boisson, Claude et Philippe Thoiron. *Autour de la dénomination*. Lyon: Presses universitaires de Lyon, 1997.

Cadiot, Pierre. *Les Prépositions abstraites en français*. Paris: Armand Colin, 1997.

La Définition. Paris: Larousse, 1990. (Langue et langage)

Jacques, Francis. *L'Espace logique de l'interlocution: Dialogiques II*. Paris: P. U. F, 1985.

Lafont, Robert. *Le Travail et la langue*. Paris: Flammarion, 1978.

Nouveau Petit Robert. Paris: Dictionnaries Le Robert, 1993.

Picoche, Jacqueline. *Didactique du vocabulaire français*. Paris: Nathan, 1993.

Putnam, Hilary. *Représentation et réalité*. Paris: Gallimard, 1990. (NRF Essais)

Rastier, François. *Sémantique et recherches cognitives*. Paris: P. U. F., 1991. (Formes sémiotiques)

———. *Sémantique interprétative*. Paris: P. U. F., 1987. (Formes sémiotiques)

Salem, Lionel. *Le Dictionnaire des sciences*. Paris: Hachette, 1990.

Vittori, Bernard et Catherine Fuchs. *La Polysémie, construction dynamique du sens*. Paris: Hermès, 1996. (Langue, raisonnement, calcul)

Periodicals

Cadiot, Pierre et François Nemo. «Pour une sémiogenèse du nom.» *Langue française*: no. 113, 1997.

————. «Propriétés extrinsèques en sémantique lexicale.» *French Language Studies*: no. 7, 1997.

Condamines, Anne et Josette Rebeyrolle. «Point de vue en langue spécialisée.» *Meta*: vol. 42, no. 1, 1997.

Gaudin, François. «Dire les sciences et décrire les sens: Entre vulgarisation et lexicographie, le cas des dictionnaires de sciences.» *Traduction terminologie rédaction*: vol. 8, no. 2, 1995.

Kleiber, Georges. «Dénomination et relations dénominatives.» *Langages*: no. 76, 1984.

————. «Sens, référence et existence: Que faire de l'extra-linguistique?.» *Langages*: no. 127, 1997.

Lafont, Robert. «La Démarche pragmatique: De Quatre concepts absents.» *Cahiers de praxématique*: no. 10, 1988.

Tracy, Leland. «La Clé du mystère: Mettre le référent à sa place.» *Langue française*: no. 113, 1997.

Conferences

Terminologie et interdisciplinarité: Actes du colloque organisé en avril 1996 par le centre de terminologie de Bruxelles (Institut Libre Marie Haps) et l'association européenne des professeurs de langues vivantes (AEPLV). Louvain-la-Neuve: Peeters, 1997.

Thesis

Gaudin, François. «Une Approche sociolinguistique de la terminologie.» (Mémoire pour l'habilitation, URA CNRS 1164, université de Rouen, 1996).

Documents

Gaudin, François. «Le Lecteur de vulgarisation: Un Profane ou un prochain. *L'Autre en discours*.» (Dyalang et Praxilling. Service des publications, université Montpellier III).

الميدان

برونو دو بيسيه[1]

1 ـ ما هو الميدان؟

يتكوَّن كلُّ قسم مؤلِّف لنظام تصوُّريّ معيَّن من أربعة عناصر، هي: **المصطلح والتصوُّر والميدان والتعريف.** يهتمُّ علم المصطلحات بالمصطلح الذي يعتبره بمثابة العنصر المركزيّ. بيد أنَّ العناصر الأخرى ضروريّةٌ لوجود المصطلح. يترتَّب على شكل لغويّ ما، لكي يُعترَف بوجوده كمصطلح، أن يشير إلى تصوُّر ينتمي إلى ميدان معيَّن وأن يتمّ تحديده بواسطة تعريف. ويُمثِّل المَيدان أحد العناصر الثلاثة التي يتألَّف منها المنصب الثلاثي القوائم الذي يرتكزُ عليه المصطلح (باعتبار أنَّ العنصرَين الآخرَين هما التصوُّر والتعريف).

1.1 ـ الميدان عنصرٌ مكوِّنٌ للتصوُّر

مجموعة التصوُّر ـ التعريف ناقصة، وهي تعطي انطباعاً بأنَّها لا ترتكز على أُسس متينة، وإضافة عنصر ثالث إليها ضروريّ لإعطائها

(1) مختبر علم المصطلحات، مدرسة الترجمة الكتابيّة والفورية، في جامعة جنيف (Université de Genève).

قاعدة مرضية ومقبولة. ينتمي التصوُّر، وتعريفه (ومصطلحه) إلزاميّاً إلى ميدان معيَّن. يشكّل الميدان جزءاً من المعلومات عن التصوُّر، أسوةً بالتعريف وبالعلاقات التي تربطه بالتصوُّرات الأخرى. يسمح الميدان بتعيين النِّظام التصوُّريّ الذي ينتمي إليه التصوُّر. كما إنَّ الانتماء إلى ميدان ما هو الذي يسمح بوجه خاصّ بتمييز المصطلح عن الكلمة. ونتمكَّن في أغلب الأحيان من التمييز بين المصطلحات المُجانِسة بفضل الميدان أيضاً.

2.1 ـ الميدان مرتبط بالتعريف

تجمع روابط وثيقة بين التصوُّر والتعريف والميدان. يشير الميدان إلى انتماء التصوُّر (ومعه المصطلح الذي يدلُّ عليه) إلى نِظام تصوُّريّ، بينما يُستخدَم التعريف للتفريق بين التصوُّرات داخل هذا النظام. مع ذلك، هناك عدد كبير من المعاجم يعتبرُ أن التعريف وعمليّة تمييز الميدان يشكِّلان وحدةً متكاملةً، أي كلاًّ لا تُفصَمُ عُراه. ولهذا السبب، تأتي التعريفات المصطلحيّة التطبيقيّة مصحوبةً بعلامة دالَّة على الميدان، وبالتالي لا يستطيع التعريف أن يُحيلَ إلاَّ إلى ميدان محدَّد، وبالتالي أن يكون مختصّاً بقدر ما يستوجبه الميدان. وهكذا، يتمُّ وصف التصوُّر تِبعاً للميدان. وعليه، يدلُّ الميدان على وجهة النَّظر المُعتمَدة من أجل تحديد التصوُّر ووصفه، كما إنّه يُعيِّن إطار التعريف الذي يتمّ التعبير عنه وفقاً للميدان دائِماً.

3.1 ـ الميدان بَنْينةٌ للمعارف

تُشكِّل مجموعةٌ من التصوُّرات المرتبطة في ما بينها نِظاماً من المعارف. ويُمثِّل الميدان نظاماً معرفيّاً، أي تنظيماً تصوُّريّاً. كما يُشكِّل الميدان الطريقة الوحيدة لتعيين نوع البُنية المعرفيّة أو البُنية التصوُّريّة أو النِّظام التصوُّريّ، وتحديدها وتسميتها.

4.1 ـ يُشكِّل الميدان مجموعةً منظَّمةً من التصوُّرات

يتكوَّن الميدان عن طريق تصنيف تصوُّرات متواقفة(*) ومترابطة في ما بينها. يؤدِّي الميدان بدرجته الدنيا دور «المصطلح الشامل الأعلى»، إذ من الممكن أن نعتبر الميدان بمثابة طبقة، أي «مجموعة من مواضيع المعرفة التي تتشاطر خصائص مشتركةً». ويسمح الميدان بجمع التصوُّرات وتنظيمها وبإنشاء أنظمة معرفيّة.

2 ـ طبيعة الميادين

تنقسم المعارف إلى ميادين مختلفة قد يتبدَّل عددها تبدُّلاً ملموساً تِبعاً للتصانيف المُقترحَة ولوجهات النظر المُعتمَدة وللممارسات المُطبَّقة. ومن الممكن أن يكون الميدان ميدان معرفة أو ميدان نشاط أو ميدان خطاب.

1.2 ـ ميدان معرفة

> المعرفة هي ما يُمكننا التحدُّث عنه في ممارسة خطابيّة تكون مُحدَّدة بدقَّة انطلاقاً من هنا [...]؛ والمعرفة هي أيضاً الحيِّز الذي يستطيع الشَّخص أن يتَّخذ فيه مكاناً للتحدُّث عن المواضيع التي يعالجها في خطابه [...]؛ والمعرفة هي أيضاً حقلٌ تنشأ فيه علاقات التناسق والتبعيّة بين العبارات التي تظهر فيها التصوُّرات وتُعرَّف وتُطبَّق وتتحوَّل [...]؛ وأخيراً، يتمّ تعريف المعرفة عبر إمكانيّات الاستعمال والامتلاك التي يُقدِّمها الخطاب (Michel Foucault 1966).

(*) أي يتوقَّف أو يعتمِد بعضها على بعضها الآخر (interdépendants).

إنّ ميدان المعرفة عبارة عن معرفة منظَّمة ومحدَّدة البُنية ومُمَنْهَجة تبعاً لمضمونيّة معيَّنة. وإن العلوم النظريّة والعلوم الصارمة(*) والعلوم غير الصارمة(**) والتقنيات والأنظمة التصوُّرية المنوطة بخطاب معيَّن، تُشكِّل كلّها ميادين معرفة.

تندرج الميادين التالية في عداد ميادين المعرفة: الرياضيّات وعلم الفيزياء وعلم الحيوان وعلم النبات وعلم الاقتصاد والألسنيّة وعلم الميكانيكا والنجادة والحقوق والفلسفة. فضلاً عن أنَّ كلاًّ من قائمة المصطلحات أو معجَم مفردات اللُّغة أو ثبت المصطلحات أو الثبت التعريفيّ، سواء كان يتمحور حول الخليّة أو القلب أو الدرّاجة أو الحاسوب أو المُكَرْبِن أو لوح الركمجة أو الاعتماد المستنديّ، يشكِّل وصفاً لميدان معرفة معيَّن.

2.2 ـ ميدان نشاط

يسمح ميدان النشاط بتعيين نوع حقل الفعل أو مجموعة أفعال متناسِقة أو نشاط منتظم أو ممارسة. فهو يتطابق مع نشاط بشريّ أو اجتماعيّ أو اقتصاديّ أو صناعيّ. كما إنّه يتألَّف من مجموعة طرائق محدَّدة بدقَّة ومُعَدّة لإحراز بعض النتائج. وتكون النشاطات المصطلحيّة التطبيقيّة التي تقوم بها المؤسّسات موجَّهةً ومحدَّدةً وفقاً لتطبيق عمليّ (praxis) معيَّن، أي وفقاً لنشاط مُعَدٍّ لإحراز نتيجة معيَّنة.

فمثلاً، لقد صُمِّمَت المنتجات المصطلحيّة التطبيقيّة التالية تبعاً لحاجة خاصَّة، كما إنّها تتطابق مع ميدان استعمال معيَّن، أي مع

(*) تُصنَّف غالباً العلوم الطبيعيّة وعلم الفيزياء في خانة العلوم الصارِمة (sciences dures).

(**) يُطلَق غالباً على العلوم الاجتماعيّة اسم العلوم غير الصارمة (sciences molles) أو بشكل ألطف العلوم السهلة (sciences douces).

نشاط محدَّد، ألا وهي: المعاهدات الأوروبيّة (traités européens) والوثيقة الأوروبيّة الموحَّدة (acte unique européen).

3.2 ـ ميدان خطاب

لا تزوِّدُ المعجميّة عادةً بأيّ علامة دالَّة على الميدان. وحين يُصار إلى ذكر الميدان، فهو غالباً ما يُعتبَر بمثابة علامة الاستعمال. تسمح هذه العلامة بتصنيف التعريفات المطابقة لمختلف مفاهيم الكلمة. تتَّسم عموماً العلامة الدالَّة على الميدان التي يُزوِّدنا بها المعجميّون بطابع اجتماعيّ ثقافيّ. فهي تُصوِّر الكلمة من وجهة نظر اجتماعيّة ومهنيّة. ولكن غالباً ما تملك العلامة الدالَّة على الميدان قيمةً اجتماعيّة ـ لغويّة تُميِّز نمط كلّ من الخطاب وفعل القول والتواصل. وأحياناً، لا يكون الاختلاف القائم بين ميدان الاستخدام، المنوط بالتقطيع الموضوعاتيّ، وهذا الاستخدام نفسه المنوط بتداوليّة التواصل، سوى اختلاف بسيط لدرجة أنَّ مستخدم معجم اللُّغة يمزج بين نمطي العلامات هذين.

ليس من السَّهل دائماً تفريق العلامات الاجتماعيّة ـ الثقافيّة عن العلامات الاجتماعية ـ المهنيّة. وهكذا، نُسجِّل لدى نيكو (Nicot)، كما لدى فوريتيير (Furetière)، جملاً من النمط التالي: «إنَّ هذه الكلمة متُداوَلةٌ في ميدان الهندسة المعماريّة» فضلاً عن جُمَل من النمط التالي: «إنَّ هذه الكلمة يتداولها المهندسون المعماريّون». وهكذا، نجد أنَّ الميادين المرجعيّة وسجلّات الاستعمال قد وُضِعت على المستوى نفسه، الأمر الذي يخلِقُ إبهاماً بين العلامة المصطلحيّة الدالَّة على الميدان والعلامة التداوليّة التواصليّة الدالَّة على الخطاب.

لا جَرَمَ أنَّ فائدة التمييز الاجتماعيّ والمقاميّ والاجتماعي ـ المهني جليّة، ولاسيما من وجهة نظر الدراسة الاجتماعيّة ـ اللُّغويّة التي تتمحور حول عالم الأعمال. ولكن لابدّ من التفريق بين التمييز

الاجتماعيّ ـ اللُّغويّ والتمييز الموضوعاتيّ والمَعرفيّ والتصوُّريّ والمصطلحيّ. إنَّ الإبهام القائم بين الميدان الموضوعاتي والتمييز الاجتماعيّ ـ اللُّغويّ يعكس اللَّبْس القائم بين الأشياء (التصوُّرات والمصطلحات) والكلمات. وفي ما يتعلَّق بعلم المصطلحات، وكذلك بعلم المصطلحات التطبيقيّ، من المناسِب أن نؤثر عمليّة تخصيص الميدان (سواء ميدان المعرفة أو الاستعمال) على عمليّة تصنيف الخطابات وأن نُعطيها الأولويّة المُطلقة.

3 ـ مميِّزات الميادين

3 . 1 ـ تعدُّديّة الميادين

تُقسِّم التصانيف عالم المعارف إلى ميادين بغية السيطرة عليها والتحكُّم بها. كما إنَّها تُجزِّئ المعارف والممارسات إلى عدد لامتناهٍ من الأجزاء التي لا تنفكُّ تتكاثر وتتضاعف إلى ما لانهاية له، أسوةً برؤوس أفعى العُدار[*].

في «التصنيف العشريّ العالميّ» (classification décimale universelle CDU)، تتوزَّع المعارف البشريّة على عشر طبقات، وكلّ طبقة من هذه الطبقات الكبرى تُقسَّم بدورها إلى عشرة فروع، يُقسَّم كلٌّ منها بدوره إلى عشرة تفريعات، وهكذا دواليك. يُجزَّأ العالم المعرفيّ بهذه الطريقة إلى 130 ألف عنوان. أمّا التصنيف المُعتمَد في مكتبة الكونغرس في الولايات المتَّحدة الأميركيّة، فهو يُقسِّم العالم إلى 29 طبقة ويقترِحُ 30 ألف ميدان. في حين أنَّ معجم (*Thésaurus Larousse*) منظَّمٌ تِبعاً لتصميم مؤلَّف من ثلاثة أقسام. ويُقسَّم كلُّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة (وهي:

(*) أفعوان خرافي ذو تسعةِ رؤوس قتله هرقل (Hercule)، فكان كلَّما قطعَ رأساً من رؤوسه هذه نبتَ محلَّه رأسان جديدان.

العالم والإنسان والمجتمع) بدوره إلى أجزاء فرعيّة رديفة. وتتألَّف التشعُّبات الطَّرَفيّة لهذا التصنيف الشَّجَريّ من 873 مدخَلاً.

3 . 2 ـ تداخل الميادين

يتقاطعُ عددٌ كبيرٌ من الميادين. ومن الصَّعب غالباً تعيين حدود ميدان معيَّن بالنسبة إلى ميدان آخر ووضع حواجز فاصِلة يتعذَّر عبورها بين هذَين الميدانَين. و«لا ينبغي أن نطمحَ إلى إنشاء تصانيف دقيقة وصارمة، فالفئات المتجاورة تتداخل في كل مكان» (Brunot 1926). وبعض الميادين تتصف بتداخل العلوم أو بتعددها. وهكذا مثلاً، تستدعي العِدانة علومَ الفيزياء والكيمياء والميكانيكا. ولا يُسهِّل الطابع المتقاطِع المشترك الذي يتَّصف به ميدان ما، على غرار البيئة، عمليّةَ تعيين حدوده.

نقرأ في مقدِّمة **معجم مفردات حريّة المُبادلة التجاريّة** (*Vocabulaire du libre-échange* 1991) الإيضاحات اللاّزمة كافَّةً بشأن الميادين التي يُغطيها هذا المؤلَّف، كالآتي:

> ستجدون [. . .] في المنشور الذي بين أيديكم المصطلحات التجاريّة والاقتصاديّة المُستعملة في اتِّفاقيّة [حريّة المُبادلة التجاريّة] نفسها، فضلاً عن تلك التي استخدمت لوصفها. وتمسُّ حرية المُبادلة التجاريّة ميادين عديدة، نذكر منها: الملكيّة الفكرية والاتصالات عن بُعد والجُمرك والإعانات الماليّة والاستثمارات والخدمات والعمل والضرائب والزراعة والهجرة وفضّ النزاعات والأسواق العامَّة والمقاييس التقنيّة. وبما أنَّ اتِّفاقيّة حريّة المُبادلة التجاريّة تراعي المبادئ المنصوص عليها في الاتِّفاقيّة العامّة للتعرفة الجُمركيّة والتجارة (general agreement on tariffs and trade GATT) وتقتَبِس عنها

مجموعة مصطلحاتها بشكل أساسيّ، فلقد ارتأينا من المناسب أن نُضيفَ المصطلحات التي يَرِد ذكرها في وثائق العمل حول الاستثمارات والملكيّة الفِكريّة وفضّ النزاعات، والتي تمّ تحريرها في إطار المُفاوضات المتعدِّدة الأطراف في دورة أوروغواي (Uruguay round). فضلاً عن ذلك، بما أنَّ أوروبا عام 1992 والمسار العامّ لتحرير التبادلات يُشكِّلان مشروعَين لا يُمكن فصلهما تقريباً، فلقد ارتأينا من الملائم أن نُضيفَ المصطلحات التي تختصُّ صراحةً بالسوق الأوروبيّة المُشتركة (communauté économique européenne)، بالإضافة إلى بعض الصيغ الشائعة الاستعمال، التي قد تطرح إشكاليّات ترجميّة. تشتملُ اتِّفاقيّة حريّة المبادلة التجاريّة على تسميات رسميّة جمّة. ولقد أبقَينا [. . .] على تلك التي تشير إلى أجهزة وقوانين ومستندات خاصّة بدولة كندا. [. . .] أخيراً، وبهدف تسهيل البحث، أوردنا البدائل كلّها، سواء الرسميّة منها أو غير الرسميّة. . . الخاصّة بالتسميات المذكورة.

3.3 ـ الميدان وجهة نظر

تلبِّي التصانيف الحاجة إلى تنظيم المعارف. بيد أنَّ التنظيم الذي يتمّ إنشاؤه على هذا المنوال، غالباً ما يكون نسبيّاً واعتباطيّاً وذاتيّاً، فهو يعكِسُ تأويلاً للواقع. وأسوةً بالتصوُّرات، أو تصنيف التصوُّرات في مجموعات، تُعبِّر الميادين عن حضارة معيَّنة وثقافة معيَّنة وإيديولوجيّة معيَّنة. تعكسُ الأنظمة المعرفيّة تنظيم معارف مجموعة معيَّنة من الاختصاصيِّين في هذا النظام أو ذاك، في فترة معيَّنة وفي منطقة جغرافيّة محدَّدة. ولا تنفكُّ بَنْيَة المعارف تتبدَّلُ.

يتمّ تعيين حدود الميادين تبعاً لرؤى المعارف وللممارسات الاجتماعيّة ولحاجات المستخدمين. وثمّة طرق جمَّة لتقطيع المعارف والنشاطات التي تتطابق مع عدَّة وجهات نظر. لا وجود للميادين في ذاتها، إذ يتمُّ تحديدها من وجهة نظر الباحث أو المهندس أو التقنيّ أو الهاوي أو العالم بالقانون المدنيّ أو العالم بالقانون الجزائيّ أو اليونغيّ(*) أو الفُرويديّ(**) . . . إلخ. وعليه، يتمّ تحديد نطاق الحيِّز التصوُّريّ تبعاً لمنظور محدَّد أو وجهة نظر محدَّدة أو خطٍّ إرشاد معيَّن.

4 ـ أنماط الميادين

1.4 ـ ميادين مصطلحيّة

بالقياس إلى «التعريف المصطلحيّ»، يمكننا أن نتحدَّث عن «الميدان المصطلحيّ» للإشارة إلى الميادين المُنشأة «قَبْليّاً» على يد العلماء الاختصاصيِّين ورجال القانون بوجه خاصّ. وإنَّ الأنظمة التصوُّريّة الناتجة عن عمليّات تنظيم المعارف وإعداد الأنظمة المعرفيّة وإنشاء النظريّات وتشكيل المعارف وضبطها، تُعَدُّ كلُّها في عداد الميادين المصطلحيّة.

المنهج العلميّ من حيث جوهره تصنيفيٌّ، وهكذا مثلاً، يعمدُ علم الحيوان إلى تصنيف الحيوانات في فصائل وأصناف وأجناس وفقاً للمبادئ التالية: لا يمكن للفرد أن ينتمي إلى أكثر من طائفة واحدة، ولا ينبغي أن تبقى أيّ طائفة فارغة، يُفترض بالأفراد كلِّهم أن يجدوا لأنفسهم مكاناً في طائفة معيَّنة. وتقترح الصِّنافات ترتيباً تُنظَّم داخله الأفراد والأغراض.

(*) نسبةً إلى عالم النفس كارل غوستاف يونغ (Carl Gustav Jung).

(**) نسبةً إلى عالم النفس سيغموند فرويد (Sigmund Freud).

إنْ وَضَعْنا الصِّنافات جانباً، لم تَعد التصانيف العلميّة تنزعُ إلى أن تكون وسيلة التعبير المُفضَّلة عن العلوم، بل بالأحرى صورتها وانعكاسها.

4 . 2 ـ ميادين وثائقيَّة

تُعدُّ التصانيف الوَثائقيّة بمثابة أدوات التحليل المُعدَّة على وجه التخصيص لمعالجة المعلومة أو بشكل أدقّ لتأمين الرابط بين المعلومة التي تتضمنها الوثائق وبين المستخدمين ولتسهيل البحث عن الوثائق. وهي تَمثُلُ على شكل لغات يتمّ إنشاؤها تبعاً لقصديّة معيَّنة وتكون بُنيتها متغيِّرة. ونُميِّز بين اللُّغات التالية:

4 . 2 . 1 ـ اللُّغات ذات البُنية التراتبيّة أو الشَّجَريّة

قد تكون هذه اللُّغات إمّا **موسوعيّةً**، حين تتصدَّى لميادين المعرفة قاطبةً، على غرار «التصنيف العشريّ العالميّ» (classification décimale universelle، (CDU) أو التصنيف الذي تتَّبعه مكتبة الكونغرس في الولايات المتَّحِدة الأميركيّة، أو **متخصِّصةً**، حين تُعالج ميداناً محدوداً، أو متعدِّدة الجوانب، حين تسمحُ بتصنيف الميادين تبعاً لوجهات نظر مختلفة.

4 . 2 . 2 ـ اللُّغات ذات البُنية التركيبية

تتألَّف هذه اللُّغات من كلمات مفاتيح أو واصفات مجمَّعة على شكل مَكْنَز. والمَكْنَز عبارة عن لائحة كلمات أو تعابير مأخوذة من اللُّغة الطبيعيّة ومصنَّفة طبقاً لتشابهات دلاليّة، كما إنّها تكون مصحوبة بعلامات علائقيّة. وتكون هذه اللائحة منظَّمة تنظيماً تصوُّريّاً ومُمَقيَساً. ويُفترَض بهذه الكلمات أو مجموعات الكلمات أن تُقدِّمَ، بعيداً عن أيِّ لبس، المفاهيم المُشتملة في الوثائق وفي طلبات استعلام الأبحاث الوثائقيّة.

اللُّغة الوثائقيّة عبارةٌ عن لغة اصطناعيّة مؤلَّفة من تمثيلات المفاهيم والعلاقات بين المفاهيم، كما إنّها تكون معدّة، في إطار نظام وثائقيّ، إلى تقعيد استنباط المعطيات المُشتملة في الوثائق وفي طلبات استعلام المستخدمين. حتى وإنْ كانت اللُّغات المُستعمَلة اليوم في ميدان التوثيق تتألَّف كلّها عمليّاً من عناصر معجميّة مأخوذة من اللُّغة الشائعة، أي الطبيعيّة، إلاّ أنَّها لا تعدو كونها لغات مركَّبة واصطناعيّة ومُراقبة ومحدودة للغاية.

3.4 ـ ميادين دلاليّة

من الممكن أيضاً أن يتمّ تصنيف التصوُّرات تبعاً للطبقات التصوُّريّة. تفترضُ هذه الطبقات «العليا» وجود عناصر «أوَّليّة»، أو بالأحرى «كليّات»، غير قابلة للتحديد تقريباً والتسليم بها، فضلاً عن إنشاءِ واستعمال دليل (عالميّ) بالعناصر الدلاليّة، من مثل: وجود (existence) وعلاقة (relation) وعلَّة (cause) وترتيب (ordre) وكميّة (quantité) وعدد (nombre)... إلخ. وهكذا، يشتمل الفضاء (espace) في معجم (*Thésaurus Larousse*) على الفئات الدلاليّة التالية: بُعد (dimension) ونطاق (contour) وشكل (forme) وبُنية (structure) وموضع (position) وموضعة (localisation).

4.4 ـ ميادين مصطلحيّة تطبيقيّة

بإمكاننا على حدّ سواء أن نربِط التحديد المصطلحيّ التطبيقيّ بميدان مصطلحيّ تطبيقيّ يتحدَّر من عمليّة وصف طريقة عمل عدد معيَّن من التصوُّرات التي تتشاطر أوجه تشابه في ما بينها. وانطلاقاً من تحليل المميِّزات المُشتمَلة في التعريفات، تتعلَّق المسألة بالكشف عن المميِّزات المشتركة بين عدَّة تصوُّراتٍ وبتجميع هذه التصوُّرات وتصنيفها بموجبها، وبإبراز نظام تصوُّريّ ما. تُشبِه هذه الطريقة في

بعض نواحيها التحليل الدلاليّ(*). كما يسمح ترتيب التصوُّرات على قاعدة مميِّزاتها وعلاقاتها بإظهار بَنْيَنَة العلم أو الممارسة.

تعمل هذه الطريقة في المعالجة «من الأسفل إلى الأعلى». فهي تنطلق من التصوُّر لكي تُنشئ على مراحِل متتالية مجموعة من البُنى التي تسمح بوصف طريقة عمل نظام معرفيّ معيَّن. ومقارنةً مع أنماط الميادين الأخرى التي تكون محدَّدة «قبليّاً» بدرجات متفاوتة والتي يُمكن اعتبارها بصفتها كذلك أنها اصطناعيّة، وحده الميدان المصطلحيّ التطبيقيّ يسعى إلى إظهار طريقة العمل الفعليّة للأنظمة التصوُّريّة، ووحده بالتالي يكون «طبيعيّاً».

5 ـ كيف نُشير إلى الميدان؟

يتميَّز المصطلح بانتمائه إلى ميدان معيَّن. وعليه، يُشكِّل الميدان جزءاً من المعلومات التي يترتَّب عليها إلزاميّاً أن تصحب المصطلح. دور العلامة الدالَّة على الميدان أن تنشئ الرابط مع النظام التصوُّريّ. ولكن كيف نشير إلى الميدان؟ أيُّ نظام تصنيفيّ علينا اعتماده، فهل يجدر بنا اعتماد تصنيف علميّ أم تصنيف وثائقيّ أم تصنيف دلاليّ أم تصنيف وظيفيّ مرتبط بممارسة اجتماعيّة أم تصنيف تصوُّريّ يعكس مشجَّر الميدان؟

1.5 ـ التصنيف الحرّ

يمكننا أن نتصوَّر تصنيفاً يتمّ ابتكاره مع تقدُّم الأبحاث وتبعاً

(*) التحليل الدلالي (analyse componentielle): استخراج الوحدات المعنوية الصغرى الموجودة في لفظة ما.

للحاجات، مع إطلاق يد عالم المصطلحات التطبيقيّ وإعطائه تفويضاً مطلقاً في مسألة الإشارة إلى الميدان. تتَّصف مرونة تصنيف من هذا القبيل بطابع شامل، لأنه يكون منفتحاً بالكامل على جميع الاحتمالات. ولكن يتعذَّر تطبيقه على نطاق واسع بسبب مخاطر الحشو والتنافر التي يُقدِّمها. كما إنّه يُفضي حتماً إلى خلق مجموعة مصطلحات موازية لمجموعة المصطلحات الموصوفة.

2.5 ـ التصنيف العلميّ

يكتفي التصنيف المُعتمَد في علم المصطلحات النظريّ وعلم المصطلحات التطبيقيّ بإنتاج التصنيفات العلميّة. وهو يشكِّل مرآةً أمينةً للعلوم.

3.5 ـ التصنيف الوثائقيّ

لا تكون التصنيفات الوَثائقيّة مكيَّفة مع الحاجات المصطلحيّة النظريّة والتطبيقيّة. وفي ميدان التوثيق، تكون المواضيع المهمَّة كافَّةً جديرة باكتساب واصف، ولكنَّها لا تمتلكُ اضطراراً مجموعة مصطلحاتها الخاصَّة. وهكذا، تكثر المقالات حول موضوع استحداث المصطلحات، ولكن عبثاً نحاول البحث عن قائمة تضمُّ مصطلحات الاستحداث.

4.5 ـ التصنيف الدلاليّ

يلجأ هذا النوع من التصنيف إلى فئات دلاليّة «كبرى» تكون اعتباطيّةً إلى حدّ ما، ويتمّ ابتكارها بمعزل عن الأنظمة التصوُّرية التي يتمّ لصق هذه التصانيف بها بشكل مصطنع، وخارج نطاقها.

5.5 ـ التصنيف الوظيفيّ

تعكس التصانيف الوظيفيّة الممارسات والنشاطات التي تقوم بها مجموعاتٌ اجتماعيّةٌ محدَّدةٌ. ونعني بها بنوع خاصّ التصانيف التي تُطوِّرها المؤسّسات تبعاً لحاجاتها. وغالباً ما يستعمل التصنيف نفسه لضَبْرِ الوثائق وتنظيم المصطلحات.

6.5 ـ التصنيف التصوُّريّ

يعكسُ التصنيف التصوُّريّ مُشجَّر التصوُّرات. وعليه، يُشكِّل كلّ فرع من فروع هذا المُشجَّر ميداناً أو ميداناً فرعيّاً. ويسمح هذا التصنيف باستخراج البُنى التصوُّريّة وبتشكيل الميادين «بَعْديّاً» انطلاقاً من مجموعات تصوُّرات ترتبط في ما بينها بواسطة ميزة واحدة على الأقلّ. وتتعلَّق المسألة أوَّلاً بتعيين ميادين محدودة، ومن ثمّ بإبراز أنظمة تصوُّريّة أكثر تعقيداً بواسطة إعادة جمع التصوُّرات والعلاقات.

7.5 ـ في الحساب الخِتاميّ، ماذا نختار؟

لا تسمح التصانيف الأكثر صرامة بعرض تنوُّع قوائم المصطلحات. ولهذا السبب توفِّق غالبيّة التصانيف المُستعمَلة في علم المصطلحات النظريّ وفي علم المصطلحات التطبيقيّ بين أنماطِ تصنيف مختلفة. وعلاوةً على ذلك يُمكننا، بغية إبراز تداخل الميادين وتراكُبها وتشابكها، أن نُشير إلى عدَّة ميادين في وقت واحد. وهكذا مثلاً، لا تصلحُ العلامة الدالَّة على ميدانَي الاتِّصالات عن بُعد والمعلوماتيّة للتعبير عن ميدان الاتِّصالات المعلوماتيّة(*) وحسب، بل من شأنه أيضاً أن يُظهِر انتماء المصطلح إلى ميدانَين. وتسمح العلامة الدالَّة على عدَّة ميادين بِتَبْيان ميدان

(*) يُطلق عليها البعض أيضاً اسم تِليماتيك (télématique)، وهي عبارةٌ عن مجموعة من التقنيّات والخدمات التي تمزج وسائل المعلوماتيّة بوسائل الاتِّصال.

معرفة وميدان نشاط، أو حتى أكثر. بيد أنَّ هذه الممارسة تُثير على وجه التأكيد جملةً من الصعوبات. ففي الواقع، تكون طبيعة الميادين وأنماطها منوطة أيضاً بنمط التعريف وصيغته. فلا يسعنا أن نشيرَ إلى الميدان بالطريقة نفسها حين يكون التصوُّر مُعرَّفاً بالنظر إلى مميِّزاته الأساسيّة، وحين يكون مُعرَّفاً بالنظر إلى استعماله. فعلى سبيل المثال، يبدو من العسير أن نربطَ التصوُّر خسّ (laitue) بميدانَي علم النبات والتغذية، بغية تبيان المَظهَرَين اللَّذَين يتمتَّع بهما الواقع ذاته، من دون أن ترتدَّ تبعات ذلك على صياغة التعريف. إذ يبدو من الصعب أن نقترِحَ تعريفاً واحداً لكِلا الميدانَين.

يُبرهِنُ استعمال التصانيف الاصطناعيّة صوابية تفكير شانفور (Chamfort 1970) القائل:

> إنَّ العالم والمجتمع هما أشبه بمكتبة، حيث يبدو لنا من النظرة الأولى الخاطفة أنَّ كلّ شيء فيها مُنظَّمٌ، لأنَّ الكتب تكون فيها مرتَّبة تبعاً لقياس المجلَّدات وحجمها، ولكنَّ الفوضى تعمُّ في العمق، لأنَّ ما من شيء فيها منظَّم وفقاً لترتيب العلوم أو الموادّ أو المؤلِّفين.

يكمن الحلّ بلا ريب في الاستعانة بالتعاقب بطريقتَين متعارضتَين. تعمل **الأولى**: «من الأعلى إلى الأسفل»، من خلال تقسيم المعارف إلى أنظمة، والأنظمة إلى ميادين متخصِّصة، والميادين المتخصِّصة إلى قطاعات تقنيّة... وهلمَّ جرّا، إلى أن نتوصَّل إلى أصغر قاسم مشترك يستطيع أن يَجمَعَ حدّاً أدنى من المصطلحات. أمّا **الطريقة الثانية**، فتقضي باتِّباع الطريق المُعاكِس، «أي من الأسفل إلى الأعلى»، ويعني ذلك الانطلاق من التصوُّرات لإنشاء، على مراحلَ متتالية، بُنى تجميعيّةً تكون أكثرَ اتِّساعاً وفقاً للنظام المعرفيّ الموصوف. ويتعيَّن علينا الانطلاق من تصنيف «قبْليّ»

لنحصلَ على «مشجَّر ميدان» (أي، على تصنيف موجود سلفاً يكون مصدره مستقى من الكتب، كأنْ يكون مستمداً مثلاً من موسوعة أو معجم موسوعيّ أو مؤلَّف تعليميّ يسمحُ لنا بأن نُمَوضِعَ أنفسنا في الميدان الذي نعالجه) وأن نعدَّ شيئاً بعد شيء مع تقدُّم الوصف تصنيفاً يعكِسُ التنظيم التصوُّريّ ويُشكِّل «مشجَّر تصوُّرات» (من شأنه أن يتطابق مع طريقة العمل المصطلحيّة المرصودة في الواقع، أي على أرض الميدان، في إطار الممارسة المصطلحيّة التطبيقيّة).

6 ـ الممارسات التطبيقيّة

بالرَغم من وجود الروابط الوثيقة التي تجمع بين الميدان والتعريف، من الملائِم ألاّ نأتي على ذكر العلامة الدالَّة على الميدان في التعريف، كما هو الحال في تعريف الكلمة الفرنسيّة (mouillabilité) (قابليّة الالتحام)، ومفاده:

> [في اللُّغة الفرنسيّة] قابليّة الالتحام، وتعني:
> في ميدان اللِّحام اللأْميّ(*)، قابليّة السطح الصَّلب لمادَّة أساسيّة على تحمُّل الفَرش التلقائيّ للمعدن أو الأُشابة(**) السائلة.
> (نقلاً عن المجلس الوطنيّ للُّغة الفرنسيّة عام 1986)

[fr] mouillabilité

En brasage, aptitude de la surface solide d’un matériau de base à accepter l’étalement spontané du métal ou de l’alliage d’apport liquide.

(Conseil international de la langue française 1986)

(*) يُقال أيضاً «لأم» أو «تنحيس» أي، اللِّحام بالنحاس الأصفر أو القصدير.
(**) تعني خليطاً مركّباً من معدنَين أو أكثر.

لا تكون هذه الممارسة مُرضِيةً على المستوى النظريّ لأنَّها لا تُبرِز بوضوح الأنظمة المعرفيّة، كما إنّها تُفقِدُ الأنظمة التصوُّريّة رونقها. فلا يسعنا أن نضعَ معاً مقوِّمات للتصوُّر تكون ذات طبيعة مختلفة ولا تقع على المستوى نفسه. فليس من واجب التعريف أن يشير إلى انتماء التصوُّر إلى نظام معرفيّ وأن يؤدِّي دوراً ليس دوره. تطرح هذه الطريقة في المعالجة إشكاليّات تطبيقيّةً أيضاً، في نطاق أنَّها لا تُسهِّل الوصول إلى التصور عبر الميدان، كما إن تكرار الميدان نفسه في التعريفات كافَّةً يوشك أن يكون مُسئماً للمستخدم الذي يهتمُّ بميدان واحد فقط.

باعتبار أنَّ التفكُّر النظريّ بشأن التصانيف المستعمَلة في علم المصطلحات النظريّ قد عانى نسبيّاً من قلَّة المتابعة والبحث، فقد بقِيَت الممارسات التطبيقيّة الهادفة إلى إعداد التصانيف واستعمالها غير مُرضية بالمجمل.

وقد طوَّرَت البنوك المصطلحيّة الكبرى أنظمتها التصنيفيّة الخاصَّة تبعاً لحاجاتها، وعمَدَت، بغية تسهيل استعمال هذه الأنظمة التصنيفيّة، إلى إعداد لائحة بالميادين وفهرس، أي جدول بالكلمات المفاتيح أي مكنز. وتستخدم هذه الأدوات لفهرسة قوائم المصطلحات ورصدها واستخراجها. ويسمح الوصول إلى المعلومة من خلال الميدان بإنتاج لوائح تعريفيّة، وهي عبارة عن معاجم تتناول مواضيع خاصَّةً تبعاً لحاجات المستخدمين.

يتعيَّن على التصانيف المستعملة في ميدان علم المصطلحات النظريّ وعلم المصطلحات التطبيقيّ أن تتوافر فيها الشروط الآتية:

- أن تكون ملائمةً لمعالجة المعطيات التصوُّريّة اللُّغويّة.

ـ أن تجمع عدداً من المصطلحات المتطابقة مع كتلة حَرِجَة(*)، ونعني بها الكميّة الضروريّة والكافية لإنشاء ميدان معيَّن.

ـ أن تنطوي على عدَّة مستويات.

ـ أن تكون منفتِحة وتطوُّريّة.

ـ أن تُلبِّي حاجات المستخدمين.

ـ أن تسهِّل الوصول إلى المعلومة.

7 ـ الخلاصة

لا تُعدُّ العلامة الدالَّة على الميدان في علم المصطلحات التطبيقيّ باعثاً فِعلاً لعدد كبير من الأفكار النظريّة، كما إنّها لا تُشكِّل موضوعاً يتمّ إيلاؤه اهتماماً خاصّاً في الممارسة التطبيقيّة.

أمّا الحلّ القاضي باستحداث تصنيف لكلّ حالة على حِدة تبعاً للمجموعة التصوُّريّة الموصوفة وبحسب وجهة النظر المعتمدَة في الوصف، فيستحقُّ طبعاً أن يُصار إلى تجريبه بشكل منهجيّ.

من المناسب أيضاً أن نتفحَّص بكلّ انتباه الطرق التي تستخدمها المعلوماتيّة لتسهيل الوصول إلى المعلومة المتوفِّرة على شبكة الإنترنت. وتسمح تطورات المعلوماتية للباحثين على الإنترنت باستخدام اللُّغة الطبيعيّة بشكل متزايد.

إنَّ تصميمَ شبكات موصِلاتِ(**) النصوص الفوقيّة(***) المركَّزة والمُعقَّدة من جهة، وتطوير محرِّكاتِ بحث قويّة ودقيقة من جهة أخرى، يفتحان آفاقاً جديدةً أمام علم المصطلحات التطبيقيّ.

(*) وتعني الكتلة الدُّنيا من مادَّة شَطورَة والتي يكون بوسعها مُداوَمَة تفاعُل متسلسل.

(**) في ميدان المعلوماتيّة، يعني الموصِل (lien/ link) عنوان أو تعليمة الوَصل.

(***) إنَّ النصّ الفوقي (hypertexte) هو طريقة لاختزان النصوص المترابِطة من مواقع متباينة ليستعرضها القارئ معاً.

المراجع

Books

Béjoint, Henri et Philippe Thoiron. *Les Dictionnaires bilingues*. Louvain-la-Neuve: Duculot, 1996.

Brunot, Ferdinand. *La Pensée et la langue*. Paris: Masson, 1926.

Bureau de terminologie. *Système de classification*. Luxembourg: Commission des communautés européennes, 1977.

Centre d'études du lexique. *La Définition*. Paris: Larousse, 1990. (Langue et langage)

Chamfort, Sébastien-Roch-Nicolas. *Maximes et pensées*. Paris: Gallimard, 1970.

Conseil international de la langue française. *Termes et définitions utilisés en soudage et techniques connexes*. [n. p.]: [n. pb.], 1986.

Foucault, Michel. *Les Mots et les choses*. Paris: Gallimard, 1966.

Hutcheson, Helen. *Vocabulaire du libre-échange*. Ottawa: Ministère des approvisionnements et services Canada, 1991. (Bulletin de terminologie; 204)

Maniez, Jacques. *Les Langages documentaires et classificatoires: Conception, construction et utilisation dans les systèmes documentaires*. Paris: Les Editions d'organisation, 1987.

Mounin, Georges. *Clefs pour la sémantique*. Paris: Seghers, 1972.

Rey, Alain. *Essays on Teminology*. Amsterdam; Philadelphie: John Benjamins, 1995.

——————. *La Terminologie: Noms et notions*. 2e édition corrigée. Paris: P. U. F., 1992. (Que sais-je?)

Sager, Juan C. *A Practical Course in Terminology Processing*. Amsterdam: John Benjamins, 1990.

Somers, Harold (ed.). *Terminology, LSP and Translation, Studies in Language Engineering in Honour of Juan C. Sager*. Amsterdam; Philadelphie: John Benjamins, 1996.

TERMIUM. *Répertoire des domaines*. Ottawa: Travaux publics et services gouvernementaux, 1995.

Van Slype, Georges. *Les Langages d'indexation: Conception, construction et utilisation dans les systèmes documentaires*. Paris: Les Editions d'organisation, 1987.

Wright, Sue Ellen et Gerhard Budin. *Handbook of Terminology Management*. Amsterdam; Philadelphie: John Benjamins, 1997.

Periodicals

Rey, Alain. «Les Marques d'usage et leur mise en place dans les dictionnaires du XVIIe siècle: Le Cas Furetière.» *Lexique*: no. 9, 1990.

«تمدُّد» المعنى المصطلحي: لمحةٌ عن ظاهرة زوال الصفة المصطلحية

إنغريد ماير وكريستن ماكينتوش[1]

1 ـ مقدِّمة

تقضي دراسة المعنى المصطلحيّ تقليديّاً باعتبار المصطلحات بمثابة وحدات في غاية «الثبات» ترسم مناطق فضاءات تصوُّرية تكون حدودها معيَّنةً بمنتهى الدقَّة. ولقد فهم أوبيتز (Opitz 1983: 60) جوهر هذه المقاربة وعبَّر عنها تعبيراً بليغاً:

> أيّاً يكن منشأ المصطلحات أو الطريقة التي تمَّ بموجبها تشكيلها، فهي تنشدُ ميزةً مشتركةً، ألا وهي: إنَّها سلسلةٌ من المعاني المحدَّدة بدقَّة. هذا هو تحديداً ما تعنيه كلمة «مصطلح» (terme). فعلى شاكلة الكلمة اللاتينيّة (terminus) = حَدّ، يسِمُ المصطلح نهايةَ مسيرة وسلسلة من التحوُّلات التي يصبح من الآن فصاعداً بمنأى عنها،

(1) مدرَسَة الترجمة الكتابية والفورية، في جامعة أوتاوا (University of Ottawa) في كندا (Canada).

ربّما بشكل مُناف للطبيعة. للمصطلحات في اللغة الحيّة طابع غير مألوف، كالصخور الشاهقة المُنتصبة على طول المروج الفسيحة، والتي تقف حجر عثرة بوجه نموّ النباتات وعائقاً بوجه من يرغب في التنقُّل بحُرِّية. غير أن مكانها الراسخ ودورها **كأُعلومة** يخوِّلانها المحافظة على القضايا «الإنسانيّة» منظمَّةً. تُمثِّل المصطلحات قائمة أو لائحةً بمصطلحات ميدان اختصاص معيَّن. يؤدِّي كلّ تعديل يطرأ على هذه القائمة إلى إعادة النظر في المصطلحات، ولكن لا يحقّ لأحد المساس بها حتى إثبات العكس[2].

تُثبت دراسة «الثبات» الدلاليّ الذي تتَّصف به المصطلحات أنها مجدية للغاية في حالات عديدة. بيد أننا لن ندرس في هذه المقالة المعاني الثابتة والمألوفة التي تنطوي عليها مصطلحات بعض الميادين

(2) إليكم النصّ الإنجليزي الأصليّ: «Regardless of their origin or method of construction, all terms aim at one common quality: a rigidly fixed obligatory range of meaning. and this is precisely the significance of the expression «term». As *terminus*, it denotes the end in a line of changes and developments from which it is now safely - if forcibly - removed. In a living language, terms are as incongruous as are the rocks lined up along fields in an open landscape, impediments to plant growth and stumbling blocks as well to all who would like to move about freely. Yet fixed in their places and guarded as property markers they help to keep human affairs in order. What terms represent is the inventory, or nomenclature, of their underlying area of specialised pursuit. As soon as the inventory changes, the terms may have to be reconsidered, but in the meantime nobody is expected to tamper with them.»

انظر: Kurt Opitz, «On Dictionaries for Special Registers: The Segmental Dictionary,» in: R. R. K. Hartmann, ed., *Lexicography: Principles and Practice* (Londres: Academic Press, 1983), p. 60.

المتخصِّصة، إنما الطريقة التي ينزع بموجبها المعنى المصطلحيّ إلى «التمدُّد» (étirement). يسترعي اهتمامنا بوجه خاصّ التمدُّد الدلاليّ الذي يحدث حين يستحوذ مصطلح ما على اهتمام الجمهور. وفي الواقع، حين يتمّ تناول المصطلح في اللُّغة العامّة، فهو يكتسب معنى أوسع من المعنى الذي يملكه حين يكون مقيَّداً بميدان متخصِّص. ونطلق على هذه العمليّة اسم عمليّة إزالة الصفة المصطلحيّة[3] (déterminologisation). ترتكزُ الدراسة التي نُجريها حول عمليّة إزالة الصفة المصطلحيّة على أمثلة إنجليزيّة مأخوذة أساساً من بعض الصُّحف الكنديّة، ألا وهي:

1) لا تتردَّدوا في استعمال المراحيض المدفوعة الأجر **المُستقلَّة** الحديثة التي تجدونها في الشوارع في جميع أنحاء المدينة إن اضطررتم إلى قضاء حاجتكم في وقت غير مناسب على ما يبدو.

(1) Don’t hesitate to use the modern **stand-alone** pay toilets found on streets throughout the city if nature calls at a seemingly inopportune time.

2) تتألَّف شركته بشكل أساسيّ من موظفَين **افتراضيَّيْن** ومن شبكة إنترنت يتمّ عبرها إجراء الكثير من المقايضات.

(2) His company essentially consists of two **virtual** employees and a web site that gets a lot of traffic.

---

(3) يستندُ هذا المصطلح إلى مصطلح إزالة الصفة التخصُّصيّة (dé-spécialisation)، انظر: Francine Mazière, «Le Dictionnaire et les termes,» *Cahiers de Lexicologie*, vol. 39, no. 2 (1981), p. 84.

إلاّ أنّنا نُفضِّل عدم الإبقاء عليه كما هو في اللُّغة الفرنسيّة باعتبار أنّه قد ينطبق على أيّ وحدة معجميّة (بما في ذلك الوحدات المعجميّة غير المصطلحيّة) التي يصبحُ معناها المعجميّ عامّاً أكثر.

3) طلبَ يلتسين إلى الدوما(*) تقليد جيراشينكو، وهو موظَّف رسمي **مُجرَّب** تمَّ طرده من حكومة سابقة، منصب حاكم مصرف البلد.

(3) Yeltsin asked the Duma to give the country's crucial chief banker's job to Gerashchenko, a **recycled** official who was fired from an earlier government.

4) لا ينبغي تبديد **سعة** الجريدة على مجموعة طائشة من الأشخاص البالغين، إذ يجدر بنا بالأحرى أن نشعر بالأسى على العائلة، فهي الضحيّة الحقيقيّة للمأساة.

(4) Newspaper **bandwidth** should not be wasted on a careless bunch of adults; instead, feel sorry for the family, true victims of tragedy.

من وجهة نظر دلاليّة، ترتبط الكلمات المُشار إليها بالخطّ العريض كلُّها بمصطلحات تنتمي إلى ميادينَ مختلفة، إلاّ أنَّ تحوُّلات معبِّرةً قد طرأت عليها أثناء هجرتها نحو اللُّغة العامة، وهكذا نجد ما يلي :

(أ) تُستعمَل الصفة الإنجليزية **(stand-alone)** = «**مستقلّ** [عن الحاسوب الرئيس]» من حيث مفهومها المصطلحيّ (ذات الصلة بميدان المعلوماتيّة) لوصف المعدّات والبرمجيّات (فتُستخدَم مثلاً عبارة حاسوب مستقلّ عن الكمبيوتر الرئيسي للإشارة إلى حاسوب غير موصول بشبكة). وفي اللُّغة العامّة، يُحيل الاستعمال الجديد للصفة الإنجليزية (stand-alone) إلى شكل يجسِّد وضعاً «مستقلاّ» (indépendant) (فيُقال مثلاً: مصارف مستقلَّة (stand-alone banks) وقصص مستقلَّة (stand-alone stories) وحتى مراحيض مستقلَّة! (stand-alone toilets!).

(*) اسم المجلس التشريعيّ في روسيا القيصريّة.

(ب) بالمعنى المعلوماتيّ، تُطالعنا الصفة الإنجليزية **(virtual)** = **افتراضيّ** في العبارتَين التاليتَين: (virtual memory) ذاكرة افتراضيّة(*) (إنَّها نوع من ذاكرة تتَّصف بطابع مُحاكى) و(virtual reality) = واقع افتراضيّ(**) (وهو عبارةٌ عن محيط مُحاكى يفترضه الحاسوب). أمّا في اللُّغة العامَّة، فقد أصبحت الصفة الإنجليزية (virtual) رائجةً للغاية، ونقع عليها في عبارات جدّ متنوِّعة من مثل: جنس افتراضيّ (virtual sex) وصفوف دراسة افتراضيّة (virtual classrooms) وسَفَر افتراضيّ (virtual travel) وعملةٌ افتراضيّة (virtual currency)... إلخ[4].

(ج) في ميدان البيئة، تُحيل الكلمة الإنجليزية **(recycling)** **إعادة التدوير** إلى طريقة معيَّنة في معالجة النفايات (من ورق وزجاج وغيرها) تسمحُ بإعادة تدوير الموارد الخاصَّة بالاستهلاك. وفي اللُّغة العامّة، اكتسبَت كلمة (recycling) معنى «إعادة الاستعمال» (réutilisation) الأكثر اتِّساعاً، وأحياناً أيضاً معنى «إعادة التشكيل» (remodelage)، ويمكن استخدامها ليس لوصف الأشياء وحسب، بل

(*) يُقال لها أيضاً ذاكرة ظاهريّة، وهي عبارةٌ عن ذاكرة في الحاسوب يظهر معها وكأنَّ البرنامج موجود بكامله في الذاكرة الرئيسيّة.

(**) إنَّه عبارة عن تكنولوجيا تُتيح إنشاء بيئة مُشابهة للحقيقة بواسطة الحاسوب، وذلك بواسطة شاشة الحاسوب أو السماعات المُجسمة للصوت أو النظارات. وهي تعتمِد على تقديم صورة مُشابِهة للواقع في أماكن لا يُمكن للإنسان الوصول إليها أو إنشاؤها.

(4) بغية الاطِّلاع على تحليل أكثر تفصيلاً حول مختلف المعاني التي ينطوي عليها مصطلح (virtual) في اللُّغة المتخصِّصة وفي اللُّغة العامَّة، انظر: Ingrid Meyer, Kristen Mackintosh and Krista Varantola: «Exploring the Reality of Virtual: On the Lexical Implications of Becoming a Knowledge Society,» *Lexicology*, vol. 3, no. 1 (1997), and «From Virtual Sex to Virtual Dictionaries: On the Analysis and Description of a De-terminologized Word,» in: Thierry Fontenelle [et al.], eds., *EURALEX '98 Proceedings.*

أيضاً لوصف الأشخاص(*) كما يُظهره المثل الآنف الذكر.

(د) في ميدان الاتِّصالات عن بُعد، يُشير المصطلح الإنجليزي **(bandwidth)** = **سِعة** إلى طَيف قنوات التراسل اللاسلكيّ. أمّا في ميدان المعلوماتيّة، فيُشير إلى معدَّل نقل البيانات(**). غير أن مصطلح (bandwidth) قد اكتسبَ معنى موسَّعاً يدلُّ على أنماط مختلفة من «السِّعة» (capacité)، على غرار: السِّعة المَكانيّة (كما رأينا في المثل 4) والسِّعة الزمنيّة وحتَّى الفِكريّة.

غَرَض الدراسة: نعتزمُ في هذه المقالة تقديم لمحة عن ظاهرة زوال الصفة المصطلحيّة كما تتجلَّى في اللُّغة الإنجليزية. وسنُعاين في مرحلة أولى العوامل غير اللُّغويّة التي تُسبِّب هذه العمليّة وتسهِّلها. وسنحلِّل في مرحلة تالية عدَّة تبدُّلات دلاليّة وتداوليّة تواصليّة تكون قابلةً أن تصحَب عمليّة عبور المصطلح إلى اللُّغة العامّة. وأخيراً، سنستعرِضُ التبعات التي تُخلِّفها عمليّة إزالة الدمغة المصطلحيّة في ثبت المصطلحات، سواء على مستوى اللُّغات المتخصِّصة أو على مستوى اللُّغة العامّة.

المصطلحيّة المُعتمَدة: سنتحدَّثُ عن المصطلح في السياق المصطلحيّ وعن الكلمة في سياق اللُّغة العامّة. وحين نقصد بحديثنا السياقين معاً، فسنتحدَّث عن الوحدة المعجميّة.

(*) مجال البيئة، تعني الصفة «recyclé» الشيء المُعاد تدويره، ولكنَّها حينُ تُستخدَم لوصف الأشخاص، فهي تكتسِب في اللُّغة العربيّة معنى «المُجرَّب»، أي الشخص الذي اختبر الحياة ومرَّت به تجارب عديدة ساهَمت في صقله وتهذيبه وتعليمه وتنمية مهاراته وقدرته على التحمُّل.

(**) تُستخدَم عبارة معدَّل نقل البيانات (bandwidth) بكثرة في ميدان المعلوماتيّة، وتعني السِّعة التي يسمح بها النظام كي ينقل البيانات بواسطة اتِّصال معيَّن، وتُقاس هذه الكميّة بوحدة القياس البايت (byte). إلاَّ أنَّ معاني «السِّعة» أو «القُدرة» أو «الطاقة» قد طغت على استعمال مصطلح (bandwidth) في اللُّغة العامَّة.

2 ـ زوال الصفة المصطلحيّة ومجتمع المعرفة

لا تُمثِّل هجرةُ المُصطلحات نحو اللُّغة العامّة البتَّة ظاهرةً جديدةً، فمن المعروف أنَّ بعض المصطلحات التي تكون في الأصل حكراً على جماعة من الاختصاصيِّين، تُمسي على لسان جماعة لغويّة أكبر حجماً. وما إن يتمّ اجتياز هذه المرحلة حتى ينزعُ المعجميّون إلى إدخال المفاهيم المصطلحيّة إلى معاجمهم ويشفعونها بواسمات للإشارة إلى ميدان استعمالها الأصليّ. وتقليديّاً، لم تكن عمليّة إدخال المعاني المصطلحيّة إلى معاجم اللُّغة العامَّة تُشكِّل شغل المعجميِّين الشاغل. إلاّ أنه في غضون السنوات المُنصرمة، تنبَّهَ هؤلاء إلى ازدياد عدد المصطلحات التي يبحث عنها مستخدمو المعاجم ازدياداً جَلَلاً. وهكذا، يُقدِّر لاندو (Landau 1974: 241) أنَّ أكثر من 40 في المئة من مَداخل المعاجم الكبرى تتألَّف من المصطلحات.

كيف السبيل إلى تفسير التفاقُم السريع في عدد عمليّات إزالة الصفة المصطلحيّة؟ إن هذه الظاهرة برأينا منوطةٌ بالتبدُّلات الجوهريّة التي يشهدها المجتمع الحاليّ. فنحن اليوم نعيش في عالم يُستعاضُ فيه عن اليد العامِلة بالمعارف المتخصِّصة باعتبارها المحرِّك لعجلة النموّ الاقتصاديّ (Drucker 1993). وفي إطار «مجتمع المعرفة» هذا، يترتَّب عل كلّ فرد أن يبقى على اطِّلاع على الاكتشافات العلميّة والتقنيّة. وبشكل مواز لظهور المعارف المتخصِّصة في نواح مختلفة من حياتنا اليوميّة، ينتقلُ عددٌ متزايد من المصطلحات إلى اللُّغة الشائعة. ويكون هذا الانتقال مصحوباً إجمالاً بتبديل في المعنى. ويكون الإسهام المصطلحيّ على جانب من الأهميّة بوجه خاصّ حين يتحدَّر من المعلوماتيّة، ولكن أيضاً من ميادين أخرى كالاتِّصالات والطبّ والبيئة والاقتصاد.

بغية تلبية رغبة الجمهور في اكتساب المعارف المتخصِّصة، كَتَبَ الخبراء (وأنصاف الخبراء) العديد من المؤلَّفات الموجَّهة إلى غير الاختصاصيِّين. وتُبيِّن سلسلة الكتب التي تحمل اسم (pour les nuls) (أي، الكُتب الموجَّهة للمبتدئين الذين لا يفقهون شيئاً) هذه النزعة بمنتهى الوضوح. ومع أنَّ سلسلة الكُتب هذه قد ظهرت أوّل مرّة في اللُّغة الإنجليزية في ميدان المعلوماتيّة، إلاّ أنها تشتمل اليوم على الميادين المتخصِّصة كلّها تقريباً التي قد تسترعي اهتمام الجمهور (Bellafante 1998). ومقارنةً بالكتب المتخصِّصة الموجهة إلى أهل الخبرة، تستخدم الكتب الموجَّهة إلى غير الاختصاصيين المصطلحات المتخصِّصة استعمالاً أقل صرامةً بشكل جليّ. وبحسب بيرسون (Pearson 1998: 38)،

> فإنّ ما يُميِّز هذه الحِواريّة[*] الخاصّة [خبير/ غير اختصاصيّ] عن الحواريَّتين السابقتين [خبير/ خبير وخبير/ طالب] هو أنها لا تستوجب المستوى نفسه في فهم المصطلحات المستعملة من جانب المؤلِّف والقارئ، شرط أن يتمّ فهم المغزى العامّ الذي تنطوي عليه الرسالة الكلاميّة الموجَّهة. . . وبالتالي، لا تحابي هذه الحواريّة استعمال المصطلحات استعمالاً صارماً[5].

(*) إنَّ الحِواريّة (dialogisme) هي مفهوم توسَّع الفيلسوف ميخائيل باختين (Mikhail bakhtine) في شرحه بغية تحليل الجَماليّة الروائيّة. فمن وجهة نظر باختين، ترمز الحِواريّة إلى التفاعل الذي ينشأ بين الخطاب الخاصّ بالمتكلِّم والخطابات الخارجيّة بالنسبة إليه، ونعني بها خطابات الأشخاص الآخرين بمختلف أشكالها. ويُمكن تشبيه هذا التصوُّر بمفهوم التناصّ (intertextualité).

(5) إليكم النصّ الإنجليزي الأصليّ: «What distinguishes this particular communicative setting [expert-to-layperson] from the two previous ones [expert-to-expert and expert-to-student] is that there is no need for author and reader to achieve the same level of understanding of the terms used as long as the broad thrust of the message is understood... this particular communicative setting is not =

كيف يمكن أن يُستعمل المصطلح وأن يُفهَم بشكل أقل «صرامةً» في اللُّغة العامّة؟ ما هي التبدُّلات التي تطرأ على الوحدة المعجمية حين تجتاز الحدود الفاصلة بين مفهومها المتخصص واستخدامها في اللُغة العامّة؟ سنسعى إلى تفحّصٍ في هذه المسائل في القسم التالي.

3 ـ التبدُّلات المعجميّة الناجمة من عمليّة إزالة الصفة المصطلحيّة

كما سنرى في ما سيلي، قد تأتي عمليّة إزالة الصفة المصطلحية عن مصطلح معين مصحوبةً بتبدلات دلالية وتداولية تواصلية.

3.1 ـ التبدُّلات الدلاليّة

من الممكن أن يحدثَ نمطان من التبدُّلات الدلاليّة، فإمّا أن يبقى جوهر المعنى المصطلحيّ موجوداً في الكلمة المجرَّدة من صفتها المصطلحيّة (انظر الفقرة 1.1.3)، أو أن نشهدَ حدوث تبدُّلات تصوُّرية أكبر شأناً، فيبتعدُ حينئذ توسُّع الكلمة الدلاليّ بوضوح عن توسُّع المصطلح الأصليّ (انظر الفقرة 3.1.2).

3.1.1 ـ الإبقاء على مظاهر المعنى المُصطلحيّ الأساسيّة

بشكل عام، حين يدخل المصطلح إلى اللُّغة العامّة، يُدرك الأشخاص غير الاختصاصيِّين ماهيّة تصوُّره الضمنيّ أسوةً بالطريقة

= conducve to terms being used in a rigorous manner or being perceived as such»,
انظر: Jennifer Pearson, *Terms in Context* (Amsterdam; Philadelphia: John Benjamins, 1998), p. 38.

التي يُدركه بها أهل الخبرة. وبتعبير آخر، إن إرجاع الأشخاص غير الاختصاصيِّين إلى تصوُّر معيَّن، لا يُحيل أيضاً عند هذه المرحلة إلى المعنى المصطلحيّ الخاصّ الذي ينطوي عليه هذا التصوُّر. وهكذا مثلاً، إنَّ مصطلحات من مثل تناذر قصور المناعة المُكتسبة (VIH) ودواء التاموكسيفين لعلاج سرطان الثدي (tamoxifène) والشَّرَه المرضيّ (boulimie) والمرض الدماغيّ (encéphalopathie) واعتلال المخّ الإسفنجيّ الشَّكل البقريّ = مرض جنون البقر (spongiforme bovine) = (maladie de la vache folle) ودواء الإجهاض في مراحِل الحَمْل الأولى (RU 486) والتصوير بالرنين المغنطيسيّ (IRM) في مجال الطبّ... وغيرها من المصطلحات، من مثل غازات الكربون الكلورينيّة الفلورينيّة (CFC) أو تأثير الدفيئة (effet de serre) في مجال البيئة، تَدخُلُ كلُّها إلى اللُّغة العامّة، لأن الواقع الذي تُمثِّله بالنسبة إلى الخبراء يشكِّل أيضاً موضوعاً على جانب من الأهميّة بالنِّسبة إلى شريحة كبيرة من الجمهور.

وعليه، تَفهمُ هذه الشريحة من الناس ماهيّة التصوُّر أسوةً بأهل الخبرة تقريباً. فعلى سبيل المثال، ينظر الخبراء وغير الاختصاصيِّين إلى الشَّرَه المرضيّ باعتباره اضطراباً في التغذية يُشكِّل خطراً على الصحّة. وباعتبار أنَّ التصوُّر المصطلحيّ الضمنيّ يبقى ثابتاً ظاهريّاً، يعمَد أحياناً علماء الألفاظ والمعجميّون إلى تسمية مثل هذه الوحدة المعجميّة مُصطلحاً (حتى وإن كانت تُستخدَمُ في اللُّغة العامّة). ولكنَّنا نؤثر في إطار هذه المقالة أن نُطلِقَ عليها اسم كلمات مجرَّدة من الصفة المصطلحيّة، باعتبار أنَّها تخضعُ رغم كلّ شيء إلى بعض التبدُّلات التصوُّريّة الطفيفة التي تطرأ عليها لدى انتقالها من اللُّغة المتخصِّصة إلى اللُّغة العامّة، مّا يحول دون قدرتنا على اعتبارها مصطلحيّةً بحصر المعنى.

ينتجُ التبدُّل الرئيسيّ عن درجة فهم الشخص غير الاختصاصيّ للتصوُّر. وهكذا، يرى الجمهور في الشَّرَه المَرَضيّ مجرَّد اضطراب في التغذية يُشكِّل خطراً على الصحّة، في حين يربِطُ الخبير في الشؤون الطبيّة هذا التصوُّر بعلم أسباب الأمراض وبمبحَث الأَعراض وبالعلاجات المُمكنة، إلى آخره[6].

غالباً ما يُخلِّف الفَهْم السطحيّ للكلمات المُتخصِّصة من قِبَل الشخص غير الاختصاصيّ تأثيراً في تعريفاتها داخل معاجم اللُّغة العامّة. يوضِّح بيجوان (Béjoint 1988: 364-365) الحاجة إلى وضع تعريفات مبسَّطة مُستعيناً بمَثَل الشمس (Soleil) الذي ضربه راي ودولوسال (Rey et Delesalle 1979: 23-24). يسمح له هذا المثل بإظهار أن التشديد يمكن أن يتناول معنى مشتركاً سطحيّاً حين يتَّضِح أنَّ المعنى العلميّ الدقيق مُبهم أو متناقض بالنسبة إلى غير الاختصاصيّ. وبرأيه، مع أن العالِم الاختصاصيّ يُحدِّد الشمس باعتبارها نجماً، إلاَّ أنه من شأن مثل هذا التعريف في حال ورد في معجم اللُّغة العامّة أن يناقض استخدام الكلمة في اللُّغة العامّة التي يمكننا أن نُدلي فيها بجُمَل من مثل «لا يمكننا أن نرى النجوم لأن الشمس ساطعة» (on ne peut voir les étoiles à cause du soleil). هذا هو السبب الذي يعدو عدداً من معاجم اللُّغة العامّة إلى تجنُّب التعريفات الدقيقة لكلمة شمس، واللُّجوء إلى تحديدها باعتبارها «جرماً سماوياً».

إلى سطحيّة درجة فَهم الشَّخص غير الاختصاصيّ، يُمكننا أن

(6) قد تختلفُ كذلك درجة الفهم من خبير إلى آخر، فعلى سبيل المثال، يفهمُ طبيب العائِلة الشَّرَه المَرَضيّ فهماً سطحيّاً أكثر من الاختصاصيّ في اضطرابات التغذية. وبشكل موازٍ، تتبدَّل كذلك درجة الفهم من شخص غير اختصاصيّ إلى آخر.

نُضيف التضمينات التي تُظهِر الكلمة بمظاهر لم يقصد الخبير قولها[7]. ويُشكِّل المصطلح لايزر مؤشّر (pointeur laser) الذي هو عبارةٌ عن أداة بَيان تُستعمَل لدى عرض الصُّور الشفَّافة، خير مثال لتوضيح هذه النزعة. وفي الواقع، لقد استقطب اللايزر المؤشِّر مؤخَّراً اهتماماً كبيراً أولَته إيّاه وسائل الإعلام مذ بدأ يتسبَّب استعماله ـ «لعبة» يلهو بها الشبّان بالعديد من حوادث السير والجروح البصرية (على غرار فقدان السيطرة على السيّارة حين يتمّ تصويب اللايزر إلى عيني السائق). فمن شأن هذا الاهتمام الإعلاميّ أن يُساهِمَ في المُستقبل بتعديل الفكرة التي يُكوِّنها الشخص غير الاختصاصيّ عن تصوُّر اللايزر المؤشِّر مُضيفاً التضمين «خَطَر» (danger) إليه.

من الممكن أن تأتي التبدُّلات التصوُّرية الدقيقة التي تحدُثُ إثر اكتساب الكلمة شعبيّةً معيَّنةً مصحوبةً بتعديل في الدالّ. وفي بعض الحالات، تحتلُّ الكلمة التي تتَّصف بدرجة «علميّة» أقلّ مكانَ المصطلح الأصليّ. وهكذا مثلاً، استعاضت وسائل الإعلام عن المصطلح الإنجليزي (necrotizing fascitis) = الموت الموضعيّ للنسيج الحيّ، بمصطلح (flesh-eating disease) = مرض تآكُل الجلد. ومن جملة أمثلة إنجليزيّة أخرى، نذكر أيضاً تعبير (bovine spongiform) = اعتلال المخّ الإسفنجيّ الشَّكل البقريّ الذي اشتهر أكثر باسم (mad cow disease) = مرض جنون البقر، وعبارة (public interest immunity certificate) = شهادة حصانة المصلحة العامَّة، التي تُسمَّى عادةً (gag order) = أمر تقييد، وكلمة (autostereogram) = رسم مِجْساميّ، التي يُطلَق عليها عامَّةً اسم (magic eye) = العين السحريّة.

---

(7) من المُتَّفَق عليه أنه ما إن يتمّ التسليم بتضمين ما في اللُّغة العامّة، حتى يكون من الممكن للخبراء تكراره.

على الرُّغم من هذه التبدُّلات المُختلفة، تُحيل مختلف الكلمات المجرَّدة من صفتها المصطلحيّة والمنتمية إلى هذه الفئة إلى تصوُّر جوهري مشترك بين اللُّغة العامّة والخطاب المصطلحيّ. ولكن قد يطرأ تبدُّل دلالي آخر على كلمات هذه الفئة، فيزداد ابتعادها أكثر عن المعنى المصطلحيّ الأصليّ. فلنأخذ مثلاً الكلمة الإنجليزية (anorexic) = قَهَميّ(*). فمن جهة، باستطاعة الأشخاص غير الاختصاصيِّين أن يستخدموا هذه الكلمة بمعنى «صفة مَن يعاني اضطراباً في التغذية يُشكِّل خطراً على صحَّته» (ويكون هذا التصوُّر قريباً من تصوُّر الخبراء، مع أنَّه أكثر سطحيّةً). ولكن من جهة أخرى، يُمكن استخدام كلمة (anorexic) بالمعنى المألوف أكثر ومفاده «نحيل للغاية» (extrêmement mince)، وإن ذهبنا بهذا التصوُّر أبعد من ذلك نصلُ إلى معنى «فارغ من المحتوى» (sans fond)، كما في عبارة «حبكة فارغة من المحتوى» (anorexic plot)، أو أيضاً إلى معنى «مُخفَّض القيمة» (dévalué)، كما في عبارة «خَفْض قيمة الدولار الكنديّ» (anorexic Canadian dollar). ويتطابق الاستخدام الأوّل لكلمة (anorexic) مع فئة الكلمات المذكورة أعلاه. ولكن، تُمثِّل المعاني المجازيّة التي تنطوي عليها الكلمة حالات مُعبِّرةً أكثر حول عمليّة إزالة الصفة المصطلحيّة، حيث إنَّها تشهَد «تمييعاً» (dilution) لا يُستهان به في معناها المصطلحيّ. ويتمحور البحث في القسم التالي حول عمليّة التمييع هذه تحديداً.

2.1.3 ـ عمليّة تمييع المعنى المصطلحيّ الأصليّ

لقد «تمدَّدت» الكلمات المُجرَّدة من دمغتها المصطلحيّة والمُنتمية إلى هذه الفئة لدرجة أنَّها لم تعد تشير إلى التصوُّر

(*) يعني الشخص الذي يُعاني من فَقد الشهيّة فتقلُّ شهوته للطعام بسبب المَرَض أو غيره.

المصطلحيّ الأصليّ. وبتعبير آخر، يعمَدُ الشخص غير الاختصاصيّ إلى استخدامها من دون أن يُفكِّر بالمعنى الأساسيّ للمصطلح الأصليّ. وتحتفظ بالطبع الكلمات المُجرَّدة من صفتها المصطلحيّة بشبَه معيَّن بالمصطلح الأصليّ، ولكنها تُشحَن بسلسلة من السياقات التطبيقيّة. وبغية فهم ما تُخفيه عمليّة تمييع هذه الكلمات بشكل أفضل، سنُمحِّص الأمثلة الإنجليزية الأربعة التي أَتَينا على ذكرها في مُستهلِّ المقالة، ألا وهي: (stand-alone) و(virtual) و(recycle) و(bandwidth).

أوَّلاً، لنتأمَّل في الصفة **(stand-alone)**: في ميدان المعلوماتيّة، تُستعمَل هذه الصفة عادةً لوصف المعدّات المعلوماتيّة (كما في تعبيرَي (stand-alone computer) = حاسوب مستقل عن الكمبيوتر الرئيسيّ و(stand-alone workstation) = مركز عمل حاسوبيّ مستقل. وما إنْ يُصار إلى إزالة الصفة المصطلحيّة عن الصفة (stand-alone) حتى تفقد إجمالاً كلّ صلة تربطها بالحواسيب. يُمكن إضفاء صفة (stand-alone) على كلّ ما يتمتَّع بوضع مستقلّ بدرجات متفاوتة، كما تبرهن ذلك الأمثلة المذكورة أدناه. وهكذا، يُمكننا أن نقول على سبيل المثال:

1) لا تتردَّدوا في استعمال المراحيض المدفوعة الأجر **المُستقلَّة** الحديثة التي تجدونها في الشوارع في مختلف أنحاء المدينة إن اضطررتم إلى قضاء حاجتكم في وقت غير مناسب على ما يبدو.

(1) Don’t hesitate to use the modern stand-alone pay toilets found on streets throughout the city if nature calls at a seemingly inopportune time.

5) يُمكن قراءة غالبيّة فصوله التي يبلغ عددها 23 فصلاً باعتبارها قصصاً **مستقلَّةً**...

(5) Most of its 23 chapters can be read as **stand-alone** stories...

6) لقد قطَعَ وعداً بتشييد مصرف جديد **مستقلّ** يُقدِّم للمؤسّسات الصغيرة قروضاً بقيمة 40 مليار دولار بحلول العام 2004.

(6) He promised to create a **stand-alone** new bank that would lend small business some $40 billion by 2004.

7) لا يُشكِّل حساب ضمان الموظَّفين حساباً **مستقلاً** ومعزولاً، فعائدات ضرائب جدول الرواتب هي جزء من موارد المردودات العامّة المتجدِّدة للحكومة.

(7) The EI [employment insurance] account is not a **stand-alone**, segregated insurance fund. Its payroll tax revenue is part of the government's general revenue stream.

ثانياً، لنتأمَّل في الصفة **(virtual)**: في ميدان المعلوماتيّة، تُستخدَم الصفة الإنجليزية (virtual) في مصطلحات مركَّبة، ولا سيّما في المصطلحَين التاليَين: (virtual memory) = ذاكرة افتراضيَّة و(virtual reality) = واقع افتراضيّ. وتتحدَّر بوضوح عمليّة إزالة الصفة المصطلحيّة عن الصفة (virtual) من هذا التصوُّر الأخير. وفي الحقيقة، إن «الواقع الافتراضيّ» هو عبارة عن تقنيّة «تسمح لكلّ شخص بالتصرُّف كما لو كان موجوداً في مكان لا يكون موجوداً فيه» (Laurel 1995: 90). وبالمعنى المصطلحيّ الحصريّ، يتطلَّب «الواقع الافتراضيّ» ارتداء أجهزة ولوج/ خروج متخصِّصة (على غرار الأرصوصة الفيديويّة والقفّازات الحسّاسة) التي تسمح بعيش تجربة «مباشرة» بشكل تفاعليّ تبادليّ من دون الحاجة إلى شاشة حاسوب.

خلافاً للصِّفة (stand-alone)، مازال الاستخدام المُجرَّد من الصفة المصطلحيّة لصِفة (virtual) مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بميدان المعلوماتيّة. ومن المهمّ أن ننوِّه بأنَّه يُحيل أكثر فأكثر إلى الإنترنت،

مع أن هذا الأخير لم يكن يُشكِّل جزءاً من المعنى الأصليّ الذي ينطوي عليه الواقع الافتراضيّ. وفي إطار تحليل مُفصَّل قُمنا به في مقالة سابقة (Meyer, Mackintosh et Varantola 1997) بشأن الصفة الإنجليزية (virtual)، اقترحنا أن الاستخدامات المجرَّدة من صفتها المصطلحيّة لكلمة (virtual)، كانت تستند إجمالاً إلى ثلاث مميِّزات دلاليّة، ألا وهي: ـ إنترنت و ـ وجود مشترك مُحاكى (فبدلاً من التواجد الجسديّ في مكان واحد، يرتبط المشاركون في ما بينهم بواسطة الحاسوب)، فضلاً عن ـ ديناميكيّ (أي، ما يتمّ إيجاده لغرض معيَّن ولمدَّة محدودة). وإليكم هذه الأمثلة:

8) تطبيق افتراضيّ (virtual application)

9) جنس افتراضي (virtual sex) وصف دراسة افتراضي (virtual classroom) وسفر افتراضي (virtual travel).

10) شركة افتراضيّة (virtual corporation) وموظَّف افتراضيّ (virtual employee).

من الممكن أن يتمَّ «تفعيل» المُميِّزات الثلاثة الضمنيّة التي تركن إليها الاستخدامات المجرَّدة من الصفة المصطلحيّة للصفة (virtual) كل منها على حدة أو بشكل مركَّب، فمثلاً: لا تتطابق عبارة تطبيق افتراضي (أي، تطبيق على الحاسوب الذي يعمل على شبكة الإنترنت) إلاّ مع مميِّزة ـ إنترنت، أمّا عبارات جنس افتراضي وصفّ دراسة افتراضي وسَفَر افتراضي، فتشتمل كلّها على ـ إنترنت و ـ وجود مشترك مُحاكى، علماً بأن اتِّحاد هاتَين المميِّزتَين يُهَيمن على استخدامات الصفة (virtual)، وأخيراً، ينطوي التعبيران: شركة افتراضيّة وموظَّف افتراضيّ على المميِّزات الثلاث المذكورة أعلاه (حيث تضاف المميِّزة ـ ديناميكيّ إلى المُميِّزتين الأخيرتين، في نطاق أن «الشركات الافتراضيّة» لا توجَد إلاّ خلال مدّة محدودة).

ثالثاً، لنتأمَّل في كلمة **(recycle)**: يبدو أن الاستخدام المجرَّد من الصفة المصطلحيّة للكلمة الإنجليزية (recycle) يحيلُ إلى التصوُّر العامّ نفسه لكلمة «تحويل» (transformation) المُستعملة في ميدان حماية البيئة ومعالجة النفايات. ولكن الجدير بالذكر هو أننا لا نتمكن من إعادة تدوير الأغراض وحسب، بل أيضاً عدد كبير من النزعات أو الأحداث الفنيّة (انظر المثلَين 11 و12 المذكورَين أدناه). ومن الجُملة، إنَّ إعادة تدوير الأشخاص، إن جاز التعبير، تُشكِّل موضوعاً متواتراً، كما رأينا في المثل 3. وإليكم بعض الأمثلة:

11) لقد حصد فيلم **حمى ليلة السبت**(*) (*Saturday Night Fever*)، بالنظر إلى مستواه الفنيّ البدائيّ الخاصّ، نجاحاً، ما جعله يتفوَّق بخطوة على غالبيّة **إعادات الاقتباس** المسرحيّة عن الأفلام الموسيقيّة.

(11) On its own primitive level, Saturday Night Fever does work - and that places it a notch or so higher than most stage **recyclings** of film musicals.

12) سواء كان أسلوبكِ بايبي سبايس(**) أو «سكاري سبايس»، أو سواء كنتِ تتمتَّعين بالفطرة بأسلوب «سبايس» عفوي خاص بك،

(*) عنوان فيلم تمَّ تصويره عام 1977، قامَ ببطولته الممثِّل العالميّ جون ترافولتا (John Travolta). ويصِفُ الفيلم حال أحد أحياء نيويورك وتأثيرها في فنّ الديسكو الرائِج في تلك الحقبة، ويقوم ترافولتا بدور فتى عشرينيّ يُجيد الرقص، وقد ساعَدَ الفيلم على رواج فنّ الديسكو بشكل كبير.

(**) إنَّه أسلوب المغنيّة إيما بونتون (Emma Bunton) في ارتداء الأزياء، وهي عضو في الفرقة الغنائيّة سبايس غيرلز (Spice Girls)، أي حرفيّاً «فتيات التوابل»، التي انطلقَت في التسعينيّات، وعُرِف أسلوب إيما بالموضة بأسلوب «بايبي سبايس» (Baby Spice)، أي حرفيّاً أسلوب الأطفال، لأنَّها كانت ترتدي باستمرار ملابس كملابس الدمى. وكانت كلّ فتاة في هذه الفِرقة تنفرِد بأسلوبها الخاصّ بارتداء الملابس. وهكذا مثلاً، اشتُهِرَت أيضاً المغنيّة ميلاني جانين براون (Melanie Janine Brown) بأسلوب سُمِّي بأسلوب «سكاري سبايس» (Scary Spice)، أي الأسلوب المُخيف، لأنَّها كانت ترتديّ ملابس سوداء اللَّون باستمرار.

فإنّ **العودة** إلى موضة السبعينيّات هذه توافِقُ الفتيات الأنيقات كلهنَّ.

(12) Whether you're a Baby Spice, a Scary Spice or just naturally spicy in your personal style, this **recycling** of 70's fashion is the thing for posh girls.

3) طلبَ يلتسين إلى الدوما تقليد جيراشينكو، وهو موظَّف رسمي **مُجرَّب** تمَّ طرده من حكومة سابقة، منصب حاكم مصرف البلد.

(3) Yeltsin asked the Duma to give the country's crucial chief banker's job to Gerashchenko, a **recycled** official who was fired from an earlier government.

رابعاً، لنتأمَّل في مصطلح **(bandwidth)**: كما لاحظنا أعلاه، يملك مُصطلح (bandwidth) معاني مصطلحيّةً في ميداني الاتِّصالات عن بُعد والمعلوماتيّة، علماً بأن الميدان الأوَّل قد ولَّدَ الميدان الثاني، فعقبَ خضوع مصطلح (bandwidth) لعمليّة التجريد من صفته المصطلحيّة، اكتسب مظاهر «السعة» (capacité) على اختلافها (من مكان وزمان وطاقة وذكاء... إلخ). ويبرزُ في بعض الحالاتِ مظهرٌ واحدٌ فقط من هذه المظاهر (على غرار مَظهر «المكان» الذي يبرز في المثل 4)، وتُساهمُ في حالات أخرى عدَّة مظاهر في تشكيل معنى الكلمة (على غرار مظهري «الزمان» و«الذكاء» في المثل 13، ومظهري «الطاقة» و«الزمان» في المثل 14)، كما يلي:

4) لا ينبغي تبديد **سعة** الجريدة على مجموعة طائشة من الأشخاص البالغين، إذ يجدر بنا بالأحرى أن نشعرَ بالأسى على العائلة، فهي الضحيّة الحقيقيّة للمأساة.

(4) Newspaper **bandwidth** should not be wasted on a careless bunch of adults; instead, feel sorry for the family, true victims of tragedy.

13) بدلاً من التساؤل هل كان لدينا متَّسع من الوقت للقيام بأمر ما، أو هل كان لدينا استعداد لمعالجة مشروع معيَّن، يود العُملاء أن

يعرفوا إن كنا نتحلى بـِ «**القُدرة**» على إنجازه، كما أكَّد كريس ليند، وهو موظَّف إداريٌّ كبير في شركة العلاقات العامّة (Neale-May) وشركاؤه.

(13) Instead of asking if we have time to do something or aptitude to handle a project, (clients) want to know if we have the «**bandwidth**», said Chris Lind, an executive at the public relations agency, Neale-May and Partners.

14) تصدر صرخة الاستغاثة الشائعة في أيّامنا هذه في وادي السيليكون(*)، كما تتوقَّعون على الأرجح، بلغة الخطاب التقنيّ. وتعرفُ إيللي نيلسون، وهي موظَّفةٌ إداريّة كبيرة في قسم الموارد البشريّة في شركة 3Com، هذا الأمر حقّ المعرفة لأنها تسمعه مراراً وتكراراً من موظَّفيها. «إنهم يرفعون أيديهم بسرعة ويقولون «نفذتْ طاقتي»، ويعني ذلك كما تُفسِّر، أنا عاجز عن فعل أيّ شيء إضافي، وما بيدي حيلة وليس لديّ متَّسع من الوقت.

(14) The most common cry for help these days in Silicon Valley comes, as you might expect, in the language of techno-speak. Ellie Nelson, a human resources executive at 3Com, knows it well because she hears it often from her employees. «They throw up their hands and say, «I'm out of bandwidth»» she explains, meaning at wits end, out of capacity, and out of time.

باختصار، تكون هذه الفئة من الكلمات المُجرَّدة من صفتها

(*) وادي السيليكون (Silicon Valley) الذي يُعرَف أيضاً باسم «سيليكون فالي»، هو المنطقة الجنوبيّة من منطقة خليج سان فرانسيسكو (San Francisco) في كاليفورنيا (California) في الولايات المتَّحِدَة. وقد أصبحَت هذه المنطقة مشهورةً بسبب وجود العديد من مطوِّري ومُنتجي الشرائح السيليكونيّة. وحاليّاً تضمّ جميع أعمال التقنيّة العالية في المنطقة، حيث أصبحَ اسم المنطقة مرادِفاً لمصطلح التقنيّة العالية.

المصطلحيّة مثيرةً للاهتمام على المستوى الدلاليّ لأسباب جمَّة:

أوَّلاً، يُحيل استخدام مثل هذه الكلمات إلى شكل مُمَيَّع من أشكال المعنى المصطلحيّ بدلاً من المعنى المصطلحيّ الأصليّ. فعلى سبيل المثال، حين يتحدَّث شخص غير اختصاصيّ عن تناذر قصور المناعة المُكتسبة (VIH)، فهو يُحيل إلى التصوُّر الطبيّ. ولكنه في المقابل حين يستخدم المصطلح الإنجليزي (bandwidth)، كما رأينا في الأمثلة المذكورة أعلاه، فهو لا يُسنده بعد الآن إلى التصوُّر المقصود في ميدانَي الاتِّصالات عن بُعد والمعلوماتيّة.

ثانياً، تجدر الإشارة إلى أن الكلمات المجرَّدة من صفتها المصطلحيّة تكون ثمرة التوسُّعات المجازيّة للمعنى المصطلحيّ الأصليّ. ويكون هذا التوسُّع ممتدّاً بدرجات متفاوتة تبعاً للوحدة المعجميّة موضوع البحث. وهكذا، في حالة الصفة الإنجليزية (virtual) مثلاً، نكون بصدد كلمة رائجة تغطِّي، شأنها شأن أيّ كلمة رائجة أخرى، سلسلةً من المعاني التي تتَّصف بطابع فضفاض ومُبهم للغاية.

ثالثاً، لقد لاحظنا أنَّ الميدان المصطلحيّ الأصليّ يكون حاضراً بدرجات متفاوتة في الاستخدامات المجرَّدة من صفتها المصطلحيّة للكلمة. فمثلاً، لا تزال الصفة الإنجليزية (virtual) تحتفظ بمقوِّم «معلوماتيّ» قويّ، بخلاف الصفة (stand-alone).

وأخيراً، من المثير للاهتمام أن نلاحِظَ أنَّ التبدُّلات الدلاليّة المرصودة حتى الآن قد تتطابق مع تبدُّلات تداوليّة تواصليّة، إذ من الممكن أن يتبدَّل مستوى اللُّغة الملائم لوحدة معجميّة تبدُّلاً ملحوظاً بين الاستخدام المصطلحيّ والاستخدام المجرَّد من الصفة المصطلحيّة، وهذا ما سنراه في الفقرة التالية.

3.2 ـ التبدُّلات التداوليّة التواصليّة

حين يكون المعنى المصطلحيّ الأصليّ الذي تنطوي عليه كلمة معيَّنة مُمَيَّعاً، نميل إلى استخدام هذه الكلمة بشكل عامّيّ. ويكون مستوى العموميّة المستخدَم منوطاً بكلِّ كلمة على حِدة. ففي الواقع، وكما لاحظنا في عدَّة حالات، ولاسيما في المثلَين 13 و14 اللَّذَين يتمحوران حول مصطلح (bandwidth)، يتمّ النظر إلى عدد لا يستهان به من الكلمات باعتبارها تُشكِّلُ جزءاً من اللُّغة الاصطلاحيّة الخاصَّة.

علاوةً على استخدام الكلمات المُمَيَّعة استخداماً عاميّاً، يتمّ غالباً استخدامها بشكل إبداعيّ ومسلّ، كما لو أن مستخدميها يريدون أن يروا إلى أيّ مدى يستطيعون المضيّ في تمديد معناها. ولنلقِ نظرةً على الأمثلة التالية:

15) متى برأيكم ستعمدون إلى **ترفيع** مصروفي؟

[سؤال طرحه فتى على أحد والدَيه]

(15) When do you think you'll be **upgrading** my allowance?

[question posée par un préadolescent à un de ses parents]

16) مع أطيب **التمنّيات الافتراضيّة**. . .

[عبارةُ تحية ختاميّة وُجدَت في أسفل رسالة موجَّهة عبر البريد الإلكترونيّ]

(16) Yours virtually...

[formule de salutation trouvée à la fin d'un message de courrier électronique]

17) **أعِد تدوير** نفسك. تبرَّع بأعضائك.

[هذا شعار رفعه فريق التأثير(*) في ميدان زراعة الأعضاء]

(17) Recycle Yourself. Become A Donor.

[devise d'un groupe de pression dans le domaine de la greffe d'organes]

في بعض الحالات، يحيل التلاعب بالألفاظ إلى المعاني المصطلحيّة الأصليّة. وهذا هو مثلاً شأن الصفة الإنجليزية (virtual)، التي تُستخدَم غالباً في سياقات تدور حول التصوُّر الذي يكمنُ في المصطلح الإنجليزي (virtual reality) = واقع افتراضيّ، وإليكم المثلَين التاليَين:

18) ثمّة أمرٌ متأصِّل في الطبع الكنديّ ينصُّ على وجوب أن يكون ظهر المركب مصنوعاً من الخشب... والخشب هو الشيء الوحيد **الحقيقيّ** الذي بقيَ في عالم يُمسي **افتراضيّاً** أكثر فأكثر مع مرور الزمن.

(18) There's something deeply rooted in the Canadian character that dictates a deck must be made of wood... wood is still the **real** thing in a world that gets more **virtual** all the time.

19) أحد أبنائيّ **الفعليِّين** الذي استحال ابناً **افتراضيّاً** منذ أن اكتشفَ عالم الحواسيب...

(19) One of my **actual** sons, who has doubled as a **virtual** son ever since he discovered computers...

4 ـ تأثيرٌ لغويٌّ أوسع ناجم من عمليّة التجريد من الصفة المصطلحيّة

لقد قمنا حتى الآن بوصف عمليّة التجريد من الدمغة

(*) يُقال له أيضاً «فريق الضغط»، وهو عبارة عن مجموعة من الناس الذين يحاولون التأثير في الرأي العامّ من خلال ممارسة ضغط على السلطات العامّة أو على أعضاء هيئة تشريعيّة، لإنجاح مصالح خاصَّة.

المصطلحيّة باعتبارها حركةً تسير باتِّجاه واحد، بحيث يُشكِّل المعنى المصطلحيّ الثابت في ميدان خاصّ نقطة انطلاقها، في حين يُشكِّل معنى قريباً، إنَّما أكثر تمدُّداً في اللُّغة العامّة، نقطة وصولها. أمّا الآن، فنعتزمُ تفحُّص المعاني الدقيقة التي تتوارى خلف عمليّة التجريد من الصفة المصطلحيّة، في ما يختصُّ بالتأثير المعجميّ بالمعنى الواسع المدلول الذي تُخلِّفه هذه العمليّة في اللُّغة العامّة (انظر الفقرة 1.4) أو في اللُّغات المُتخصِّصة (انظر الفقرة 2.4).

1.4 ـ التأثير في اللُّغة العامّة

حتّى الآن، عندما كانت عمليّة التجريد من الصفة المصطلحيّة تؤدِّي إلى حصول تمييع لا يُستهان به في المعنى المصطلحيّ، كما في الأمثلة التي أوردناها في القسم 2.1.3، كنَّا نعتبر أنَّنا في صدد معنى جديد أو أكثر في اللُّغة العامَّة. وهكذا، اكتسب المصطلح الإنجليزي (bandwidth) إثر تجريده من صفته المصطلحيّة معنى جديداً هو معنى «السعة» في اللُّغة العامَّة، والذي يختلف عن المعاني المصطلحيّة التي تنطوي عليها هذه الكلمة، مع أنَّه يكون مرتبطاً بها.

من المهمّ أن نُلاحِظ أنَّه في حالات جمَّة، يكون لهذه الكلمات معنى أكثر قدماً في اللُّغة العامّة. ونقصِد بقولنا أن المعنى المصطلحيّ يعود إلى معنى موجود أصلاً في اللُّغة العامّة (وهذه عمليّةٌ طبيعيّةٌ لتشكيل المصطلحات). وعلى سبيل المثال، تنطوي الصفة (virtual) على معنى «تقريباً» (presque) في اللُّغة العامّة (كما في العبارتَين التاليتَين: توقُّفٌ تامٌّ تقريباً (virtual standstill) والحاكم المطلق تقريباً (virtual dictator)). وإن هذا المعنى، المُستعار لغويّاً والمُعدَّل بعد ذلك في عدد معيَّن من الميادين، بما في ذلك ميدان المعلوماتيّة، هو موجود بشكل ضمنيّ بوضوح في معنى عبارة واقع افتراضيّ. وعليه، كان لا يزال المعنى الأصليّ الذي تملكه الصفة الإنجليزية (virtual)

في اللُّغة العامّة موجوداً حين تمّ تجريد هذه الصفة (virtual) من صفتها المصطلحيّة، مُكتسبةً عندئذ استخدامات جديدة مرتبطة بتصوُّرات «+ إنترنت» و«+ وجود مشترك مُحاكى» و«+ ديناميكيّ».
وعليه، في حالة الصفة (virtual) وغيرها العديد من الكلمات، يشترك المعنى الجديد المُجرَّد من صفته المصطلحيّة في إطار اللُّغة المحكيّة على الصعيد اليوميّ في الوجود مع معنى أقدمَ منه تملكه الوحدة المعجميّة نفسها.

وفقاً لملاحظاتنا، يُفضي أحياناً هذا الوجود المشترك إلى «إعادة تنشيط» معنى أكثر قدماً في اللُّغة العامَّة، وذلك بسبب المظهر «الرائج» الذي تكتسبه الكلمة المجرَّدة من صفتها المصطلحيّة، فيُصار إذاً إلى استعمال المعنى الأقدَم بوتيرة أعلى في اللُّغة العامَّة، في إطار السياقات، التي كان يفضَّل عليه من قبلُ استعمالُ مرادفاتِ له. وهكذا مثلاً، نادراً ما كانت اللاحقة الإنجليزية (mega) = ميغا تُستخدَم في اللُّغة العامّة بالمعنى التقليديّ «ضخم». إلاّ أن شعبيّة اللاحقة (mega) في ميدان المعلوماتيّة (على غرار كلمة (megabyte)) = ميغابايت، قد أدَّت إلى إعادة انبثاق المعنى الأصليّ الموجود في اللُّغة العامّة في الكثير من الكلمات المركَّبة من مثل (megaproject) = ميغا مشروع، أي مشروع ضخم و(megamerger) = ميغا اندماج، أي اندماج ضخم... إلخ. ويتمّ على ما يبدو استعمال كلمة (mega) بسبب وضعها ككلمة رائجة، في سياقات كان يتمّ فيها من قَبلُ تفضيل استعمال مرادفات من مثل (large) = واسع عليها.

وعليه، قد تُنتِجُ عمليّة «إعادة تنشيط» المعنى الأصليّ في اللُّغة العامّة استخدامات تكون بالأحرى إبداعيّةً بحيثُ تُستعمَلُ الكلمة في سياقات غير مألوفة. ويوضِّح مَثَلُ الفعل الإنجليزي (delete) = حَذَفَ هذا الأمر جيِّداً، كما في المثلَين التاليين:

20) ابدَئي بتحضير وصفة الأوسّو بوكّو(*) الآنفة الذكر، ولكن **احذفي** منها الطماطم واستبدلي نبيذ المارسالا(**) بكميّة معادلة من نبيذ الفَرموت الأبيض الصرف.

(20) Start with the osso buco recipe above, but **delete** the tomatoes and replace the Marsala with an equal amount of dry white vermouth.

21) أثَّر ذلك كثيراً في نوفوسيل، فلجأ هذه السنة أيضاً إلى تقنيات اللايزر **ليَحذف** أكياس الدهنيّات المتراكمة في جَفنَيه. ويُفكِّر حالياً بمحو بعض التجاعيد.

(21) Novosel was so impressed he went back this year for laser work to **delete** the fatty deposits on his eyelids. And now he's considering zapping some age lines.

خِتاماً، قد يذهَبُ «التأثير» المعجميّ الذي تُخلِّفه عمليّة تجريد المصطلح من صفته المصطلحيّة في اللُّغة العامّة أبعد من حدود استحداث معان جديدة. فحين ينتجُ المصطلح عن معنى موجود من قبلُ في اللُّغة العامّة، يُمكن استعمال هذا الأخير في أغلب الأحيان بشكل إبداعيّ أكثر من السابق. وبكلام آخر، لا تَقف «نهاية» عمليّة تجريد المصطلح من الصفة المصطلحيّة عند حَدِّ المعنى المجرَّد من صفته المصطلحيّة، بل إنَّها تؤثِّر أيضاً في المعنى الأصليّ الذي تنطوي عليه الكلمة في اللُّغة العامّة.

(*) إنَّ طبق الأوسّو بوكّو (osso buco) هو طبقٌ معروفٌ من المطبخ الإيطاليّ، وهو كناية عن قطع من كتف العجل تُحضَّر مع البصل والجزر والفطر والطماطم الطازجة، تُضاف إليها رشّة من البقدونس والصعتر والكرفس وقِشر اللَّيمون. وتُقدَّم هذه الوجبة مصحوبة بطبق أرزّ بالزعفران.

(**) سُمِّيَ تيمُّناً بمدينة مارسالا (Marsala) الواقعة في إيطاليا وتحديداً في جزيرة صقليا، وهي مشهورةٌ بصناعة النبيذ الذي كان اقتصادها تاريخيّاً يقوم على صناعته.

2.4 ـ التأثير في اللُّغة المتخصِّصة

تنزع الملاحظات التي أبدَيناها حتى الآن إلى برهنة أن «نهاية» عمليّة تجريد المصطلح من الصفة المصطلحيّة تقع في اللُّغة العامّة فقط. ولكنّنا نعتقدُ في الواقع أن عمليّة تجريد المصطلح من الصفة المصطلحيّة تُؤثِّر أيضاً في اللُّغات المتخصِّصة ما يدعو إلى السخرية. وبتعبير آخر، يبدو أن عمليّة تجريد المصطلح من الصفة المصطلحيّة تُخلِّفُ تأثيرات في عمليّة إضفاء الصفة المصطلحيّة على الكلمة.

حين يُصبح استخدام الوحدة المعجميّة رائجاً في اللُّغة العامّة، قد يرغبُ الخبراء في ميدان استعمالها الأصليّ في الاستفادة من شعبيِّتها من خلال إعادة إدخالها إلى هذا الميدان، إنما من خلال ربطها بتصوُّرات أوسعَ دلالةً من التصوُّر المصطلحيّ الأصليّ. ويُشكِّل المصطلح الإنجليزي (virtual reality) = واقع افتراضيّ خير مثال على هذه النزعة. ففي البدْء، كان مصطلح (virtual reality) يُشير فقط إلى التقنيات التي تُقدِّم المُمَيِّزتَين التاليتَين، ألا وهما: **1)** أن يكون المستخدم مُنغمِساً بالكامل في عالم افتراضيّ بفضل أجهزة خاصَّة للولوج/ والخروج، ولكن من دون أن يكون مزوَّداً بشاشة حاسوب؛ و**2)** أن يكون المُستخدم موجوداً في مقام تفاعُل تبادليّ(*) مع محيط محاكى، أي محيط يتحكَّم به. وفي غضون السنوات المنصرمة، باتت عبارة (virtual reality) تُستخدَم للتعبير عن معانٍ أوسع بكثير من معناها الأصليّ. وهكذا، تلاشى معنى الانغمار التامّ من تقنيّات من مثل «الزيارات الافتراضيّة» (virtual tours) التي يُراقب المستخدمون خلالها مكاناً ذا ثلاثة أبعاد على شاشة الحاسوب، من

(*) المصطلح تفاعُل تبادلي (interactivité)، والذي يُسمّى أيضاً «تآثُر» أي، تأثير أو فعل مُتبادَل، يدل على التفاعل بين إنسان ومعلومة تُقدِّمها آلة.

دون أن يستخدموا نظّارات خاصَّةً أو أدوات أخرى. أمّا بالنسبة إلى معنى التفاعُل التبادُليّ، فلقد اضمحلَّ كذلك من تقنيّات من مثل «مسيرات افتراضيّة» (virtual motion rides) التي لا تسمحُ للمُستخدم بالتحكُّم بتجربتها.

ممّا لا يحمل إلى الشكّ سبيلاً أن مختلف استخدامات عبارة (virtual reality) الموسَّعة أكثر، إنما المحافظة دائماً على صفتها المصطلحيّة، تكون مرتبطةً جزئيّاً بوضع كلمة (virtual) في اللُّغة العامَّة باعتبارها كلمةً رائجةً. وكلُّنا يعلَم أن الخبراء يستعينون بكلمات رائجة لتسمية الطرائق والأساليب والوحدات التي يبتكرونها، ولو لم تكن هذه الكلمات تعكس بالكامل المعنى المصطلحيّ الأصليّ. وحين يكون الوضع كذلك، يميل الخبراء الذين يعملون على التصوُّر الأصليّ إلى الشعور بالأسف على «فَقد قيمة» المصطلح. وفي ما يتعلَّق بالواقع الافتراضيّ، لقد صادفنا العديد من الحالات التي كان فيها الخبراء يبذلون قصارى جهودهم للتفريق بين ما يُطلقون عليه اسم الواقع الافتراضيّ «الحقيقيّ» (virtual reality «vraie») لمعاني هذا المصطلح المُبتكرة والأوسع دلالةً.

أيّاً يكن ما يعتقده الخبراء الذين يعكفون على دراسة هذه الظاهرة، من الواضح أنَّه حين يُجرَّد المصطلح من صفته المصطلحيّة، تستطيع استخداماته في اللُّغة العامَّة أن تُسرِّب مجدَّداً الخطاب المصطلحيّ على شكل معان تكون أوسع دلالةً بطبيعة الحال من المعنى المصطلحيّ الأصليّ، إنما ليس بما يكفي لجعلها جزءاً من اللُّغة العامَّة. وبتعبير آخر، لا تنتهي حُكماً عمليّة تجريد المصطلح من الصفة المصطلحيّة عند تخوم اللُّغة العامَّة. ففي الواقع، من الممكن أن تُنتِجُ هذه العمليّة سلسلةً من المعاني الواقعة على سلَّم يتدرَّج من اللُّغة المصطلحيّة الأكثر تخصُّصاً وصولاً إلى اللُّغة العامّة جدّاً.

من المثير للاهتمام أن نلاحِظَ أنَّ باستطاعة استخدامات الكلمات المجرَّدة من صفتها المصطلحيّة أن تُعيدَ تسريبَ خطاب الميدان الأصليّ (على غرار ميدان المعلوماتيّة بالنسبة إلى كلمة (virtual)، فضلاً عن ميادينَ مصطلحيّة أخرى). وهكذا مثلاً، تُشحَن في زمننا الحاضر المصطلحات التالية: عملة افتراضيّة (virtual currency) واقتصاد افتراضيّ (virtual economy) وشركة افتراضيّة (virtual corporation) بمعان مصطلحيّة جديدة في ميدان الاقتصاد.

5 ـ الخلاصة

لقد قمنا في هذه المقالة بتشبيه عمليّة التجريد من الصفة المصطلحيّة بسَفَر تقوم به الوحدة المعجميّة حين لا يُثير التصوُّر الضمنيّ فيها اهتمام الخبراء وحسب، بل أيضاً الأشخاص غير الاختصاصيِّين. وكما سبقَ أن رأينا، من الممكن أن نشهدَ حدوث نمطَين من التبدُّلات الدلاليّة أثناء هذه العمليّة. وبالنسبة إلى بعض الوحدات المعجميّة من مثل تناذر قصور المناعة المُكتسبة (VIH) وشَرَه مرضيّ (boulimie) وتصوير بالرنين المغنطيسيّ (IRM)، يبقى المعنى المصطلحيّ الضمنيّ ثابتاً، حتى وإن كانت درجة فَهْم الأشخاص غير الاختصاصيِّين له أكثر سطحيةً من درجة فهم الخبراء. أمّا في ما يتعلَّق بوحدات معجميّة أخرى، من مثل مستقلّ (stand-alone) وافتراضيّ (virtual) وإعادة تدوير (recycle) وسِعة (bandwidth)، فيتمدَّد المعنى المصطلحيّ الأصليّ أكثر بكثير، لدرجة أنَّه يُفرِزُ استعمالات عاميّةً أكثر. وأخيراً، لقد تمحَّصنا في بعض العلاقات التضمينيّة التي تُخلِّفها عمليّة التجريد من الصفة المصطلحيّة في اللُّغة العامّة واللُّغات المتخصِّصة. وفي ما يتعلَّق باللُّغة العامَّة، قد تؤدِّي شعبيّة الكلمة المجرَّدة من صفتها المصطلحيّة إلى استخدام أكثر شيوعاً وإبداعية مقارنةً بالمعاني الأكثر قِدَماً التي تنطوي

عليها هذه الكلمة. أمّا في إطار اللُّغات المتخصِّصة، فقد تولِّد عمليّة التجريد من الصفة المصطلحيّة معاني مصطلحيّةً جديدةً تكون أوسع دلالةً، سواء في الميدان الأصليّ أم في ميادينَ أخرى.

لابد من أن تزداد حالات الهجرة المعجميّة من اللُّغات المتخصِّصة نحو اللُّغة العامّة كلما دخلنا بيُسر إلى «مجتمع المعرفة». ومع تسلُّل المعارف المتخصِّصة شيئاً فشيئاً إلى حياتنا اليوميّة، سيتجرَّدُ عدد متزايد من الوحدات المعجميّة من طابعه المصطلحيّ الثابت، خاضعاً بذلك لتبدُّلات دلاليّة وتداوليّة تواصليّة في طور عمليّة التجريد من الصفة المصطلحيّة.

ما هي تبعات عمليّة التجريد من الصفة المصطلحيّة على علم المصطلحات النظريّ والتطبيقيّ؟ قبل كل شيء، تجعل عمليّة التجريد من الصفة المصطلحيّة الحدّ التقليديّ الفاصل بين جدول المفردات العامَّة وجدول المصطلحات أكثر تحركاً. وهكذا، يتعيَّن على علماء المصطلحات النظريِّين أنَّ يأخذوا في الاعتبار أداء المصطلحات في اللُّغة العامّة، بما أنَّ استخدام المصطلح في اللُّغة العامّة قد يُعيد تسريبَ ميدان اختصاص معيَّن، وذلك حين يسعى الخبراء مثلاً إلى الاستفادة من شعبيَّته. تؤدِّي هذه الظاهرة إلى حصول تعدُّديّة دلاليّة داخل الميدان، حين تُعيد الكلمة تسريب ميدان استعمالها الأصليّ (على غرار المعاني الأوسع دلالةً لمصطلح (virtual reality) = واقع افتراضيّ، فضلاً عن حصول تعدُّديّة دلاليّة بَيْميادينيّة، حين يقوم خبراء في ميادين اختصاص أخرى باعتماد هذه الكلمة (على غرار عبارة virtual currency = عملة افتراضيّة في ميدان الاقتصاد).

قد تؤثِّر في المستقبل عمليّة التجريد من الصفة المصطلحيّة في المهمَّتَين المولَج علم المصطلحات التقليديّ بتأديتهما، ونعني بهما: تشكيل المصطلحات (أي الاستحداث) والمَعْيَرَة. وقد تُشكِّل إمكانيّة

أن يثير مصطلح متخصِّص اهتمام الجمهور العريض عاملاً من عوامل تسمية التصوُّر. ويتجلَّى الوضع الأمثل في أن تكون الوحدات المعجميّة القابلة أن تُجرَّد من صفتها المصطلحيّة سهلة الفهم والاستعمال. ونُلاحظ أصلاً وجود مثل هذه المقاربة في ميدان المعلوماتيّة حيث تحظى الاستعارات (على غرار الفأرة (souris) وأوتوستراد المعلومات (autoroute de l'information) بشعبيّة متزايدة. ويعي الخبراء أن باستطاعتهم تبسيط التصوُّرات المُعقَّدة والتخفيف من وطأة الضغط الذي تُسبِّبه التكنولوجيا.

مجمل القول، يقع تمدُّد المعنى الذي يحدثُ عقبَ عمليّة التجريد من الصفة المصطلحيّة في صميم بعض القضايا التي يترتَّب على البحث العلميّ أن يتصدَّى لها في عصر مجتمع المعرفة هذا الذي نعيشُ فيه. ونأملُ أن يُسهم عملنا في تحسين عمليّة فهم حركات المدّ والجزر التي يقوم بها المعنى بين اللُّغة العامَّة واللُّغات المتخصِّصة.

الشكر

نُقدِّم شكرنا الجزيل إلى فلورانس ليهمان (Florence Lehmann) لأنها تولَّت مهمَّة ترجمة هذه المقالة التي بين أيديكم إلى اللُّغة الفرنسيّة.

لقد تمّ تمويل هذا البحث من قِبل مجلس الأبحاث في العلوم الإنسانيّة في كندا.

المراجع

Books

Drucker, Peter. *Post-Capitalist Society*. New York: HarperBusiness, 1993.

Hartmann, R. R. K. (ed.). *Lexicography: Principles and Practice*. London: Academic Press, 1983.

Pearson, Jennifer. *Terms in Context*. Amsterdam; Philadelphia: John Benjamins, 1998.

Periodicals

Béjoint, Henri. «Scientific and Technical Words in General Dictionaries.» *International Journal of Lexicography*: vol. 1, no. 4, 1988.

Bellafante, G. «The Battle of the Knuckleheads.» *Time Magazine*: no. 5, October 1998.

Landau, Sidney. «Of Matters Lexicographical: Scientific and Technical Entries in American Dictionaries.» *American Speech*: vol. 49, no 3-4.

Laurel, Brenda. «Virtual Reality.» *Scientific American*: vol. 90, 1995.

Mazière, Francine. «Le Dictionnaire et les termes.» *Cahiers de Lexicologie*: vol. 39, no. 2, 1981.

Meyer, Ingrid, Kristen Mackintosh and Krista Varantola.

«Exploring the Reality of Virtual: On the Lexical Implications of Becoming a Knowledge Society.» *Lexicology*: vol. 3, no. 1, 1997.

————, Victoria Zaluski and Kristen Mackintosh. «Metaphorical Internet Terms: A Conceptual and Structural Analysis.» *Terminology*: vol. 4, no. 1, 1997.

Rey, Alain et Simone Delesalle. «Problèmes et conflits lexicographiques.» *Langue française*: vol. 43, 1979.

Conferences

Fontenelle, Thierry [et al.] (eds.). *EURALEX '98 Proceedings*.

Websites

http://cgi.pathfinder.com

من المعنى إلى التعريف في المشهد[1] الرياضي

إيف جنتييوم[2]

لابدّ لنا أولاً من أن ننوِّه بأنَّ العالِم الرياضيّ يتحركُ في **مشهد** يدرسُ فيه مجموعةً من الظواهر، وبأن فكره يتّبع فيه منحًى حدسيّاً. تتعلَّق المسألة بطبيعة الحال بمشهد ذهنيّ وبظواهرَ ذهنيّة [...] وتزخَرُ مخيِّلة العالِم الرياضيّ بالمنحنيات والأسطح والأحجام والأسهم والحَرَكات والتواترات، وهي تساعده على تلمُّس طريقه في عالَم تصوُّريّ يتجاوز حدود الإدراك الحسيّ المُشترك (Bkouche, Charlot et Rouché 1991: 223).

(1) نؤثِر استخدام عبارة في المشهد الرياضيّ على عبارة في النصّ الرياضيّ، ومردّ ذلك إلى أنَّه من الممكن أن يتضمَّن النصّ الذي يتمحور حول الرياضيّات فقرات ذات طابع أكثر عمومية، على غرار التعليقات المعرفية (الإبستيمولوجية) والإحالات التاريخيّة التي تخضع لضوابط من نوع آخر. وبالعكس، قد تُطالعنا في علوم أخرى، من مثل الفيزياء أو الكيمياء، فقراتٌ ذات طابع رياضيّ على مستوى متقدِّم.

(2) مركز الأبحاث تيسنيير (Centre de recherche L. Tesnière)، وحدة التدريب على البحث (UFR Lettres)، جامعة فرانش ـ كونتيه (Université de Franche-Comté).

1 ـ تنبيه[3]

سنسعى في هذه الدراسة إلى إيضاح التعارض القائم بين المعنى، كما يظهر في الخطاب الرياضيّ (والذي تحكمُه التعريفات الصارمة والدقيقة)، والمعنى، كما يتمُّ وصفه في الخطاب العاديّ (والذي يخضع «للشَّطَحات الأسلوبيّة»).

إنه لمن باب الثقة الزائدة بالنفس بلا ريب أن نزعُمَ في أيّامنا هذه بأننا نشير إلى الرياضيّات في جملتها، فما من عالم يستطيع أن يدَّعي أنه يُحيطُ بها بكليِّتها، لفَرط ما يتَّسع هذا العلم ويتنوَّع[4]. وانطلاقاً من معرفتنا المتواضعة، سنحاول إجراء بعض التقديرات الاستقرائيّة[*]. ولنقل على سبيل التشبيه إننا سنتصرَّف على طريقة

(3) نظراً إلى كون هذا البحث يطول عدَّة ميادين، فهو قد يفتح باباً للخِلاف، ولذلك أخضعناه لُحكم عدّة زملاء يفوقوننا كفاءةً، كلٌّ في مجال اختصاصه. ونُقدِّم شكرنا الجزيل إلى: سيلفيان كاردي-غرينفيلد (Sylviane Cardey-Greenfield) (وهي أستاذةُ تُدرِّس الألسنيّة المُعلَمَة (linguistique computationnelle) في جامعة فرانش ـ كونتيه (Université de Franche-Comté) ومارتين كوتييه (Martine Coutier) (وهي مُعجميّةٌ في معهد اللُّغة الفرنسيّة الوطنيّ (Institut national de la langue française) وجان لوك ديكان (Jean-Luc Descamps) (حائز على دكتوراه دولة، وهو معجميٌّ) وسيرينا جنتييوم (Serena Gentilhomme) (وهي محاضرةٌ في الجامعات، واختصاصيّةٌ في علم سيميائيّة الصورة) وميشال هنري (Michel Henry) (وهو أستاذ مادّة الرياضيّات في جامعة فرانش-كونتيه (Université de Franche-Comté)) وإيغور ملتشوك (Igor Mel'čuk) (وهو أستاذ ألسنيّة في جامعة مونريال (Université de Montréal)) الذين قرأوا مخطوطتنا هذه التي بين أيديكم وقد أبدوا بشأنها ملاحظات وسجَّلوا اعتراضات مناسبة تماماً وقد ساهموا بفعلهم هذا في تطوير بحثنا بشكل ملحوظ.

(4) وبشكل أعمّ، لقد عمَدَت دانيال كانديل (Danielle Candel) (عام 1998) إلى مناقشة وجهة النظر المعجميّة بشكل تقنيّ وواقعيّ في سبيل إعداد معجم بالمصطلحات العلميّة. وقد بيَّنت المؤلِّفة مدى تعقيد هذه المهمَّة.

(*) أن نقوم بتقديرات استقرائيّةً يعني أن نستنتِجَ من سلسلة من الملاحظات أحوالاً أو تطوُّرات محتملةَ الوقوع ولكنَّها غير مُلاحَظَة أو مرصودة.

العالِم الإحاثيّ(*) الذي ينطلقُ من سنّ واحدة ليطرحَ فرضيّات معقولةً حول الماموث الرياضيّ بأكمله. وسيكتشِفُ «علماء إحاثيّون» آخرون أسناناً أخرى، بل بقايا عظام أخرى، وسيتمكَّنون بالتالي من تعزيز فرضيّاتنا أو انتقادها.

1.1 ـ توافقات اصطلاحية

تلافياً لوقوع أيّ سوء تفاهم، لابدّ لنا من أن نوضِّحَ أنَّه في سياق هذه الدراسة، سنستخدِم بعض الكلمات الشائعة الاستعمال، إنَّما بمفهوم تقنيّ[5]، كالآتي:

المعنى: لقد اصطلَحنا على أنَّ معنى الكلمة أو التعبير أو العبارة هو كنايةٌ عن وحدة شامِلة يتعيَّن تحديدها بدقَّة من خلال الظروف الخاصَّة لاستخدامها (داخل السياق المقاميّ أو خارجه).

المفهوم/ التصوُّر: إنَّنا نضع المفهوم ـ وهو عبارةٌ عن محتوى قابل للوصف بواسطة تعريف معجميّ، في مقابل التصوُّر ـ وهو محتوى يتمُّ تحديده بالكامل بواسطة تعريف لازِم[6] (Gentilhomme

---

(*) العالِم الإحاثيّ هو الشخص الذي يدرس علم الإحاثة (أو الـ «باليونطولوجيا» (paléontologie))، أي العلم الذي يبحث في أشكال الحياة في العصور الجيولوجيّة السالفة كما تُمثِّلها المتحجِّرات أو الأحافير أو المستاحاثات الحيوانيّة والنباتيّة.

(5) نشدِّد على واقع أنَّنا لا نفرِضُ على أحد اللُّغة التقنيّة الخاصَّة بنا. فنحن نتقيَّد بالاستعمال الشائِع في المنشورات الرياضيّة. فبغية الإشارة بشكل ملائِم إلى الوحدة التي يحتاجها المؤلِّف، يعمَدُ هذا الأخير إلى استعارة مصطلح موجود (إذا أمكَنَ ذلك) يُجانسه مع تعريف يُلائِمُ دراسته، من دون أن يعمدُ إلى رفض التعريفات التي تعود لزملائه والمُصمَّمة لغايات أخرى. وهكذا، تتحمَّل كلمةٌ من مثل رسم بيانيّ (graphe) عدداً كبيراً من التعريفات، لكلّ منها مسوِّغاته في مشهد البحث التي تكون متأصِّلةً فيه.

(6) ثمَّة التقاء هو وليد الصدفة المحض بينه وبين التعريف الأرِسطوطاليسيّ بشأن هذا التصوُّر.

(1994 . وينتجُ من ذلك أنَّه، في المقاربة التي نعتمدها، ما من شيء يدعو إلى فصل دراسة معنى الكلمة عن معنى العبارة، في نطاق أن معنى الأولى يكون منوطاً بالثاني[7]، والعكس بالعكس.

المعلومة: نفهمُ المعلومة على أنَّها محتوى الرسالة الكلاميّة الذي يحدُّ من الغموض المُرتبط بمقام معيَّن. ويتوقَّف هذا الغموض على الأهداف التي يضعها المتكلِّمون نُصبَ أعيُنهم. وليس من باب التناقض أن نقول إنَّ هذا المعنى يؤدي معلومة، وذاك لا يؤدي معلومة[8].

المصطلح الرياضيّ (م. ر.): نُطلق في هذه الدراسة اسم مصطلح رياضيّ على الوحدة التي تكون طريقة عملها لغويّةً (سواء كانت لفظةً بسيطةً أو مركَّبةً) والتي تكون مُختصَّةً بـِ «المشهد الرياضيّ» (أي الخطاب المكتوب و/ أو الشَّفهيّ)، باعتبار أن المحتوى المنقول قد يكون تصوُّراً أو شبه تصوُّر (انظر القاعدة 4 الوارِدة في الفقرة 1.6. أدناه). ويُعدُّ التعبير نفسه، تبعاً لوظيفته في السياق، بمثابة المصطلح الرياضيّ[9] أو اللاّمصطلح الرياضيّ.

---

(7) نغضُّ الطَّرْف عن بُنية القول الخاصة بالتواصل.

(8) غالباً ما تتمّ مماثلة المعنى بالمعلومة. ولكن من المُلائِم أن نُميِّز بينهما في الممارسة الرياضيّة. وهكذا مثلاً، تنطوي عبارة **حُزمة رقيقة** (mince faisceau) على معنى مُحدَّد بالنسبة إلى العالم الهندسي، تماماً كما بالنسبة إلى عالم الفيزياء. بيد أنَّها لا تُقدِّم للأوَّل معلومةً مُفيدةً في إطار برهنة معيَّنة باعتبار أنَّ الصفة رقيقة (mince) لم تكتسِب تعريفاً صارِماً، في حين أنَّ صِفة (mince) تُشكِّل بالنسبة إلى الثاني، حينَ ترِد مثلاً في عبارة حزمة ضوئيّة رقيقة (mince faisceau de lumière) شرطاً ضروريّاً في علم البصريّات الهندسيّة لكي نحكمَ بصحَّة مقاربة غوس (approximation de Gauss).

(9) من المهمّ أن نُذكِّر بأنَّ المفهوم اللُّغويّ للمصطلح الرياضيّ يختلفُ عن المفاهيم التي يؤخَذ بها عادةً في علم الرياضيّات وفي علم المنطق.

2 ـ أسئلةٌ استهلاليّةٌ يُزعم أنها ساذجة

1) هل يسبقُ المعنى التعريف؟

2) هل تملك الوحدة المجرَّدة التي نُشير إليها بكلمة «معنى» المعنى نفسه في المجالات العلمية؟ ويفترِضُ هذا السؤال أن نعلمَ الجواب عن السؤالَين التاليَين البَديهيَّين إنما الجوهريَّين، ألا وهما:

3) هل ينطوي تواردان معيَّنَان ـ مماثلان من حيث الشَّكل ـ للتعبير نفسه (سواء كانا كلمَتَين أو قولَين أو نصَّين) على المعنى نفسه، أم من الممكن أن يحملا معنيَين مختلفَين، بل معنيَين متقاربَين؟

4) ما الذي نقصد قوله بالضبط حين نؤكِّد أنَّ تعبيرَين معيَّنَين ـ مُتميزين على صعيد الشَّكل ـ ينطويان على المعنى نفسه (ترادف) أو على معنيَين مختلفَين[10]؟

5) كيف السبيل إلى التحقُّق من ذلك (الأمر الذي يطرحُ إشكاليّةً مركزيّةً في مقاربتنا)؟ ومن هنا ينبثق سؤالان فرعيّان أوليَّان، ألا وهما:

6) هل التعابير المتخذة متشابهة من حيث الدلالة؟ وكيف السبيل إلى تصوُّر هذه المقارنة[11] وتحقيقها؟

---

(10) ينوِّه ملتشوك بشأن نموذج المعنى ـ النصّ بما يلي: «نعتقدُ أنَّ القدرة على الحكم إنْ كانت جملتان معيَّنتان متساويتَين في الدلالة (= أي إنْ كانتا تنطويان على المعنى نفسه) تُعدُّ جزءاً من كفاءة المتكلِّمين اللُّغويّة [...] ونُحدِّد مفهوم المعنى انطلاقاً من مفهوم «المعنى نفسه» [...] كما نطرحُ كمسلَّمة مفهوم هويّة المعنى باعتباره متعذِّر التعريف»، انظر: Igor Aleksandrovič Mel'čuk, «Paraphrase et lexique dans la théorie linguistique sens-texte. Vingt ans après,» *Cahiers de Lexicologie*, vol. 52 (1988), p. 9.

(11) يُمكننا إنجاز هذا التشبيه من خلال وضع هذين التعبيرَين في سياقات مختلفة والطلب إلى متكلِّمين موثوق بهم إنْ كان المعنى الذي يَنتجُ عنهما قد تبدَّل. إلاّ أنَّ هذه الطريقة تتَّصف بطابع مُريب لأنَّه ما من استبدال يكون بريئاً تماماً على الصعيد الألسنيّ، في حين أنَّه في علم المنطق (وهو علم تجريديٌّ)، يكون الاستبدال مُبرَّراً تماماً، المصدر نفسه، ص 49، الحاشية 7.

7) هل يُشكِّل المعنى الذي ينطوي عليه تعبيرٌ معيَّنٌ خاصيّةً ذاتيّةً، وهل يُمكن فصله عن التعبير موضوع البحث[12]؟

8) ما المقصود بالقول «إعطاء معنى» (donner du sens)، ولاسيما لتصوُّر رياضيّ؟

إذا كان بعض الألسنيِّين اللُّغويين يرون أنَّ هذه الإشكاليّة تقع على تخوم الألسنيّة (في نِطاق أنظمة من مثل الألسنيّة السيكولوجيّة والألسنيّة الاجتماعيّة وعلم المنطق وحتى الفلسفة وفنَّ التعليم)، فهي تحتلُّ بالنسبة إلى آخرين مكاناً على جانب من الأهميّة في نطاق علم الدلالة نفسه الذي يُنظَر إليه على أنَّه فرعٌ من فروع الألسنيّة.

تتجلَّى الإشكاليّة التي نواجهها في معرفة التأثير الذي تُخلِّفه هذه الأسئلة في اللُّغة وطريقة عملها في التواصل المكتوب في نِطاق **المشهد الرياضيّ**، وما الذي ينبغي فعله للحصول على أجوبة موضوعيّة[13] نوعاً ما.

يُجيبُ عددٌ من الألسنيِّين اللُّغويِّين بشكل مُضمَر على هذه الأسئلة من خلال ممارستهم الكَشْفيّة، حتى من دون أن يطرحوها

---

(12) في حال قُمنا، سائِرين على خُطى الصورة السوسوريّة، بمماثلة المعنى بالمدلول والتعبير بالدالّ، اللَّذَين يُفسَّران على أنَّهما وجهان للعملة نفسها، فإنَّ المعنى وركيزته، من وجهة نظر معيَّنة، غير قابلَين للفصل.

(13) تملك الصفة موضوعيّ (objectif) مفهومَين على الأقلّ. وبالإجمال، يُعيِّن أوَّلهما أنَّ التأكيد صحيحٌ بمعزل عن الشخص الذي يصدره، في حين يُحدِّد الثاني أنَّه قادرٌ على إرساء التوافق بين عددٍ كافٍ من الاختصاصيِّين من أهل الثقة. وإنْ كان المفهوم الأوَّل يرتكز على نوع من ميتافيزيقا، فإنَّ الثاني يُعدُّ بالأحرى بمثابة حدث اجتماعي (مصغَّر). وفي بحثنا، لا نستطيع أن نقول إلاّ بالتصوُّر الثاني. وبغية الاطِّلاع على تحليل مُعمَّق حول هذه الإشكاليّة الواسعة، انظر على سبيل المثال: Karl Raimund Popper, *La Connaissance objective*, traduit de l’anglais par Catherine Bastyns (Bruxelles: Editions Complexe, 1978).

صراحةً. ومن البيِّن أنَّه يتعذَّر التملُّص من الإجابة عن مثل هذه التساؤلات في المُعجميّة التي تكون مهمتها، من جملة أمور أخرى، وصف المعنى الذي تنطوي عليه المُفردَة بواسطة مفردات أخرى على نحو يُمكِّن المتكلِّمين المعنيّين من فهمها.

في مداخِل المَعاجِم، يتمّ فَصل الشحنة الدلاليّة التي ينطوي عليها المدخل المُركَّب إلى عدَّة عناوين. ولقد تمّ تكريس عدَّة أعمال لدراسة هذه المسألة. وننوِّه على سبيل التذكار بالأعمال التي قامَ بها (إلنيتسكي (Elnitsky) عام 1982 وبوزون (Buzon) وديكان (Descamps) ولاميزيه (Lamizet) عام 1982؛ وملتشوك Mel'čuk وكتّاب آخرون عام 1995، ص 72).

في إطار مقاربة نموذج المعنى- النصّ (approche du modèle du sens-texte)، من جملة مقاربات أخرى، تُعَدُّ إشكاليّة التطابُق أو الاختلاف بمثابة المُعطى التجريبيّ (جواباً عن السؤال 5). وبتعبير آخر، يقع الجواب خارج النظام بحصر المعنى.

لو جرى استفتاء بحسبَ الأصول لرأي شريحة جديرة بالتصديق، يمكن أن نُبيِّن مع بعض «الأرجحيّة»[14]، إنْ كان تعبيران معيَّنان ينطويان على المعنى نفسه أم على معنيَين مختلفَين. وفي الحالة الثانية، سيسعى عالم الدلالة إلى إبراز التفاوتات في المعنى بين التعبيرَين، وإيضاحه مستعيناً بوسائل ألسنيّة ملائمة (على غرار اللُّجوء مثلاً إلى تحليل سيميّ يُطبَّق بموجب طريقة مُتَّفق عليها).

---

(14) تؤخَذ كلمة حساب الاحتمال (probabilité) في هذا الصدد بمفهومها في علم الإحصاء الرائج حاليّاً في التعليم الثانوي، ولكنَّها تتعارض مع المفهوم الذي يقول به مُؤسِّسو حساب نظريّة الاحتمالات. وبغية الاطِّلاع على مقاربة إبستمولوجية مُعمَّقة، انظر على سبيل المثال: Jean-François Pichard, «Approche épistémologique et diverses conceptions de la probabilité,» *Repères IREM*, no. 32 (1998).

يكمنُ غَرَض بحثنا بنوع أخصّ في معالجة لغة العلماء الرياضيِّين (من باحثين وأساتذة) أثناء مزاولتهم مهنتهم. إلاّ أنَّنا سنعمَدُ، بغية الإحاطة بخصوصيّة هذا الميدان بشكل أفضل، إلى مقارنتها بخصوصيّات طرق تواصل أخرى.

لقد دفعنا السؤال الأوَّل إلى تبرير التعارض بين المفهوم/ والتصوُّر (انظر الفقرة 4 في ما يلي). وستحثُّنا الأسئلة التالية على اعتماد مقاربة نظامية (systémique) حول المعنى (Gentilhomme 1985, Andreewsky 1991). ولا يظهر المعنى كمعطى سكونيّ بل كصيغة «مؤلفة» تابعة للمحيط (Radford 1997: 81-82) ولعالَم الممكنات والمعتقدات (Martin 1983).

3 ـ أمثلةٌ استهلاليّةٌ

من أجل تبرير التساؤلات التي طرحناها، سنقترحُ بعض الأمثلة.

1.3 ـ المثل 1: كلمة زاوية

باعتبار أنَّ هذه المفردة تُعتبر إمّا مفردةً من معجم اللُّغة أو مصطلحاً رياضيّاً، فهي متعددة المعاني بشكل واضح. وفي الحالة الثانية، يتبدَّل المعنى الذي ينطوي عليه هذا المصطلح، وبالتالي المعلومة التي ينقلها، تبدُّلاً ملحوظاً تبعاً لاعتبار الزاوية الواقعة بين نِصفَي مستقيم (demi - droites) (طبقاً لتقليد الهندسة الأقليديّة) أو بين موجِّهَين (vecteurs) أو بين خطَّين مستقيمَين، كما يتعيَّن إبراز هذا المعنى بشكل بيِّن. ويمكن أن تكون هذه الزاوية موجَّهةً أو غير موجَّهة، مُصمَّمةً بشكل أحاديّ الاتِّجاه أو بالعكس على 360 درجة تقريباً، وحتَّى على 180 درجة تقريباً (وفي هاتَين الحالتَين الأخيرتَين، ترجعنا الزاوية في الواقع إلى مجموعة لامتناهية من

الزوايا[15]، وعلى الأصحّ إلى رتبة التكافؤ المؤلَّفة من الزوايا قاطبةً التي أساسها 380 درجة أو 180 درجة). فضلاً عن ذلك، هل تُعدُّ «الزاوية المسطَّحة» (angle plat) أو «الزاوية المُنعدِمَة» (angle nul)، بالمعنى المألوف، في عداد الزوايا أو اللاّزوايا؟

من وجهة نظر التدليل المنطقيّ الاستنتاجيّ (ولكن ليس من وجهة النظر الكَشْفيّة)، يتماهى المعنى مع ما أطلقنا عليه اسم تصوُّر، وبالنظر إلى ذلك، مع عدَّة تصوُّرات. وضمن حدود قابليّة الفَهم الكلاميّة[16]، يكون المصطلح «زاوية» قابلاً للإبدال بتعريفه.

يمكننا طرح أسئلة مماثلة حول عدد من الكلمات على غرار: قطعة (segment) وطول (longueur) وقطاع (secteur) ومجسَّم (solide)

---

(15) وهكذا، يُمكننا أن نسعى إلى التعبير عن التعادُل (بمعنى التَرَكُّب) بين زاويتَي مُوجِّهَين (vecteurs) بواسطة قياسهما، كالآتي: $a = b + 2kp$، والتعادُل بين خطَّين مستقيمَين بواسطة المُعادلة التالية: $a = b + kp$، حيث يرمُزُ حرف k إلى عدد صحيح موجِب أو سلبيّ أو صفر.

يتَّصف التعريف الآتي: شكلٌ هندسيٌّ مؤلَّفٌ من نِصفَي مستقيم يتحدَّران من المصدر نفسه، بطابع مُبهم. فهو قد ينطبِقُ على شكلَين هندسيَّين مختلفَين، أي مع الشكل الذي نُشير إليه في الهندسة الأوَّليّة بتعبير زاوية بارزة (angle saillant) أو مع الشكل الذي نُشير إليه بتعبير «زاوية تزيد عن 180 درجة» (angle rentrant). إلاّ أنّنا نُفكِّر بادئ ذي بدء وبشكل عفويّ بالزاوية البارزة التي تملك حدّاً (pointe) والتي تُحدِّد دائرةً تُسمَّى داخليّةً وتُشكِّل نوعاً ما جزءاً من الزاوية، ودائرةً تُسمّى خارجيّةً (انظر الصفة النموذجيّة في الفقرة 3.5.). وإنْ طلبنا مثلاً إلى أحدهم أن يقيسَ على رسم معيَّن قيمة الزاوية، فهو سيزوِّدنا بشكل عفويّ (ما عدا في حالةِ التوصية الصريحة) بقياس الزاوية البارزة.

(16) يتَّصف هذا الحَصْر بطابع جوهريّ. فلنلقِ نظرةً على القول الآتي: «**إنَّ مجموع قياسات الأشكال الهندسيّة الثلاثة المؤلَّفة من نِصفَي مستقيم ينبثقان من نقطة الأصل (point d'origine) نفسها في خطّ مضلع مُقفَل تُحدِّده نقاطٌ ثلاث، يُساوي مجموع قياسات الشَّكل الهندسيّ المؤلَّف من نِصفَي مستقيم ينبثقان من نقطة الأصل نفسها ويقومان على الخطّ المستقيم نفسه ويملكان اتِّجاهَين متقابلَين**». وهكذا، سرعان ما تغدو الأقوال الموسَّعة على هذا المنوال أحاجي عويصةً.

وخطّ موازٍ (parallèle)... إلخ. ومن ثمّ، تُطرح أيضاً إشكاليّة تعيينها، سواء اللُّغويّ أو الرمزيّ، بشكل غير ملتبس، وهي إشكاليّةٌ يتأثَّر بها بوجه خاصّ المدرِّسون (انظر جمعيّة معلِّمي الرياضيات في القطاع العامّ (association des professeurs de mathématiques de l'enseignment public (A. P. M. E. P.)) (عام 1980).

يَكتَنِهُ المحترفون التصوُّر الذي يكونون في صدده، بفضل السياق. وفي أغلب الأحيان، لا حاجةَ «لقول» ما ليس مَقولاً.

يُعدُّ المحلّ الهندسيّ للنقاط، الذي نرى منه قِطْعةً تحت زاوية ثابتة، **دائرةً** (يستوجِبُ زوايا بين خطوط مستقيمة)/ ويتألَّف من **قوسَي دائرة تناظريَّين** (يفترِضُ زوايا غير موجَّهة بين أنصاف خطوط مستقيمة أو موجِّهات)/ وله **قوس دائرة** (يفترِضُ بالإضافة إلى ذلك أن يُصار إلى توجيه السطح (plan)).

3.2 ـ المثل 2:

هل ينطوي على سبيل المثال القول التالي: «يكون المثلَّث الذي يبلغ طول أضلعه 3 و4 و5 مثلَّثاً قائم الزوايا» (un triangle dont les côtés ont pour mesure 3, 4 et 5 est rectangle)، على المعنى نفسه بالنسبة إلى العالم الرياضيّ المتمرِّس وإلى «الطالب الثانويّ» وإلى العالم بالمنطق وإلى المهندس المعماريّ وإلى المَتّار وإلى البُستانيّ؟ ما هي المعلومة التي يُقدِّمها هذا القول؟

بالنسبة إلى الأوَّل، تتعلَّق المسألة بتطبيق معكوس لمُبرهنة فيثاغورس (la réciproque du théorème de Pythagore) على حالة خاصَّة. إلاّ أنَّ الطالب الثانويّ سيغفَل عن توضيح أنَّ التأكيد يتعلَّق بمعكوس المُبرهِنة وليس بالمبرهنة المباشرة. وسيُذكِّر الشخص المتشدِّد بأن مقاسات الأضلع الثلاثة ينبغي أن تُقاسَ بموجب وحدة

القياس نفسها. أمّا بالنسبة إلى المتَّار (الذي يقيس بالمتر) أو البُستانيّ، فيُزوّده القولِ «حيلة صغيرة» للحصول بسهولة على اتِّجاهَين متعامدَين. ومن وجهة نظر الباحث في العلوم والمؤرخ، نكون في صدد ملاحظة تجريبيّة معروفة قبل أن أمست هذه الخاصيّة تُشكِّل المُبرهنة المُقتبَسة عن الفيلسوف العالِم الرياضيّ اليونانيّ الجنسيّة بزمن بعيد. ويستخلِص الجاهلون بأصول عِلم الرياضيّات بسذاجة أنَّ المصريِّين كانوا يعرفون أصلاً هذه المُبرهَنة الشهيرة.

إن العالم بالمنطق الشكلي، وفي انسجام مع منطق القضايا (la logique propositionnelle) الكلاسيكي، لا يَنسِب، اصطلاحيّاً، إلى كل تعبير سليم الصياغة سوى قيمتَين: صح (ص) أو خطأ (خ)، متوافقتَيْن غالباً مع المعنى المنطقي. في هذه الحالة، إذ نأخذ بالاعتبار مسلّماتٍ اعتُبِرتْ صحيحةً، فإن القيمة هنا، هي صحيحة (ص).

من الواضح أنَّ مدرِّس الرياضيّات الذي يُفسِّر عدم اهتمام الطلاّب بالمادَّة التي يُعلِّمها مُنوِّهاً بأنَّ «الرياضيّات تفتقِر إلى المعنى» بالنسبة إلى المُبتدئين (Bkouche [et al.] 1991)، لا يكون على الموجة نفسها مع زميله عالم المنطق، أو أيضاً مع المهندس الذي يستخدِم الرياضيّات على الصعيد المهنيّ. فكيف يمكن تفسير مثل هذا الاختلاف؟

ينتجُ عن ذلك أنَّ المعنى، أو على الأقلّ، محتوى الرسالة الكلاميّة التي ينطوي عليها هذا القول يتبدَّل تبعاً للثقافة التي يتحلَّى بها كلٌّ من قائِل القول ومتلقِّيه وتبعاً للمهنة التي يُمارسها كلٌّ منهما ولمقام فعل القول، كما إنَّه يكون وثيق الصِّلة أيضاً بالمعلومة. ومن هنا تنبثق الأسئلة الآتية:

1) ما المقصود بِـ «المعنى» الذي ينطوي عليه القول المذكور أعلاه؟

2) هل يبقى «معنى المعنى»[17] واحداً في المثلَين 1 و2؟

3) هل ينبغي أن نتخيَّل وجود ما وراء المعنى (méta - sens) في ما يتجاوز المعنى؟

4) هل باستطاعتنا أن نستخرِجَ «معنى تعيينيّاً» دقيقاً مستقلاًّ عن المتكلِّم وعن مقام فعل القول، حيث لا تكون سائر معانيه سوى مفاعيل معانٍ أو تخصيصات؟

5) هل ينبغي أن نستعينَ بظاهرة التضمين الأكثر تعقيداً؟

6) هل يكفي التعارض القائم بين المعنى (بمعزل عن السياق) والدلالة (مع أخذ السياق النصّي و/ أو المقاميّ في الحسبان) لتبرير هذه التبدُّلات كافَّةً في معنى المعنى؟ أوَليس هذا التبرير تبريراً مزيّفاً محضاً، كلامياً محضاً وغير فاعل، على غرار «رهاب فراغ الطبيعة» (horreur du vide de la nature) الشهير (الذي برهَنَ باسكال (Pascal) بطلانه)، وعلى غرار مختلف أنواع الطاقات (pouvoirs) في الفيزياء (كالطاقة الحراريّة (pouvoir calorifique) وطاقة الامتصاص (pouvoir absorbant)... إلخ)، ومن شأنه أن يُقنِّع مؤقَّتاً بقناع الجهل؟ فهل بإمكاننا أن نعيِّنَ نوع الكلمة أو التعبير أو القول أو أن نفهمها خارج أيّ سياق ثقافيّ اجتماعيّ؟

(17) بكلام آخر، إنْ تحدَّث كلٌّ من عالم الهندسة والمسّاح والمعماريّ واختصاصيّ مبحث العلوم عن معنى المثل 2، فهل إنَّهم يتحدَّثون عن الشيء نفسه؟

3.3 ـ المثل 3:

هل ينطوي القول التالي: «لا يمرّ عبر نقطتَين سوى خطّ مستقيم واحد فقط» (par deux points il ne passe qu'une droite et une seule)، على المعنى نفسه بالنسبة إلى العالم الرياضيّ وبالنسبة إلى الرسّام؟

يُشكِّل هذا القول بديهيّةً بالنسبة إلى العالم الرياضيّ الذي سيوضِّح بكلِّ صرامة أنَّ هاتَين النقطتَين لا ينبغي أن تكونا ممتزجتَين، وهو تفصيلٌ بديهيٌّ بالنسبة إلى غير العالِم، ولا يستحقُّ حتى الذكر. أمّا العالِم بالهندسة، فيعتبره في المقابل شرطاً لا ينبغي نسيانه أثناء إجراء مناقشة ما، كما ينبغي لفت انتباه الطلاّب إليه. فللوسائِل التربوية أحكامها.

يقطعُ مماسّ الإهليلَج هذا الإهليلَج في نقطتَين، شرط أن نتَّفِقَ على أنَّ هاتَين النقطتَين تكونان ممتزجتَين أو تُشكِّلان، كما يُقال أحياناً، نقطةً مزدوجةً، مثلما يقترحه تعريف مماسّ المنحنى بشكل عامّ[18].

يعلمُ الرسّام بالممارسة أن نقطتَين معيَّنتَين لا تُحدِّدان الخطّ المستقيم تحديداً دقيقاً إلاّ إذا كانتا متباعدتَين بما فيه الكفاية. فالقول إنه يتمّ دائماً تحديد الخطّ المستقيم بواسطة نقطتَين هو أمرٌ نظريٌّ محض. ونُشدِّد على واقع أن قولاً عاديّاً كهذا القول يضع في دائرة الشكّ معاني الكلمات المختلفة التي تؤلِّفه، ألا وهي: نقطة، يمرّ عبر، خطّ مستقيم، واحد فقط. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو الآتي: هل يضعها في دائرة الشكّ بالطريقة نفسها في ذهن كلّ من

(18) باختصار، يُشكِّل مُماسّ المنحنى في النقطة «أ» (A) الحدّ الذي ينزع نحوه الخطّ القاطع «أم» (AM)، حين تمتزِجُ نقطة المنحنى المتحرِّكة «م» مع النقطة «أ».

العالم الرياضيّ والرسّام؟ فمثلاً، لا تُشكِّل سماكة الخطّ أو سطح النقطة إشكاليّةً بالنسبة إلى عالِم الهندسة، لأن الإشكاليّة التي يطرحانها تكون بلا أهميّة في حقل اختصاصه. ولكنهما يكتسبان كلّ الأهميّة بالنسبة إلى الرسّام. فصحيحٌ أنَّ مسألة دقَّة رأس القلم تقع خارج نطاق حقل بحث عالِم الهندسة النظريّ، ولكنَّها تكتسبُ أهميّةً في إطار النشاط الذي يُمارسه الرسّام.

يُفضي بنا الأمر إلى البداهة، ومفادها: يكون معنى القول منوطاً بمعنى الكلمات التي تؤلِّفه. وبالعكس، لا يُمكننا أن نهتمَّ بأمر معنى الكلمة من دون أن نهتمَّ بالمعنى الذي تنطوي عليه التعابير والعبارات التي ترِدُ فيها هذه الكلمة، والعكس بالعكس. ولقد ردَّد اللُّغويون هذا الأمر مراراً وتكراراً بشأن النصوص العامِّيّة الشائعة. وينسحِبُ ذلك أيضاً على النصوص الرياضيّة، ولكن ليس بالطريقة نفسها طبعاً[19].

4.3 ـ المثل 4:

هل يتَّصف المعنيَان اللَّذَان تنقلهما المعادلتان الرّمزيَّتان التاليتان: $[H_2 + O = H_2O]$ (في الكيمياء) و$[(a + b)^2 = a^2 + b^2 + 2ab]$ (في علم الجبر الابتدائيّ) «بالطبيعة نفسها»، بمعزل عن الرسالة الخاصّة التي تنقلانها؟

تتعلَّق المسألة في الحالة الأولى بنتيجة أسفَرَت عنها تجاربُ عديدةٌ فحوِّلت على أثرها إلى نظريّة، وبنتائِجَ تمّ استخلاصها منطقيّاً، انطلاقاً من مجموعة مسلَّمات وقواعد حساب في الحالة الثانية. ولا

---

(19) في إعلان صدَرَ في مجلَّة (*Le Particulier*)، نقرأ ما يلي: **إعطاء معنى للمحلِّيات** (donner du sens à l'actualité). فهل تتعلَّق المسألة بوحدة معنى تتَّصِف بالطبيعة نفسها كتلك التي نجدها في هدف محترفي فنّ التعليم العصريِّين **إعطاء معنى لعلم الرياضيّات** (donner du sens aux mathématiques) أو تلك التي نجدها في إطار الحديث الفلسفيّ الروحانيّ: **هل من معنى للحياة؟** (la vie a-t-elle un sens?).

يُمكننا بالتالي التعامُل مع حقيقتهما «المتحدِّرة من بديهيّة أو من اختبار» (Condamine 1996: 247) بالطريقة نفسها.

بالإضافة إلى ذلك، هل كانت هاتان المعادلتان الرمزيَّتان مشحونتَين دائماً بالمعاني نفسها خلال مختلف مراحل تطوُّر الفكر العلميّ؟ فهل ينسبُ الطالب الثانويّ الذي يُصادِف للمرّة الأولى عبارة «جسر الحمير»(*) (pont aux ânes) إلى هذه العبارة المعنى نفسه الذي ينسبه إليها العالم بالبديهيّات الرياضيّة المُتمرِّس؟ (Chevallard 1985).

4 ـ بشأن التعارض القائم بين المفهوم/ والتصوُّر

من منظور معجم اللُّغة، يسبِقُ المعنى التعريف[20] الذي يقتصر دوره على توضيحه. ومن المفروض أن يستخرجه المعجميّ انطلاقاً من الاستعمال ـ وهي مهمَّة دقيقة تتطلَّب تدريباً طويل الأمد. وبغية استكمال التعريف، يستعين المعجميّ أحياناً بنفوذ كبار المؤلِّفين، فيقتبسُ عنهم بعض المُقتطفات. وبغية فكّ التعقُّد الدلاليّ، تلجأ معاجم اللُّغة إلى مفهوم تعدُّديّة المعاني. وهكذا، نجد لدى عدد كبير من المؤلِّفين أنَّ مختلف مفاهيم المصطلحات العلميّة تتعلَّق بتعدُّديّة المعاني.

أبستطاعتنا القول إنَّ الإجراء يكون معكوساً في علم الرياضيّات، بحيث يتمّ إدراك المعنى الذي تنطوي عليه العبارة انطلاقاً من التعريف أو التعريفات التي يُبقي عليها المتكلِّم-المُحرِّر؟ أوَلا يجدر بنا أن نستذكر بالأحرى المجانسة؟

(*) إنَّها القضيّة الخامسة من هندسة إقليدس القائِلة بأنَّه إذا كان للمثلَّث ضلعان متساويان، فإنَّ الزاويتَين المُقابلتَين لهذَين الضلعَين تكونان متساويتَين.

(20) إنَّ إشكاليّة معرفة أصل المعنى هي خارج إطار بحثنا. انظر على سبيل المثال بهذا الشأن: Anne Reboul et Jacques Moeschler, *La Pragmatique aujourd'hui* (Paris: Seuil, 1998), chap. 6 et 7.

بغية الإجابة عن السؤال الثاني الذي طرحناه في القسم 2، نؤثِر في إطار دراستنا هذه أن نستعينَ بالتعارُض القائِم بين «المدلول المفهوميّ»/ «المدلول التصوُّريّ» (signifié notionnel/ signifié conceptuel) أي باختصار بين «المفهوم» / «التصوُّر» (notion / concept).

يتضمَّن التعريف الرياضيّ العناصر كافَّةً، ولا شيء سوى العناصر الضروريّة والكافية لتعيين الدور الوظيفيّ للتصوُّر المُعرَّف داخل النظريّة موضوع البحث. ومن شأن أدنى تعديل أن يُفضي إلى خلق تصوُّر آخر. ومن الممكن أن يكتفي المصطلح نفسه (على غرار مصطلح graphe (= رسم بيانيّ)) بتعريف معجميّ واحد؛ ولكنَّه يتطلَّب على الصعيد التقنيّ عدَّة تعريفات رياضيّة مُغايرة. وبتعبير آخر، يُمكن لمصطلح واحد مُقترن بمفهوم واحد أن يكون ناقِلاً لعدَّة تصوُّرات.

1.4 ـ بين المعنى والفهم. المعنى السكونيّ / الديناميكيّ

ترتبط فكرة المعنى بفكرة الفهم بواسطة عمليّة دائريّة ثنائيّة الاتِّجاه (فعل وفعل رجعيّ). ويُمكننا أن نؤوِّل العمليّة التي يُعبِّر عنها الفعل «فَهِمَ»[21] (comprendre) باعتبارها عمليّةً هدفها البلوغ إلى المعنى، وأن نؤوِّل بالعكس «المعنى» باعتباره النتيجة التي تبلغها عمليّة الفهم.

---

(21) تفترضُ عمليّة الفهم على الأقلّ وجود مشارِك دلاليّ رئيسيّ، ألا وهو: الشَّخص الذي يكون حريّاً به أن يفهمَ. وفي الواقع، يستطيع الفرد الذي يتمّ ربطه بالفاعل الرئيسيّ أن يُمارِسَ فِعلاً ثلاثيّاً، ألا وهو: **(1)** إدراك المحتوى؛ **(2)** تكوين رأي حول واقع الفهم أو عدم الفهم فهم تحوُّليّ (métacompréhension)؛ **(3)** ومن ثمّ، التأمُّل في عمليّة الفهم نفسها، ولاسيما في ظروف العمليَّتَين السابقتَين (فهم تحوُّليّ تحوُّليّ)، انظر: (métacompréhension) Georges Martinowsky, «La Topologie temporelle du russe moderne,» (thèse de doctorat, Université Paris VIII, 1994).

يقترح معجم (*Le Petit Robert* (*PR*)) للفعل الفرنسيّ (comprendre) = فهِمَ الذي يؤخَذ من زاوية هذا المفهوم، المرادفات الجانِبيّة الفرنسيّة التالية: (déchiffrer) = حلَّ الرموز و(interpréter) = أوَّلَ و(saisir) = أدرَكَ و(traduire) = عبَّر عن، كما إنه يورِدُ ذكر الدعابة التالية المُحمَّلة بالدلالات، ومفادها: «إنه سريع الفهم ولكن ينبغي أن نشرحَ له مطوَّلاً» (il comprend vite, mais il faut lui expliquer longtemps)، مُبرزاً بذلك تسلسل عملية الفهم في المدَّة الزمنيّة. ويستوقفنا في هذا التلاعب على الألفاظ أن المعنى الذي تنطوي عليه الكلمة، فالتعبير، ثمّ المُقتطف النصيّ، لا يكون معطى مباشراً وفوريّاً، بل إن المعنى يتشكَّل بقسم كبير منه بالاستناد إلى التجربة الشخصيّة المعيشة وإلى معطيات خارجيّة.

تقودنا هذه الملاحظات إلى اعتبار المعنى بمثابة الإدراك النظريّ السكونيّ لظاهرة فهم ديناميكيّة، ويتَّصف هذا الإدراك في آن بطابعه الضروريّ الذي تسوِّغه الممارسة، إنَّما المُختزِل، لأنَّه يحجبُ طابعه الديناميكيّ الذي يُشكِّل النتيجة التي تبلغها كلّ عمليّة معرفيّة. ولكن هذا الواقع المعروف جدّاً في ما يختصُّ بمعجم مفردات اللُّغة الشائع، هل هو مقبول بالنسبة إلى قائمة المصطلحات الرياضيّة، وبنوع خاصّ بالنسبة إلى ما أطلقنا عليه اسم «تصوُّر»؟ هل يمكننا أن نحيل هذه الإشكاليّة إلى نظريّة تعدُّديّة المعاني وإلى نظريّة التعارض القائم بين المعنى خارج النصّ والمعنى في النصّ. وفي ميدان الرياضيّات، هل يُمكننا مماثلة معنى المصطلح مع التصوُّر الذي يُشكِّل المحتوى الدقيق الذي يتضمَّنه التعريف؟

هل ينبغي التذكير في هذا الصدد بأنه، طبقاً لممارسة شائعة بين العلماء الاختصاصيِّين، يتمّ اللُّجوء، بغية جعل «معنى» بعض الأفكار المجرَّدة محسوساً، إلى صور استعاريّة مألوفة تستطيع عند الاقتضاء أن تُنتِجَ استعارات مصطلحيّة في اللُّغة، ينتهي بنا المطاف إلى نسيان

معناها الأصليّ؟ ويُمكن أن تغدو هذه الصور المُثمرة، في مقاربة أولى تربوياً تسمح بإنشاء المعنى، ضارَّةً في مرحلة متقدِّمة من المعرفة. فيقتضي محوها لاحقاً[22].

في مقاربتنا هذه، هناك تبسيط مبالغ فيه لإشكالية المعنى في المشهد الرياضي، بقصره على التصور، وإنه لمن الملائم أن نسعى فضلاً عن ذلك إلى توضيح ما الذي نقصده بمصطلح «مرجع رياضيّ». ولكي لا نبقى عند مستوى الأفكار المجرَّدة، فلنضرِب مثلاً على ذلك.

5 ـ المرجع الرياضيّ

1.5 ـ المثل 5

ما هو الإهْلِيلَج (ellipse)؟ ثمّة تعريفاتٌ عديدةٌ له. ولنذكر بعضاً منها[23]:

أ) مجموعة نقاط من مسطّح (plan) يكون مجموع مسافاتها بالنسبة إلى نقطتَين ثابتتَين، (تُسمَّيان بؤرتَين) ثابتاً.

a) Ensemble des points d'un plan dont la somme des distances à deux points fixes, nommés foyers, est constante.

---

(22) وهكذا، إذا أردنا أن نُفهِم بعض المُبتدئين ماهيّة المجموعة الفارغة (ensemble vide)، يُمكننا أن نُريهم علبةَ ثِقاب تحتوي على أعواد ثقاب، ثُمّ نقوم بإفراغها، حيث إنَّ العلبة تُجسِّد رمزيّاً الأقواس المزدوجة، أو أيضاً، إذا أردنا أن نعرِضَ تصوُّر اللاّنهاية، نريهم علبة جبنةِ البقرة الضاحِكة (la vache qui rit) المرسوم على غلافها صورة علبة الجبنة نفسها وعليها صورة البقرة الضاحكة. ومن البديهيّ أنَّه ينبغي لاحقاً استبعاد هذه النماذج الساذجة لكي لا تولِّد «تجميداً فكرياً».

(23) تُشكِّل التعريفات، مثلما نُقدِّمها في هذا الصدد، مجرَّد تعريفات «مُقترحة»، إذ إنَّها مُختصرة على نحو مُشوَّه، وهي بالتالي غير مقبولة في الممارسة الرياضيّة. إذ من شأن التقديم الصارم أن يُثقِلَ النصّ بلا جدوى.

ب) مجموعة نقاط من مسطّح يكون خارجُ قِسمة مسافاتها (الانحراف عن المركز) نسبةً إلى نقطة ثابتة أو بؤرة، ونسبةً إلى خطّ مستقيم ثابت أو خطّ دليليّ، ثابتاً وأصغر من الوِحدة.

b) Ensemble des points du plan dont le rapport des distances (excentricité) à un point fixe ou foyer et à une droite fixe ou directrice est constant et inférieur à l'unité.

ج) مَسْقط دائرة على مسطّح (متعامِد إجمالاً).

c) Projection d'un cercle sur un plan (généralement orthogonale).

د) قِطْعَة من مخروط الدوران بواسطة مسطّح يُلاقي الراسمات كلّها ولا يمرُّ برأسه.

d) Section d'un cône de révolution par un plan rencontrant toutes les génératrices et ne passant pas par le sommet.

هـ) مخروط ذو مَركز تَتَّخِذ معادلته الديكارتيّة نسبةً إلى المحور المتعامِد القائِم على محوَرَي التماثل اللَّذَين يؤلِّفانه، الشَّكل الآتي: $[x^2/a^2 + y^2/b^2 = 1]$.

e) Conique à centre dont l'équation cartésienne par rapport à un repère orthonormé porté par ses deux axes de symétrie est de la forme $x^2/a^2 + y^2/b^2 = 1$

و) منحنى جبريّ من المرتبة الثانية، بالإضافة إلى شروط تُميِّزه عن سائِر مخروطاتِ المرتبة نفسها(24) (من دون نقاط تتَّجِهُ إلى نقطة اللّانهاية).

(24) تُكتَب معادلة المقطع المخروطيّ في الإحداثيّات الديكارتيّة بواسطة معادلةِ متعدِّدة الحدود من الدرجة الثانية (polynôme du deuxième degré). ويَقطع الخطّ المستقيم الإهليلَج (بالمعنى الأوَّليّ) في نقطتَين على الأكثر. ومن منظور أوسع، يقطع الخطّ المستقيم دائِماً الإهليلَج في نقطتَين، سواء كانتا حقيقيَّتَين أو وهميَّتَين، مُتمايزتَين أو ممتزجتَين.

f) Courbe algébrique d'ordre 2, plus des conditions qui la distinguent des autres coniques de même ordre (sans points à l'infini).

ز) منحنى جبريّ من الرتبة الثانية، بالإضافة إلى شروط تُميِّزه عن سائِر مخروطاتِ الرتبة نفسها[25].

g) Courbe algébrique de classe 2, plus des conditions qui la distinguent des autres coniques de même classe.

ح) غلاف لمجموعة من الدوائر التي تخضعُ لبعض الشروط.

h) Enveloppe d'une famille de cercles obéissant à certaines conditions.

ينتجُ من ذلك أنَّنا نملكُ عدداً من التصوُّرات، بالمعنى المذكور أعلاه، يوازي عدد التعريفات. فكيفَ يحدثُ أنَّنا ننسِبُ إليها الاسم نفسه؟ فهل يُمكننا أن نتحدَّث عن **تعدُّديّة المعاني** في ما يتعلَّق بمصطلح «إهلِيلَج»؟ وتبعاً للاستراتيجيّة التي يتَّبعها المؤلِّفُ في عرضه، فهو ينطلقُ من أحد هذه التعريفات ويعتبرُ الأخرى بمثابة المُبرهنات الرياضيّة.

هل ينطوي القول الآتي: «يقطعُ خطّ المستقيم الإهليلَج في نقطتَين» (une droite coupe une ellipse en deux points) على المعنى نفسه من وجهة نظر التعريفات المختلفة (بالنسبة إلى العالم الهندسي وبالنسبة إلى غير المُلمّ؟)

2.5 ـ فرضيّة المرجع

تحثُّنا لائحة التصوُّرات هذه المرتبطة بجوهر واحد ظاهريّاً

(25) يتمّ التعريف برتبة المنحنى الجبريّ بواسطة العدد الأقصى للمُماسّات المُنبثقة من نقطة في وضع «عامّ». وتُعدُّ القِطاعات المخروطيّة بمثابة المنحنيات الجبريّة الوحيدة التي تنتمي إلى المرتبة الثانية.

يُسمَّى إهلِيلَج إلى إدخال **مرجع** افتراضيّ مشترك. وللوهلة الأولى، يخطر في بالنا التعارُض الكلاسيكيّ القائِم بين التعيين/ التضمين الذي يوضِّحه المثل الشهير (Morgenstern) = نجمة الصباح/ (Abendstern) = نجمة اللَّيل، بالإشارة إلى المرجع غير اللغويّ نفسه، ألا وهو كوكب الزُّهرة (Vénus)، وهو مرجعٌ ماديٌّ يُمكننا رؤيته وتحديد موقعه في الفضاء.

إلاّ أنَّه يتعذَّر «تحديد موقع» فكرة الإهليلَج، فهي غير موجودة في أيّ مكان وموجودةٌ في كلّ مكان، تبعاً لمقتضيات التفكير الرياضيّ. وينبغي أن يكون المرء ملمَّاً إلى حدّ ما بعلم الرياضيّات ليُدرجَ مختلف التصوُّرات تحت خانة المرجع نفسه المُسمَّى إهلِيلَج. أما غير الملمّ فلا يفقه السبب الكامن وراء ذلك.

بالإضافة إلى ذلك، كيف السبيل إلى تبرير إطلاق اسم إهلِيلَج على منحنى خياليّ (لا يُمكننا رسمه على الورقة) والذي تُذكِّرنا معادلته، ألا وهي [$x^2/a^2 + y^2/b^2 = - 1$]، بمعادلة التعريف المذكور أعلاه والتي تملكُ خصائص شبيهةً بتلك التي يملكها الإهليلَج الحقيقيّ، مع أنَّها غير «مرئيّة» ولا يُمكن «إدراكها» إلاّ بواسطة الفكر؟

يتمّ الانتقال من تصوُّر إلى آخر عبر اعتماد طرق برهانيّة مُطابقة لقاعدة منطقيّة معيَّنة لا يُمكن لغير الملمّ بهذا العلم بلوغه. وينتُجُ من ذلك أنَّه في حال كان ثمّة مرجع، فلا يُمكنه أن يكون إلاّ وحدةً مجرَّدةً. ولنقترحْ كمرجع (على الصعيد المجازيّ) **رتبة التكافؤ التي أساسها برهنةٌ مطابقةٌ للأصول**(26)، تضمُّ التعريفات المُحتملة كافَّةً (المعروفة منها وغير المعروفة) وتقرُّ بتعريف معيَّن **كممثِّل** عنها يتمّ انتقاؤه تبعاً لضرورات محيطة بالرياضيات.

---

(26) وبشكل أدقّ، رتبة التكافؤ التي أساسها علم البديهيات وعلم المنطق قبل البرهنة (modulo l'axiomatique et la logique).

تجدر الإشارة إلى أنَّ هذا الأمر لا ينطبِقُ على التعريفات المتنوِّعة التي تصوغها معاجم اللُّغة المختلفة حول المفردة نفسها. ونحن لا نقترحُ برهنةً تسمح بالانتقال من معجم *(PR) (Petit Robert)* إلى معجم *(Petit Larousse Illustré)* *(PLI)*، بما يُبرِّر تعادُل التعريفات الدلاليّ. ويُمكننا أن نتصوَّر بلا شكّ أنَّه، في «معجم لغة تحوُّليّ انعكاسيّ»، يسمحُ تحليلٌ سيميٌّ (مُرَكّبيّ) بالانتقال من تعَريف معجميّ إلى آخر[27]. وفي الواقع، يكتفي الشَّخص الذي يعتمد المعجم بالوثوق بفطنة المعجميِّين.

يقتضي الجواب القاموسيّ التطبيقيّ المُعتمَد عادةً اقتراحَ تعريفٍ من بين الاحتمالات المُختلفة؛ ومن ثمّ، عند الاقتضاء، ذكرَ التعريفات المعادِلة والاقتباسات (من دون برهنتها). وهكذا، يلجأ معجما *PR* و*PLI* إلى التعريف (أ)، ومعجم *(TLF)* *(Trésor de la langue française)* إلى التعريف (د)، ومعجم (Lionnais) (عام 1979) إلى التعريف (هـ)، ولكنَّه يورِد من ثَمّ التعريفات (أ) و(ب) و(ج) و(د)؛ أمّا معجم *(GLLF)* *(Grand Larousse de la langue française)*، فيلجأ إلى التعريف (أ) ويورِدُ من ثمّ التعريفات (ب) و(ج) و(هـ)؛ وأخيراً، يلجأ معجم *(GLU)* *(Grand Larousse Universel)* إلى التعريف (أ)، ويورِد بعد ذلك التعريفات (ب) و(ج) و(د) و(هـ) و(ح).

من هنا، يُطرح سؤالٌ في غير أوانه، ومفاده: ما هو كنه الوحدة «إهلِيلَج»؟ ويكون الجواب مرتبطاً باختيار التعريف الأوَّل. فهل ينبغي أن نُبقي على التعريف الأكثر حدْساً أم الذي تمّ التسليم به قبل غيره تاريخيّاً أو ذلك الملائم أكثر لتطوُّر المذهَب النظريّ في مرحلة لاحقة أو ذلك الذي يُستخدَم أكثر من سواه في ميادينَ علميّة أخرى؟

---

(27) يُمكننا تصوُّر مثل هذه البرهنة من منظور النموذج المعنى ـ النصّ.

بحسب الصياغة المُعتمدة، قد يتمّ، أم لا يتمّ، اعتبار الدائِرة أو الخط المستقيم بمثابة الحالتَين الخاصَّتَين النهائيتين (المنحلَّتين) من حالات الإهلِيلَج[28]، ومن المهمّ أن نتفحّص في هاتَين الحالتَين في مناقشة تتَّصِف بالدِّقة. وبعد الفراغ من توضيح هذا الأمر، إذا ما طلبنا من العالم الرياضيّ أن يرسم إهلِيلَجاً، فهو لن يرسمَ لا دائرةً ولا خطّاً مستقيماً، مع أنَّهما قد يُشكِّلان من وجهة نظره إهلِيلَجَين خاصَّين. ومن هنا تنشأ إشكاليّةُ تمثيل مجموعة من العناصر بواسطة عنصر خاصّ، ونعني بها إشكاليّة الصفة النموذجيّة. وآخذين بالاعتبار الطابع السيكولوجيّ بالأحرى، وحتَّى غير المنطقي، سنفسِّر هذا الأمر بشكل موارِب مستعينين بالتقاليد الشعبيّة السلافيّة (Slaves).

3.5 ـ الصفة النموذجيّة

ما هو الحجر الذي يُعدُّ حجراً بالنسبة إلى الحجارة كلّها؟
ما هو العصفور الذي يُعدُّ عصفوراً بالنسبة إلى العصافير كلّها؟
ما هي العشبة التي تُعدُّ عشبةً بالنسبة إلى الأعشاب كلّها؟
ما هو النهر الذي يُعدُّ نهراً بالنسبة إلى الأنهار كلّها؟

---

(28) في ما يتعلَّق بالدائِرة، تكون البؤرتان ممتزجتَين. وفي ما يتعلَّق بقطعة الخطّ المستقيم، تقع النقطة العاديّة (point courant) على القطعة (segment) التي تجمع البؤرتَين والتي ينبغي اعتبارها بالإضافة إلى ذلك بمثابة القطعة المؤلَّفة من قطعتَين متراكبتَين. وعليه، يتألَّف التقاطع مع الخطّ المستقيم من نقطة مزدوجة (point double). ومن وجهة نظر غير العالم، إنَّها خِدعٌ سحريّةٌ. أمّا بالنسبة إلى العالم الرياضيّ، فتلك طريقةٌ لتبسيط الأقوال وتلافي التعدادات المُسئِمَة للحالات الشاذَّة.

تجدر الإشارة إلى أنَّه من الممكن اعتبار الدائِرة، في تعريف يُقال إنَّه داخليٌّ، باعتبارها المنحنى المستوي الوحيد ذا الانحناء الثابت. ولكن لا تصلحُ هذه الخاصيّة، التي تكون لها أهميَّةٌ تطبيقيّةٌ لا يُستهان بها، للتعريف بالدائِرة باعتبار أنَّه في نظام تقديم المعارف، يفترِضُ تصوُّر الانحناء (شعاع الانحناء) معرفة تصوُّر الدائِرة. ولكنَّها في المقابل تكون مقبولةً في الهندسة الفراغيّة، بالنسبة إلى الخطّ الأسطوانيّ (hélice).

من وجهة نظرنا العلمويّة الحديثة، تبدو هذه الأسئلة غير معقولة، ولا تستحقُّ بالتالي أن نوليها اهتماماً[29]. بيد أن القصص الروسيّة الشعبيّة تنسبُ إليها معنى عميقاً لا يُدركه إلاّ الحكماء وحدهم. وتحكي الأسطورة أنَّ الأجوبة على هذه الأسئلة مدوَّنةٌ في الكتاب الذي يحمل اسم (*Le Livre Colombin*) والذي هَبَطَ من السماء وكان فيه «كلّ شيء» موصوفاً بدقَّة، أي كلّ ما يتعلَّق بالماضي وكلّ ما يتعلَّق بالمستقبل. إلاّ أن هذا الكتاب كبيرٌ وثقيلُ الوزن لدرجة أن ما من أحد يستطيع أن يُقلِّبَ صفحاته. وقد حظِيَ بعض الأبطال الفاضلين بنوع خاصّ بامتيازِ فكّ شيفرة بعض المقتطفات منه وبإفشاء بعض أسراره. وهكذا، تقرَّر فيه أنَّ الحجر الخُرافيّ الأثير (Alatyr) هو الحجر بامتياز، والعصفور الأسطوريّ إسترافيل (Estrafil) هو العصفور بامتياز، بين العصافير قاطبةً، والكلأ المتهدِّل (herbe pleureuse) هي العشبة بامتياز، لأنَّها رُوِيَت من دموع السيِّدة العذراء، ونهر الأردن (Jourdain) هو النهر بامتياز لأنَّ السيِّد المسيح تعمَّدَ بمياهه[30]. فما هو المعنى الذي ينبغي أن ننسبه إلى

---

(29) إنَّ تداخل هذه الأساطير الشعبيّة قد يُفاجئ بعض القرّاء بل قد يُزعجهم. ولكن يجدر بنا أن نتذكَّر أنَّ العلماء الرياضيِّين النوابغ قد أكَّدوا أنَّ الصفة الأولى التي يتحلّى بها الباحث هي المُخيِّلة الخلاّقة، لأنَّ المسألة لا تتعلَّق بإعادة إنتاج ما هو موجودٌ أصلاً، إنَّما ابتكار ما لا يكون موجوداً بعد. يحفَلُ المشهد الرياضيّ بـِ «الأشكال الغريبة» من مثل «**الفضاءات المُجرَّدَة**» (espaces abstraits) و«المنحنيات التي تُغطِّي سطحاً بكامله» (courbes recouvrant toute une surface) و«المجموعات اللامتناهية التي تضمّ أسساً متنوِّعةً» (les ensembles infinis de diverses puissances). والحال أنَّ إحدى وظائف القصص الخياليّة تكمن تحديداً في تنمية الخيال فوق حدود الواقع الحاضر والمحسوس.

(30) بخلاف المنهج الشَّعبيّ الذي يسعى إلى تبرير هذه النماذج الأصلية، يبدو أنَّ تبرير النماذج البَدْئيّة الرياضيّة يقع بالأحرى ضمن دائِرة اختصاص علم النفس وليس علم الرياضيّات بحصر المعنى. فمن وجهة نظر العلم، إنَّ الاعتماد على العدد الذهبيّ ليس له بعدٌ تبريري رمزيٌّ، بل وصفيٌّ فقط.

هذه الأساطير[31] التي هي مزيجٌ من الوثنيّة والتقاليد التوراتيّة؟ هل نستطيع أن نتبيَّنَ فيها استعارات؟

بإمكاننا تأويل هذه الأسئلة على الشَّكل الآتي: ما هو الحجر الذي يملك على أعلى مستوى خاصيّةَ أن نُطلقَ عليه اسم حجر (أي ميزة «الحجرية» كما يُسمِّيها أنطوان كوليولي ((Antoine Culioli)، أو بشكل عاديّ أكثر، ما هو الحجر الذي نذكره عادةً إذا ما طُلِبَ إلينا أن نضرِبَ مثالاً عن الحجارة[32]؟

الغريب في الأمر أنه في أيّامنا هذه، ومن منظور البحث الدلاليّ عن الصفة النموذجيّة، بات باستطاعتنا أن ننسِبَ إلى هذه الأسئلة معنى، فعندما يطرح اللُّغويّ على نفسه السؤال التالي: «ما هو العصفور الأكثر نموذجيّةً؟»، يعمَدُ على الفور إلى استبعاد العصافير اللّانموذجيّة، من مثل النعامة والكيويّ[*] والبطريق (فضلاً عن عصفور إسترافيل ـ بالطبع)؛ ويُشار غالباً في أصقاعنا إلى عصفور الدوريّ بصفته العصفور النموذجيّ.

ممّا لا شكّ فيه أنَّنا لا نطرح في المشهد الرياضيّ السؤال على الشَّكل الآتي: ما هو المستطيل الأكثر استطالة من غيره؟ ولكن في

---

(31) لطالما تمّ طرح هذه الأسئلة على الشكل التالي: «ما هو الحجر الذي يُعدُّ الحجر الأمّ بالنسبة إلى الحجارة كافَّةً». . . إلخ، الأمر الذي كان يجعلها مألوفةً أكثر لأنَّها تبدو وكأنَّها تمنح هيمنةً «بالأقدميّة» لبعض الوحدات على وحدات أخرى، ممّا يؤدّي إلى «قابليّة الفَهم» بشكل أفضل بالنسبة إلى «الشخص الذي ينتمي إلى عامَّة الشعب» أي بالنسبة إلى الشخص «غير الخبير».

(32) يتوقَّف الجواب بالطبع على جيولوجية المنطقة المَعنيَّة، وهكذا مثلاً كان لا ينفكُّ الصبية يردِّدون في شمال فرنسا أنَّ «الحجر هو آجُرَّةٌ والآجرَّة هي حجرٌ» (une pierre est une brique et une brique est une pierre).

(*) عصفور لاجناحيّ من طيور نيوزيلندا.

حال طلبنا إلى أحدهم أن يرسِمَ مستطيلاً، فثمَّة احتمالٌ كبيرٌ ألاّ يرسِمَ مربَّعاً أو شكلاً يتألَّف فقط من قطعة مستقيم ذات سماكة؛ علماً بأن هذَين الشَّكلَين يستوفيان التعريف الهندسيّ، ومفاده: المُستطيل هو عبارةٌ عن متوازي أضلاع (parallélogramme) قائم الزوايا. والغريب حتى أنَّ خارج قسمة أضلاعه يُشكِّل رقماً قريباً من العدد الذهبيّ.

وهكذا، يكتسب السؤال التالي: «ما هو المستطيل الأكثر استطالة من غيره؟» معنى سيكولوجيّاً اختباريّاً. ولنقل بأسلوب مجازيّ، إنَّ الكميّة اللاّمتناهية من المستطيلات التي يُمكننا تخيُّلها تدورُ نفسيّاً في فلكِ «مركزِ ثقل» مثاليّ، ونعني به المُستطيل النموذجيّ البَدئيّ، وهذه الصورة تخلّف عواقِبَ تربويّةً. ويُمكن سحبُ هذا السؤال على الإهليلَج. فما هو التعريف الأكثر نموذجيّةً (أي الأكثر تمثيلاً في طبقة التكافؤ)، بالنسبة إلى تصوُّرِ الإهليلَج؟

نُشدِّد على واقع أنَّ وجود النموذج البَدئيّ لا يكون متضمَّناً في تعريف المصطلح، وهو يشهدُ بالتّالي في صالح وجودِ معنى مُتمِّم لا يُمكن اختزاله بالمحتوى الدقيق الذي ينطوي عليه التعريف، وهو معنى نربطه بالمفهوم.

6 ـ تكوُّن المعنى

من المُسلَّم به إجمالاً أنَّه يتعيَّن علينا أن نتخيَّل في أصل التصوُّر وجود التجربة الاختباريّة من جهة، والصياغة الذهنيّة بواسطة اللُّغة من جهة أخرى. يُعنى دارسو تاريخ اللُّغة واختصاصيّو مبحث العلوم بإيضاح هذه العمليّة في ما يتعلَّق بكلِّ تصوُّر. وإنْ كان الأصل الدلاليّ لبعض التصوُّرات يضيع في غياهِب التاريخ (على غرار الأصل الدلاليّ لتصوُّرات من مثل نقطة (point) وعدد

(nombre) ومنحنى (courbe) وسطح (surface) ومسافة (distance) وتنامٍ (croissance))، إلاّ أنّنا نستطيعُ أن نقوم بتخمينات محتملة في ما يتعلّق بتصوُّرات أخرى تمَّ إدخالها حديثاً إلى ميدان الرياضيّات.

يبدو بوضوح أنَّ التصوُّر الرياضيّ لمصطلح عُقدة (nœud) هو مستوحى من التجربة الاختباريّة، في حين أنَّ تصوُّر المصطلح الرياضيّ زمرة[33] (groupe) هو في المقابل صيغةٌ ذهنيّةٌ معزوَّةٌ إلى العالم الرياضيّ النابغة الذي يُدعى إيفاريست غالوا (Evariste Galois) (1811–1832). ويتحدَّر التصوُّر «شكل هندسيّ ارتجاعيّ مُنتظِم» (fractal) من تركيب بعض الوحدات الرياضيّة التي اتَّضَحَ، في ظلّ الظروف الحاليّة، أنَّها مجديةٌ وواعِدةٌ.

مع أن المعجم التاريخيّ حول التصوُّرات الرياضيّة لم يُبصِر النور بعد، إلاّ أننا نستطيع في مقاربة أوَّليّة أن نطرحَ كمسلَّمة منذ الآن أن هذا التكوُّن الشديد التبدُّل من مصطلح إلى آخر، يمرُّ بسلسلة من المراحل، تبدأ من المرحلة الحدسيّة الأوَّليّة وتنتهي إلى ترسيخ تعريفيّ صارم ونهائيّ، أي إلى تصوُّر يُقرَن بتسميةٍ، أي بمصطلح.

لابدّ لنا من أن نلاحِظَ، في مقاربة ثانية، أنَّ المعنى الأوَّليّ والتصوّر النهائيّ لا يُشكِّلان وحدتَين محدَّدتَين مرة واحدة ونهائية

(33) إنَّ الزمرة هي عبارةٌ عن مزدوجة (ج*) (G,*) حيث يُشكِّل «ج (G)» مجموعةً، بينما تُعدُّ* (النجمة) بمثابة قانون التأليف الداخليّ (loi de composition interne) على المجموعة ج، وهي ترابطيّة وتملك عنصراً متعادِلاً، كما إنّها تُسلِّم، أسوةً بأيّ عنصر من عناصر المجموعة ج، بعلاقة متماثِلة لهذا القانون انظر: François Le Lionnais, Alain Bouvier et Michel George, *Dictionnaire des Mathématiques* (Paris: P. U. F., 1979).

بشكل أحاديّ المعنى. فغالباً ما نلاحِظ في البدء وجود بعض التردُّد والحَيرة بين صفوف الباحثين، فضلاً عن تنافس بين التصوُّرات الممكنة إنَّما غير المتساوية من حيث درجة الملاءمة لجهة تطوير المذهب النظريّ. ومن ثمّ، يُلزِمنا اقتضاء الدقَّة بإعادة تشكيل القول التعريفيّ المسلَّم به على نحو مشترك. وأخيراً، من شأن اكتشاف وقائعَ جديدة أن يُشظِّي التعريف إلى عدَّة تعريفات متكاملة.

في ما يتعلَّق بالمعنى الأوَّليّ، يطرحُ السؤال شبه الماورائيّ الآتي نفسَه، ومفاده: هل يُقدَّر لهذا المعنى أن يكون موجوداً في ظلّ غياب الوسائل الألسنيّة التي تسمح بالتعبير عنه؟ ومن هنا تنشأ إشكاليّةٌ أخرى، ألا وهي: ما الذي نقصده بقولنا «أن يكون موجوداً؟»، فإنْ كنَّا نقصد بالوجود إمكانيّة التطوُّر والاضطلاع بدورٍ في خضمِّ عمليّة سيكولوجيّة معرفيّة عميقة معيَّنة، من الواضِح أنَّه مازال بعدُ من المتعذِّر إيصاله (أي أنَّه سابق للحوار - pré (dialogique)، فيبدو هذا الأمر بمثابة الأمر المُقرّر[34].

يبدو أنَّ فكرة الزمرة (groupe) قد سبقت وجود التعبير اللغويّ الخاص الذي يسمح بالإشارة إليها. وتتعلَّق المسألة، في البداية على الأقلّ، بوحدة سابقة للتحديد، كان يُخالجنا شعورٌ بأنها قادرةٌ أن تضطلع بدور على جانب من الأهميّة في ميدان الرياضيّات. ولم يتمَّ إعداد لائحة معايير تسمح بالتمييز بين الزمرة واللاّزمرة إلاّ عقب تفكُّر مليّ لا يكون مؤهَّلاً للقيام به إلاّ عالمٌ نابغةٌ بالرياضيّات. ومن شأن لائِحة المعايير «اللاّزمة» هذه أن تُنتِجَ تصوُّراً تتمّ مطابقته على

---

(34) من العسير وصف بعض هذه الأفعال في اللُّغة الطبيعيّة، حتى ولو كنَّا نملك القدرة على تنفيذها وإلى نقل مهارتنا إلى الآخرين بواسطة الأمثلة. إنَّ معرفة تقديم ما نفعله بواسطة مصطلحات واضحة وبسيطة، ولاسيَّما في ميدان الرياضيّات، تُعدُّ كفاءةً (بل فنّاً) تتطلَّب تدرُّباً طويل الأمد.

الصعيد الألسنيّ مع مصطلح ما، ممّا يقطَعُ الطريق على كلِّ مجاز مرسل.

يمكننا عندئذ طرح السؤال التالي حول النموذجيّة، ومفاده: ما هو مَثَل الزمرة الذي سنقترحه لنوضِّحَ هذا التصوُّر؟ ثمّة زمرتان تكونان حاضرتَين في ذهن كلّ طالب، ألا وهما: إمّا مجموعة الأعداد الحقيقيّة المزوَّدة بعمليّة الجمع، أو مجموعة الأعداد الحقيقيّة الموجِبَة بحصر المعنى والمزوَّدة بعمليّة الضَّرب. وبعد التفكير مليّاً، نلاحِظُ أن هذا التصوُّر هو كليُّ الوجود في الرياضيّات. وتُضفي كليّة الوجود هذه «معنًى» على التصوُّر المجرَّد.

6.1 ـ تعريفات معجميّة/ ورياضيّة

في إطار نموذج المعنى ـ النصّ (Mel'čuk [et al.] 1995: 78 sq.)، يُعدِّد المؤلِّفون عدداً معيَّناً من القواعد في سبيل إنشاء مقاربة شكلانيّة دقيقة. ومن المهمّ أن نرى إنْ كانت قد تمّت مراعاة هذه القواعد في تعريفات المصطلحات الرياضيّة. وسنذكِّر باختصار بهذه القواعد.

6.1.1 ـ القاعدة 1: قاعدة بشكل جملة[35]

لا يُمكن أن يقتصرَ العنصر المُعرَّف[*] على الكلمة البارزة[**]

(35) يُعدُّ إدخال هذه القاعدة أحد ابتكارات نموذج المعنى ـ النصّ.

(*) نُطلِق في علم الدلالة اسم العنصر المُعرَّف (le défini) على السِّمة المُلازِمة لبعض الأغراض أو الأشخاص، في مقابل السِّمة [أو العنصر المُعرَّف] الخاصّة بأغراض أو أشخاص أخرى (عكس العنصر المُنكَّر ((l'indéfini)). ويُصار على الصعيد الدلاليّ، إلى تفسير «العنصر المُعرَّف» هذا باعتباره يُنشئ مرجعاً محدَّداً أو باعتباره يملك قيمة المصطلح الشامل.

(**) نُطلِق اسم الكلمة البارزة (mot vedette) على الكلمة التي تصلح كمدخل في المعجم.

التي تستقطب الاهتمام، بل ينبغي ربطه بعناصِره الفاعلة الدلاليّة المحتملة (المُعبَّر عنها بشكل بيّن في النصّ أو المُضمَّنة فيه).

المثل 1: في إطار التحليل التوفيقيّ، لا يُحدُّ العنصر المُعرَّف المُطابق لمصطلح توفيق (combinaison) بهذه الكلمة وحدها، بل ينبغي تأويله باعتباره يمثِّل عبارة «توفيق من دون تكرار العناصر (ع) المُنتمية إلى المجموعة (م)» (مجموعة تتألف من عدد «ن» من العناصر) (combinaison sans répétition de p (éléments) de E (ensemble de n éléments))، حيث يرِدُ العنصران الفاعِلان الدلاليَّان الإلزاميَّان، أي العناصر التي نقوم بتوفيقها، ولاسيّما عددها (p) وعدد العناصر الأصليّة[36] (n) الذي تضمُّه المجموعة (م) التي تنتمي إليها هذه العناصر. ومن دون هذَين الإيضاحَين، تكون المفردة فارغةً من محتواها في التحليل التوفيقيّ، ويكون التصوُّر «غير مُتقَن التعريف»، أي إنه لا يكون عمليّاتيّاً[37]. ولا تُشكِّل الإضافات التالية: من دون تكرار (sans répétition) والعناصر (ع) (p éléments) ومجموعة الأعداد الأصليّة الصحيحة (ن) (ensemble de cardinal n)، مجرَّدَ تساوقات احتمالية. بل إنها تشارك في إعداد المعنى نفسه الذي ينطوي عليه المصطلح وتُفرِّقه عن المفردة ذات المدى الأعمّ، أي مثلما يمكننا أن نصفها في معجم اللُّغة.

المثل 2: في الواقع، يُرجعنا المُصطلح- الصفة «المُشارِكَتان الأكمَل» (comaximaux) إلى عبارة «المثاليّتان المُشارِكتَان الأكمَل» في

(36) يُشكِّل العدد الأصليّ لمجموعة ما توسُّعاً لتصوُّر عدد عناصر مجموعة محدودة (ensemble fini).

(37) كانت الصياغة المُقتضبة المُستعملة عادةً في الكتب المدرسية القديمة كالآتي: «توفيق عدد (م) من الأغراض (غ) المأخوذة من مجموعة الأغراض اللامتناهية (p)» (combinaison de m objets pris p à p).

الحلقة(*) (idéaux comaximaux d'un anneau). ويتجلَّى التعريف الناجِز كالآتي: «ننعَتُ المثاليَّتَين (م) و(ن) الموجودتَين في الحلقة (ح) بـ «المشارِكَتَين الأكمل» إذا كان مجموعهما يُساوي الحلقة: م + ن = ح» (deux idéaux I et J d'un anneau A sont dits comaximaux si I + J = A) (Le Lionnais 1979). وينتفي وجود التصوُّر في ظلّ غياب تخصيص مصطلحَي «مثاليَّتان» و«حلقة». ونستنتج ممّا تقدَّم أنَّ التعريفات الرياضيّة تراعي، بشكل مُضمر على الأقلّ، القاعدة الأولى.

6 . 1 . 2 ـ القاعدة الثانية: قاعدة التحليل

ينبغي تعريف المُفردة بواسطة مفردات تكون **أسهلَ** منها على الصعيد الدلاليّ، ممّا يُحظِّر بوجه خاصّ الدوران في حلقات مُفرغة ـ إنَّه مَطمَحٌ بعيدُ المنال بالمعنى الحصريّ في معاجِم اللُّغة، ولكنَّه مُلِحٌّ في قائِمة المصطلحات الرياضيّة. وتجدر الإشارة إلى أنَّ التصوُّر الأوَّل $ت_1$ يوصَف بأنَّه، بالنظر إلى هذه الحالة، أكثر سهولةً على الصعيد الدلاليّ من التصوُّر الثاني $ت_2$ ـ في النظريّة المعروضة ـ في حال كنَّا بحاجة إلى $ت_1$ لكي نُحدِّدَ $ت_2$، وليس العكس، ممّا يجعل فكرة البساطة نسبية، ورهن الطريقة التي نعرضُ بموجبها النظريّة.

المثل 1: هذا ما سيكون عليه الوضع لو قُمنا بتحديد مصطلح «توفيق» (combinaison) باعتباره «ترتيباً» (arrangement) غاضِّين النظر عن تنظيم العناصر المكوِّنة، والمصطلح «ترتيب» باعتباره «توفيقاً» يفرض على عناصره تنظيماً معيَّناً، مع أن مثل هذه الملاحظة تُساعد

(*) إنَّ المثاليّة المُشارِكة الأكْمَل (idéal comaximal) في ميدان الرياضيّات هي كنايةٌ عن مجموعة جُزئيّة من حلقة (anneau) تتوافر فيها شروطٌ محدَّدةٌ.

على الصعيد التربوي على فهم الاختلاف القائم بين التصوُّرَين بشكل أفضل. ولكن، لا تتطابق اضطراراً، وجهةُ النظر المنطقيّة مع وجهةِ النظر التربويّة. ويُمكننا أن نُحدِّد «ترتيب عدد معيَّن من العناصر (p) المنتمية إلى مجموعة تضمّ عدداً أصليّاً (ع) من العناصر» (arrangement de p éléments d'un ensemble de n éléments) بمعزل عن تصوُّر التوفيق باعتباره «متتاليةً مؤلَّفةً من عدد معيَّن (p) من العناصر المُتميِّزة المُنتمية إلى المجموعة (م)» (une suite de p éléments distincts de E). ويُفترض أن تكون المصطلحات الآتية: عنصر (élément) ومتميِّزَة (distincts) ومجموعة (ensemble) وعدد معيَّن من العناصر (nombre p) ومتتالية (suite)، **معروفةً** وأكثر **سهولةً** من مصطلح ترتيب (arrangement).

المثل 2: من الممكن تعريف المقطع المخروطيّ في الهندسة المستوية من دون اللُّجوء إلى الهندسة الفراغيّة أو على العكس، في الهندسة الفراغيّة باعتباره مَقْطَعاً من مخروطِ الدوران (انظر المثل 5 في الفقرة 5). ونستنتِجُ أنـّه يتمّ احترام القاعدة **الثانية** باستمرار إنَّما بطريقة مختلفة.

6.1.3 ـ القاعدة الثالثة: قاعدة الكتلة الأقصى

سرعان ما يغدو التعريف المُعبَّر عنه بواسطة المصطلحات الأوَّليّة الأكثر سهولةً وحدها تعريفاً مُطلسَماً. وينبغي، ضِمن نِطاق الممكن، أن تتمَّ صياغة التعريف العائِد لتصوُّر معيَّن على نحو يتعذَّر فيه استبدال أيّ من أشكال التصوُّرات الأسهل الواردة في هذا التعريف بمفردة سبقَ أن تمّ تحديدها. فمثلاً: بغية تعريف المربَّع (carré)، لا نستعين (في الهندسة الأوَّليّة) بتصوُّرات من مثل: خطّ مُضلَّع (ligne polygonale) وقَفْل (fermeture) وتحدُّب (convexité) وزاوية مستقيمة 180 درجة (angle plat) وشَطْر (moitié). وبحسب

الترتيب المُتَّبَع لعرض النظريّة، نتحدَّث إمّا عن مستطيل تكون أضلعه متساويةً أو عن مُعَيَّن (losange) له زاويةً قائمةً، وهما يتضمَّنان أصلاً التصوُّرات السابقة.

بيد أنَّ إمكانيّة الإدلاء بالتعريف من خلال الاستعانة بالتصوُّرات الأوَّليّة فقط، لا تعدو كونها مجرَّد إمكانيّة نظريّة يُمكن تخيُّلها بالنسبة إلى الحاسوب ولكنَّها غير ملائِمة للإنسان. وتبدو قاعدة الكتلة الأقصى بمثابة القاعدة الفرعيّة **لقاعدة الاقتصاد اللُّغويّ في التعبير**. وبناءً عليه، يُمكننا أن نُحظِّر من أن يُصار، بشكل بيِّن على الأقلّ، إلى ذِكر الخاصيّة نفسها عدَّة مرّات في التعريف عينه. ولا جَرَمَ أنَّ مثل هذا الحشو لا يُعدُّ خطأً بكلّ ما للكلمة من معنى، بل عدم مهارة تأليفيّة ينبغي تحاشيها من حيث المبدأ. ولكن من الممكن أن يقعَ عنصر المعنى نفسه عند نقطةِ تقاطع شكلَين (ممّا يُشكِّل حشواً مُقنَّعاً).

أن نحدِّد «المربَّع باعتباره مُعيَّناً قائم الزوايا» (losange rectangle) أو باعتباره «مستطيلاً مُعَيَّنيّ الشَّكل» (rectangle losange)، معناه أنَّنا نعني مرَّتَين أنَّه متوازي الأضلاع (parallélogramme)، نظراً لكون هذا المعيار متضمَّناً في كلّ من المستطيل والمُعيَّن. والأمر نفسه ينطبق على مصطلح «تناظر» (bijection) (أي، التماثُل المتقابِل النظيريّ) الذي يتمّ التعريف به باعتباره «تطبيقاً متبايناً تطبيقيّاً غامراً» (injection surjective) أو باعتباره «تطبيقاً غامراً تطبيقيّاً متبايناً» (surjection injective)، حيث إن كلَّ شكل من الأشكال المُعرِّفة يَتضمَّن أصلاً معيار التطبيق (application). وإن كانت المسألة تتعلَّق على المستوى المنطقيّ بحشو غير مرغوب فيه، إلاّ أنه من الممكن تبرير هذا التكرار من وجهة النظر التربويّة.

4.1.6 ـ القاعدة الرابعة: قاعدة المَقْيَسَة

ينبغي إنشاء التعريف على نحو نتحاشى فيه أن نورِدَ في صياغته: (أ) المُصطلحات المُبهمة و(ب) المصطلحات المترادفة.

أ) تبدو مسألة تجنُّب استخدام المصطلحات المُبهمَة مسألةً مُسلَّماً بها. ولكنَّنا سنتفحَّص من جديد التعريف الأوَّل الذي أعطيناه لمصطلح «إهلِيلَج» (الوارد في المثل 5 في الفقرة 5)، ألا وهو: مجموعة نقاطٍ من مسطح يكون فيها مجموع المسافات بين نقطتَين ثابتتَين، (تُسمَّيان بؤرتَين)، ثابتاً (ensemble des points d'un plan dont la somme de distances à deux points fixes nommés foyers est constante). تتَّخذ كلُّ مفردة من المُفردات التي يتألَّف منها هذا التعريف عدَّة مفاهيم في معجم اللُّغة. وإن تأمَّلنا في هذه المصطلحات في السياق الرياضي من الهندسة الأولية، نجد أن بعضها هو كناية عن مصطلحات كاملة العضويّة تمَّ التعريف بها بشكل بيِّن في وقت سابق، في حين أن بعضها الآخر، على غرار الأدوات النحويّة من مثل أدوات التعريف (des, d', la) وحرف الجرّ (à) والفعل «سمَّى»[38] (nommer) قد تمَّت استعارته لغويّاً كما هو من اللُّغة الشائعة. ويبدو أن بعض المصطلحات من مثل «مجموعة» و«مجموع» و«مسافة» لا تستوجب الإسناد إلى تعبير سابق (في سياق عرض أوَّليّ على الأقلّ) حتى يُصار إلى تأويلها بشكل أحاديّ المعنى، مع أنها متعدِّدة المعاني من وجهة نظر نظريّات رياضيّة أخرى. ويتطلَّبُ حسن استعمالها أن يكون القارئ مُدرَّباً بشكل ملائم.

---

(38) بغية التغلُّب على هذا الإبهام، يقترح ملتشوك وضع دليل لكلِّ مفردة، وهكذا، حريٌّ بنا أن نكتُبَ، متَّبعين تصنيف مفاهيم معجم *Le Petit Robert*، ما يلي: سمَّى (nommer I,2).

كما إنها تُشكِّل ما نستطيع تسميته «**أشباه المصطلحات**» (أو المصطلحات المُقنَّعة) التي تعمل وكأنها مصطلحات، مع أنها لا تملك تعريفاً خاصّاً[39] بها. ولا يمتُّ النصّ الموجَّه إلى إنسان قارئ بصلة إلى الصياغة الشكلية مثلما يقتضيها كلّ من علم المنطق الصارِم والحاسوب.

ب) إذا ما اعتمدنا وجهة نظر نظريّةً بشكل دقيق، نجِدُ أنَّ جلَّ ما يُقدِّمه التوضيح بواسطة مصطلح مُرادف هو تأخير المشكلة وليس حلَّها، لأن المُصطلح المُرادِف يحتاج بدوره أن يُعرَّف. فالتأثير الوحيد الذي يُخلِّفه وجود المرادِف هو زيادة الفوضى في القوائِم المصطلحيّة، إذ إنَّ تعريف المصطلح «إزاحة» (déplacement) (في إطار هندسة التحويلات) باعتباره تساوي القياس (isométrie)، وتساوي القياس باعتباره إزاحةً، ليس سوى الوقوع في أُحبولة الدوران في الحلقة المُفرغة. ومن منظور تعليميّ، تُعدُّ عمليّة إدخال مُرادف مُوْح، ليس بصفته معرِّفاً بل باعتباره وسيلةً لإضفاء معنى على الوحدة الرياضيّة المُجرَّدة، مع تحذير المبتدئين في ميدان الرياضيّات من الوقوع في الانزلاقات غير المرغوب فيها، في عداد الأساليب والطرائِق الفعّالة لحَمل هؤلاء على استيعاب تصوُّر جديد (برَغم الانتقادات المُبرَّرة مع ذلك التي يُوجِّهها الصفائيّون)[40].

(39) ينتمي عددٌ من هذه المصطلحات إلى ما نُطلق عليه، على خُطى رينيه ميشيا (René Michéa)، اسم معجم مفردات اللُّغة العامّة ذي التوجُّه العلميّ. إلاّ أنَّها تفقدُ، في المشهد الرياضيّ، طابعها العامّ من خِلال دمج سيمات خاصة. ولا تقتصر عمليّة تبسيط الكَسر على أن نجعله أكثر سهولةً كيفما اتَّفق.

(40) يُثير مصطلح إزاحة (déplacement) فكرة التحرُّك المستمرّ الذي تستبعده، من حيث المبدأ، هندسة التحويلات (بخلاف علم الحركة المجرَّدة (cinématique)) باعتبار أنَّ الهندسة لا تأخذ في الحسبان إلاّ الحالة الابتدائيّة والحالة النهائيّة. ويُضاف إلى ذلك أنَّه تبعاً لبعض الحقبات وبعض المؤلِّفين، قد تكتسبُ الوحدات نفسها تسميات متنوِّعةً. ومن الحكمة =

2.6 ـ تعريفات جامعة أو تعريفات تراكمية

تجدر الإشارة أيضاً إلى أن مصطلح «بؤرة» (foyer) الوارد في التعريف (أ) في المَثَل 5 المذكور في الفقرة 5، قد تمَّ التعريف به في الوقت نفسه الذي تمَّ فيه التعريف بمصطلح «إهلِيلَج». وهذا شأن المصطلح «خطّ دليليّ» (directrice) المذكور في التعريف (ب) في المَثَل 5 الوارد في الفقرة 5، وكذلك تعريف مصطلحَي «نقطة الدائرة» (centre) و«شعاع» (rayon) المذكورَين في تعريف الدائرة (cercle).

نشدِّد على واقع أن هذه المصطلحات لا تُشكِّل تسميات بسيطةً. ولا تكون خصائصها معروفةً قبل إيراد التعريف الذي يتضمَّنها. فخارج إطار التعريف، لا يملك مصطلحا «بؤرة» و«خطّ دليليّ» محتوى خاصّاً بكلّ منهما يُمكن استثماره على الصعيد الرياضيّ، في حين يكون مصطلح «إهلِيلَج» قابلاً، في سياق مقاربة أخرى، للتحديد بشكل مستقلّ. ونستنتج إذاً وجود تراتبيّة في التبعيّة بين المُعرَّفات المُتضمَّنة في **التعريف الجامع** نفسه (الذي يكون عبارةً عن تعريف متزامن لعدّة مصطلحات). ولا يُعدُّ مصطلحا «بؤرة» و«خطّ دليليّ» في عداد العناصر الدلاليّة الفاعِلة كما هو حال المصطلحات التالية: منحنى مُقفل (courbe fermée) ومستو (plane) وجبريّ (algébrique) ومن المرتبة الثانية (du second ordre) ومن الفئة الثانية (de la seconde classe) التي تَدخلُ في تعريفات الإهلِيلَج التالية ((من التعريف ج) إلى (التعريف ز)) والتي تنطوي على المعنى نفسه في

= أن نُنبِّهَ الطلاّب إلى ذلك. تجدر الإشارة أيضاً إلى أنَّ المنحنيات، التي يتمّ تحديدها نظريّاً باعتبارها مجموعات من النقاط، «نتخيَّلها» غالباً باعتبارها مسارات (Trajectoires) تنطلق من نقطة متحرِّكة وتُسمَّى محلاّت هندسيّةً (lieux géométriques) وليس «كمجموعات» من النقاط، إذ: يُضفي عليها الإرجاع الحَرَكيّ (المجرَّد حتى من الوقت الطبيعيّ) معنى ويُفسِّر رسوخ التسمية المُماتة المهجورة محلّ هندسيّ (lieu géométrique).

إطار العديد من التعريفات الأخرى. ويُمكننا بالتأكيد أن نتحدَّث عن البؤَر التي يملكها المنحنى ذو العروتين (lemniscate) أو بَيضويّ كاسّيني (Ovale de Cassini) أو بيضويّ ديكارت (ovale de Descartes)، إلاّ أنَّ الخصائص التي تتَّصف بها بؤر هذه الأخيرة مُغايرةٌ عن الخصائص التي تتَّصِف بها بؤر الإهلِيلَج[41]. وعليه، يجمع التعريفان (أ) و(ب) الواردان في الفقرة 5 عدَّة مُعرَّفات تراتبيّة.

3.6 ـ مجازٌ مُرسَلٌ مضبوطٌ

من المعروف أنَّه في تاريخ علم الرياضيّات، استحالت بعض المصطلحات التي كانت تُعدُّ في مصاف المصطلحات الأحاديّة المَفهَم إلى مصطلحات مُبهمة، نظراً إلى التطوُّر الذي شهدَه هذا العلم.

هاكم على سبيل المثال حالة المفهوم «تكامُل» (intégrale). نشهد في المؤلَّفات الرياضيّة بروز بديلات متنوِّعة للتصوُّر الأوَّليّ يُصار إلى تعيين نوعها بواسطة عناصرَ محدِّدَة، من مثل: تكامُل نيوتن (intégrale de Newton) وريمان (Riemann) وليبسغ (Lebesgue) وكورزويل ـ هانستوك (Kurzweil-Henstock)، إلى آخره. ونكاد نتحدَّثُ عن **مجاز مرسل مضبوط** هدفه تمويه نقص «مرونة» المصطلحيّة. وفي الواقع، إذا أخذنا بعين الاعتبار كثرة المصطلحات المُشابهة نسبيّاً (انظر بهذا الصدد تصوُّر الزاوية (angle) الذي وردَ في

(41) نذكِّر بأنَّه في علم البصريّات الهندسيّة، تتطابق بؤرات المرايا الإهليلجيّة أو المُكافِئيّة المَقطع مع البؤرات الهندسيّة لهذه المنحنيات. بيد أنَّها تدلُّ بشكل أعمّ على نقطة تقارب الأشعَّة الضوئيّة في عدَّة تراكيب اختباريّة أخرى. ويمكننا أن نحدِّد بؤرات العدسات الكروية الرقيقة، في حين أنَّنا لا نُبقي على مثل هذا التصوُّر بالنسبة إلى الشَّكل الهندسيّ المؤلَّف من دائرتَين قاطعتَين يكون فرق شعاعَيهما صغيراً نسبةً إلى مسافة مركزيهما.

المثل الأوَّل في الفقرة 1)، ينتهي بنا المطاف إلى الحصول على مجموعة مصطلحات مفرطة الغنى يصعبُ التحكُّم بها. فمصطلح تكامُل نفسه قد استُخدِمَ في سياق النصّ بلا عنصر مُحدِّد(*)، علماً بأنَّه قد تمّ التذكير مُسبقاً بكلّ مفهوم من مفاهيمه، بل لقد (أُعيدَ) التعريف به حسب الأصول[42].

لابدّ أن ننوِّه في هذا الشأن بأنّ من الممكن نقل التصوُّرات من نظريّة رياضيّة إلى أخرى. هذا ما يكون عليه الوضع حين ننتقل من فضاء ثنائيّ الأبعاد إلى فضاء متعدِّد الأبعاد. وهكذا، نتحدَّث عن بؤرة «المُجسَّم الإهليلجيّ» (ellipsoïde) و«المُجسَّم الزائديّ» (hyperboloïde)، كما إنَّنا حين نُدخِل التصوُّر «مكعَّب زائِد» (hypercube)، نقومُ بنقلِ تصوُّرات «نقطة الدائرة» (centre) و«الضلع القطريّ» (diagonale). ولكن ينبغي، وهذه مسألةٌ جوهريّةٌ، أن يُصار إلى إعادة التعريف **بالتصوُّرات المُهاجِرة** (وأن تتمَّ مُثاقَفَتُها) بشكل مناسب في النظريّة المُستقبِلَة، فهي تجلبُ معها اقتراحات مقبولةً ظاهريّاً، إنَّما يتعيَّن إعادة النظر فيها في السياق الجديد.

من الممكن نقل تصوُّر «ارتفاع» المثلَّث (hauteur d'un

(*) إنَّ العنصر المُحدِّد (déterminant) هو عبارةٌ عن أحد مكوِّنات التركيب التعبيريّ الاسميّ المنوطة بالاسم الذي يُشكِّل العنصر الرئيسيّ في هذا التركيب. ويكمن دور العناصر المُحدِّدة في تفعيل الاسم (المُحدَّد) وإضفاء تخصيصات عليه.

(42) نتحدَّث أيضاً عن التكامُل بمعنى **تكامُل ريمان** (*intégrale de Riemann*) و**تكامل ليبسغ** (*intégrale de Lebesgue*) و**تكامل كارزويل ـ هنستوك** (*intégrale de Kurzweil-Henstock*)، أو بشكل مختصر أكثر **تكامُل ـ ر** (*R-intégrale*) و**تكامُل ـ ل** (*L-intégrale*) و**تكامُل ـ ك هـ** (*KH-intégrale*). وتُطالعنا كذلك مُشتقّاتٌ نعتيّةٌ وفعليّةٌ من هذا المصطلح، على غرار: **قابل للتكامُل على طريقة تكامُل ـ ر** (*R-intégrable*) وقابل للتكامُل على طريقة **تكامُل ـ ل** (*L-intégrable*) و**قابل للتكامُل على طريقة تكامُل ك هـ** (KH-intégrable) و**كامَلَ على طريقة تكامُل ـ ل** (*L-intégrer*).

(triangle) إلى الشّكل الرباعيّ السطوح (tétraèdre). ولكن سُرعان ما يتبادر إلى ذهننا السؤال الآتي: هل تكون الارتفاعات متلاقيةً في الشّكل الرباعيّ السطوح كما تكون في المثلَّث؟ ويتَّضحُ لنا أنَّ هذه الخاصيّة هي خاطئةٌ إجمالاً، ولكن ثمَّة أشكالٌ رباعيّةُ السطوح فريدةٌ، توصَف بأنَّها متلاقية الارتفاعات (orthocentrique)، وتكون مزوَّدةً بِـ «ملتقى الارتفاعات» (orthocentre) أسوةً بالمثلَّثات. ويفتحُ التصوُّر المنقول ملتقى الارتفاعات الباب أمام القيام باستكشافات جديدة. فما هي الخصائص التي يُمكننا الإبقاء عليها، مع إجراء بعض التكييفات، وما هي تلك التي يتعذَّر الإبقاء عليها؟

4.6 ـ اقتضاء الوجود المنطقيّ

في معجم اللُّغة، لا يشغلُ المعجميّ باله في الاهتمام بمسألة وجود مرجع «حقيقيّ» أو مؤكَّد منطقيّاً، كما تُبيِّنه تسميات حيوانات الخَيْمَر الخرافيّة(*) (chimères)، والوحوش الخياليّة، من مثل طيور اللَّيل المُفترِسة(**) (stryges) والسنتور(***) (centaure). ولا يؤخِّر أو يُقدِّم بالنسبة إليه، إنْ كان هذا الوحش المرجع لا يظهر في الحقيقة التي يمكن ملاحظتها أو «تصوُّرها»، ويكفيه أن يُلاحِظَ أنَّ ثمَّة نصوصاً تأتي على ذكر هذه التسمية بوتيرة لا يُستهان بها. ولكن في المُقابل، يتطلَّبُ كلُّ تعريف في ميدان الرياضيّات تبريراً مُسبقاً،

(*) حيوانٌ خرافيٌّ له رأس أسد وجسم شاة وذنب حيّة، وهو ينفثُ اللَّهَب.

(**) عبارةٌ عن شياطين نسائيّة ذات أجنحة، ويكون جسمها نصفه كجسم امرأة ونصفه الآخر كجسم عصفور، وهي تُصدر أصواتاً حادَّةً مُصمَّةً للآذان. ويُقال إنَّها تنقضُّ بشكل أساسيّ على المولودين الجدد فتمتصُّ دماءهم.

(***) كائنٌ خرافيٌّ نصفه رجل ونصفه فرس، كان يعيش في تسّاليا (Thessalie) كما تروي الأسطورة.

سواء كان بيِّناً ـ على شكل مبرهنة الوجود (théorème d'existence) ـ أو مُضمَراً في حالة البَداهة. فلا يتعيَّن علينا مثلاً أن نُبرهِنَ وجود التصوُّر «مثلَّث» (triangle)، لأنَّنا نعرف تماماً أن نرسِمَه، في فِكرنا على الأقلّ. بيد أنَّ بعض مبرهنات الوجود تستوجِبُ تدليلات منطقيّةً مُضْنِيَةً (انظر على سبيل المثال وجود الأعداد المتسامية (nombres transcendants).

لا يجدر بأيّ تصوُّر من التصوُّرات التي يتمّ إدخالها حديثاً أن يكون ذا طابع تناقضيّ، لا في ذاته ولا من حيث تبعاته، كما هو حال بعض الأوهام، من نوع القطع الزائد المُخمَّس (hyperbole pentagonale) الذي يضمُّ (كذا) خصائص كلّ من القطع الزائد (hyperbole) والمُخمَّس (pentagone)، أو العدد الصحيح الكسريّ (entier fractionnaire) أو أيضاً مجموعة المجموعات كلّها (ensemble de tous les ensembles)، وهي عباراتٌ تخلقُ مُفارقات لا تُطاق. فلا مكان للإردافات الخُلفيّة (oxymorons) (كتلك التي نراها في اللُّغة، على غرار: ميتٌ حيّ (mort vivant) ووَضَحٌ حالكٌ (obscure clarté) وصمتٌ مصمٌّ للآذان (silence assourdissant)) في صفوف التعابير الرياضيّة ذات المغزى الحرّ. إلاّ أنَّ الطواعيّة اللُّغويّة التي تحظِّرها صلابة التصوُّرات، تنبثقُ ثانيةً على الصعيد اللُّغويّ بفضل جمود التعابير التي يُمكن أن تنشأ كإردافات خُلفيّة، بالمعنى القويّ لهذا المصطلح.

5.6 ـ إردافاتٌ خُلفيّةٌ مصطلحيّةٌ

في الواقع، هذا ما يكون عليه الحال بالنسبة إلى بعض التعابير الجامدة التي لا ينتجُ معناها الإجماليّ عن مجرَّد مزج معاني مكوِّناتها، على غرار التعابير التالية: زاوية مستقيمة 180 درجة (angle

(plat) ودالَّة متعدِّدة الدلالات (fonction multivoque) ومجموعة مشوَّشة (ensemble flou)... إلخ. وفي الواقع، تتعارَض الصفة «مُستقيمة 180 درجة» مع الصفة «مزوَّية». إذ لا تستطيع «الزاوية الطبيعيّة» المزوَّدة بـِ «حدّ» (pointe) أن تكون زاويةً من دون حدّ.

تقرِنُ الدالَّة (بالمفهوم الحديث لهذا المصطلح على الأقلّ) عنصراً، أيّاً يكن، من المجموعة المصدر بعنصر واحد على الأكثر من المجموعة الهدف. وتفرضُ خاصيّة التحلّي بصفة المجموعة، على كلِّ عنصر التخيُّر الصارِم التالي: «ينتمي/ لا ينتمي» إلى المجموعة موضوع البحث، ممّا يُلغي بشكل جذريّ التشوُّش[43].

بغية التشديد على تشكيل الإردافات الخُلفيّة المصطلحيّة تشكيلاً نابضاً بالحياة ومخالفاً للتماسك المنطقيّ، سنستشهِدُ مجدَّداً بتصوُّر «البُعد الكسريّ» (dimension fractionnaire) الذي يعود تاريخ إدخاله إلى عهد قريب. فقَبْليّاً، يكون عدد الأبعاد في الفضاء عدداً صحيحاً من حيث طبيعته. ويُشكِّل مصطلح «بُعد كسريّ»، من زاوية هذا المفهوم، إردافاً خُلفيّاً يُفاجئ المُبتدئ.

لنفترض أنَّنا أقمنا على قطعة خطّ مستقيم طولها ط (L) نصفَي دائرة متواليَين يبلغ قطر كلّ منهما نصف طول القطعة. ويكون طول الخطّ الذي أقمناه بهذه الطريقة مُساوياً لطول الدائرة بكاملها، أي إنّه يبلغ 2 بي ط ($2\pi L$)، ويُسجَّل هذا الخطّ في شريط تبلغ سماكته ط/2 (L/2). وإذا ما طبَّقنا هذه العمليّة على كلّ قطر من القُطرَين الآنفَي الذكر، نحصل على خطّ مساو في الطول 2 بي ط، ولكنه يكون ذا

(43) تقضي الحيلة بتزويد كلّ عنصر من عناصر المجموعة المحدَّدة تحديداً جيّداً بمُعامِل (coefficient)، يكون لنا ملء الحريّة بتسميته كما يحلو لنا، فنستطيع أن نطلقَ عليه مثلاً اسم درجة الانتماء (degré d'appartenance).

سماكة تساوي ط/ 4 (L/4). وبعد إجراء عدد معيَّن (ن) من العمليّات من هذا القبيل، تغدو السماكة ط/ 2ن ($L/2^n$). ومع تكرار هذه العمليّة إلى ما لا نهاية له، يمتزِجُ الخطّ المتموِّج (ligne sinueuse) مع قطعة الخطّ المُستقيم، مع احتفاظه بطول يُساوي 2 بي ط، أي أطول من ط. فما هي طبيعة هذا الشيء العجيب الغريب؟ لا يمكنه أن يكون لا منحنى أو بعداً ثنائيّاً (dimension 2) ولا سطحاً أو بُعداً ثلاثيّاً (dimension 3). ونُبرهنُ أن باستطاعتنا تصوُّر بُعدٍ متوسط بين البُعدَين 2 و3، أي بالتالي، يمكننا أن نُحدِّدَ فضاءً ذا بُعد كسريّ.

7 ـ الصفة المصطلحيّة

يَعُدُّ التفرُّع الثنائيّ «المُفردة الفلانيّة (البسيطة أو المركبة) هي مصطلحٌ أم لا» (telle lexie (simple ou composée) est ou n'est pas un terme) نمذَجةً مُجديةً في مقاربة أولى، ولكن يتَّضِحُ أنها لا تعكِسُ جيِّداً صورة الواقع في إطار مقاربة أكثر دقَّةً.

هَبْ مثلاً الاختبار التالي: نُعطي نصّاً يتمحور حول موضوع الرياضيّات (يتوجَّه إلى الأكاديميِّين بقدر ما يتوجَّه إلى طلّاب البكالوريا)، ونطلبُ إليهم أن يُشيروا بخطّ إلى الكلمات والتعابير المصطلحيّة. وإن كان البعض لا يتردَّد البتّة في تصنيف بعض المصطلحات (من مثل: ثلاثيّ الحدود (trinôme) ومُشتقَّة ثانية (dérivée seconde) ونقطة مُستعرَضة[44] (point méplat))، يرى البعض الآخر أنَّ مسألة الانتماء إلى المصطلحيّة الرياضيّة بكلِّ ما للكلمة من معنى هي مسألةٌ متنازعٌ فيها، إذ يُمكننا في الواقع أن

(44) إنَّ النقطة المُستعرَضَة في المنحنى هي النقطة التي يملك فيها المنحنى انحناءً (بالمعنى الهندسيّ التحليليّ لهذا المصطلح) معدوماً أي صفر.

نعتمِدَ معاييرَ مختلفةً من مثل: الكلمة واردة في معجم مصطلحيّ، أو إنها تملك تعريفاً دقيقاً أو لا تملك المعنى نفسه في اللُّغة الفرنسيّة المحكيّة. وتبعاً للمعيار المُعتمَد وللسياق وللمعارف التي يتمتَّع بها القارئ، يُمكن أن تتبدَّل اللائِحة. وفي بعض السياقات، تبدو المفردة وكأنها حمّالة تصوُّر دقيق، في حين أنّها تبدو في سياق آخر وكأنَّها تنطوي فقط على مفهوم مَرِن غير خاضع لتعريف رياضيّ مُسبق. ولن يخطر ببال أحد أن يطرحَ هذا السؤال بشأن مصطلحات من مثل: رَسْم (construction) وقياس (mesure) وتقاطع (intersection) وضبط (contrôle) (انظر جمعيّة معلِّمي القطاع العامّ A. P. M. E. P. عام 1996، ص 587)... إلخ، والتي أسميناها أشباهَ مصطلحات.

إليكم تعبير «سطح قابل للنشر» (surface développable). يستطيع المؤلِّف في بداية الفصل أن يجعلنا نَشتمُّ، بواسطة اختبار بسيط، الموضوع الذي تتمحور حوله المسألة. فمثلاً، من الممكن أن يتمّ بَسط المخروط (cône) على الطاولة، في حين يتعذَّر فعل ذلك مع الكرة (sphère). ويروي طلّاب هنري ليبسغ (Henri Lebesgue) أن هذا العالم الرياضيّ والتربويّ العظيم الشأن، كان يعمَدُ، قبل الشروع بإعطاء دراسة تحليليّة حول الأسطح القابلة للنشر التي كانت مشتقَّاتها (derivées) تُقدِّم حالات انقطاع، إلى تجعيد ورقة ومن ثمّ بَسْطها على طاولة المكتب. وعند هذه المرحلة، لم تكن عبارة «سطح قابل للنشر» تُشكِّل مصطلحاً ملائِماً بعد، ولكنَّها كانت تُمهِّدُ الطريق فقط لإدخال تصوُّر جديد، ألا وهو: «سطحٌ قابلٌ للنشر غير مضبوط»[45] (surface développable non réglée).

(45) في الواقع، نبرهِن أنّ من الممكن رسم أيّ سطح قابل للنشر، بالمعنى التقليديّ، من خلال إزاحة خطّ المستقيم، ومن هنا نشأ المصطلح المُوْحي سطح منتظم (surface réglée).

1.7 ـ اسم العلم والمصطلح

بغية إدراج المصطلح في فئة «اسم العلم»، يستعين المعجميّون عموماً بمعيارَين غير متكافِئَين من حيث الأهميّة (Kripke 1982)، ألا وهما:

1) ليس لاسم العلم معنى، بل له مرجع فقط.

2) ليس لاسم العلم سوى مرجع واحد.

يقتضي هذان المعياران أن نعرفَ ماهيّة المرجع الرياضيّ (انظر الفقرة 2.5). ولعدم توافر الأفضل، حدَّدناه باعتباره فكرةً مُجرَّدةً[46]، ونعني بذلك «رتبة التكافؤ التي أساسها برهنة مطابقة للأصول». ويُعدُّ المصطلح، وهو عبارةٌ عن وحدة ذات طريقةِ عمل لغويّة، بمثابة المُفردة (سواء كانت بسيطةً أم مركَّبةً) التي تسمح بتعيين هذه الفئة في المقام الحواريّ، شفهيّاً كان أم كتابةً[47].

هل من حاجة إلى التذكير بأن عدداً كبيراً من المصطلحات يحتوي على مقوّم يُفهرسه المعجميّون باعتباره اسمَ علم

---

(46) بخلاف علم الرياضيّات، يُمكن أن تمتلك بعض مصطلحات العلوم الطبيعيّة مراجعَ مادية. وهكذا، نجد سوائل يُشار إليها بمصطلحات **كحول المتيليك** (alcool méthylique) و**حامض الأزوتيك** (acide azotique) و**ماء جافيل** (eau de Javel) و**شراب لابارّاك الكحوليّ** (liqueur de Labarraque) و**شراب شفايتزر الكحوليّ** (liqueur de Schweitzer) والتي تملكُ خصائص يمكن مراقبتها مراقبة تامة، والتي نستطيعُ إبرازها بواسطة تجارِبَ مناسبة. ولكن لا شيء من ذلك في ميدان علم الرياضيّات. فالاختبار لا يبرهِن أيّ شيء، والحواسيب الأكثر قوّةً عاجزةٌ بواسطة الطرق الاختباريّة عن برهنةِ إنْ كنَّا نقع في متتاليةِ الأعداد العشريّة اللامتناهية للنسبة التقريبيّة π على متتالية الأعداد العشريّة اللامتناهية لجذر الرقم 2 التربيعيّ ($\sqrt{2}$)، أم لا. وينبغي لمعرفة ذلك إجراء برهنة مازلنا نجهَل حتى إشعار آخر كيفيّة القيام بها.

(47) يمكننا على حدّ سواء عرض المصطلح بواسطة رمز إلكترونيّ. ولكنَّنا لن نبحث هنا هذا الاحتمال.

(Gentilhomme 1995). وتفقدُ أسماء العلم هذه محتواها الطبيعيّ، ما خلا في إطار الاستطراد التاريخيّ أو العلوميّ، ولا تتدخَّل البتَّة في التدليل المنطقيّ الرياضيّ بحصر المعنى. وهكذا مثلاً، في التعبير الجامد «معادلة كليرو» (équation de Clairault)، لا يسمح اسم العلم كليرو (Clairault) منفرداً بجعلنا نستدلُّ أنَّ المسألة تتعلَّق بضرب من ضروب المعادلات التفاضليّة التي تتَّخِذ الشَّكل الآتي: y - xy - A(y')، حيث تُعدُّ y' مُشتقَّةً وA دالَّةً معيَّنةً. ويُضاف إلى هذا أنَّ باستطاعة كلمة كليرو، إن لصقناها بمفردة مختلفة أن تُدخِلَ معلومةً مختلفةً تماماً.

هذا الوضع المُفارِق يبلغُ ذروته مع اسم العالم الرياضيّ الكبير السويسريّ الجنسيّة أولير (Euler). وننوِّه بالوحدات الجُمَليّة التاليّة: **زوايا** (angles) و**مُمَيِّزة** (caractéristique) و**دائِرة** (cercle) و**حَدسيّة** (conjecture) و**ثابتة** (constante) و**معيار** (critère) و**رسم بيانيّ** (diagramme) و**خطّ مستقيم** (droite) و**مُعادَلة** (équation) و**صيغة** (formule) و**مُتطابقة** (identité) و**دليل** (indicateur) و**تكامُل** (intégrale) و**نقطة** (point) و**مسألة** (problème) و**علاقة** (relation) و**مجموع** (somme) و**مُبرهنة** (théorème) و**تحويل** (transformation) المنسوبة كلُّها إلى أولير. ولا نُصادف حالةً مُشابهةً في اللُّغة العاديّة.

نُشدِّد على واقع أنَّ التعبير المصطلحيّ في معادلة كليرو له مرجعٌ واحدٌ فقط لا غير (بالمعنى الذي رأيناه في الفقرة 2.5). بيد أنَّ الوصف التعريفيّ يُشكِّل أكثر من مُمَيِّزة لتعيين النوع، فهو أيضاً حمّال محتوى نظريّ ناتِج يكون على جانب من الأهميّة. ويعرف الاختصاصيّ حقَّ المعرفة أنَّ هذه المعادلة تتحمَّل حلاًّ عامّاً ونعني به الخطّ المستقيم التالي: $y = lx + A(l)$، وهو امتيازٌ قلَّ نظيره في صفوف المعادلات التفاضليّة. ومن هنا يطرح السؤال الآتي نفسه، ألا

وهو: هل يُمكننا مع ذلك أن نُصنِّفَ هذا المصطلح باعتباره اسماً علماً[48]؟

1.1.7 ـ سؤالٌ مطروحٌ طرحاً سيئاً

بغية إنشاء بُنية كبرى، يجد المؤلِّفون أنفسهم مرغمين على طرح السؤال التالي على شكل برهان ذي حدَّين[*]، ومفاده: «هل تُعدُّ المفردة الفلانيّة اسماً نكرة أو اسم علم؟». وبفعلهم هذا يتصرَّفون كما لو أنَّ خاصيّة كون المصطلح اسم علم هي مُميِّزة داخليّة تتَّصِف بها المفردة موضوع البحث.

---

(48) يمكننا طرح السؤال نفسه بشأن عدد كبير من المصطلحات. فبالنسبة إلى مصطلحات **مُبرهنة بريانشون** (théorème de Brianchon) و**قانون هوسبيتال** (règle de L'Hospital) و**مُستقيم سِمسون** (droite de Simson)، قلائل هم مَن يتذكَّرون، ما خلا بعض الاختصاصيِّين، العالِمَين الرياضيِّين الفرنسيَّين الكبيرَين، ونعني بهما: شارل جوليان بريانشون (1783-1864) (Charles Julien Brianchon) وغيوم دو لوبيتال (le marquis Guillaume de l'Hospital) (1661-1704) أو العالِم الهندسي الاسكوتلنديّ روبير سِمسون (Robert Simson) (1687-1768). ويقتصر دور العلماء هؤلاء الذين قدَّموا في العصر الذي ترعرعوا فيه مساهمات جليلةً لعلم الرياضيّات، على كونها «علامات دلاليّة» لا شخصيّة، تسِمُ الكلمات التي ترمز إلى أشكال، على غرار: **المُبرهنة** و**القانون** و**الخطّ المستقيم**، المزوَّدة بمحتوى شامل. فهل تُعدُّ العبارات التالية: **مُبرهنة الشرطيّ** و**مُبرهنة بريانشون** و**قانون هوسبيتال** و**مستقيم سِمسون**، بمثابة المصطلحات أسماء العلم أو الأسماء النكرة؟ ويُكتب مُصطلح **رياضيّات** (mathématiques) في اللُّغة الفرنسيّة بالحرف الصغير حين يكون في الجمع، وغالباً ما يُكتَب بالحرف الكبير حين يكون في المُفرد. لِمَ؟ وكيف يشعر المستخدمون بهذا الأمر؟ وهل إنَّهم يتأثَّرون بذلك بالطريقة نفسها؟ فمثلاً، يستخدم المشروع البورباكيستيّ [تُستعمَل الصفة بورباكستيّ (bourbakiste) نسبةً إلى نيكولا بورباكيست (Nicolas Bourbakiste) وهو اسم عالِم رياضيّ وهميّ يرمُز إلى اسم مجموعة عمل تضمُّ علماء رياضيّين فرنسيِّين، لهم عدَّة منشورات صادرة تحت هذا الاسم المستعار] حرف البداية الكبير كرمز له.

(*) إنه عبارة عن قياس أقرَن، أي برهان ذي حدَّين يُكرهُ الخصم على اختيار واحد من بديلين كلاهما في غير مصلحته.

في المشهد الرياضيّ، يتمّ طرح السؤال بشكل مختلف. إذ قد تُستخدم المفردات المصطلحيّة عينها إمّا كمعيّن جامد على غرار عنوان فقرة معيَّنة، أو كبراهينَ مُثقلة بالمعاني في إطار البرهنة.

وهكذا، يُعَنوِن كريستيان فاسَّار وديديه تروتو (Vassard et Trotoux 1998) مساهمتهما «باسم مُبرهنة شطيرة الجانبون» (théorème du sandwich au jambon). وتظهر العبارة نفسها في سياق البرهنة الآتية: «تتَّجه المتتالية (u_n) نحو صفر، تبعاً لمُبرهنة الشرطيّ (théorème du gendarme) أو مُبرهنة الشطيرة (théorème du sandwich، [...] لأنَّها محاطةٌ بمتتاليتَين تتَّجهان نحو صفر». وجديرٌ بنا أن نوضِّحَ أنَّ العالم الرياضيّ يملك مصطلَحين مُرادفَين تحت تصرُّفه للإشارة إلى هذه المُبرهَنَة، ألا وهما: «**مُبرهنة الشرطيّ**» و«**مُبرهنة شطيرة الجانبون**»، وندوِّنهما من منظور منطقيّ سليم على الشَّكل الآتي: **مُبرهنة الشرطيّ = مبرهنة شطيرة الجانبون**، وذلك لأنَّهما كناية عن اسمَين مختلفَين يُشيران إلى المرجع نفسه.

سنذكِّر مرَّةً جديدةً بالتناقض الكلاسيكيّ التالي: Morgenstern (نجمة الصباح)/ Abendtstern (نجمة اللَّيل)، للإشارة إلى المرجع نفسه، ألا وهو: كوكب الزهرة، ما عدا أنَّه في مجال علم الفلك، لا يكون المرجع عبارةً عن محض فكرة مجرَّدة، بل يُمكن رؤيته بالعين المُجرَّدة أو أفضل بواسطة المِقراب. ونستنتج من ذلك عادةً أنَّ «اسمَي العلم» هذَين، العائِدَين للكوكب نفسه يختلِفان من حيث المعنى، ممّا يُعزِّز واقع وجود بعض السياقات التي لا يكونان فيها قابلَين للاستبدال المُتعاوِض.

لا يُمكننا أن نسحَبَ ذلك على المشهد الرياضيّ. وإنَّه لمن البديهيّ طبعاً أنَّ العالم الرياضيّ لا يُورِد في تدليله المنطقيّ واقع أنَّ

المسألة تتعلَّق بـِ «شرطيّ ينتمي إلى هيئة مولَجة بنوع خاصّ بالسَّهر والمحافظة على النظام والأمن العامّ» (بحسب معجم *Petit Robert*)، كما إنّه لا يذكرُ من باب أَولى أنَّها تتعلَّق بـِ «طبق من المأكولات مؤلَّف من شطيرتَي خبز، نضع بينهما مأكولات باردةً»، تتألَّف بالنظر إلى هذه الحالة من شريحة «من فخذ الخنزير أو كتفه مُعدَّة للحِفظ» (المصدر نفسه). وليست هذه التفاصيل ملائِمةً لتنظيم السياق تنظيماً لغويّاً. ولكن في المقابل، تكتسبُ لحظة بروز الكوكب أهميّةً[49] بالنسبة إلى عالم الفلك.

يُمكننا أن نطرحَ على أنفسنا هذا السؤال: «ما المغزى من هذه التسميات الغريبة»؟ ويكمن الجواب في التداوليّة التواصليّة، ففي كلتا الحالتَين، تتعلَّق المسألة بوحدة (جانبون أو مسجون) محاطة بشيئَين (شطيرتَين أو شرطيَّين). ونُضيف إلى هذا الأمر، طابع اللعب الجذّاب الذي يتنافى مع ما اشتُهِر عن الرياضيّات بأنها علم «جدّي ومتجهّم».

2.1.7 ـ المُعيِّنات الحصرية

هل ثمَّة وحداتُ تواصل تضطلعُ بدور المعيِّنات الحصرية في المشهد الرياضيّ؟ تخطر في بالنا بالطبع رموز الجبر الحُروفيّة. ففي الواقع، يحقُّ للشخص الذي يُدلي أن يُشيرَ بواسطة أ (a)

(49) ولكن، لا يستطيع القارئ أن يمنعَ نفسه من التبسُّم وهو يُفكِّر بذلك (وهو أمرٌ لا يفعله الحاسوب الذي يجهل الفكاهة). وفي المشهد الرياضيّ، يحفَظُ المتلقِّي الإنسان المحتوى التضمينيّ المُشترك الذي ينطوي عليه الإطار (l'encadrement). ومن المُبالغ فيه ربَّما أن نختصِرَ هذه العبارات باعتبارها تُشكِّل المُعيّنات الجامدة التي أوجدها كريبكه (Kripke). إذ إنَّهما مصطلحَان رياضيَّان مزوَّدَان بطريقةِ عمل خاصَّة، وهما ينقلان تصوُّراً يُذكَر استعاريّاً بواسطة عناصر مُحدِّدة ذات مظهر غير لائق بمعرفة.

وب (b) **وج** (c) **وس** (x) **وص** (y) **وع** (z) **وأ** (A) **وب** (B) **وج** (C) **وص** (Y) **وع** (Z) أو بواسطة أحرف الهجاء اليونانيّة ألفا (α) وبيتا (β) وغاما (γ) ودلتا (δ) وبسي (ψ) وأوميغا (ω)، أيّ وحدة مجّردة (entité) استحسن، من دون أن يحمّلها أيّة خاصيّة أيّاً تكن (ولا حتى خاصيّة الوجود المنطقيّ). ونادِراً ما تنتقِصُ بعض الاستعمالات من هذه الحريّة، على غرار استعمال بعض الرموز الحقيقيّة الجديرة بالملاحظة (كالنسبة التقريبيّة بي (π) وأساس النظام اللّوغاريتميّ الطبيعيّ (e) وبعض الحالات الأخرى) أو الاستعمالات المُرتبطة من جملة أمور أخرى بالتقليد الديكارتيّ الذي يُكرِّس الحروف الأخيرة من الأبجديّة للإشارة إلى المتغيِّرات (variables) والحروف الأولى منها للإشارة إلى المُعامِلات (coefficients).

لا تَنْسِبُ «**قَبْليّاً**» التراكيبُ التعبيريّة الإنشائيّة التالية: «هَبْ (م) النقطة الفلانيّة (soit M tel point)، وهَبْ (د) الدالَّةَ الفلانيّة (soit f telle fonction) وهَبْ (س) المجهول الفلانيّ (soit x telle inconnue)» إلى هذه النقطة وهذه الدالَّة وهذا المجهول أيَّ ميزة خاصَّة. وحتَّى عقب إجراء تدليل منطقيّ، قد يستنتج العالم الرياضيّ «عبثيّة وجودها»، فسيَّان لو كنَّا أطلقنا عليها أسماء **جان** (Jean) أو **نيكول** (Nicole) أو **جوزفين** (Joséphine) أو **كونيغوند** (Cunégonde)، كما كان يفعل هنري ليبسغ ليجعل ثغور مستمعيه تفترُّ عن ابتسامة (إنَّه نوع من مُلطِّف تعليميّ) ـ على الرُّغم من أنَّ الفكاهة التي تُدخلها هذه التراكيب تُظهِرُ أنَّ هذه التسميات تنطوي في حناياها على شحنة تضمينيّة ذاتيّة لا تكون ملائِمةً في هذا الظرف.

8 ـ الخلاصة

لا ندَّعي البتَّة أنَّنا استوفَينا الموضوع من كلِّ جوانبه في هذه الدراسة فلقد ساهمنا بإنجاز القليل وتبقى أمور عديدة مطروحة للمعالجة. يقتصر غرضنا المتواضع من وراء هذه الدراسة على اقتراح بعض مواضيع البحث في ميدان لغات الاختصاص الواسع حيث لم يُصَر برأينا إلى تحليل العديد من الأسئِلة تحليلاً مُعمَّقاً بما فيه الكفاية.

نطرحُ فرضيّة أنَّ المصطلح، وهو وحدةٌ ذات طريقة عمل لغويّة في المشهد الرياضيّ، يُشكِّل نِظاماً مُصغَّراً (Gentilhomme 1985) ينبغي غمره في أنظمة أكثر اتِّساعاً (كالسياق الضيِّق والواسع والمحيط الاجتماعيّ والمقوِّمات الحواريّة والتداوليّة التواصليّة والمَعرفيّة) بغية وصف طريقة عمله وفهمها. ويحتوي هذا النظام المُصغَّر على نظامَين فرعيَّين سوسوريَّين متداخلين، ونعني بهما الدالّ والمدلول، وقد استرعى هذا الأخير انتباهنا بوجه خاصّ. فما درجنا على تسميته معنى، إنَّما ينقسِمُ إلى مكوِّنَين، ألا وهما: المدلول التصوُّريّ الذي يدخُل وحده في المسار المنطقيّ للبرهنة والذي يُحيلُ إلى مرجع نفسانيّ، والمدلول المفهوميّ الخاضع على نطاق واسع للأنظمةِ الغامرة، كما إنّه يؤدِّي دوراً سيكولوجياً وكَشفياً على جانب من الأهميّة.

من الملائِم في المشهد الرياضيّ أن نُبيِّنَ الفوارق الدقيقة في المقاربة الأولى القاضية بأنَّ «مرجع المصطلح يتألَّف من المحتوى الذي ينطوي عليه تعريفه». فبالإضافة إلى ذلك، يبدو لنا أنَّ المصطلح يُجيز نموذج رتبة التكافؤ («التي أساسها البرهنة»).

باختصار، لقد أفضى بنا الأمر إلى طرح المتقابلات التالية من

جملة متقابلات أخرى، ألا وهي: **مفهوم/ تصوُّر** و**معنى سكونيّ/ معنى ديناميكيّ** و**مرجع معاجميّ/ مرجع رياضيّ**، فضلاً عن إدخال بعض المصطلحات التحوُّليّة على غرار **المجاز المرسل المُضبوط** و**الإرداف الخُلفيّ المصطلحيّ** و**التعريف الجامع** و**الصفة المصطلحيّة**. ولقد لفتنا الانتباه إلى **النموذجيّة الماثِلة** في الفكر والتي تشهد على وجود معنى مخفيّ غير تعريفيّ. وتطرح هذه الأمور إشكاليّاتٍ عديدةً، عسى أن تحثَّ على إنجاز أبحاث تكون أكثر منهجيّةً.



المراجع

Books

Andreewsky, Evelyne. *Systémique et cognition*. Paris: Dunod, 1991. (Cognition et langage)

A. P. M. E. P. *Mots. Réflexions sur quelques mots-clés à l'usage des instituteurs et des professeurs*. Paris: Publication de l'association des professeurs de l'enseignement public, 1980.

Bkouche, Rudolph, Bernard Charlot et Nicolas Rouché. *Faire des mathématiques le plaisir du sens*. Paris: Armand Colin, 1991.

Bungarten, Theo (ed.). *Fachsprachentheorie, Bd1, Fachsprachliche Terminologie, Begriffs- und Sachsysteme. Methodologie, betreut und herausgegeben von Theo Bungarten*. Tostedt: Attikon Verlag, 1993.

Chevalard, Yves. *La Transposition didactique: Du Savoir savant au savoir enseigné*. Grenoble: La Pensée sauvage, 1985.

Condamine, Marcel. *Langage, logique, démonstrations et «vérités» mathématiques*. Paris: Arguer Delagrave, 1996.

Gentilhomme, Yves. *De la Notion de notion à la notion de concept. Processus dynamique itératif d'acquisition des notions. Conséquences lexicales et didactiques*. [n. p.]: Université de Neuchâtel, 1982. (Travaux du centre de recherches sémiologiques; 42).

———. *Essai d'approche microsystémique: Théorie et pratique, application dans le domaine des sciences du langage*. Berne;

Francfort; New York: Peter Lang, 1985.

Grand Larousse de la langue française. Paris: Larousse, 1971- 1978. 6 vols.

Grand Larousse universel. Paris: Larousse, 1962-1985. 15 vols.

Kripke, Saul. *La Logique des noms propres*. Traduction de l'anglais. Paris: Minuit, 1972.

Le Lionnais, François, Alain Bouvier et Michel George. *Dictionnaire des mathématiques*. Paris: P. U. F., 1979.

Martin, Robert. *Pour une logique du sens*. Paris: P. U. F, 1983.

Mel'čuk, Igor Aleksandrovič, André Clas et Alain Polguère. *Introduction à la lexicologie explicative et combinatoire*. Louvain: Duculot, 1995.

Petit Larousse illustré. Paris: Larousse, 1995.

Popper, Karl Raimund. *La Connaissance objective*. Traduit de l'anglais par Catherine Bastyns. Bruxelles: Editions Complexe, 1978.

Reboul, Anne et Jacques Moeschler. *La Pragmatique aujourd'hui*. Paris: Seuil, 1998.

Trésor de la langue française. Paris: Klincksieck; Gallimard, 1971-1988. 16 vols.

Periodicals

A. P. M. E. P. «De la Maternelle à l'université.» *Bulletin de l'A. P. M. E. P.*: no. 406, 1996.

Bruneseaux, Florence. «Noms propres, syntagmes nominaux, expressions référentielles: Repérage et codage.» *Langues: Cahiers d'étude et de recherches francophones*: 1998.

Buzon C., J.-L. Descamps et B. Lamizet. «Un Exercice dictionnairique.» *Cahiers de Lexicologie*: 1981.

Candel, Danielle. «Lexicographie de spécialité. Domaine: «Mathématiques»». *Cahiers de Lexicologie*: vol. 71, 1997.

Elnitsky, Leo. «Une description du verbe flamber: Exercice dictionnairique.» *Cahiers de Lexicologie*: vol. 40, 1982.

Gentilhomme, Yves. «L'Eclatement du signifié dans les discours technoscientifiques.» *Cahiers de Lexicologie*: vol. 64, 1994.

Martins-Baltar, Michel. «La Locution en discours.» *Cahiers du français contemporain*: 1995.

———. *Cahiers du Lexicologie*: vol. 66, no. 1995.

Mel'čuk, Igor Aleksandrovič. «Paraphrase et lexique dans la théorie linguistique sens-texte. Vingt ans après.» *Cahiers de Lexicologie*: vol. 52, 1988.

Pichard, Jean-François. «Approche épistémologique et diverses conceptions de la probabilité.» *Repères IREM*: no. 32, 1998.

Radford, Luis. «L'invention d'une idée mathématique: La Deuxième inconnue en algèbre.» *Repères IREM*: no. 28, 1997.

Vassard, Christian et D. Trotoux. «Erreurs d'arrondis et calculatrices.» *Bulletin de l'A. P. M. E. P.*: vol. 415, 1998.

Thesis

Martinowsky, Georges. «La Topologie temporelle du russe moderne.» (Thèse de doctorat, université Paris VIII, 1994).



الثبت التعريفي

استحداث (Néologie): إنَّ الاستحداث (توليد) هو عبارةٌ عن عمليّة صَوغ وحداتٍ معجميّة جديدة. والاستحداث نوعان: استحداث الشَّكل واستحداث المعنى. وفي كلتا الحالتَين، تتعلَّق المسألة بالإشارة إلى حقيقةٍ جديدةٍ (تقنيّةٍ جديدةٍ أو تصوُّرٍ جديدٍ). وعليه، يقضي استحداث الشَّكل فَبركة وحداتٍ جديدةٍ. في حين يقضي استحداث المعنى استعمال دالٍّ موجودٍ أصلاً في اللُّغة موضوع البحث من خلال إعطائه محتوى لم يكن يملكه قبلاً ـ سواء كان هذا المحتوى مُبتكراً على الصعيد التصوُّريّ أو مُعبَّراً عنه حتَّى تاريخه بواسطة دالٍّ آخر.

استخدام (Emploi): نُطلق اسم استخدام على استعمالِ أيّ مفردةٍ، نحويةً كانت أو معجميّةً، أو أيّ جملةٍ من أيّ نمطٍ كانت، في سياق فعلِ كلام معيَّنٍ. كما إنَّنا نُطلق اسم استخدام، في مقابل معنى، على دلالة الكلمة تبعاً للسياق الذي ترِدُ فيه. ويُقال أيضاً، بحسب بعض المدارس الألسنيّة (مدرسة فرايز الإنجليزية école anglaise de Fries)، إنَّ الكلمة لا يكون لها معنى خاصّاً مُطلقاً، بل تكون لديها مجموعة استخداماتٍ فقط.

استعمال (Usage): نُطلق اسم استعمال على مجموعة قواعِد اللُّغة المُثبَتة نسبيّاً والتي يستخدمها العدد الأكبر من المتكلِّمين في لحظةٍ معيَّنةٍ وفي مكانٍ اجتماعيٍّ محدَّدٍ. ففي اللُّغة الفرنسيّة مثلاً، يُمثِّل كتاب الـ (*Bon usage*) (وترجمته الحرفيّة: الاستعمال السليم) مجموعة الإرشادات المعياريّة التي تُشكِّل نموذجاً اجتماعيّاً ثقافيّاً. أمّا هيلمسلف (Hjelmslev)، فيضع الاستعمال في مقابل **المقياس** (norme)، مُعتبِراً أنَّه يتألَّف من مجموعة الخصائِص غير المتمايزة.

أشباه المُرادفات (Quasi-synonymes): نَصِفُ وحدتَين لغويَّتَين بأنَّهما شبه مرادفتَين حين تتشاطران في اللُّغة قِسماً لا يُستهان به من مدلولهما كقاسم مشتركٍ، مع أنَّهما تتطابقان مع مستويي لغة مختلفَين أم أنَّهما تُستخدَمان في ظروفٍ خطابيّةٍ مختلفةٍ (انظر أيضاً الترادف الناقص (synonymie incomplète)). فنتحدَّث عن أشباه المرادفات على صعيد المستوى اللُّغويّ في ثنائيّاتٍ من مثل أوجاع معدة/ وقرحة (maux d'estomac/ gastronomie)، باعتبار أنَّ مستوى الكفاءة هو الذي يُحدِّد اختيار الكلمة؛ وعن أشباه المرادفات اللَّهجيّة أو الجغرافيّة في مزدوجاتٍ من مثل: الجوّال (في مصر)/ والخلوي (في لبنان)، ناهيك بأشباه المرادفات التنافسيّة (synonyme de concurrence) حين تكون المَعْيَرَة مفقودةً، فتتضارَب بالتالي المصالح التقنيّة أو التجاريّة. إلاّ أنَّ تيسنيير (L. Tesnière)، يُطلق اسم **عنصر فاعل** على الوحدات التي تُشير إلى كائناتٍ حيَّةٍ أو أشياء والتي تُساهِم بطريقةٍ أو بأخرى، حتَّى بصفتها مجرَّد ممثِّلاتٍ صامتةٍ، في العمليّة التي يُعبِّر عنها فعل الجملة. وهكذا، في جملةِ «أعطى جاك ملبَّسةً لابنه»، لا تمثِّل كلمتا «ملبَّسة» و«ابن» الشَّخص الذي يقوم بالعمل، ولكنَّهما يُعدّان مع ذلك بمثابة العنصرَين الفاعِلَين. وتكون العناصر الفاعلة أسماءً دائِماً أو عناصِر معادِلة للأسماء. وهكذا، تتميَّز أفعال

الجُمَل بواسطة عدد العناصر الفاعِلة التي يُمكنها اتِّخاذها. فثمّة أفعال تفتقِرُ إلى العناصر الفاعِلة، على غرار فعل «أمطرت»، وأفعال أخرى تتَّخِذ عنصراً فاعِلاً واحِداً، على غرار فعل «وَقَعَ»، وأفعالٌ أخرى أيضاً لها عنصران فاعلان، على غرار فعل «ضَرَبَ»، وأخيراً، ثمّة أفعال تتَّخِذُ ثلاثة عناصر فاعِلة، على غرار فعل «أَعطى». ونُطلِقُ اسم **العنصر الفاعل الأوَّل** على فاعل الجملة المعلومة، و**العنصر الفاعل الثاني** على المفعول به (في إطار الجملة المعلومة) وعلى نائِب الفاعلِ (في الجُملة المجهولة). أمَّا مصطلح **العنصر الفاعِل الثالث**، فيدلُّ على الشخص الذي يتمّ العمل لصالحه أو على حسابه (أي المفعول به غير المباشر أو المعمول الثاني أو المُضاف إليه).

أنطولوجيّات (Ontologies): إنَّها ترسيماتٌ تُظهِر مختلف التصوُّرات الخاصَّة بميدانٍ معيَّنٍ، فضلاً عن العلاقات التي تربط هذه التصوُّرات في ما بينها.

أيديوغرام (Idéogramme): إنَّه عبارة عن صورةٍ (أو رمز) تُستعمَل في نظام كتابيّ ما (كالهيروغليفيّة والصينيّة) وتُمثِّل شيئاً أو فكرةً لا كلمةً خاصَّةً بهذا الشيء أو تلك الفكرة.

ترادف (Synonymie): يُمكن للترادف أن يتَّخِذ مفهومَين: فإمَّا أن نُطلِقَ على مصطلحَين اسم مرادفَين حين تُتاح إمكانيّة أن يتمّ استبدال أحدهما بالآخر في سياق قولٍ واحدٍ معزولٍ، أو أن نُطلِقَ على مصطلحَين اسم مرادفَين (ترادف مُطلق) حين يكونان متعاوضَين في السياقات كلّها. ولكن، لا وجود عمليّاً للمرادفات الحقيقيّة المُطلَقة، ما عدا بين لغتَين وظيفيَّتَين (فعلى سبيل المثال، تُقدِّم اللُّغات المتخصِّصة ولاسيَّما في حقل الطبّ أمثلةً كثيرةً عن الترادف المُطلَق بين مجموعة المصطلحات العلميّة التقنيّة ومجموعة المصطلحات الشعبيّة العامِّيَّة). ناهيك بالترادف التعيينيّ الذي يكون

قائِماً بين كلماتٍ متباينةٍ تُستخدَم في سياقاتٍ مختلفةٍ، إلاّ أنَّها تُشير في مقامٍ معيَّنٍ إلى المرجع نفسه، فتُصنَّف بذلك في خانة المرادفاتِ، وإليكم مثلاً على ذلك: رئيس المكتب البيضاوي ورئيس الولايات المتَّحِدة الأميركية.

تركيب (Composition): نعني بالتركيب عمليّة تشكيل وحدةٍ دلاليّةٍ انطلاقاً من عناصر معجميّةٍ قابلةٍ أن تتمتَّع بحدٍّ ذاتها باستقلاليّةٍ في إطار اللُّغة. وبهذه الصِفة، يوضَع التركيب عادةً في مقابل الاشتقاق الذي يُشكِّل الوحدات المعجميّة الجديدة غارِفاً من معين مخزون العناصر التي يتعذَّر استخدامها استخداماً مستقلاًّ. وعليه، نضع الكلمات المركَّبة من مثل بَيْبشريّ ومُجتمهنيّ في مقابل الاشتقاقات من مثل مَعلَمة وأنسنَة.

تركيب مونيميّ (Synthème): إنَّه تركيبٌ يتألَّف من مونيمَين (monèmes) أو أكثر ويُمكن تحليله إلى وحدَتَي معنى على الأقلّ.

تركيب نحويّ (Grammème): إنَّه نقيض المورفيم المعجميّ الذي يُعرَف باسم (lexème) (أي، الوحدة المعجميّة الصُغرى). وتكون المورفيمات النحوية إمّا متَّصلةً، كما في المثلَين التاليَين: لاستقرار وبَيْحكوميّ؛ أو منفصلةً، وتضمّ حروف الجرّ وأدوات التعريف، فضلاً عن بعض الظروف.

ثبت المصطلحات (Lexique): يُشير ثبت المصطلحات إلى مجموعة الوحدات التي تُشكِّل اللُّغة الخاصَّة بجماعةٍ ما أو بنشاطٍ بشريٍّ معيَّنٍ أو بمتكلِّم... إلخ. وغالباً ما يتمّ وضع ثبت المصطلحات في مقابل معجَم مفردات اللُّغة، باعتبار أنَّ الأوَّل يكون مُخصَّصاً للُّغة، في حين يُكرَّس الثاني للخطاب. ونُطلِق على وحدات المعجم اسم وحدات معجمية صغرى (lexèmes)، بينما نُسمِّي

وحدات الخطاب ألفاظاً (vocables) أو كلمات (mots) (باعتبار أنَّ الكلمة تُشير إلى أيّ توارد للَّفظة أيّاً تكن). وعليه، يكون معجم مفردات النصّ نموذجاً عن معجم مفردات المتكلِّم، أو بحسب وجهة النظر المُعتمَدَة، نموذجاً عن معجم مفردات الجماعة الألسنيّة اللُّغويّة.

ثمّة طرقٌ وأساليب جمَّة تسمح لنا باستحداث الأشكال، وأبرزها: الاشتقاق بإضافة السوابق واللَّواحِق أو اجتزاء الكلمة أو بواسطة الألفاظ الأوائليّة... إلخ. ويرى البعض أنَّه من الممكن أيضاً اعتبار الاقتراض اللُّغويّ من لغاتٍ أخرى (emprunt) بمثابة الاستحداث. وغالباً ما تتراكم الأساليب، بحيثُ قد يُطالعنا في الكلمة نفسها أسلوب التركيب والاشتقاق، إلى ما هنالك.

حِواريّة (Dialogisme): هي عبارةٌ عن مفهوم توسَّع الفيلسوف ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtine) في شرحه بغْية تحليل الجَماليّة الروائيّة. فمن وجهة نظر باختين، ترمز الحِواريّة إلى التفاعل الذي ينشأ بين الخطاب الخاصّ بالمتكلِّم والخطابات الخارجيّة بالنسبة إليه، ونعني بها خطابات الأشخاص الآخرين بمختلف أشكالها. ويُمكن تشبيه هذا التصوُّر بمفهوم التناصّ (intertextualité).

خاصيّة ذاتيّة/ عارِضَة (Propriété intrinsèque/ extrinsèque): نُطلِق صفة عارِضَة (extrinsèque) على خصائِص غرضٍ أو أمرٍ معيَّنٍ، حين تكون هذه الخصائِص غير مُستمدَّةٍ من جَوهَر الغَرَض أو من صُلبه، بل من علاقتنا بالمرجع أي الشكل الخاص الذي يتَّخذه احتكاكنا بهذا الغَرَض. ونُطلِق في المقابل صفة ذاتيّةً (intrinsèque) على خصائِص غرضٍ أو أمرٍ معيَّنٍ، حين تكون هذه الخصائِص من جِبلَّة هذا الغَرَض أي ناشِئةً أو واقعةً ضمنه أو ضِمنَ جزءٍ من أجزائه، أي إنّها تدخُل في جوهره ولا تكون شكليّةً ولا طارِئَةً.

سيمة تقديريّة (Virtuème): في مصطلحيّة بوتييه (B. Pottier)، تُعدُّ السيمة التقديريّة بمثابة مجموعة السيمات التي تؤلِّف العنصر المتغيِّر في دلالة الوحدة المعجميّة. وتكون هذه السيمات المتغيِّرة تضمينيّةً أي إنَّها لا تتفعَّل إلاّ في بعض التوافيق المحدَّدة في الخطاب.

سيمة ذاتيّة/ سيمة مُكتسبة (Sème inhérent/ sème afférent): نتحدَّث عن السيمة الذاتيّة للإشارة إلى المميِّزات الخاصَّة بكلِّ مورفيم (morphème)، بغضّ النظر عن العلاقات التي قد يُنشِئها مع سائِر المورفيمات في الجُملة. أمّا السيمة المُكتسبة، فيتمّ إنشاؤها في المقابل في طور الخطاب، بواسطة التدليلات المنطقيّة السياقيّة ومن خلال عمليّة أخذ المقاييس الاجتماعيّة في الاعتبار. وتتحدَّر الاستدلالات المنطقيّة السياقيّة التي تنبثِق عنها السيمات المُكتسبة من السياق الذي ترِدُ فيه الوحدة والذي يتفوَّق في أغلب الأحيان على الجُملة. فمثلاً، إنَّ عبارة «رُفِعَت الراية الحمراء» تعني تِبعاً للسياق أنّ الثورة قد بدأت أو أنَّ الخطر بات داهِماً أو أنَّه من الممنوع أو المحظَّر القيام بأمرٍ معيَّن.

علم المصطلحات التطبيقيّ (Terminographie): تماشياً مع التضاد القائِم بين علم الألفاظ (lexicologie) والمعجميّة أي، صناعة المعاجِم (lexicographie)، نضع علم المصطلحات النظريّ في مقابل علم المصطلحات التطبيقيّ. فهذا الأخير يُسجِّل المعطيات التي نحصل عليها بواسطة البحث المصطلحيّ ويُعالجها ويُقدِّمها. فهو يُشير إذاً إلى النشاط القاموسيّ الذي يقوم به عالم المصطلحات التطبيقيّ.

علم المصطلحات النظريّ/ قائِمة المصطلحات (Terminologie):

1 ـ نُطلق اسم علم المصطلحات النظريّ على دراسة تسمية المفاهيم (أو التصوُّرات) الخاصَّة بميادين المعارف المتخصِّصة أو

التقنيّات دراسةً منهجيّةً. ويتوافق هذا التعريف مع الأعمال المصطلحيّة المنبثقة عن العقيدة التي أوجدها أوجين ووستير (Eugen Wüster). وعليه، يكون المنهج المتَّبع في علم المصطلحات النظريّ خاضعاً بشكلٍ منهجيٍّ لوجهة نظر تسمية الأشياء والمفاهيم (onomasiologie)، إذ إنَّه ينطلقُ من المفاهيم الخاصّة بميدانٍ محدَّدٍ ويبحث عن الأشكال الألسنيّة اللُّغويّة التي تتناسب معها. ويعطي هذا المذهب الفِكريّ الأولويّة للمفهوم، ويعتبرُ أنَّ المفهوم العلميّ أو التقنيّ يُمكن أن يتحقَّق بشكلٍ متماثلٍ في دالٍّ (أي، مصطلحٍ) أيّ لغةٍ أيّاً تكن.

2 ـ يحتاج كلُّ نظام، ومن بابٍ أَوْلى كلُّ علم، إلى مجموعةِ مصطلحاتٍ محدَّدةٍ بشكلٍ دقيقٍ وصارمٍ يستخدمها ليُشيرَ إلى المفاهيم التي تكون مُفيدةً له. وتؤلِّف مجموعة المصطلحات هذه قائِمةَ مصطلحاته. فما من علمٍ أو نِظامٍ يفتقر إلى قائِمة مصطلحاتٍ خاصَّةٍ به.

علم المصطلحات النظريّ الاجتماعيّ (Socioterminologie): بغية التميُّز عن علم المصطلحات النظريّ الذي يضرب عرض الحائِط بالنواحي الألسنيّة اللُّغويّة الاجتماعية، نادى المصطلحيّون النظريّون الفرنسيّون منذ مطلع الثمانينيّات بمفهوم **علم المصطلحات الاجتماعيّ** الذي يرمي إلى أخذ النواحي الألسنيّة اللُّغويّة الاجتماعيّة للتواصل العلميّ والتقنيّ في الاعتبار. كما إنَّ هذا العلم يؤثِر استخدام عبارة دائِرة نشاط (sphère d’activité) بدلاً من ميدان (domaine)، نظراً إلى العلاقات الجديدة التي تنشأ بين العلم والتقنيّة والإنتاج والتي لم تعد تسمح بتفضيل صفاء العلوم التي أضحَت جميعها على اتِّصالٍ في ما بينها. ويأبى علم المصطلحات الاجتماعيّ أن يُعطي الأولويّة للمفهوم في إطار دراسة معاجِم مفردات اللُّغة المتخصِّصة، فيتعارضُ بذلك

مع علم المصطلحات النظريّ المُستلهَم من ووستير. فهو يُعالج المصطلح التقنيّ من منظورٍ يتَّخِذ الرمز الألسنيّ اللُّغويّ مُنطلقاً له، كما إنَّه يهتمُّ بنوع خاصٍّ بمقامات المشاركة الفاصِلة حيثُ يُضطرّ الاختصاصيّ إلى التخلّي عن الخطاب المُمَقيَس الذي يستخدمه بين نظرائه من الاختصاصيّين لاعتماد التسويات الكلاميّة مع شركاء أكثر إندماجاً في عمليّة التلقّي، كالجمهور مثلاً. ويهتمُّ علم المصطلحات الاجتماعيّ بالممارسات المؤسّساتيّة التي تهدِفُ إلى مراقبة الممارسات الكلاميّة في السياقات التكنولوجيّة وتسجيلها ومَعْيَرتها.

عنصر فاعل (Actant): نُطلقُ عادةً اسم «الفاعل» على الشخص الذي يقوم بالعمل الذي يُشير إليه فعل الجملة المتعدِّي أو اللاّزِم، والذي يشكّل الجواب عن السؤال التالي: مَن يقوم بالعمل الفلاني؟

عنصر مُعرِّف (Définisseur): يدلُّ هذا المصطلح في المعجميّة على الاسم العامّ أو الشامل الذي يَدخُل في تعريفات المصطلحات.

لا يضع التقليد المصطلحيّ في خانة المصطلحات المركَّبة إلاّ المصطلحات التي تكون مكوِّناتها ملحومةً خطيّاً (على غرار كلمة مُجَوقلة مثلاً) أو موصولةً بعلامة وصل (على غرار العربيّ ـ الإسرائيليّ). بيد أنَّ هذا الحصر هو محضُ خطيٍّ، وقد عمَدَ بعض الألسنيين اللُّغويين إلى توسيع رقعة المصطلح **تركيب** ليضمَّ أيَّ متتاليةِ مورفيماتٍ جامدةٍ بدرجاتٍ متفاوتةٍ تتطابقَ مع وحدةٍ ذات مغزى في اللُّغة الشائِعة أو في اللُّغات التقنيّة. وبالتالي، يُمكننا أن نتحدَّث عن صفةٍ مركَّبةٍ (على غرار «أحمر كدمٍّ القرد») وعن حالٍ مركَّبةٍ (على غرار قولنا «بسرعة البرق») وعن اسمٍ مركَّبٍ (على غرار: قلم الحبر).

لفظة أوائِليّة (Acronyme): إنَّها عبارةٌ عن اسم مُختصَرٍ مؤلَّفٍ من الأحرف الأولى من الكلمات التي تتكوَّن منها العبارة، ولكنَّه يُلفَظ وكأنَّه كلمةٌ واحِدةٌ، على غرار كلمة يونيسكو ويونيسف وفاو، ولا يُهجَّى حرفاً حرفاً **كالمُختصرات بالأحرف الاستهلاليّة** (sigles) على غرار كلمة ش. م. م. (في إشارةٍ إلى الشركة المساهمة اللُّبنانيّة). وتجدر الإشارة إلى أنَّه يتمّ دمج الألفاظ الأوائِليّة بشكلٍ أفضل في اللُّغة، ناهيك بأنَّها تسمحُ لنا بأن نشتقَّ منها الصِفات والأفعال وما شاكل.

لهجة تقنيّة (Technolecte): تُشير اللَّهجة التقنيّة إلى مجموعة المصطلحات الخاصَّة بتقنيّةٍ معيَّنةٍ. ويستخدِم علماء الألفاظ هذا المصطلح، في حين يؤثِر علماء المصطلحات النظريّون في أغلب الأحيان استعمال مصطلح **لغة اختصاص** (langue de spécialité). وبما أنَّ علم المصطلحات النظريّ يأخذ على عاتقه في الواقع مهمَّة النظر في معاجم المفردات المتخصِّصة أكثر ممّا تتمحَّص في الأشكال الخاصّة بالخطابات داخل ميدانٍ معيَّنٍ (كالبرهنة والاقتضاءات التوجيهيّة ومدى أهميّة المصطلح والعبارة... إلخ)، فمن المناسب أن نؤثِر فيه استخدام إمّا عبارة **لهجة تقنيّة** أو **معجم** مفردات اللُّغة المتخصِّص على حساب عبارة **لغة الاختصاص**.

مُحدَث (Néologisme): إنَّ المُحدثات هي عبارةٌ عن وحداتٍ معجميّةٍ لم تكن موجودةً من قبلُ (سواء دالّ جديد أو علاقة جديدة بين الدالّ والمدلول) من شأنها أن تعمل في إطار نموذج تواصلٍ محدَّدٍ. وتتطابق هذه الجدَّة عادةً مع شعورٍ خاصٍّ يخالج المَتكلِّمين. وتبعاً للنموذج المنتقى، نميِّز بين المُحدثات الناجِمة عن التعاقب الزمنيّ القريب والبعيد، والمحدثات التي تمسّ اللُّغة بمجملها أو استخداماتٍ معيَّنةٍ منها (على غرار **اللَّهجات التقنيّة**). وفي أيّامنا هذه،

يتحاشى المعجميّون وضع علامة (معنى مُحدَث) إلى جانب الكلمة المُحدَثَة، ويؤثِرون بالأحرى تدوين التواريخ التي تعود إليها المُحدثات.

معجم مفردات اللُّغة (Vocabulaire): إنَّه عبارةٌ عن لائِحةِ كلماتٍ. ويصفِه دوشيه (Douchet) وبوزي (Beauzée) قائِلَين: «إنَّ معجم مفردات اللُّغة هو كنايةٌ عن كتالوجٍ بكلمات اللُّغة، فلكلّ لغةٍ معجم مفرداتها الخاصّ». ويُعدُّ معجم مفردات اللُّغة في علم المصطلحات النظريّ الألسنيّ اللُّغويّ بمثابة اللائِحة الشموليّة للتواردات المذكورة في مدوَّنةٍ ما. ودرجَت العادة على استعمال مصطلح **معجم** مفردات اللُّغة في إطار الدراسات التي تتناول مدوَّناتٍ متخصِّصةٍ، فنتحدَّث عن معجم مفردات الطيران ومعجم مفردات السياسة... إلخ. ويتمّ تمييز معجم مفردات اللُّغة عن ثبت المصطلحات. إلاَّ أنَّنا لا نقع دائِماً على هذا التعارض بينهما، إذ إنَّ هيلمسلف (Hjelmslev) مثلاً يستخدِم هذه المصطلحَين بشكلٍ مُتعاوِضٍ من دون إجراء أيّ تمييزٍ بينهما.

المنظمَّة الدوليّة للمَعْيَرة (إيزو) (Organisation internationale de normalisation (ISO)): إنَّها هيئةٌ دوليّةٌ مؤلَّفةٌ من ممثِّلين عن منظَّماتِ مَعْيَرةٍ وطنيّةٍ من 158 دولةٍ، على قاعدة ممثِّلٍ لكلّ دولة. وهي تُشكِّل أكبر منظَّمةِ مَعْيَرةٍ في العالم. وقد أبصرت هذه المنظمة غير الحكوميّة التي لا تتوخَّى الربح النور عام 1949، وهي تسعى إلى إنتاج مقاييس ومعايير دوليّة، تُسمَّى بمقاييس إيزو (normes ISO)، هدفها ضمان الجودة في الميادين الصناعيّة والتجاريّة. وتعمل هذه المنظَّمة على رفع المستويات القياسية ووضع المعايير والأسس والاختبارات ومنح الشهادات المتعلِّقة بها من أجل تشجيع تجارة السلع والخدمات على المستوى العالميّ في شتَّى المجالات ما عدا

الإلكترونيّات حيث توجد هيئة خاصة بهذا المجال تسمّى «اللَّجنة التقنيّة الكهربائيّة الدوليّة» (Commission Electrotechnique Internationale (CEI)). وتأتي كلمة إيزو (ISO) من اليونانية ßóïò **إِسوس** بمعنى المساواة؛ لا من الانجليزية (International Organization for Standardization) ولا الفرنسية (Organisation internationale de normalisation). ويقع مقرُّ الأمانة المركزيّة التابع لمنظَّمة إيزو في جنيف في سويسرا وتسهم كلّ دولةٍ عضوٍ باشتراكٍ ماليٍّ لتمويلِ أنشطة المنظَّمة، وترشِّح كلُّ دولةٍ مندوبيها للمنظَّمة من خبراء عاملين في مختلف مجالات النشاط الفنيّ والاقتصاديّ. وبعد أن تقبل المنظَّمة ترشيحاتهم يعمل هؤلاء الخبراء في العديد من اللِّجان الفنيّة المتخصِّصة في شتَّى المجالات. وتُقسَم منظَّمة إيزو إلى 200 لجنة تقنيّة (comité technique) (TC) تُعنى كلٌّ منها بمعالجة ميدانٍ خاصٍّ.



ثبت المصطلحات

Sens de la traduction	اتّجاه الترجمة
Unilingue/ Monolingue	أحاديّ اللُّغة
Mononymie	أحاديّة التسمية
Monosémie	أحاديّة المعنى
Pistémologue	اختصاصيّ مبحث العلوم
Gestion automatique	إدارة مؤتْمَتَة
Implantation	إدخال مصطلحات جديدة
Implantation informatique	إدخال معلوماتيّ
Perception	إدراك حسيّ
Oxymoron	إرداف خُلفيّ
Directives internationales	إرشادات دوليّة
Esperanto	إسبرنتو
Intension	استبطان
Néologie exogène	استحداث لغويّ خارجيّ المَنشأ
Emploi	استخدام
Circularité	استداريّة
Inférence	استدلال

Métaphore cognitive	استعارات مَعرفيّة
Emprunt	استعارة لغوية
Métaphore terminologique	استعارة مصطلحيّة
Usage	استعمال
Usage réel	استعمال فعليّ
Usage possible	استعمال ممكن
Création organisée	استنباط منظَّم
Substantif	اسم
Nom trivial	اسم عامِّيّ
Nom propre	اسم علم
Nom-étiquette	اسم مُلصَق
Nom systématique	اسم منهجيّ
Nom semi-trivial	اسم نصف عامِّيّ
Nom semi systématique	اسم نصف منهجيّ
Non commun	اسم نكرة
Isonymes	اسمَان متساويَان
Cohyponymes	اسمَان مندرجَان متشاركان في الوجود
Dérivation	اشتقاق
Cadres	أُطر
Uniformité conceptuelle	اطِّراد تصوُّريّ
Redondance	إطناب
Redondance larvée	إطناب مُقنَّع
Revitalisation	إعادة تنشيط
Appréhension	اعتقال
Analyse componentielle	إعراب دلاليّ

Présupposé théorique	افتراض نظريّ
Mise en mots	إفراغ في كلمات
Linguistique appliquée	ألسنيّة تطبيقيّة
Linguistique de corpus	ألسنيّة المدوَّنة
Compréhensibilité langagière	إمكانيّة الفهم الكلاميّة
Appartenance au domaine	انتماء إلى ميدان
Semi-experts	أنصاف خبراء
Ontologie	أنطولوجيا
Schèmes	أوزان
Idéogramme	أيديوغرام
Fiche terminologique informatisée	بطاقة مصطلحيّة مُمَعلَمة
Dimension émotionnelle	بُعد انفعاليّ
Dimension connotative	بُعد تضمينيّ
Dimension dénotative	بُعد تعيينيّ
Banque de terminologies	بنك المصطلحات
Structure communicative	بُنية تواصليّة
Structure de surface	بُنية السطح
Structure profonde	بُنية عُمقيّة
Structuration lexicale	بَنيَنَة معجميّة
Constructivisme	بنيويّة
Interrelation (une)	بَيْعلاقة
Interface	بَيْنِيَّة تواصل
Impact linguistique	تأثير ألسنيّ لغويّ
Fixation des termes	تأثيل المصطلحات
Assertion	تأكيد

Echange international	تبادل دوليّ
Echange aveugle	تبادل عَشْوائيّ
Echange négocié	تبادل مُتَّفَق عليه
Echanges internationaux standardisés	تبادلات دوليّة مُعيَرة
Déplacement référentiel	تبدُّل مرجعيّ
Variations micro- et macrogéographiques	تبدُّلات جغرافيّة صغرى وكبرى
Rétroconversion de dictionnaires spécialisés	تبديل ارتداديّ للمعاجِم المتخصِّصة
Focalisation	تبئير
Fixation du sens des termes spécialisés	تثبيت معنى المصطلحات المتخصِّصة
Analyse contrastive	تحليل تبايُنيّ
Analyse combinatoire	تحليل توافيقيّ
Analyse comparée	تحليل مقارَن
Réductionnisme terminologique	تحوُّل منهجيّ مصطلحيّ
Variabilité terminologique	تحوُّليّة مصطلحيّة
Chevauchement	تداخل/ تشابُك
Circulation	تداول
Articulation des sens	ترابُط المعاني
Synonymie	ترادف
Synonymie référentielle	ترادف مرجعيّ
Alignement	تراصف
Imbrication	تراكُب
Fixation définitionnelle	ترسيخ تعريفيّ

Cheminement	ترقِّي
Composition	تركيب
Syntagme nominal	تركيب تعبيريّ اسميّ
Syntagme performatif	تركيب تعبيريّ إنشائيّ
Construction mentale	تركيب ذهنيّ
Synthème	تركيب مونيميّ
Codage	ترميز
Cooccurrence	تساوق
Cooccurent aléatoire	تساوق صدفويّ
Désignation	تسمية
Dénomination standardisée	تسمية مُقَيْسَة
Isomorphisme	تشاكُل
Isotopie sémantique	تشاكل دلاليّ
Eclatement	تشظِّي
Formation de termes	تشكيل المصطلحات
Formation vivante	تشكيل نابِض بالحياة
Classement alphabétique	تصنيف ألفبائيّ
Classification arborescente	تصنيف شَجَريّ
Classement systématique	تصنيف منهجيّ
Typologie	تصنيفيّة
Concept minimum	تصوُّر أدنى
Concept superordonné	تصوُّر أعلى
Concept maximum	تصوُّر أقصى
Concept subordonné	تصوُّر تابع
Concept coordonné	تصوُّر مترابط

Acculturé (concept)	تصوُّر مُثاقَف
Archi-concept	تصوُّر مثاليّ
Conception logiciste	تصوُّر منطقويّ
Concept migrant	تصوُّر مُهاجِر
Antonymie	تضاد
Connotation	تضمين
Praxis	تطبيق عمليّ
Corrélation sémantique	تعالق دلاليّ
Expression figée	تعبير جامد
Plurinymie	تعدُّديّة التسمية
Polysémie inter-domaines	تعدُّديّة دلاليّة بَيْمَدانيّة
Polysémie intra-domaine	تعدُّديّة دلاليّة ضِمْمَيدانيّة
Multilinguisme	تعدُّديّة اللُّغات
Polysémie	تعدُّديّة المعاني
Définition conventionnelle	تعريف اتِّفاقيّ
Définition linguistique	تعريف ألسنيّ لغويّ
Définition cumulative	تعريف تراكميّ
Multidéfinition	تعريف جَمْعيّ
Définition lexicographique	تعريف معاجميّ
Définition harmonisée	تعريف موحَّد القياس
Définition encyclopédie	تعريف موسوعيّ
Définitions complémentaires	تعريفات متتامَّة
Echevau sémantique	تعقُّد دلاليّ
Globalisation des dénominations de notions	تعَوْلُم تسميات المفاهيم
Glissement de référence	تغيُّر مرجعيّ

Interaction	تفاعل
Intercompréhension	تفاهم مُتبادَل
Interprétation ultralogiciste	تفسير منطقويّ
Activation	تفعيل
Extrapolations	تقديرات استقرائيّة
Découpage sémantique	تقطيع دلاليّ
Découpage du terme	تقطيع المصطلح
Restriction de sens	تقليص المعنى
Analogie de forme	تماثل في الشَّكل
Analogie fonctionnelle	تماثل وظيفيّ
Intégrisme anti-linguistique	تماميّة مناهضة للألسنيّة
Schématisation	تمثيلات تعميميّة
Représentativité	تمثيليّة
Etirement	تمدُّد
Matérialisation des pensées	تَمدِيَة الأفكار
Démarquage	تميُّز
Dilution	تمييع
Interpénétration	تنافُذ
Organisation linguistique	تنظيم ألسنيّ لغويّ
Organisation sémique	تنظيم سيميّ
Aménagement terminologique	تنظيم مصطلحيّ
Constitution du mot en type	تنميط الكلمة
Occurrence	توارُد
Communication techno-scientifique	تواصل تقنيّ علميّ
Consensus	توافق

Interdépendance	تواقُف
Documentation	توثيق
Harmonisation de terminologies	توحيد قياس قوائِم المصطلحات
Extension	توسُّع
Extension sémantique	توسُّع دلاليّ
Extension de sens	توسيع المعنى
Permanence de signe	ثبات الرمز
Fixité	ثباتيّة
Glossaire	ثبت تعريفيّ
Lexique	ثبت المصطلحات
Homonymiser	جعل الكلمة كلمةً مجانِسةً
Lexicaliser	جعل الكلمة مُعجميّةً
Monosémiser	جعل المصطلح أحاديّ المَفهَم
Figement du syntagme	جَماد التركيب التعبيريّ
Communauté linguistique	جماعة ألسنيّة لغويّة
Paronomase	جِناس
Gestionnaire terminologique	جِهاز مصطلحيّ مُستقبِلَ
Note technique	حاشية تقنيّة
Mobilité langagière	حركيّة كلاميّة
Champ conceptuel	حقل تصوُّريّ
Champ de l’entrée	حقل المدخل
Champ terminologique	حقل مصطلحيّ
Dialogisme	حواريّة
Vie sémiologique	حياة سيميائيّة
Propriété intrinsèque	خاصيّة ذاتيّة

Propriété extrinsèque	خاصيّة عارِضَة
Onomasiologie	دراسة كيفيّة تسمية المفاهيم أو الأشياء
Sémasiologie	دراسة معاني الكلمات
Degré de recouvrement	درجة التغطية
Dogmatisme anti-linguistique	دُغماتيّة مناهضة للألسنيّة
Signification	دلالة
Sémantisation	دلاليّة
Répertoire	دليل
Marques pragmatiques	دمغات تداوليّة تواصليّة
Marques de pondération	دمغات التساوق
Marques géographiques	دمغات جغرافية
Support électronique	ركيزة إلكترونيّة
Spiritualisation des sons	رَوْحنَة الأصوات
Préfixe	سابقة
Trait facultatif	سِمة اختياريّة
Trait conceptual	سِمة تصوُريّة
Virtuème	سِمة تقديريّة
Trait sémantique	سِمة دلاليّة
Trait afférent	سِمة مُكتسبة
Malentendu	سوء تفاهم
Taxèmes	سيمة بسيطة ذات نزعة نحويّة
Sème connotatif	سيمة تضمينيّة
Sème dénotatif	سيمة تعيينيّة
Sème générique	سيمة عامَّة
Polysème	سيمة متعدِّدة الدلالة

Sème inhérent	سيمة مُلازِمة
Sème idiolectal	سيمة منوطة باللُّغة الفرديّة
Sème spécifique	سيمة نوعيّة
Sémiotique du signe	سيميائيّة الرمز
Scénarios	سيناريوهات
Quasi-concept	شبه تصوُّر
Quasi-terme	شبه مصطلح
Arbre du domaine	شجرة الميدان
Charge sémantique	شحنة دلاليّة
Charge de sens	شحنة معنويّة
Dérives stylistiques	شطحات أسلوبيّة
Popularité	شعبيّة
Forme linguistique	شكل ألسنيّ لغويّ
Format d'échange	شكل التبادُل
Sigle	شكل مُختصر بواسطة الحروف الاستهلاليّة
Format-pivot	شكل ـ مُرتكز
Stéréotype	شكل مُقَوْلَب
Forme standardisée	شكل مُمَعْيَر
Diacritiques sémantiques	شَكلات دلاليّة
Morphologie	صرف
Terminologicité	صِفة المصطلحيّة
Industrie(s) de la langue	صناعة (ات) اللُّغة
Taxinomie	صِنافة
Image mentale	صورة ذهنيّة
Image saussurienne	صورة سوسوريّة

Image acoustique	صورة صوتيّة
Figure métonymisée	صورة مجازيّة مُرسَلة
Formulation laconique	صياغة مُقتضبة
Tournure courante	صيغة شائِعة الاستعمال
Caractère activé	طابع مُفعَّل
Typographie	طباعة
Processus de «dilution»	طريقة «التمييع»
Flexibilité linguistique	طواعيّة ألسنيّة لغويّة
Phénoménologiste	ظاهراتيّ
Lexicologue	عالم الألفاظ
Linguiste sémanticien	عالم الدلالة الألسنيّ اللُّغويّ
Cognitiviste	عالم المذهب المعرفيّ
Terminographe	عالم المصطلحات التطبيقيّ
Terminologue	عالم المصطلحات النظريّ
Terminologue normalisateur	عالم مصطلحات نظريّ مُقَيِّس
Maladresse rédactionnelle	عدم مهارة تحريرية
Doctrine wüstérienne/ Dogme wüstérien	عقيدة ووستيرية
Implications définitoires	علاقات إضماريّة تعريفيّة
Relation réflexive	علاقة انعكاسيّة
Rapport expérentiel	علاقة تجريبيّة
Relation hyperonyme-hyponyme	علاقة تربط الاسم النوعيّ بالاسم المُندَرِج
Relation symétrique	علاقة تماثُليّةً
Relation transitive	علاقة متعدِّية
Rapport référentiel	علاقة مرجعيّة

Marque d’usage	علامة الاستعمال
Indication de domaine	علامة دالّة على الميدان
Marque socio-professionnelle	علامة مُجتَمِهنيّة
Etymologie	علم الاشتقاق
Phraséologie terminologique	علم تركيب الجُمَل المصطلحيّ
Praxématique	علم التطبيقات العمليّة المعلوماتيّ
Sémantique différentielle	علم دلالة تفاضُليّ
Sémantique référentielle	علم دلالة مرجعيّ
Sémantique textuelle	علم دلالة نصِّيّ
Sémantique du prototype	علم دلالة النموذج البَدْئيّ
Terminotique	علم المصطلحات المعلوماتيّ
Socioterminologie	علم المصطلحات النظريّ الاجتماعيّ
Opérations de filtrage morpho-syntaxiques	عمليّات التَصْفِيَة والفرز الصَّرفيّة النحويّة
Mise en paradigme	عمليّة إدراج الكلمات في محورٍ استبداليٍّ
Déterminologisation	عمليّة إزالة الصبغة المصطلحيّة عن المُصطلح
Terminologisation	عمليّة إضفاء الصبغة المصطلحيّة على الكلمة
Décontextualisation	عمليّة التجريد من السياق
Opération d’assignation de sens	عمليّة تخصيص معنى
Vulgarisation	عمليّة التعميم
Lemmatisation	عمليّة جعل المَدخل وحدةً معجميّةً صغرى
Collecte semi-automatique	عمليّة جمع المصطلحات شبه التلقائيّة
Processus d’accession au sens	عمليّة هدفها البلوغ إلى المعنى
Primitifs	عناصر أوّليّة
Invariant linguistique	عنصر ألسنيّ لغويّ ثابِت

Actant sémantique	عنصر فاعل دلاليّ
Définisseur	عنصر معرِّف
Rubrique	عنوان
Excès du signe	غزارة الرمز بالمعاني
Flou	غموض
Richesse du signifié	غنى المدلول
Vide linguistique	فراغ ألسنيّ لغويّ
Absence lexicale	فراغ معجميّ
Prescription normative	فَرْض معياريّ
Hypothèse	فرضيّة
Espace rédactionnel virtuel	فضاء تحريريّ افتراضيّ
Acte de référenciation	فعل الإرجاع
Acte de dénomination	فعل تسمية
Index	فهرس
Index alphabétique	فهرس ألفبائيّ
Intension des noms	فَهم الأسماء
Supralinguistique	فَوْألسنيّ لغويّ
Surmot	فَوْكلمة
Classe fonctionnelle	فئة وظيفيّة
Trop plein de sens	فَيْض المعنى
Actualisable	قابل للتفعيل
Lecteur averti	قارئ مُطَّلِع على الموضوع
Règle d'économie d'expression	قاعدة الاقتصاد اللُّغويّ في التعبير
Base de données	قاعدة بيانات
Dictionnairique	قاموسيّة

Inventaire	قائِمة جَرْد
Terminologie maison	قائِمة المصطلحات المحلِّية
Pré-dialogique	قَبْحواريّ
Finalité	قصديّة
Interversion	قَلب
Règles d’ordonnancement	قواعِد تنظيم
Valeur de vérité	قيمة الحقيقة
Idéographie	كتابة رمزيّة
Ensemble sémantique	كلٌّ دلاليّ
Etymon	كلمةٌ أمّ
Mot vedette	كلمة بارزة
Mot déterminologisé	كلمة مجرَّدة من دمغتها المصطلحيّة
Mot-clé	كلمة مفتاح
Mot dilué	كلمة مُمَيَّعَة
Mot grammatical	كلمة نحويّة
Universaux	كليّات
Omniprésence	كليّة الوجود
Indistinction lexicale	لاتميُّز معجميّ
Suffixe	لاحقة
Héteronymiser	لجأ إلى التنويع المصطلحيّ
Isonymiser	لجأ إلى المساواة بين هذَين المصطلحَين
Langue de spécialité (LSP)	لغة اختصاص
Sous-langue de spécialité	لغة اختصاص فرعيّة
Jargon	لغة اصطلاحيّة خاصَّة
Langue artificielle	لغة اصطناعيّة

Langage de programmation	لغة البرمَجة
Métalangage	لغة تحوُّليّة انعكاسيّة
Langue vivante	لغة حيّة
Langue delphique	لغة دلفيّة
Langue usuelle	لغة عاديّة
Langue générale	لغة عامَّة
Langue isomorphe	لغة مُشاكِلة
Langue contrôlée	لغة مضبوطة
Acronyme	لفظ أوائِليّ
Lexe	لَفيظة
Technolecte	لهجة تقنيّة
Matériau linguistique	لوازِم ألسنيّة لغويّة
Text Encoding Initiative (TEI)	مبادرة ترميز النصوص
Principe d'équivalence notionnelle (PEN)	مبدأ التعادل المفهوميّ
Equisignifiant	متساوي في الدلالة
Interchangeable	متعاوِض
Variables de sens	متغيِّرات المعنى
Locuteur	متكلِّم
Patron morpho-syntaxique	مِثال صرفيّ نحويّ
Homonymie	مجانسة
Homonymie fonctionnelle	مجانسة وظيفيّة
Société du savoir	مجتمع المعرفة
Nomenclature	مجموعة المصطلحات
Calque	محاكاة لغويّة
Néologisme	مُحدَث

Environnement sémantique	محيط دلاليّ مباشر
Stock lexical	مخزون معجميّ
Scripts	مخطوطات
Entrée lexicographique	مدخل معاجميّ
Ecole de Vienne	مدرسة فيينا
Corpus	مدوَّنة
Sous-corpus	مدوَّنة فرعيّة
Synonyme	مرادِف
Parasynonymes	مرادفات جانِبيّة
Souplesse linguistique	مرونة ألسنيّة لغويّة
Surface sémantique	مساحة دلاليّة
Niveau de familiarité	مستوى العموميّة
Désigné (un)	مسمَّى
Arbre du domaine	مشجَّر الميدان
Arborescences terminologiques	مشجَّرات مصطلحيّة
Formants	مشكِّلات
Formants gréco-latins	مُشكِّلات يونانيّة لاتينيّة
Terme (s)	مصطلح (ات)
Terme interdomainial	مصطلح بَيْميدانيّ
Terme sous-technique	مصطلح تَحتقنيّ
Méta-terme	مصطلح تحوُّليّ انعكاسيّ
Terme technique	مصطلح تقنيّ
Terme binaire	مصطلح ثنائيّ
Terme officialisé	مُصطلح رسميّ
Supergénérique	مصطلح شامل أعلى

Equivalent	مصطلح مُعادِل
Terme construit	مصطلح منحوت
Terme évocateur	مصطلح مُوْحٍ
Antonyme	مصطلح نقيضٌ
Terme télique	مصطلح هادِف
Equivalences	مصطلحاتُ مُعادِلة
Nomenclateur	مُصنَّف المصطلحات
Opérateur d’inversion	مُضارِب التعاكُس
Correspondance terminologique	مُطابقة مصطلحيّة
Illisible	مُطَلسَم
Traitement terminologique	معالجة مصطلحيّة
Métadictionnaire	معجم تحوُّليّ انعكاسيّ
Dictionnaire de langue	معجم لغة
Vocabulaire	معجم مفردات اللُّغة
Lexicographe	معجميّ
Lexicographie	معجميّة
Lexicomatique	معجميّة معلوماتيّة
Informatiser	مَعلَمَ
Sens	معنى
Sens hors texte	معنى خارج النصّ
Sens dynamique	معنى ديناميكيّ
Sens statique	معنى سكونيّ
Sens en texte	معنى في النصّ
Sens voisin	معنى قريب
Norme ISO	معيار إيزو

Normalisation	مَعْيَرة
Désignateur	مُعيِّن
Effets de sens	مفاعيل المعنى
Lexie	مفردة
Lexie simple	مفردة بسيطة
Articles terminologiques	مفردة مصطلحيّة
Sémème	مَفهَم
Conceptualisation	مَفهَمَة
Acception (s)	مفهوم (ج. مفاهيم)
Notion interlinguistique	مفهوم بَيألسنيّ لغويّ
Notion isolée	مفهوم معزول
Onomastique (approche)	مقاربة أعلاميّة
Onomantique (approche)	مقاربة تَسْمِياتيّة
Approche textuelle	مقاربة نصيّة
Situation dialogique	مقام حواريّ
Standardisation	مَقْيَسَة
Acquis	مُكتسب
Thésaurus	مَكْنَز
Etiquette	مُلصَق
Lubrifiant didactique	مُلطِّف تعليميّ
Pratique discursive et gnoséologique	ممارسة خطابيّة ومَعرفيّة
Normalisateur (s)	مُمَقْيِس (ون)
Grammème	مورفيم نحويّ
Encyclopédie (s)	موسوعة (ات)
Encyclopédisme	موسوعيّة

Domaine	ميدان
Domaine de spécialité	ميدان اختصاص
Domaine de spécialisation	ميدان تخصُّص
Sous-domaine	ميدان فرعيّ
Domaine terminologique	ميدان مصطلحيّ
Polyglotte	ناطِق بعدَّة لغات
Syntaxe	نحو
Grammaticalité	نحويّة
Forums terminologiques	ندوات مصطلحيّة
Relativisme	نِسبويّة
Diffusion des connaissances	نشر المعارف
Textualité	نصيّة
Systèmes de notation	نظام تنويت
Système symbolique	نِظام رمزيّ
Système graphique	نظام كتابيّ
Système idéographique	نِظام كتابيّ رمزيّ
Référentiel terminologique	نِظام مرجعيّ مصطلحيّ
Théorie de la désignation	نظرية التسمية
Théorie de la signification	نظريّة الدلالة
Modélisation	نَمذَجة
Archétype	نموذج أصليّ
Modèle linguistique	نموذج ألسنيّ لغويّ
Prototype	نموذج بَدْئيّ
Typicalité	نموذجيّة
Noyau sémique	نواة سيميّة

Migration	هجرة
Ingénierie documentaire	هندسة تطبيقيّة وثائِقيّة
Marqueur (s)	واسِم (ات)
Descripteur (s)	واصِف (ات)
Dictionnariste	واضع المعجم/ معجميّ
Entité	وحدة
Phrasème(s)	وحدة (ات) جُمليّة
Unité structurale	وحدة بُنيويّة
Unité de catalogage	وحدة تبويب
Phraséolexème	وحدة جُمليّة صغرى
Unité polylexicale	وحدة ذات دلالات معجميّة متعدِّدة
Unité référentielle	وحدة مرجعيّة
Uniterme	وحدة المصطلح
Unité lexicale	وحدة معجميّة
Etiquetage	وَسْم بالمُلصقات
Description sémantique	وصف دلاليّ
Descriptiviste	وصفيّ

الفهرس

- ج -

- خ -

- د -

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

ـ س ـ

ـ ش ـ

ـ ع ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ك ـ

ـ ل ـ

ـ م ـ

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

ـ و ـ